ANCORA IMPARO



العصور

اكتوبر ١٩٢٨م اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٤ مجلد ٣

هل نهضنا؟

خيل إلى الكثيرين أن مجرد وقوع ثورة دموية تهاجم بها سكك الحديدوالأبنية العامة ، وتخرب فيها كل المنشآت التي يقوم عليها أكبر قسط من رفاهية المجتمع ، إن لم تكن في ذاتها نهضة ، على مافي الاصطلاح من إبهام وغموض ، فانها على الأقل تدل على أننا قد أخذنا بأسباب نهضة صحيحة ، سوف تؤدي بنا إلى أقصى ماتتطلع اليه من رقي ، أدبياً ومادياً . على أن ماخيل إلى الناس لم يكن في الواقع بلا مبررات كثيرة ، فان النهضة في فرنسا ، على ظاهر مايدرك من أمرها ، قد ظهرت في أجلى مظاهرها عقب ثورات ثلاث تنقل فيها شكل الحكم من الملكية الى الجمهورية مرات . وكذلك الحال في انجلترا . فان تطور النظم الديموقراطية في بريطانيا كان نتاجاً لثورات تختلف آثارها باختلاف الأسباب التي أنتجتها ، وبتباين الأغراض التي رمت اليها . فان ثورة « الماغنا كارتا » وثورة كرومويل وغيرهما من الحروب الأهلية كانت مظاهر تطورت في صورما من الرقي الأدبي والمادي . غير أن الحكم على حوادث الحاضر بمشاهدات تقتطع من الماضي ، حكما مقطوعاً بصحته ، أمر لايخلو من الشطط الكبير . فان الثورات لايحكم في نتائجها أحكاماً

يقينية إلا بعد أن تنجلي غمرتها وبعد أن تثبت نتائجها على صورة قاطعة . ذلك لأن من الثورات ماأنتج ذلا واستكانة وانحطاطاً في النزعات وانحلالا في الروابط الأخلاقية والأدبية . إذن فالحكم على ثورتنا الاخيرة حكما ثابتاً، أمر يحتاج إلى عنصر ضروري ينقصنا في الوقت الحاضر. هو عنصر «الزمان» ذلك لأني أعتقد أن هذا العنصر لم يتم فعله التطوري الذي يمكننا من الحكم في نتائج الثورة بصورة قاطعة .

ولدينا على صحة مانقول دلائل عديدة. فان الحزب السعدي مثلا ، وهو الحزب الذي يرمز لنفسه بأنه حزب النهضة ، لم يستطع حتى اليوم أن يثبت بشكل قاطع أنه استطاع أن يحدد المرامي التي يرمي اليها في سياسته العامة تحديداً تاماً . وكذلك لم يقنع المفكرون بأن هـذا الحزب أمكنه أن يثبت لنفسه وجوداً عملياً بعد فقدان زعيمه العظيم . ولا جرم أننـا بجانب هذا نضطر إلى التساؤل اضطراراً : هل يمكن أن يكون عجز الحزب السعدي عن تحديد أغراضه ومراميه تحديداً تاماً ، راجع إلى عنصر انحـلالي يعمل في الخفاء على تصديع الحزب وتصديع النهضة التي يدعي هذا الحزب أنه رمزها؟ أم أن هذه الظواهر تدل على أن النهضة التي تتطلع اليها قد تركزت في بورة أخرى غير بورة السياسة، فأخذت تتلمس طريقاً آخر غير الأحزاب السياسية تتخذها وسيلة الى الظهور ؟ هذه مسائل لانستطيع أن نجيب عليها جواباً قاطعاً . ولهذا أتخيل أننا لم نستطع بعد أن نثبت أننا نهضنا بالفعل .

ولدينا مسألة أخرى هي مسألة الحـكم النيابي . فان تعطيل الحياة النيابية ثلاث سنين ، وإخلاد الناس لهذا الحـكم على قسوته ، دليل قاطع على أن الناس قد شعروا ،ولو من طريق لاتنبهي ،إلى أن الحياة النيابية ليست وسيلة أولية من وسـائل النهضة ، أو أنها على الاقل ليست حاجة من الحاجات التي ترتكز عليها نظمنا السياسية والادارية . وعلى هذا نقول بأننـا من هذه الناحية قد أخفقنا أيضاً في أن نثبت أننا نهضنا بالفعل .

وإليك مسألة غير هذه وتلك . وهي عنـدي من أخطر الأشياء . تلك هي مسألة المبادىء التي تقوم عليها الأحزاب . فليس من حزب من أحزابنا

قد واجه الأمة بالواقع مواجهة صحيحة حتى اليوم . فالكل انما يلوحون للأمة بمبادىء يتسابقون فيها مسابقة ليكون لكل منهم أكبر حظ من ثقة الجمهور به، بصرف النظر عما إذا كان زعماء هذه الأحزاب يعتقدون بصلاحية هذه المبادىء لأن تكون قاعدة للاصلاح ولنض الاشكال السياسى . فالحزب السعدى يقول « بالاستقلال التام أو الموت الزؤام » . في حين أن زعماء الحزب جميعاً يعتقدون أن « الاستقلال التام» فى حكم المستحيل وأن « الموت الزؤام » في حكم الامكان . وحزب الدستوريين يقولون باسترداد السودان لمصر وهم يعرفون أن ذلك في حكم الخيال . والحزب الوطنى يقول بالملحقات ،وزعماؤه يعلمون أن هذه الملحقات أمنع من عقاب الجو .

وإذا أردت من برهان على صحة ماأذهب اليه من رأى فى الاحزاب، فارجع الى حوادث قريبة العهد منك لترى أن الأحزاب انما تتهالك على التطرف فى المبادىء تصنعاً لا وطنية ، ليفوز كل منها بحظ أكبر عند الجماهير. خذ لهذا مثلا من الحزب الوطنى الذي يعتبر أشد الأحزاب تطرفاً، وكيف ناصر الدستوريين ضمناً إن لم يكن فعلا ،عند ماعطل هذا الحزب الحياة النيابية . ومهما قلبت وجوه الرأى فانك ان تقف علي مصلحة محققة النتائج ، لا للحزب ولا للأمة ، من موقف الوطنيين أزاء الأزمة الأخيرة ، مادام الغرض الذى يرمى اليه الحزب والمثل الأعلي الذي يعمل من أجله هو الحرية أولا والاستقلال التام لوادي النيل بحدوده الطبيعية والملحقات ثانياً !

وكذلك الحال فى الدستوريين . فان تعطيل الدستور على يدهم لم يجمل لهذا الحزب من حياة سياسية يحياها بعد الآن . على أن زعماءه لم يلجؤوا إلى هذا الا تخلصاً بالذات من حكم الأغلبية . وليس علينا في هذا الموطن أن نبحث فى حكم الاغلبية أكان صالحاً أم غير صالح ، بل يكفينا أن نقول بأن هذه الظاهرة كافية لان تثبت أننا لم ننهض بعد ، بل هى كافية في الدلالة على أن ثورتنا الاخيرة كانت سلسلة كبوات تلت إحداها الاخرى . وكانت آخر الكبوات تعطيل الحياة النيابية ، وقبول الناس لهذه الحال على

صورة تدل فى أول ماتدل عليه، على أن الرأي العام سئم الصراع السياسى الذي دارت رحاه حول الاشخاص لاحول المبادىء .

ثم ارجع الى حزب الاغلبية ، أي الحزب السعدى . وانظر فى موقفين اثنين من مواقفه السياسية لتعتقد أن هذا الحزب قد عمل زعماؤه فى أول ماعملواه، على أن يحفظوا لا نفسهم في الرأي العام ماكان لزعيمهم سعد من قبلهم، من غير أن يجعلوا لاي اعتبار سياسى أقل قيمة عملية . أما الموقف الاول فرنض معاهدة (ثروت — شمبرلين) والثانى تصرفهم أزاء تحفظ الانجليز أزاء قانون الاجتماعات .

أما موقفهم ازاء المعاهدة فكان موقف تجرد من كل مهارة سياسية بل كان مظاهرة أريد بها الاحتفاظ بسمعة الحزب وبمركزه ازاء الجماهير لمجرد السيادة عليها ، لا من ناحية المبدإ ولا من ناحية الاصلاح ، بل من ناحية التظاهر الاعمى من غير نظر أو تقدير للنتائج المنطقية أوالعملية التى تترتب على رفض مشروع معاهدة تقدم به وزير من وزرائنا الى بريطانيا واتفق عليه بعد مناقشات طويلة ومذكرات عديدة تبودلت بين الطرفين . وكما أنه ليس من شأننا في هذا الموطن أن نبحث في حكم الاغلبية وهل كان صالحاً أو غير صالح ، كذلك ليس علينا أن نبحث في المعاهدة وهل هي صالحة أو غير صالحة . بل جل ما يعنينا أن نقدر موقف حزب الاغلبية سياسياً ازاء أمر واقع . فان مناقشة المعاهدة وابداء تحفظات يمكن أن ترفضها انجلترا ، لم يكن أمراً مستحيلا على أصغر فتى قروى فى أحقر كتاب من كتاتيب مجالس المديريات . وهذا بالضرورة يعامه زعماء الحزب السعدى جيداً ويفهمونه فهماً حسناً ، ولكن أثره في الجماهير أقل بكثير من أثر الرفض المطلق الذى يشعر بأن مصر أصبحت سيدة البحار وان الشمس لا تغرب عن ممتلكاتها ، وان انجلترا أصبحت بمثابة مديرية بسيطة من مديريات الصعيد الاقصى . إذن فرفض المعاهدة لم يكن الى ناحية السعي العملى الى المصلحة العامة أدنى منه الى ناحية التظاهر الاجوف، خدمة لفكرة الحزبية . وفى هذا دليل على اننا لم ننهض ، بل على اننا نكبو ونتعثر .

أما موقفهم ازاء قانون الاجتماعات وازاء التهديد البريطاني ، فاليك بيانه : اقترح على وزارة الاغلبية أن تعود بالامر الى ناحية عليا ، هي الناحية الدولية ، وأن تجعل لهذه الناحية الحكم الاعلى في الموضوع . فان انجلترا مادامت تحتج بان هذا القانون يؤثر في تحفظها الخاص بسلامة الاجانب ، فان العودة بالاشكال الى هؤلاء الاجانب بالذات فيه مخرج من حرج الموقف ، لمصر ازاء انجلترا ، ولانجلترا ازاء مصر . اقترح على وزارة الاغلبية أن تلتقي بالقانون بين يدي الجمعية العمومية للمحاكم المختلطة وهي التي تمثل المحافظة على مصالح الاجانب في مصر . وهي سلطة لا تنكر انجلترا حقوقها ، ولا ننكر نحن حقوقها . فاذا قبلت القانون كان ذلك أكبر حجة لنا نلوح بها في وجه انجلترا . واذا رفضته كان لنا من رفضها أكبر العذر في طي القانون وحفظه الى الابد . وكان لنا من ذلك مخرج شريف ، لا نحتمل فيه مسؤولية سياسية ، نظرية أم عملية . ولكن حزب الاغلبية رفض ، ورفض بازدراء هذا المقترح السامي الرشيد ، وأعلن أن القانون سوف يمر في المجلسين وسوف ينفذ رغم أنف انجلترا ورغم أنف الدول جميعاً . فكانت النتيجة على ما يعرف القراء ، تقهقر بغير انتظام وتسليم على طول الخط وشكر على « الحل السعيد » الذي لم نصل اليه الا بعد تأهب الاساطيل لاحتلال مياهنا . وفي هذا دليل ساطع على اننا لم ننهض ، بل على اننا نكبو ونتعثر ، لاننا نعمل للحزبية ، لا للمبادىء .

* * *

لم نشأ أن ندلي برأينا في صراحة قبل أن نمهد للقاريء بهذه المقدمات الضرورية . أما وقد شرحناها بعض الشرح فانا نستطيع أن نقول ان السبب في كبوتنا المرة بعد الاخرى ، انما يرجع الى التعصب للحزبية ، لا الى فكرة الحزبية ذاتها . ذلك لان التعصب في الحزبية ، لا يناظره من شيء الا التعصب في الدين . كلاهما يمنعك عن أن ترى حسنة واحدة من حسنات خصيمك في السياسة أو نظيرك في الدين .

والحزبية على الرغم من هذا موجودة في كل الامم . غير أنه لم يسلم من

التعصب فيها الا أمماً لا يكاد يكمل عددها أصابع اليد الواحدة وهي التي تحكم الدنيا وهي التي تستولى علي موارد العالم . أما التعصب للحزبية فقد امتازت به كل الامم التي تخضع اليوم لحكم الملية من الامم عرفت كيف تتحرر سياسياً وعرفت كيف تسود الدنيا .

إذن فالتعصب للحزبية هو الذي يعوق خطانا عن النهوض . وهو الذي يصدنا عن الانبعاث فى سبيل الاصلاح الصحيح ، وهو الذي يملأ طريقنا بالعقبات تتعثر فيها ونكبو لنحاول النهوض .

على أن هذا هو الحال فى أ كثر بلاد الشرق . فنى الهند تعصب الطوائف ، وفى العراق الشيعة والسنة ، وفي سوريا تنازع الفئات الدينية ، وفي شمال افريقية تطاحن الاحزاب على من يحكمهم من الامم ، وفى مصر التقاتل علي نيل رضاء الجماهير ! ولا شيء فى الشرق غير هذا أو ما يقاربه .

مثلنا في هـذا كمثل رجلين ساق بهما الجاحظ فى أول الجزء السابع من كتابه الحيوان عظة وجعلهما ذكرى . فقد روى أنه رأى بصرياً يخاصم كوفياً فى العنب الرازقى والعنب البغدادى أيهما أكرم ثمراً ، فتنازعا ثم تواثبا ففقأ الكوفي عين البصرى ، وخلع البصرى رسغ الكوفى . ثم رآهما بعد ذلك بقليل متصافيين متوادين ، لم يقعا قط علي مقدار ما يغضب من مقدار ما يرضى . وهذا ولا شبهة مثلنا ومثل الامم الشرقية على اطلاق القول .

* * *

هذا فى السياسة وفى الحالة الاجتماعية . أما اذا رجعنا الى الناحية الفكرية فانا نجد مع الاسف اننا لسنا فيها باحسن حالا منا فى السياسة والاجتماع .

لا نريد أن نتكلم فى حالتنا التفكيرية من حيث القدرة علي اننا نفكر ولا من حيث القدرة على اننا نفهم ، ولا من حيث القـدرة على اننا نستوعب الحقائق والنظريات . فاننا في جماع هذا نستوي وبقية النـوع البشري علي اختلاف فى الكم والكيف . ولـكنا نريد أن نتكلم فى مقدرتنا علي التفكير والنظر فى حقائق الأشياء تفكيراً حراً بعيداً عن موحيات التقاليد وما تنزع

بذا اليه فطرتنا من حب القديم والعكوف علي ما بلى من تراث الاقدمين .

فانا لا نزال ننظر فى كثير من الاشياء التى لها أكبر العلاقات بمصالحنا الدنيوية نظرة تقديس لم تعد تتفق وما تتطلب مقتضيات العصر الحاضر من حرية فى الفكر وتعديل فى النظم والفكرات والمبادىء بما يلائم روح هذا العصر الحديث . وأكبر دليل علي ذلك اننا لا نزال نحاول أن نحاكم أساتذة الجامعة بأن نوقفهم امام القانون كمجرمين — مراطقة — كما فعل اليونان بسقراط وكما فعل بابوات روما بجيوردانو برونو رده دومينيس وغاليليو وكوبرنيكوس وغيرهم ممن هم أقدر من سارت به قدم من أبناء الانسانية علماً وأدباً . وفى هذا أيضاً دليل كاف علي اننا لم ننهض بعد ، وفيه أيضاً سبب كاف للتكبو والتعثر .

* * *

أما اذا كنا قد نهضنا بالفعل، كما يخيل الى الكثيرين زوراً ووهماً ، فانا لم نكن لنقع على أمثال هذه الظاهرات ، بل كنا نواجه الامة بالواقع وبالحق كما نعتقد أنه قائم ، وكنا نحرر أفكارنا ونترك التعليم فى المدارس والجامعة يتطور على حسب ما يقتضى سير الفكر الانسانى من تكوين النظريات والمذاهب ثم نقضها أو تعديلها .

وبعد كل هذا نتساءل هل نهضنا ؟

السيار الارضى

١ — الارض فى الفضاء ـ ٢ ـ الارض كما ترى من القمر ـ ٣ ـ الارض كساعة سماوية ـ ٤ ـ الارض كما ترى من الزهرة ـ ٥ ـ الارض فى عالم السيارات ـ ٦ ـ الارض لا ترى من بعد زحل ـ ٧ ـ بعد الارض عن الشمس ـ ٨ ـ البرهنة على كروية الارض ـ ٩ ـ كيف نقيس الارض ـ ١٠ ـ تسطح الارض ـ ١١ ـ وزن الارض ـ ١٢ ـ قوة اجاذبية ـ ١٣ ـ الجوف الملتهب ـ ١٤ ـ محور الارض ـ ١٥ ـ البرهنة على دوران الارض ـ ١٦ ـ تجربة فوكول ـ ١٧ ـ اتساق حركة الارض ـ ١٨ ـ المد والجزر

* * * *

— ١ —

لا جرم أننا نبتسم ضاحكين كلما تذكرنا أن أجدادنا الاولين قد اعتبروا أن سيارنا الارضى الصغير هو « الكون » . غير أننا لا يجب أن ننسى بجانب هذا أن فكرة أن الارض بما عليها من الغابات والجبال والوديان والبحار والانهار والخلائق ، بشرية وغير بشرية ، ليست الا السيار الثالث من بين السيارات التى تدور من حول الشمس ، هي بذاتها فكرة بعيدة عن العقل ، لانها لا توافق ظواهر الاشياء . فما أبعد هذه الفكرة عن العقول ! ولكن ما أقربها من الحقيقة .

أما اذا أردنا أن نفهمها فهماً جيداً ، فانه يجب علينا أن نتحرر من شعور « الفوق » و « التحت » و« القمة » و « الحضيض » ، لانه ليس فى الفضاء من شيء كهذا . فسكان نصف كرة الارض الجنوبى كالاوستراليين مثلا ـ و الذين نعتبرهم « تحت » سكان أوروبا — يرون السماء بنجومها كما نراها نحن وكما يراها الاوروبيون ، ولو أنهم ، كما اعتقد القدماء الذين لم يدركوا أن الارض كرة ، معلقون فوق الكرة ، وارجلهم ، بالنسبة الينا ، تعلو رؤوسهم . وكما يضيء القمر على الارض ، كذلك تضيء الارض على القمر . فاذا نظرت الى الارض من المريخ أو الزهرة أو المشترى أو بقية السيارات ، ظهرت سياراً لامعاً مضيئاً ، كما تظهر هذه السيارات لنا من فوق الارض تماماً .

— ٢ —

كيف تظهر الارض لراء من سطح جرم من الاجرام السماوية ؟ ليس من الصعب علينا أن تتصور ذلك إذا اعتبرنا المسافة التي تفصل بينها وبين ذلك الجرم ومقدار الضوء وحالاته وغير ذلك من الاعتبارات الطبيعية ، وأنه من المستطاع إذا انتقلنا من جرم الى جرم من تلك الاجرام أن نتطلع من فوقه إلى الارض ، كما نتطلع الآن من فوق الارض إلى تلك الأكر السماوية السابحة في الفضاء .

ولو كان القمر مأهولا ، لظهرت الارض لراء من سطحه على صورة تدعو إلى الاعجاب الشديد . فانها تلوح له كرة هائلة أو قرصاً يسبح في سماء القمر « السوداء » تحيط بها مجاميع من النجوم لا يمكننا أن نراها حتى في أصفى ليالي الشتاء من فوق سطح الارض . وبما أن القمر ليس له جواً - Atmosphere - فان اللون اللازوردي الذي يظهر للعين من صفاء الهواء وتراكمه يكون



منظر بري من القمر

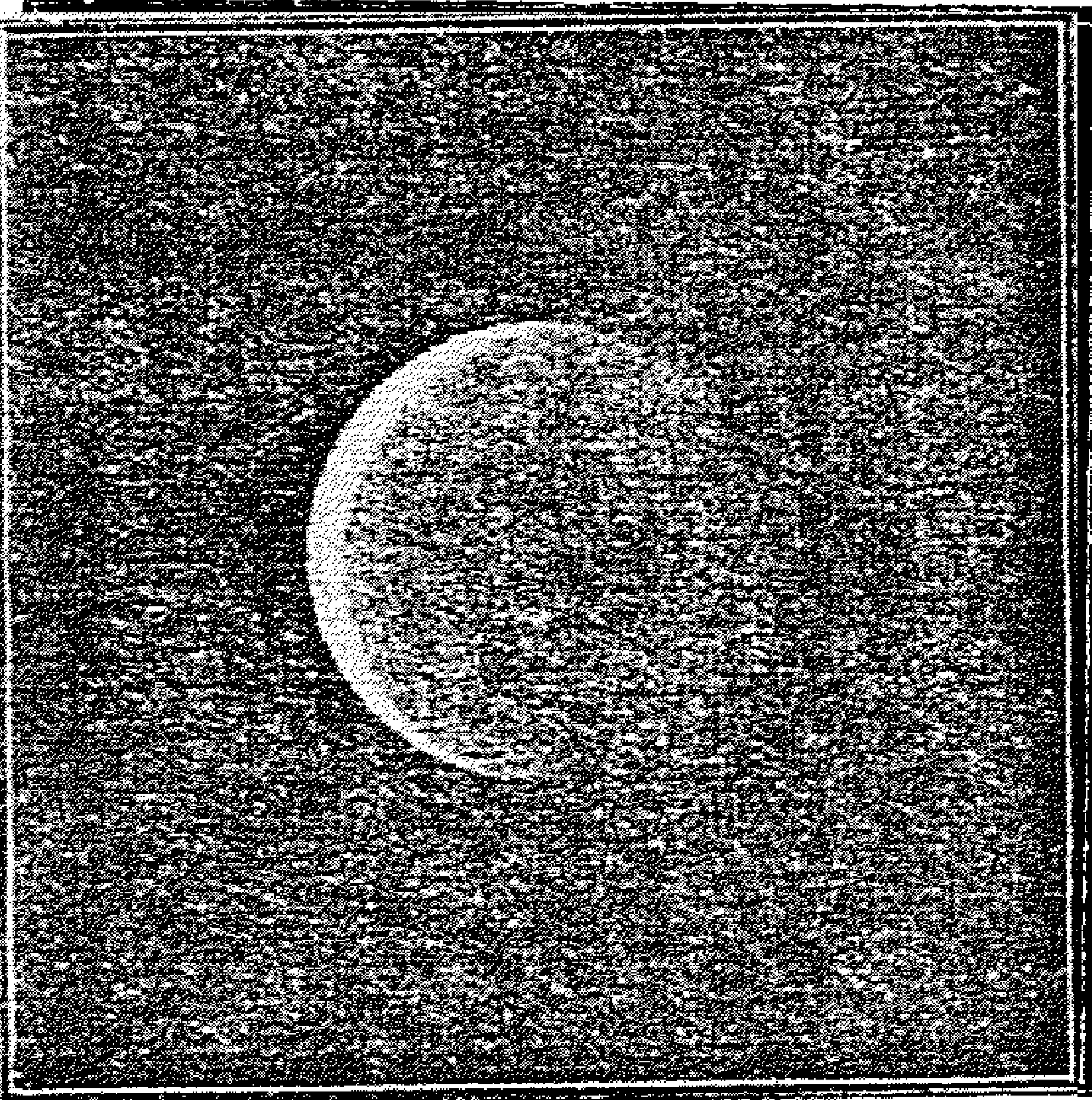
تظهر النجوم من القمر في وضح النهار في سماء سوداء اللون لان القمر ليس له جوا كجو الارض . والصورة من رسم العلامه هوغو بروشل الالماني

معدوما خلال النهار أيضاً . وعلى هذا لاينعكس ضوء الشمس بواسطة الهواء والغبار وبخار الماء على سطح القمر . فتظل السماء « سوداء » اللون تماماً حتى بعد أن ترتفع الشمس من فوق الافق ، وتظل النجوم متلألئة في أثوابها الفضية الناصعة .

أما « قرص » الارض فأكبر من قرص القمر ثلاث عشر ضعفاً . فاذا لاح لنا القمر كأنه صحن من الفضة نراه على الحجم الطبيعي من بعد ١٠٠ قدم منا ، فان الارض تلوح لرائي من سطح القمر فى حجم عجلة من عجل العربات الكبيرة إذا نظر اليها من مثل هذا البعد . على أننا لانستطيع أن نرى من القمر ، الا تلك الاماكن التى تضيئها الشمس . وهكذا الحال فى الارض ، لانها كالقمر وبقية السيارات ، عبارة عن كرة مظلمة من الاحجار الصلدة . ولهذا نعتقد أن سكان القمر ــ لو كان مسكونا ــ يرون الارض هلالا ثم فى الربع الاول ثم بدراً ثم فى المحاق ، كما نرى أوجه القمر تماماً ، ولخرجوا يتنزهون فى ضوء الارض المسدل على سطح القمر ، ولتغزل فيها الشعراء ولعبدها المحبون الوالهون ، كما يفعل أهل الارض تماماً . وعند مايلوح القمر لاهل الارض هلالا آخذاً فى النماء ترى الارض من القمر فى المحاق الاخير ، وعند مايكون القمر في أول ظهوره لاهل الارض ، تكون الارض بدراً لاهل القمر . وعند ماتكون الارض « بدراً » لاهل القمر فانها ترسل اليهم من الاضواء مايوازى اثنى عشر ضعف الاضواء التى يرسلها القمر لاهل الارض عند مايكون بدراً . على أننا نستطيع أن نرى بأعيننا هذه الاضواء التى ترسلها أرضنا إلى القمر . فان القمر عند مايظهر لنا هلالا دقيقاً ، فانا نستطيع أن نرى بقية القرص القمرى مشعاً في ضوء رمادي ضعيف . وهذا الضوء هو ضوء الارض الذى ترسله على الجهة التى تكون ليلا من القمر . ولا جرم أن الاضواء التى ترسلها الارض إلى القمر تكون أشد لمعاناً وقوة عندماتكون الصحاري الافريقية والاسيوية مواجهة للقمر ، وتكون على أقلها عند مايكون المحيط الهادي مواجهاً له ؛ لأن مياهه المتسعة ترسل

أضواء أوهن من الاضواء التي ترسلها الصحاري الكبيرة .

أما تقاطيع وجه الارض Configurations فلا يمكن أن ترى من القمر ، كما ترى « تقاطيع » القمر من الارض لأن جو الارض يلقى على هذه « التقاطيع » قناعاً يغشاها ، فيحجب هيكلها . أما البحار فتظهر رمادية اللون ، في حين أن اليابسة تظهر مشعة مضيئة . وكذلك الاقطار القطبية فانها



الاضواء الرمادية

ضوء الارض على القمر

تظهر بيضاء ، والغابات ترسل أضواء مخضرة في الصيف ، وسمراء في الخريف ، ورمادية في الشتاء . وهذه الظاهرة تثبت لاهل القمر حقيقة تغير التحول في جو الارض . وقد تحجب السحب الكثيفة أحياناً بقاعاً برمتها من سطح الارض عن أن تظهر لراء من سطح القمر ، وهذه الظاهرة يهتم لها بالضرورة عالماً بالارصاد يلاحظها من القمر ، ليعلل تكون السحب وتفرقها في جو الارض .

إن اقاليم في حجم إيرلاندا أو ايقوسيا أو واليس يمكن أن ترى نادرة بالعين المجردة من سطح القمر . أما إذا تسلحت العين بالمناظير المقربة — المكروبات — في قوة تلك التي تستعمل في مرصد « ليك » أو « مرصد يركس » فيمكن للناظر أن يري هرم خوفو في طرف الصحراء المصرية كبقعة سوداء . وكذلك يمكن أن يرى فيلقاً من جيش يطوي صحراء منبسطة . أما مدينة عظمى كباريس أو لندن فانها تكون من أجلى الاشياء ظهوراً ، في حين أن أضواءها تظهر لفلكي من القمر كبقعة مضيئة في سطح الارض .

— ٣ —

كذلك يمكن لاهل القمر أن يستخدموا الارض « كساعة » جوية لن

تقف ولن يتولاها الخلل . ذلك لأن دورتها الليلية يمكن أن تعرفهم الاوقات على صورة كاملة من الضبط بملاحظة البقع السوداء التى تظهر على سطحها . فان دورتها على سطح القرص الارضى يكون بمثابة ضابط للوقت لايخل أبداً. غير أن هذه الساعة لايتمتع بها الا سكان ناحية واحدة من نواحي القمر . ذلك لان القمر لايظهر لنا الا وجهاً واحداً من وجهيه . أما سكان القمر الذين يكونون في النصف الآخر من جرمه الكروي — أي النصف الذي لايرى من الارض — فانهم يحتاجون إلى سياحة طويلة ليمكنهم أن يروا النجم العظيم — الارض — الذى يكون مرئياً على الدوام لاخوانهم الذين يسكنون الجهة المقابلة للأرض . ومن أجل أن تتصور غرابة هذا الامر ، تخيل أن القمر لايرى من الارض الا فى أمريكا وحدها .

— ٤ —

الارض قريبة جهد القرب من القمر إذا قسنا بعدها عنه أو بعده عنها ، ببقية الابعاد التى تفصلنا عن بقية الاجرام . فان القمر هو جارنا الاقرب ، بل يمكننا أن نعتبره قطعة من الارض . أما إذا خرجنا من فلك القمر وابتعدنا عنه موغلين فى جوف الفضاء حتى نصل إلى أقرب السيارات منا وهي الزهرة، فان الارض تكون مختلفة اختلافاً تاماً عما هى إذا نظرت من فوق القمر . إن الزهرة قد تكون فى أقرب نقطها من الارض على بعد ٠٠٠ر٠٠٠ر٢٤ ميلا فقط ! . وعلى هذا ترى الارض لراء من سطح الزهرة نجماً كبيراً مضيئاً لانرى له مثيلا فيما يحيط بنا من نجوم الفضاء . بل من الممكن أن يتبين ذلك الرائى قرص الارض بيناً ظاهراً ، بل من المستطاع أن تلقى الارض بضوء ضئيل على سطح الزهرة يحدث لاشباحها ظلا خفيفاً في ليلة صافية الاديم . وكذلك قد يلاحظ هذا الرائى تغايراً يطرأ على قوة اللمعان الذى ترسله الارض ، فان قاراتنا العظمى عند ماتواجه الزهرة ترسل اليها شعاعاً أقوى لمعاناً من الشعاع الذى ترسله المحيطات الكبرى. أما العين المجردة ففى مستطاعها أن تتبين القمر يهتز متروا حاً حول الارض من ناحية إلى أخرى ،

فاذا تسلحت بتلسكوب قوى تبينت القارات والبحار وقطعاً شديدة البياض فى القطبين الجنوبى والشمالى . أما بقية الاشياء الصغيرة فانها تظل محجوبة عن النظر . وربما أمكن تبين شيء من الجبال الشاهقة .أما البقاع المخضوضرة التى تظهر تحت قوة كبيرة من الكشف .فتوحى لاهل الزهرة بأن الارض غير قاحلة ولا مجدبة . أما الخلائق البشرية ومصنوعاتها ومنتوجات قرائحها فلا يتبين منها أهل الزهرة شيئاً .

— ٥ —

وما يراه أهل المريخ أقل مما يراه أهل الزهرة . (١) فان المريخ في أقرب ابعاده عن الارض يكون على بعد ٣٧،٠٠٠،٠٠٠ ميل منها ، وعلى الرغم من أن الارض على هذا البعد لاتزال تظهر كنجم مضيء غير أن ضوءها يكون أضعف بكثير مما هو لاهل الزهرة . أما أقوى النظارات المقربة فانها تظهر الارض من المريخ كقرص صغير مرقط محاط بسحاب وعلي سطحه ثلوج وجليد .

ولنبتعد عن المريخ خطوة فلكية أخري لنصل الى المشترى ، جبار النظام الشمسى . أما اذا بلغناه فان الارض لاترى الا كبقعة صغيرة مضيئة بحيث لاتستطيع أقوي التلسكوبات أن تتبين منها شيئا ، اللهم الا نقطة أو اثنتين تظهران على سطحها . أما اذا احترقت كل الغابات التى تكسو أوروبا دفعة واحدة فان هذه الحريقة المزعجة لا تظهر فى عدسة نظارة من فوق المشترى الا كقبس ضئيل من النور لايعيره اهل المشترى اقل اهتمام .

ثم نصل الى زحل . وهنالك لا ترى الارض من سطحه الا بمساعدة التلسكوبات الكبيرة لان البعد بينهما يبلغ ٨٨٥،٠٠٠،٠٠٠ ميل . فاذا تطلع راء الى الارض من سطح زحل فانها تلوح له قريبة جهد القرب من الشمس حتى لقد تظهر ثم تختفى فى تموج الاشعة التى ترسلها الشمس من حولها .

(١) هذا الشرح مجازى صرف لان القمر والزهرة وبقية السيارات غير ماهولة ما عدا المريخ فانه يظن فقط ان به خلائق واما اذا كانت موجودة فانها أقل بكثير من الانسان من حيث المؤهلات العقلية .

ولو فرض وكان زحل مأهولا ، ولم يكن لاهله من قوة الاختراع ما يمكنهم من استكشاف العدسات المقربة ، فانهم يظلون جاهلين بذلك السيار الذي نسميه الارض . أما اذا كان لديهم هذه العدسات وتدرعوا بالكثير من الصبر والقدرة على البحث ، فانهم يرون الارض نقطة مضيئة لماعة متلألئة ، لا غير . فى حين أن هذه الارض تعمرها الخلائق البشرية وغير البشرية من صور الحياة ، وفيها من الآلام الكثيرة المزوجة بالوان عديدة من المسرات ، ما يكفى لان يجعل أهلها يحسدون العوالم الصامتة على جمودها المهيب .

— ٦ —

اذا تطلع راء من طرف زحل الآخر الى الارض فانه لا يستطيع أن يراها . فانها تكون قد غرقت فى غمر الاضواء الشمسية . وليس لنا من قدرة على تصور عدسة معظمة يمكن أن تنم عن الارض لراء فى سطح أورانوس او نبتون . ومن قبل أن نصل الى تخوم النظام الشمسى الذى ينتهى عند فلك نبتون ، فانا نكون قد غبنا فى جوف اللانهاية ، كما يغيب عنا فى جوفها السحيق كثير من الشموس والارضين التى لا يعلم أمرها الا علام الغيوب .

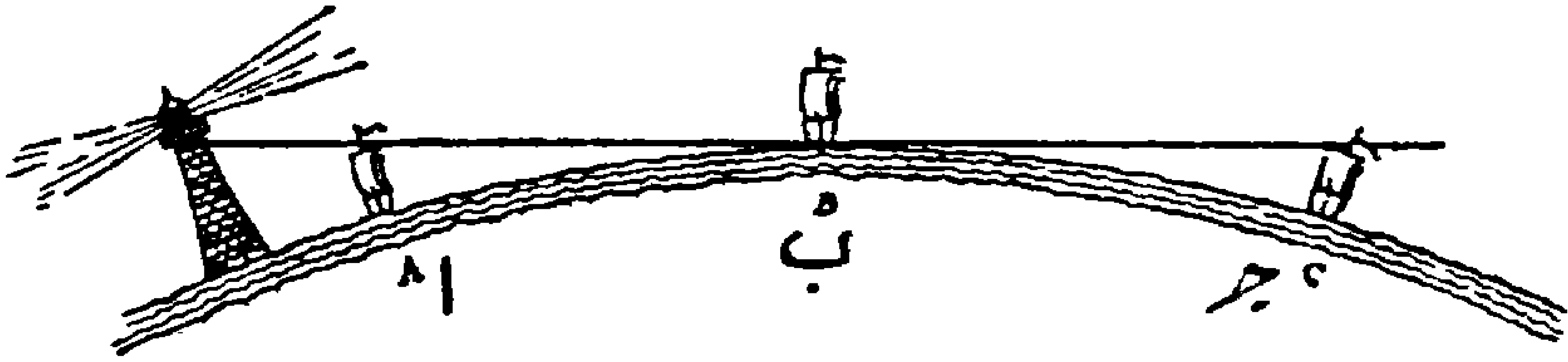
— ٧ —

تدور الارض من حول الشمس باعتبارها السيار الثالث من سياراتها ويقع فلكها بين فلكى الزهرة والمريخ . أما أوسط بعد تقع فيه الارض عن الشمس فيبلغ ٩٢٫٨٠٠٫٠٠٠ ميل . أما فى « نقطة الرأس » - Perihelion - — أى أقرب نقطة يكون فيها سيار من الشمس — فانها تكون على بعد ٩١٫٣٠٠٫٠٠٠ ميل . ويقع ذلك فى يوم ٣١ ديسمبر من كل سنة . كما أنها تقع في « نقطة الذنب » - Aphelion - — أبعد نقطة يكون فيها سيار من الشمس — في يوم أول يوليه من كل سنة ، ويكون بعدها اذ ذاك ٩٤٫٣٠٠٫٠٠٠ ميل . وتكمل الارض دورتها حول الشمس فى ٣٦٥ يوماً و ٥ ساعات و ٤٨ دقيقه و ٤٦ ثانيه ، بسرعة ١٨٫٥ ميل في الثانية الواحدة .

— ٨ —

لقد احتاج العقل البشرى الى آلاف من السنين ليصل الى معرفة مركز الارض في الكون ، واحتاج لمثلها ليعرف مقدار سعتها وصورتها . ولقد بذل الناس كثيراً من الجهد العقلي قبل أن يعرفوا أنهم انما تأهل بهم كرة صماء تطير بهم فى فضاء اللانهاية . وحتى أواسط القرن الثامن عشر لم يستطع الناس ان يتصوروا كيف يمكن أن يكونوا عائشين فوق كرة عظيمة تدور دائماً على محورها .

ولدينا براهين كثيرة على كروية الارض . فان تقعرها من ناحية ما ، يظهر جلياً خلال سياحة بحرية عندما تظهر فى أول الامر صواري السفن وقمم الجبال ورؤوس المنارات البحرية فى مدى الافق ، ولا تظهر الاجزاء السفلى الا اذا قربنا من هذه الاشياء تبعا لانحناء سطح الارض وتقعره. كذلك تظهر صورة



(شكل يبين كروية الارض)

النور الذى ينبعث من المنارة يمثل أفق الرائى ، والسفينة فى (ا) تكون محجوبة تماما عن نظره لانها لم تكن قد وقعت تحت النظر تبعا للانحناء . فاذا وصلت الى (ب) ظهرت تماما ثم تختفى اذا بلغت (ج) تبعا للانحناء أيضـا .

الارض على سطح القمر عند حدوث الخسوف اذ تلقى عليه بظلها ، كرة تامة . ناهيك بالسياحة حول الارض والخروج من نقطة منها ثم العودة اليها سيراً في خط يتجه فى ناحية واحدة دائما . ولماذا نذهب بعيداً فالشمس نراها كرة والقمر كرة وكذلك بقية السيارات والنجوم ، فلماذا تشذ الارض عن القاعدة ؟

— ٩ —

استطاع كثير من الامم أن يعرفوا مقـدار حجم الارض . على وجه التقريب الدقيق . اما أول من عرفنا انه قاس حجم الارض في التاريخ فـكان

« إراتوسثينيس » - Eratosthenes - الاسكندرى في القرن الثالث قبل الميلاد، فقال بان محيط كرة الارض يبلغ ٢٨٫٨٣٣ ميلا . وقاسها العرب في زمن المأمون بن هرون الرشيد إذ أمر فخرج جماعة من العلماء الى برية سنجار وعلى رأسهم سناد بن على وقاسوا درجة الهاجرة فكان محيط الارض على مقاسهم ٢٥٫٦٠٠ ميل تقريباً . ويكفى لتعرف محيط الارض أن تقيس مسافة الى الشمال وأخرى الى الجنوب اذا استطعنا أن نحدد مقدار ما تقيسه بالنسبة إلى المجموع . فاذا عرفنا مثلا ان المسافة التي قسناها تبلغ $\frac{1}{100}$ من مقـدار محيط الارض وكانت هذه المسافة ٢٥٠ ميلا مثلا ، فيكون محيط الارض ٢٥٠٠٠ .

ولقد كشف أحد الرياضيين الفرنسويين ، مسيو « فرنل » - Fernel - طريقة جديدة لمقاس محيط الارض بان ذهب من باريس الى مدينة أميَنز وهى المسافة التى اختارها للقياس ، وعد عدد دورات عجلة العربة التى دارتها على طول السياحة ، وقاس بعد ذلك اتساع محيط العجلة فكانت النتيجة أن محيط الارض يبلغ ٢٤٫٨٨١ ميلا ، فكان الرقم صحيحاً تبعاً لصحة القاعـدة التى اتخذها وسيلة للقياس .

أما العلم الحديث فله وسائل غير هذه أشد ضبطاً وأكثر دقة. فان العلماء اليوم يتبعون قواعد حساب المثلثات - Trigonometrics - وكان أول من اتبع هذه القواعد العالم الفرنسوى « بيكار » - Picard - الذي قاس محيط الارض سنة ١٦٦٩ فكان عنده ٢٤٫٨٧٨ ميلا . وفى سنة ١٧٣٥ أرسلت الحكومة الفرنسوية بعثة لتقيس محيط الارض الى بلاد لابلاندو بيرو ثم شفعتها ببعثتين أخريين سنة ١٧٩٢ وسنة ١٨٠٨ أما البعثة الانجليزية فظلت عاكفة على عملها هذا خمس سنوات ولم تتمه الا سنة ١٨٥٤ . وفي ذلك الوقت عينه كانت بعثة أخرى تزاول هذا العمل في جزائر الهند الشرقية ، بينما كان الفلكى « ستروف » - Strove - عاكفاً على هذا العمل في بلاد روسيا واسوج ونروج من سنة ١٨١٦ الى سنة ١٨٥٠ ، أما الارض التى قاسها البعث الاخير فقد كانت شاسعة مترامية الاطراف تبلغ $\frac{1}{14}$ من مجموع محيط الـكرة

الارضية ، من هامرفست فى شمال بلاد نروج ، الى البحر الاسود . اما ابحاث « بسيل » Bessel . فقد كان ميدانها في شرق بلاد روسيا من سنة ١٨٣١ الى ١٨٣٤ وبجهده تمت مساحة الارض ، وقد اقترنت بنتائج ابحاثه «جمعية المساحة الدولية» International Geodetic Association وكانت نتيجة أعماله التى أسسها على عشر مساحات مختلفة أن قطر الارض يبلغ ٧٩٢٦،٦ ميلا عند خط الاستواء وان محيطها يبلغ ٢٤،٩٠٣ ميلا.

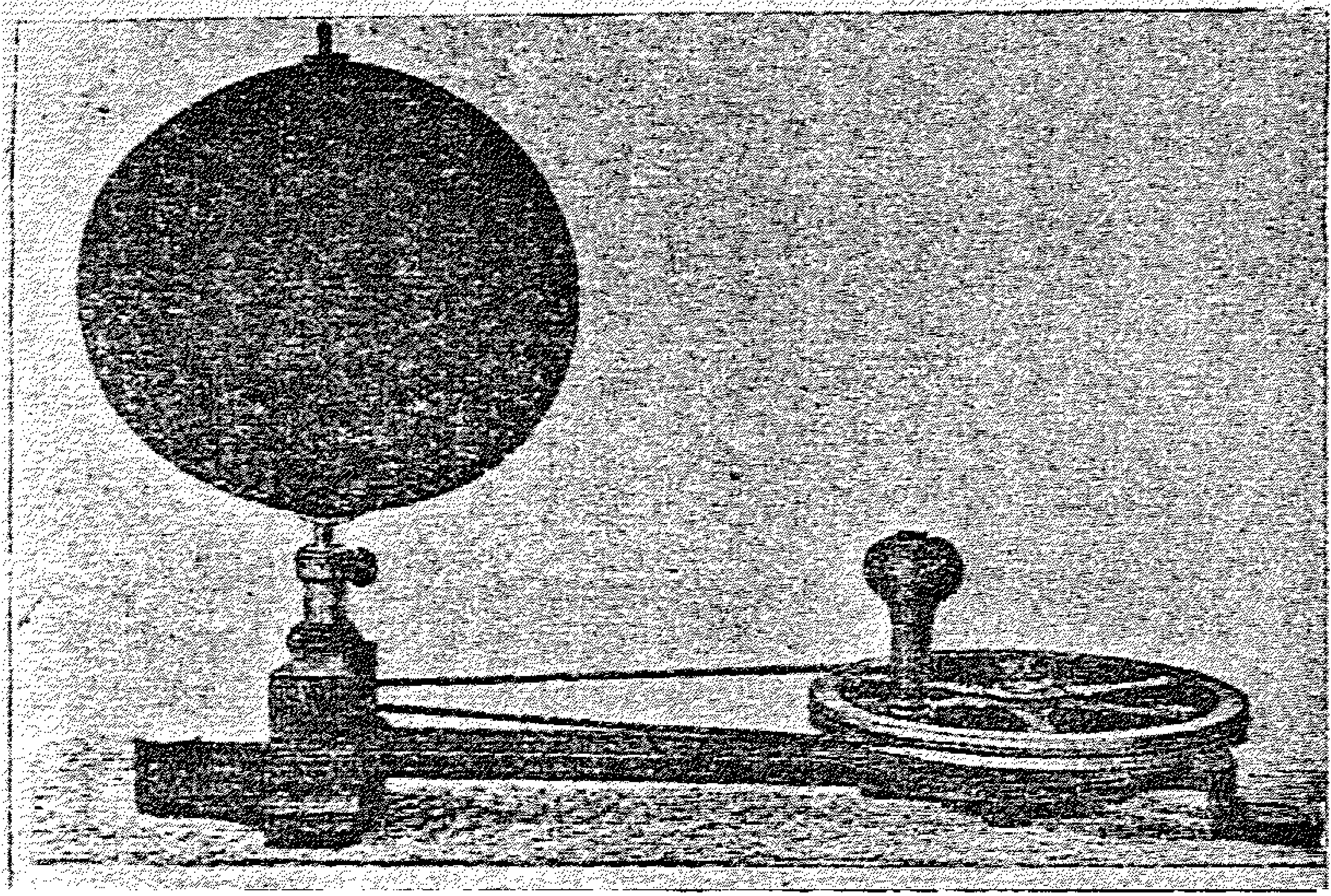


فردريك وليم بسيل

— ١٠ —

وقد دلت هذه الابحاث على ان الارض ليست كرة تامة الصورة لأن المقاسات الميلية المختلفة قد أظهرت أن الارض تنتقص مقدار درجة فى جزء من محيطها باعتبار مقاسات خطوط الطول . واتضح بهذا ان الارض أقل انحناء فى الاقطار الشمالية منها عند خط الاستواء . وبذلك تكون مسطحة قليلا عند القطبين . ووجد أن محيطها من القطب الى القطب يبلغ ٧٨٩٩،٦ أميال اى اقل من محيطها الاستوائى بما يوازى ٢٧ ميلا .

اذا أخذت كرة من الصلصال وادرتها حول محورها دورات سريعة متوالية،فانها تأخذ شكل الارض سريعاً اذ تنبسط لدي القطبين وتنبعج لدى خط الاستواء ، اي من الوسط ، وبذلك يرجع شكلها الكروى التام الى شكل شبيه بالكرة ولكنها ليست كرة كاملة .



(كرة من الصلصال تدور حول محورها وفيها التسطح والانبعاج)

ان المادة تحاول دائماً أن تبتعد عن مركز الدورة . ولهذا أخذت الارض شكلها المنبعج من الوسط عند ما كانت مادتها فى حالة من الذوبان تسمح لها بذلك . اذن فالارض ليست كرة تامة الشكل ، بل هى شبيهة بالكرة ، اي بيضية مستديرة .

على ان كثيراً من السيارات ترى على مثل هذه الصورة . ويمكن أن نلحظ هذه الظاهرة بينة في المشترى . اما نظريا فنقول بانها ظاهرة تلازم كل الكرات التى تدور من حول محورها . اما الانبعاج الارضى بالنسبة لحجمها فقليل . على اننا ندعو الارض كرة لأن تسطح قطبيها وانبعاج وسطها بالنسبة لحجمها لا يكاد يذكر .

لم يقنع العلماء بمقاس حجم الارض بل عرفوا مقدار ثقلها . وعلى الرغم مما في هذا القول من الغرابة فان ثقل الارض قد عرف كما لو كنت قد وضعتها على ميزان ووازنتها بما يوازيها ثقلا .

وكيف يمكن أن نعرف مقدار ثقل شيء من غير أن نزنه؟ على ان هذا يكون أمراً سهلا اذا عرفنا مقدار الحجم أولا أو كما يقولون السعة التكعيبية وعرفنا مقدار الثقل النوعي -Density- ثانياً .

لنفرض ان لدينا كتلة كبيرة من الجرانيت نريد أن نعرف مقدار وزنها . فاذا كانت عشرة أقدام طولا وعرضاً وارتفاعاً اى ١٠ في ١٠ فى ١٠ فان سعتها التكعيبية تبلغ ١٠٠٠ قدم مكعب . فاذا عرفنا ان كل قدم مكعب من الجرانيت يزن ١٦٢ ليبرة ، على حسب وحدة المقاييس المتداولة -Avoir- - dupois عرفنا أن وزنها يبلغ ١٦٢،٠٠٠ ليبرة أو ٧٢ طناً ونصف.

من غير أن نلمس هذه الكتلة الجرانيتية استطعنا أن نعرف مقدار وزنها . اذن نعود الى الارض . عرفنا ان محيط الارض الاستوائى يبلغ ٧٩٢٦٦ ميلا وان محيطها ٢٤،٩٠٣ ميلا وان مقدار سعتها بالرقم التقريبي ٢٥٩،٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ميلا مكعباً . فاذا كانت الارض مكونة من حديد صرف أو من حجارة غرانيتية ، كان من مستطاعنا أن نعرف مقدار وزنها بسهولة تامة . غير ان الارض لاتتكون من مادة واحدة متجانسة ، بل من مواد كثيرة ، من معادن واحجار ، وجزء كبير من الماء . ومعرفتنا بالمواد التي يتضمنها جوف الارض اقل من معرفتنا بالمواد التى هى فى ظاهر سطحها. أما اكثر المناجم غوراً في سطح الارض فليست الا بمثابة خدوش بسيطة في قشرتها . فكيف يمكننا ان نعرف مقدار وزن الارض من هذه المواد المختلفة التي لا يمكننا أن نعرف مقدار كل منها ؟ اذن يجب علينا ان نعود الى طريقة أخرى .

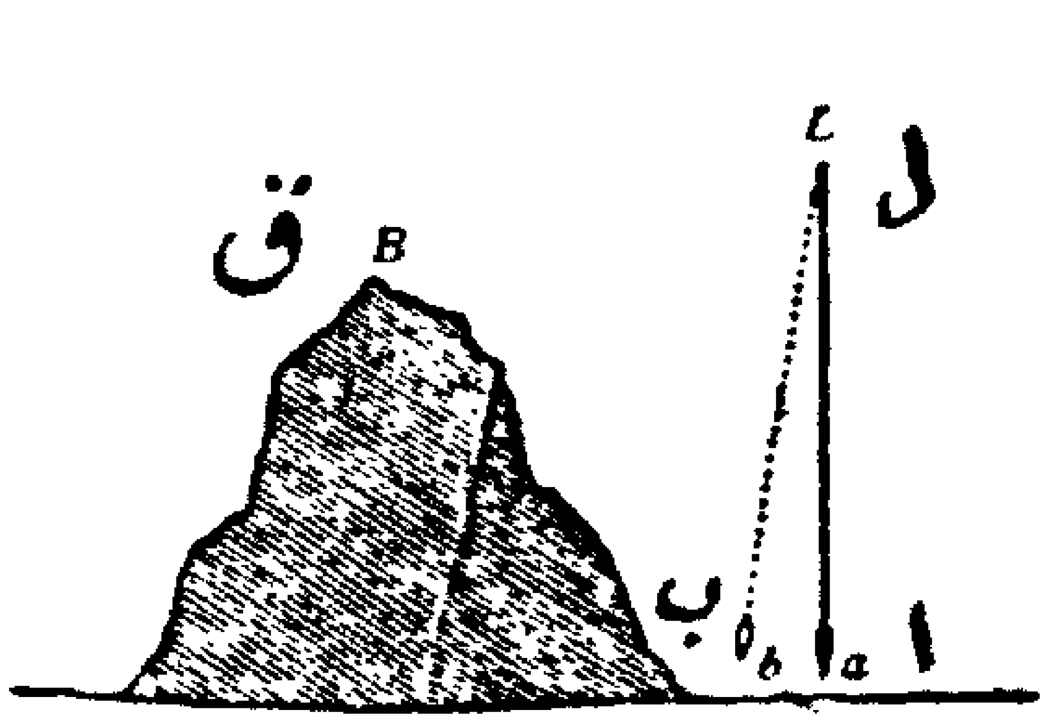
نعرف ان كل المواد يجب ان تعود هابطة الى الارض تبعاً لقوة الجاذبية التى ترسلها على المواد المحيطة بها والتى فوق سطحها . وهذه القوة الجاذبة ليست من خصائص الارض وحدها . بل تختص بها الشمس والقمر والسيارات وكل الاجرام السماوية . والحقيقة ان كل الاشياء المادية فيها جزء من قوة الجذب مناسب لمقدار حجمها ، سواء اكان ذلك الشيء جبلا او تلا او بيتاً او قطعة من الحجر او قلماً نخط به على الورق . وكلما كان الجرم اكبر حجماً او اكثر ثقلا كانت جاذبيته اكبر على الكائنات المحيطة به . فاذا قذفت بحجر من سطح بيت وهوى الى الارض ، فالواقع ان البناء يجذبه اليه ، ولكن لما كانت جاذبية الارض اكبر ، استقوت على جاذبية البيت وجذبت الحجر اليها دونه . فاذا تخيلنا البيت طائراً فى الفضاء بعيداً عن الارض بعداً كافياً فان الحجر اذا قذف يقع على البيت ولا يخرج عن طوق جاذبيته . ولكن يكون هبوطه ببطء كبير مقيداً بمقدار جاذبية البيت بالنسبة الى جاذبية الارض . وعلى هذا يترتب انى اذا عثرت على جسم يحتوى على مقدار من قوة الجذب اقل الف ضعف من جاذبية الارض فانى احكم بانه جرم لا بد من أن يكون اقل من جرم الارض ، بعد ان اعتبر مقدار المسافة التى تفصل بينهما . اما الكرات فتجذب الاجرام كما لو كانت كميتها قد تراكزت فى مراكزها ، فى حين ان جاذبيتها تقل بنسبة مربع البعد عن الجرم المجذوب .

اذا عرفنا هذا استطعنا ان نعرف من طريقه كيف يمكن ان نزن الارض ونقف على مقدار كتلتها . فاذا استطعنا ان نعرف مقدار قوة الجذب التى تكون فى كتلة كبيرة وهى تجذب جرماً صغيراً ، وكم تكون مقدار جاذبية الارض عليها فانا نعرف بذلك مقدار ثقل الارض . فاذا فرضنا ان ثقل الكتلة الصخرية يبلغ ٥٠ طناً ، واذا كان جذبها للجرم الصغير يعادل ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ضعف أقل من جذب الارض له . اذن يترتب على هذا أن تحوى الارض من الجاذبية مقدار ١٠٠٠،٠٠٠،٠٠٠ ضعف من الجاذبية

أزيد ما تحوى الكتلة الصخرية ، مضروبا فى مربع البعد بين مركز الارض ومركز الكتلة نفسها .

على أنه من الصعب أن تقارن بين جاذبية أى جرم أرضى وبين جاذبية الارض نفسها ، لأن أكبر جبالها العظيمة لايظهر الا كحبة من الرمل الكبيرة فى الصحراء بالنسبة إلى حجمها العظيم . غير أن هذه المقاسات قد كررت مرات عديدة واستعملت فى سبيلها أدق الآلات .

فى سنة ١٧٧٥ استخدم العالمان البريطانيان « هاتون » و « ماسكلين » قوة الجذب التى يرسلها جبل « شيهاليون » فى ايقوسيا ليقيسا مقدار ثقل الارض بقياس قوة جذبه لقطعة الرصاص التى تكون فى طرف « الشاغول» وهو حبل فى طرفه قطعة من الرصاص يزن به البناؤون استقامة الحوائط . فاذا هبط « الشاغول » فى الحالات العادية من ارتفاع ما فانه يهبط فى خط مستقيم تماماً مشيراً بطرفه الرصاصى المدبب الى مركز الارض. أما الطريقة التى استخدمها هاتون وزميله فقد اثبتت أن الجبل قد جذب طرف «الشاغول» الى ناحيته قليلا بحيث لم يجعل حبله فى خط رأسى تماماً . وفى الشكل المقابل لهذا الكلام تجد أن (ب) تمثل قمة الجبل و (ل) حبل « الشاغول » . فاذا كان الجبل ليس له جاذبية بقى الحبل مدلى في خط رأسى في اتجاه (ل ا) . أما اذا وقع تحت تأثير جذب الجبل فانه يميل الى خط (ل ب)



جذب الجبل للشاغول .

وقيس مقدار الفرق أى المسافة التى تفصل بين (ا) وبين (ب) وقيس مقدار حجم الجبل وكان من الممكن قياسها ـ فكانت نتيجة هذا البحث أن عرف ثقل الارض النوعى بانه يبلغ ٤ر٧ ومعنى هذا ان الارض يجب أن تكون ٤ر٧ مرات أثقل من كرة في حجمها من الماء .

غير ان الابحاث التى أجراها هذان العالمان لم تكن من الضبط بمقدار ما تتطلب الابحاث العلمية الحديثة . لهذا استخدمت في العصر الحديث وسائل

أخرى اكثر دقة لتحديد ثقل الأرض النوعي . على أن النتائج كانت متراوحه بين الارقام الآتية ٥ر٤ ــ ٥ر٥ ــ ٥ر٧ . غير أن آخر ماوصل اليه العلم فى تحديد ثقل الأرض النوعى قد أنتهى الى أن ثقلها يبلغ ٥ر٥ وبهذا يمكن أن نقول بان ثقل الارض يبلغ ٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٠٠٠ر٢٠٠ر١٣ ليبرة . وهذا رقم هائل لانستطيع ادراكه . وهو على الرغم من أنه قد يكون غير مضبوط تماما ، فانه قريب جدا من الواقع .

— ١٣ —

قد يتساءل البعض أية فائدة يجنيها العلم من مثل هــذه المعلومات ؟ اما الفوائد فكثيرة متعددة . فان عدداً عظيما من الحقائق الفلكية والفيزيقية والجيولوجية ، قد رهنت معرفتها على تحديد ثقل الأرض اومعرفة ثقلها النوعى . واليك مثل من ذلك . فان الثقل النوعي للصخور التى تغشى وجه الأرض ٢ر٧ . ولما كان ثقل الارض النوعي فى مجموعها هو ٥ر٥ ، عرفنا من ذلك استنتاجا أن المواد التى تقارب مركز الارض تكون أشد كثافة مما هو فوق سطحها ، وعلى هــذا اعتقد العلماء بان جوف الارض الاقصى يحتوى على كميات من الحديد كبيرة .

— ١٤ —

كثير من الناس لايستطيعون أن يتصوروا أن محور الأرض ــ وهو الخط الذى يصــل القطبين بالمركز ــ خط وهمى . قيل بان فلاحا ساذجاً رأى كرة أرضية فى مرصد الفلكى «فلاماريون» الفرنسوى فسأله « أحقيقة أن الارض كرة تسبح فى الفضاء وهل لها محور » ؟ فاجابه « فلاماريون » لها محور وهمى لامحور حديد كهذا » ــ قال « وكيف تدور على محور وهمى » ــ قال له الفلكى « انظر كيف تدور » . وخلع المحور الحديدى من الكرة واخذها بين يديه ثم قذف بها فى فناء المرصد بقوة فارتطمت فى الجدران وتحطمت . فاغرب كلاهما فى الضحك « ثم قال القروى بسذاجته المعهودة » «انى افضل ياسيدى المحور الحديدى» . وهذا مثال يدل على أن الذين يريدون ان يدركوا حقائق علم الفلك يجب أن يتدرعوا بخيال واسع وتصور خصب

ليمكنهم أن يدركوا كرة تسبح فى الفضاء من غير محور حديدى على الاقل .

— ١٥ —

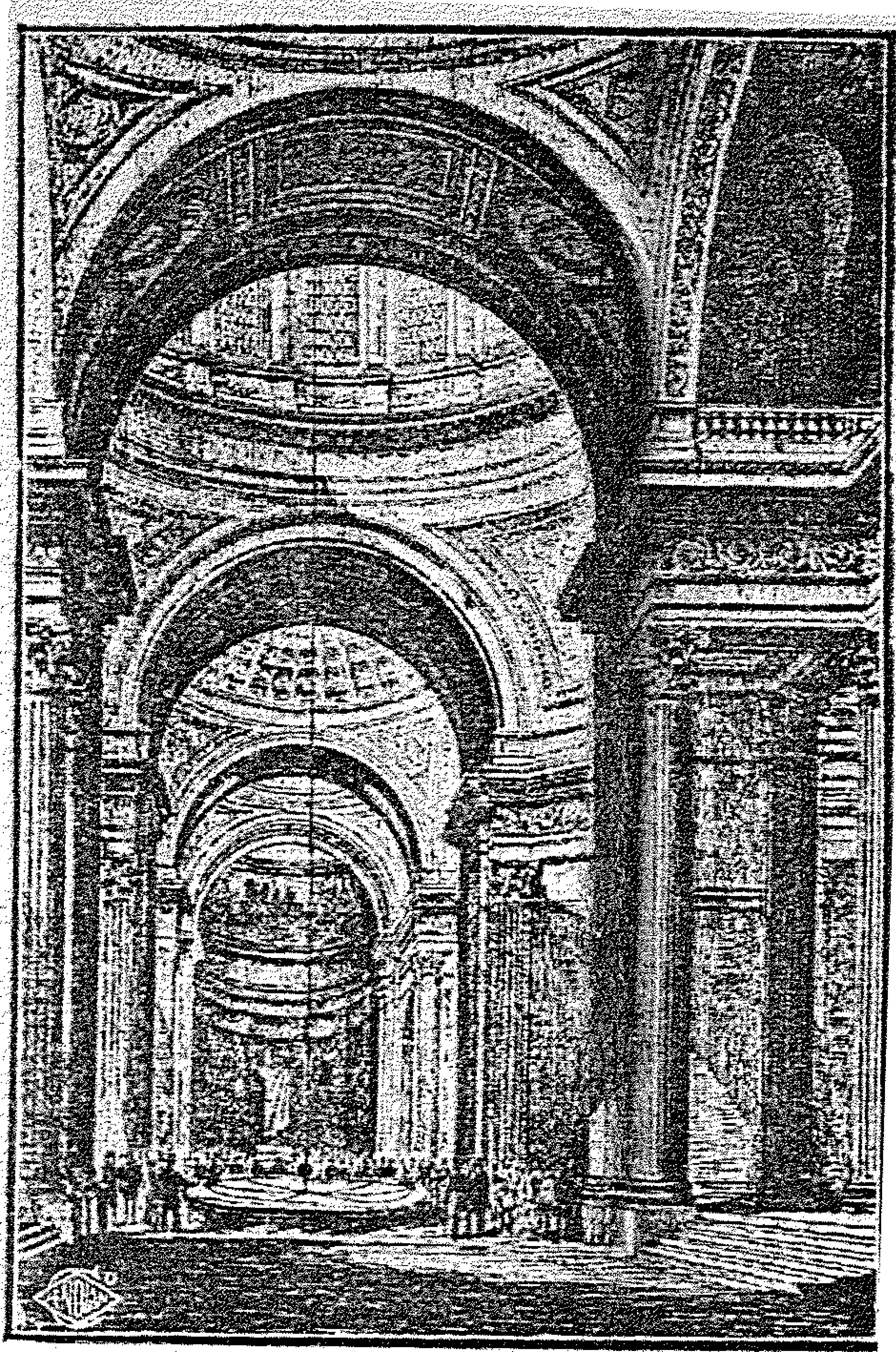
وكذلك نجد الحال فى دورة الأرض حول محورها . فان كثيرين لايستطيعون أن يتصوروا أنها تدور . غير ان لدينا كثيراً من البراهين العملية التى تثبت دورتها هذه . بل نستطيع بتجربة « فوكول » أن نراها تدور رأى العين .

«ليون فوكول» عالم فرنسوى أثبت بواسطة الرقاص دورة الأرض . والرقاص عبارة عن قطعة ثقيلة من المادة معلقة فى خيط طويل . فاذا علقت رقاصاً وجعلته يأخذ حركة من الشمال الى الجنوب فانه يستمر متخذاً هذا الاتجاه فى حركته على الدوام أي من الشمال الى الجنوب . ولكن لما كانت الأرض تدور حول محورها ، ظهرت الأرض التى تكون تحت حركة الرقاص كأنها تمر من تحته ، ويلوح كأنه يغير اتجاهه ويختلف عنه رويداً رويدا . وكلما ابتعدنا عن القطب قلت حركة تغير اتجاه الرقاص شيئا فشيئا حتى اذا بلغنا خط الاستواء فنيت هذه الحركة كلية .

فى سنة ١٨٥١ جرب « فوكول » تجربته هذه بان علق رقاصاً في قبة « البانتيون» بباريس. وقد صنعه من حبل طويل من المعدن وعلق فى طرفه كرة من الحديد ثقلها ٥٥ ليبرة. ووضع تحت الرقاص «مزولة» مقسمة حتى يستبين الراؤون حركة الرقاص جلية واضحة . على أن رقاصاً كبيراً كهذا يحتاج الى ثمانى ثوان ليتم اهتزازة من اهتزازاته .

واجتمع من حول هذا الرقاص عدد من العلماء وغيرهم من محبى الاطلاع . وأخذ الرقاص حركته ، فلم تمض بضع ثوان حتى أخذ الرقاص يميل فى حركته نحو الغرب بعيداً عن الاتجاه الذى حرك فيه أولا ، مثبتاً ان الارض تدور من حول محورها من الغرب الى الشرق . وكان « فوكول » قد عين على المزولة النقطة التى سوف يبلغ اليها الرقاص فى حركته بعد مضى زمن ما على مقتضى نظرية دوران الارض من الغرب الى

الشرق ، بل عين الزمن الذي سيبلغ فيه الرقاص هذه النقطة ، فلم يخطىء



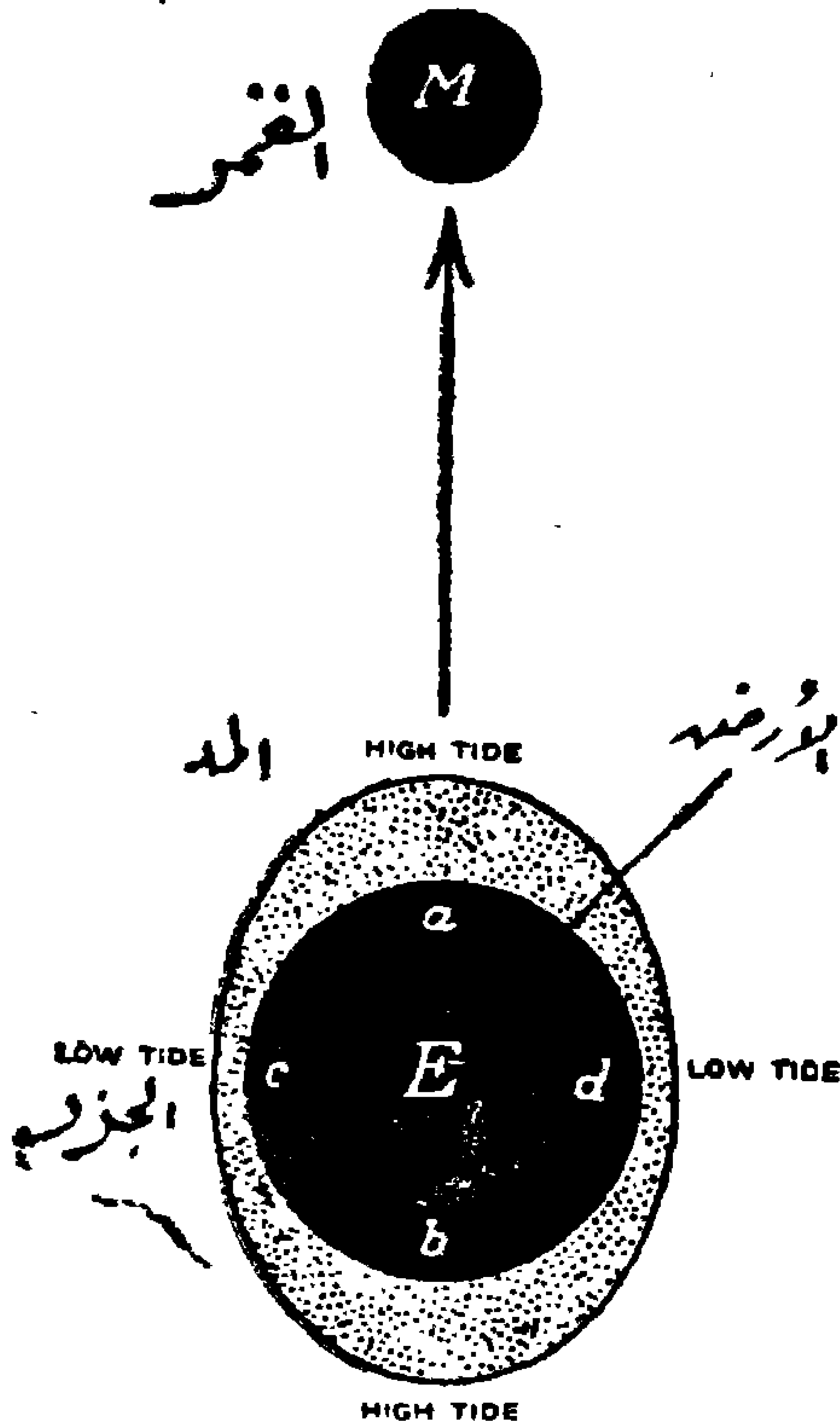
رقاص فوكولت وتجربته فى قبة البانتيون بباريس

نظره قيد أنملة ، لا من ناحية تعيين النقطة ولا من ناحية تعيين الوقت. ولقد تكررت هذه التجربة مرات عديدة ، حتى لم يبق للذين يشكون فى حركة الارض حول محورها أقل شك يمكن أن يبدوه فى حقيقة حركتها هذه.

— ١٦ —

لو أردنا أن نمضى في بحث كامل للسيار الارضى إذن وجب علينا أن نبين عن الاوقات وعند ميل المحور على الفلك وغير ذلك من الاشياء العميقة التى لا تعنى القارىء . لهذا نختم البحث بكلام في المد والجزر لان لهذه الظاهرة أثر كبير فى الحياة اليومية

يلاحظ الملاحون والذين يعيشون على الشواطىء البحرية أن ماء البحر ترتفع وينخفض عن مستواه كل يوم . وكثيراً ما تسترعي هذه الظاهرة انتباه الذين يغشون الشواطىء البحرية.



كيف يحدث المد والجزر

أما السبب فى هذا فهو فعل الشمس والقمر ، والقمر على الاخص ، فى المياه التى على سطح الارض

لنفرض أن الارض هى الدائرة السوداء التي في وسط الشكل والقمر هو الدائرة السوداء التي في أعلاه . ومن أجل ان تقرب المسألة للاذهان نفرض ان كرة الارض محاطة من جميع اطرافها بالماء . والقمر بطبيعة انه جرم له قوة جاذبة يرسلها الى الارض يجذب اليه جرمها فلا يطاوعه فى جذبه هذا الا الماء لسيولته دون موادها الجامدة .

ولما كان مركز الارض اذ تكون على الوضع الذى تراه فى الشكل اقرب الى القمر فى الشمال من ناحيتها التى تكون فى الجنوب ، فان الجذب عليه من القمر يكون أشد ، وبذلك ترتفع المياه من الناحية المقابلة أيضا . كما هي الحال فى وسادة هشة من الريش تضغطها من الوسط . وبذلك يحدث المدد في الناحية المقابلة للقمر وفى الناحية التى تقابلها فى نصف الكرة الاخرى . وبذلك تنحسر المياه قليلا من الوسط ويكون الجزر .

هذه هى الكرة السماوية التى نعيش فوقها وهذا وصف تقريبى لها . وهذا بعض ماعرف من امرها . اما ماعرف من خصائصها فكثير . وأما ما لم

يعرف بعد ــ فذلك مانعتقد ان الكشف عنه يحتاج الى الآف من السنين يكد فيها العقـل البشرى وينصب ليصـل الى الحقائق الغامضـة فى طبيعة الوجود .



القمر فى تمامه

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزهاوي

— ٢ —

في الكوز

— ٤٦ —

قم وسارع الى الطلا واسقنيها   ان صبري عن الطلا من يجوزا
هات لي كوزة لاشرب منها   قبلما يصنعون مني كوزاً

— ٤٧ —

لم تكن في قديمها هذه الكو   زة غير المتيم المعمود
كانت العروة التي هي فيها   يد صب في جيد حسناء رود

— ٤٨ —

هوجام قد اكبر العقل مافيـ   ـه من الحسن مطرباً والتمام
ثم ان المتيم للجام صنعاً   يضرب الارض كاسراً بالجام

— ٤٩ —

ابصرت فوق الارض بالامس عيني   كوزة قد تقادمت في الزمان
كأن لي حالها يقول لهيفاً   اين من باعني ومن قد شراني

في التزهد

— ٥٠ —

ياسماء العداء فيك قديم   كم علينا تدور منك الدوائر
أيها الأرض كم بصدرك اما   فتحوه قد اختفت في جواهر

— ٥١ —

يوم أبدي فينا الحياة الباري   لم يكن عنه فعلنا في توارى
شاء انا نجيء ذنبا فجئنا   فلماذا يلقى بنا في النار

ـ ٥٢ ـ

قتلت هذه السماء كثيرا وانت من بعد القبيح بأقبح
لا يغرنك الشباب نكم من برعم رث قبل أن يتفتح

ـ ٥٣ ـ

ان يكن رب الامر جاء مليحاً فلماذا يبيد تلك الملاحة
واذا كان ما أتاه قبيحاً فعلى من شنار تلك القباحة

ـ ٥٤ ـ

باضطرار جئنا وبالرغم منا قد ذهبنا والموت شر سبيل
ليت شعري ماذا هو القصد من إتياننا والذهاب بعد قليل

ـ ٥٥ ـ

أخذتنا المنون أخذاً وبيلا أي انسان لا يذوق المنونا
لم يجئنا من تلكم الدار من نسأله عن مغبة الراحلينا

ـ ٥٦ ـ

قد ذهبنا وفي الحشاشة منا حسرات لخيبة الآمال
وألوف من المعاني دقاق لم تقل بعد خيفة الجهال

ـ ٥٧ ـ

لا حياتي فيها غناء ولا مو تى واني لذهما في ارتياب
لم يقل لى امرؤ لماذا مجيئى ولماذا بعد المجىء ذهابى

ـ ٥٨ ـ

كان جهلا ما خطه أقلامى فانا لائق بكل ملام
ليت لى زناراً . أتدرى لماذا ؟ لحياء فى النفس من اسلامى

ـ ٥٩ ـ

كثرت في صحوي وسكرى الظنون ورمونى بالكفر والكفر دين
لا ابالى بظنهم بى فانى ملك نفسى كما أشاء أكون

– ٦٠ –

انا لو كنت كلاً له قديراً لهدمت السماء ركناً فركناً
ولأنشأت من جديد سماء هي تعطي الأنسان مايتمنى

– ٦١ –

انما الدنيا دارهم وبؤس ليس فيها غير التعاسة توجد
سعد المرء قد ترحل عنها واستراح الذي بها ماتولد

— ٦٢ —

أيها الورد أنت تشبه حسناً ويا خمر أنت كالياقوت
أيها الحظ أنت تعدو وتبدى خلة كالمنافق الممقوت

— ٦٣ —

أيها الدهر عشت فيك كئيباً منع الظلم منك لي أن أطيباً
أن تكن لاتميل الا الى الحمقى فاني كذاك لست لبيباً

— ٦٤ —

زعم القوم انني فلسفي ضال في استقراء الطبيعة درسي
أأسمى كما ادعوا فلسفيا ان تنكرت في حقيقة نفسي

— ٦٥ —

لي وجه يبدو جميلا كورد وقوام يبدي اعتدالا كغصن
لست أدري وكيف ادري لماذا هكذا قد زان المصور حسني

— ٦٦ —

ليتنا في مكاننا نستقر ليتنا في المسير لا نستمر
ليتنا كالاعشاب ننبت أخرى بعد الف من السنين تمر

— ٦٧ —

لم تضعنا الافلاك في الارض الا نهتبنا بقسوة كالبزاة
لو دري من يأت بعد وكيداً ماتقاسي في هذه لاياتي

— ٦٨ —

قال لي الورد كنت شيئا جميلا فاقتنوا مأتى وهو ليس جماماً
انني قد بسمت في الارض يوماً ثم انى بكيت فى الدار عاما

— ٦٩ —

لهف نفسى على شباب تولى وربيع من السرور تداري
انما الطائر المسمى شباباً بعد مأأقام يهتف طارا

— ٧٠ —

عبرة خذ بقصر جمشيد فهو اليوم من بعد الخمر والطاس قفر
وببهرام الصائد الوحش اذ قد صاده في نهاية الأمر قبر

— ٧١ —

ليست الدنيا غير دار شقاء وأسى كل ساعة يتجدد
فهنيئا لكل من لم يعش فيـ ـها وطوبى لكل من لم يولد

— ٧٢ —

قد تخذنا عند المجيء الاناة وتبدلنا بالوفاق الشتات
ليت هذى الحياة تؤذن فينا بانتهاء فقد سئمنا الحياة

— ٧٣ —

نأمل الطول فى الزمان حراصاً أي نفع في ان يطول الزمان
كم رؤوس وارجل لحسان تتلظى وما هناك دخان

— ٧٤ —

ايها الدهر قد اطلت بقائى قل كم تسوم قلبي عذاباً
تحمل الريح بى تمر شواظاً يتلظى وماء شربي تراباً

حول الالحاد

كتب الينا البندلى افندي البيلونى رداً على ملاحظة ابراهيم افندي حداد وبما أن ما حواه الرد لا يخالف ماسبق وكتبه ط . ﻫ . حنين افندى اكتفينا بما كتبه الاخير وكلام بيلونى افندى يدور حول

(١) ان الالحاد هو أقرب الى المعرفة منه الى الاعتقاد فالالحاد استنكار قائم على تسفيه رأى لا مبرر منطق أو تجريبى على التسليم به فهو يستعين من هذه الجهة بما توصلت اليه مختلف العلوم من الحقائق لنفى ما يقول به الناس تخبطاً

(٢) ليس هنالك صلة بين الاعتقاد والالحاد لان الاول مشيد والثانى هادم لما يظن انه مشاد على خطأ وليس من عمله الاشادة بل الاختيار والنبذ فهو اذن غير منسق

(٣) ان رغبة الكاتب في ابداء أفكاره تسببت عن انحدار مستوى المتدينين العقلي وتشبثهم بأوهام وخرافات هى الدافعة لهم على الاستسلام التام وعلى عدم النشاط الامران اللذان يتبعان دائما وأد حرية الفكر باجبار المتقدمين على التسليم لصحة سلسلة من المعتقدات أغلبها ان لم يكن كلها غير معقولة

وأتتنا أيضاً كلمة أخرى من ط . ﻫ . افندى حنين بالخرطوم رداً على ما كتبه الينا حداد افندى ونحن ننشره على علاته بامل اطلاع حداد افندي عليه : —

ان رد حداد افندي المنشور فى عدد سبتمبر فيه دوران اكثر مما يجب. فمن ذا الذى يزعم ان المعرفة والبحث أمران غير مختلفين حتى يحاول حضرته أن يشرح هذه البديهية « للمبتدئين بالبحث » وأما ما نقله عن لوبون فهو ليس كما يظن حضرته كافياً « لتبيين نسبة الاختلاف لأولئك المبتدئين بين المعرفة والمعتقد » — حتى لو كان هذا التبيين داخل فى الموضوع — لان « قال فلان كذا » ليس كافياً لاثبات صحة هذا الكذا

يقول حضرته ان المعتقد وليد العاطفة،فهلا يكون أيضاً وليد التخيل ؟ وهل التخيل أصبح فى هذا الزمن احدى العواطف ؟ ويقول حضرته « لو شئنا أن نصيرهم ذوي اعتقاد لما اقتضى علينا سوى التأثير على عاطفتهم بالتلقين والتكرار » فهل هذين هما الطريقين الوحيدين أم هناك الارهاب وتوجيه الفكر الى ممر مخصوص واقصد من النقطة الاخيرة تعليم الانسان تعليما دينياً والدين هو اعتقاد . فهلا يستنتج بعض الناس أن الشمس هى التي تدور حول الارض لا لشيء الا لأن هذا هو الذى يبرهن المعلم لتلاميذه على صحته دون غيره من النظريات! وهلا يصدق بعض الناس أن التوراة هبطت من السماء وذلك نتيجة لدرس عدة سنين ؟ وهلا يقول البعض بأن المسيح ولد من غير أب مع ان المشاهد ينفي ذلك تماما ؟ يقول حضرته ان المعرفة وليدة الفكر الحاضرفهل يسلم حضرته بهذا القول فينفي بذلك تجارب الغابرين واستنتاجاتهم التي لا زلنا نبنى عليها علومنا ويقول ان العاطفة قادت الانسان ملايين السنين فى ظلمة الطبيعة ووحشتها فهل يريدنا أن نفهم من قوله هذا ان العاطفة لاتقود الناس فى الوقت الحاضر أيضاً ؟

يقول انه لو قال ان الالحاد يرجع الى المعرفة لكذبته وقائع الحال لانه رأى والآراء تنضم تحت لواء العاطفة تلك المعروفة فى هدفها ومرماها فما الذى يقصده حضرته بهذا القول ؟ أليس القول بأن الشمس تدور حول الارض رأى من الآراء له براهينه (بصرف النظر عن أننا لا نسلم بوجاهتها) كما وان القول بدوران الارض حول الشمس هو رأى أيضاً له براهينه (التى نسلم بصحتها)

ويدخل حضرته بعد ذلك فى الجدل فاسمعه يقول « انت ملحد ــ ولا (تعتقد) بصوابية هذه الاديان ــ حسن ــ ولكنك (تعتقد) ان هذه الاديان غير صحيحة و (اعتقادك)هذا لم ينقض السنن والنواميس التي لهذه الاديان » وأظن أنه من السهل على القارىء ملاحظة التخبط الفظيع في استعمال حداد افندى لاصطلاح (اعتقاد) وحتى لا أرجع الى تشبيهي الغليظ عن القول سأتكلم فى موضوع آخر فمثلا احياء المسيح للموتى هذا ادعاء اضاليك

ببرهانه فتفتح فكيك مندهشا وتقول: وهل يعجز المسيح عن فعل ذلك؟ ولما أسألك عن السبب فى ظنك بان في امكانه فعل ذلك تدعى دعوة أخرى قائلا لانه ابن الله فترتسم الحيره على وجهى. وأسألك كيف تثبت ذلك فتصيح وتولول ثم تقول اعلم سيدى ان هـذا موجود في الانجيل المقدس فاذا قلت لك كيف تدعي انه مقدس فتقول لانه يحوي اقوال المسيح وهو لايكذب لحضرتك تناقشنى فى دائره مفرغه وهذا اعتقادك لانه ناتج عن تعلمك هذا القول ثم قبول عقلك لهضمه وكيف لايفكر عقلك بهذه الطريقه وقد وجه هذا الاتجاه دون غيره وكذلك طريقة تصورك تسمح لك بهذاالاعتقاد. وأما انا الذى سمعت هذه الادعاءات أقول انه لم يثبت تجريبيا احياء الموتى فالانسان اما حى أو غير حي فكيف يمكن نفخ الحياة في ماهو غير حى؟ حقيقة تجرى الآن تجارب لايقاف الاضمحلال مؤقتا وربما يمكن ان يحيى الناس الصخور فى المستقبل، ولكن هـذا مالم نصل اليـه فى الوقت الحاضر واذا اردت ان اسلم معك جـدلا بان هـذا قد كان ممكنا فى الماضى فلايمكننى ان أفعل لانه لم يقـدم اثبات على صحته. فالقول بان هـذا ذكر فى كتاب كـذا وكذا ليس فيـه حتى ولا رائحـة الاثبـات وكذلك أقول عن فكرة نشوء جنين من دون لقاح، ما قد قلته سابقا، لان الاختبار يثبت عكس ذلك وكذلك المنطق لا يستسيغه فهل مجرد تفنيدى لما تدعيه يدل على اننى اعتقد عكس ما تعتقده أنت؟ انا انني ما تدعيـه على أساسين التجربة والاستنتاج معا

أما قوله بان الناس لو الحدوا (وبالطبع يقصد مايفهمه هو من أن الالحاد اعتقاد) لما تغير مظهرهم الاجتماعى وحضرته لم يبين لنا ما يقصد من «مظهرهم الاجتماعى» فهل يقصد ثيابهم؟ بالطبع لو نبذ الناس الخرافات لما ملأوا الدنيا صياحا معترضين على ابدال الطرابيش بالقبعات ولو كان يقصد عقليتهم لحدث ان كل مؤمن يفترض امكان وجود خطأ فيما يراه كما يفعل العلماء الغربيون وبذلك يخرج من الايمان ويصبح شاكا. ولو كان يقصد مستواهم الاجتماعى فموضوع تحرير المرأة وموضوع الربا من أحسن الامثال على فساد قوله.

وما المقصود من قوله بعد ذلك « ولا (تغير) مقامهم في الطبيعة » فهل يريد أنهم يكونون غير آدميين أم انه كلام وكلام فقط

ان عمق وعمق وعمق هذه المسألة التي « وقف امامها اعاظم رجال العلم والفلسفة وقفة المتردد » ينحصر في ميل هؤلاء (الاعاظم) الى الفضول فهم اولا لم يتفقوا بعد على تفسير معنى الدين ولا معنى الله ولا معنى أي من هذه الاصطلاحات ، فمنهم من يقول ان الدين العبادة أي الشعور بالضعف ومنهم من يقول الدين المعاملة أي الاخلاق ومنهم من يقول ان الله هو الخالق الذي اوجد الاشياء من لاشيء وبعضهم يقول انه المسبب الاعظم (؟) وبعضهم يقول خلق الانسان الله على صورته بعكس القائلين بان الله هو الذي خلق الانسان على صورته، فكل هـذه التخبطات ليست من العـلم في شيء وليست من الفلسفة النظامية في شيء ، بل هي تقع تحت ما يسمونه بحث ماوراء الطبيعة. والفيلسوف أو العالم ليس« مجرد نظريات » بل هو انسان له تصورات وله عواطف وبه ميل الى الفضول وربما ايضا يخاف العالم من أن يصير جسده قطعة«بفتيك»يوم القيامة ومن الغريب انالخوف يمنعه من بحث كيف يكون شغل « الموقد » وكيف تكون هيئة « الاسياخ » التي تستعمل في شواء الاجسام . اليس هذا عجيباً ؟

ورجع حداد افندي الى الضرب على وتيرة ان الالحاد لن يبطل الحروب. واني اضيف الى مايقوله أيضا ان الالحاد لن يشفي الرمد ولن يطهى الطعام ولن يكتشف نجوما جديدة ولن يلعب كرة القدم لانه لايقدر على ذلك ولم يدع انه يقدر .فهل هذا البيان كاف ؟

الخرطوم ط . ه . حنين

الانتخاب البشرى

تشاد القوانين عادة على أسس فلسفية بصورة تجنح معها نحو التعميم. في حين أن أياً كان يلاحظ بملء السهولة تنوع أمزجة الافراد وتنافرها . وقد حدت هذه الحقيقة ببعض الناس الى الانتقاص من عدالة القانون اعتماداً على عدم امكان تطبيقه على الناس المختلفي المشارب دون أن ينتج عن تطبيقه ظلم

ولكن يقول المشترعون أنه لايغرب عن البال أن من صالح الجماعة أن لايربح الفرد على حسابها . والاعتداء على مصالح الفرد لايتنافى مع العدل مطلقاً إذا كان في هذا الاعتداء فائدة تعود على المجموع، فمن واجب الفرد التطوع بالتنازل عن بعض حقوقه للجماعة دون أن ينتظر الاستفادة على حسابها. فاذا لم يتطوع الفرد ، فللجماعة مطلق الحق في أن تمنعه قسراً ، ولكن يجب أن لا يكون هذا المنع لفائدة جماعة مخصوصة .

ولكن يقول آخرون إن الجماعة ليست الا فكرة وهمية وبالطبع صالحها ليس الا ما نتخيله فكيف يمكن أن يكون للشيء الوهمي صالح بل كيف يمكن للمجموع أن يسعد في حين أننا نحرم الفرد من حقه في السعادة ؟ وكيف ندعى أن هناك عدلا والبعض يهضم حقه باسم صالح الجماعة في حين يرفل البعض الآخر فيما له من حق ؟ وهل في هذا تعميم للعدالة ؟ فيجيبهم الاولون بأن الاطلاق لاوجود له ،ليس في المساواة فقط ،بل في كل شيء ،والمقصود من هذه الاصطلاحات هو معناها النسبي ذلك لان الطواريء والظروف والامزجة تختلف في بعض الحوادث عن القاعدة فمثلا في الناس أفراد مثلهم كمثل الهوام لا يريدون الا أن يكونوا عالة على غيرهم في طعامهم وفي تفكيرهم .فكيف يتيسر ردع هؤلاء عن سلوك هذا المسلك غير السوى ؟ حقيقة يجوز أن للبعض منهم رغبة في العمل ولكن تنقصهم الارادة . ولكن

أليس من المسلم به ان هؤلاء النفر لا يعملون مع غيرهم لاجل الصالح العام حتى يطالبوا بنصيب مماثل لنصيب العاملين؟

فالناس يختلفون عن بعضهم طبيعياً واكتسابياً دون أن يكون لهم حق الخيار. فتأثير الانتخاب الطبيعي كبير وللوراثة تأثير عظيم. كذلك يجب أن لا نتغاضى عن تأثير البيئة اذ ماذا ينتظر من شخص شب ودرج في وسط اعتيادي صرف أن يفعل غير ما يفعله كل من يحويه وسطه؟ فقبل أن نطالب بالمساواة المطلقة يجب علينا العمل على توحيد أمزجة الناس — هذا اذا كان في امكاننا ذلك — ولو لدرجة ما، ولا يتيسر لنا ذلك الا بمساعدة نظام الانتخاب الطبيعي واصلاح البيئة. فبهاتين الوسيلتين فقط يمكننا التقرب من الكمال

ففي الاوساط المنحطة تدفع الشهوة الجنسية المخلوقات الى التكاثر دون أن ترمي الى مثل أعلى، وبالله ماذا تنتظر الهيئة الاجتماعية من أبناء هؤلاء الصغار اذا ما شبوا وهم يولدون من والدين اعتياديين في وسط بيئة اعتيادية، ليس لدى افرادها أية فكرة عن وجوب التفكير والاستقلال؟

بل لماذا نمنع الحيوانات غير الصالحة للعمل من التوالد مثلا ونقصر عملية التكاثر على ما نعتقد انه الاصلح ولا نتبع هذه الطريقة مع الآدميين؟ فالمثل ينتج دائماً ماهو قريب الشبه به. فلم لا تسن الحكومات مثلا قانوناً يساعد على المزج بين الجنسين كأن لا يصرح مثلا باجتماع فردين من مزاج واحد كي يكتسب الطفل أحسن خصائص الفردين المختلفين؟ ففي هذا شيء من المساعدة لرفع مستوى البشر لان ترك الحالة على ما هي عليه معناه المساعدة على إفساد الجنس البشري

نسلم بانه في حالة ما اذا كان أحد الابوين راقيا والآخر منحطاً يكون النسل بين بين، بعكس ما اذا كان كلاهما راقياً أو كلاهما منحطاً (وهو الاغلبية) فيكون النتاج اما راقياً كوالديه واما منحطاً وهذا هو الحاصل في الوقت الحاضر. فطريقة المزج هي افضل من محاولة منع المنحطين عن التناسل الامر الذي لا يسلم به احد الآن. فالمطلوب هو اجراء عملية استكثار تتبع سنة التطور

كذلك من السهل علينا تغيير بيئة الاوساط المنحطة وذلك بإيجاد مؤثرات تدفع للعمل والتفكير وقد ننجح قليلا أيضا من هذه الوجهة

وليس ما يقترحه دنا بالأمر الغريب فلا يلاحظ كل من يطلع على صورة جون بول الكاريكاتيرية — وهي رمز انكلترا — ان الشخص المرسوم متوسط الطول منتفخ البطن . وهاتان صفتان لا نجدهما شبيهتين بالرجل الانكليزي في الوقت الحاضر . مع ان المسلم به هو ان هذه الصورة لم توجد عبثا بل كانت تعبر عن حقيقة الانكليزي في العصر الذي وضعت فيه فالتيار (جون بول) تدفقت من الجزائر البريطانية واذا راموا ان يستبدلوا صورته لرسموا شخصا نحيفا اعضاؤه يميل الى الطول . ولم يحدث هذا التغير الا بسببيات أهمها دخول دم جديد في سكان بريطانيا أثر في الوراثة وكذلك كان للحركة الدائمة والرياضة دخل مذكور في هذا التحول

ويقسم العلماء المهتمون بهذا الموضوع سكان اوروبا السابقين الى فئتين شماليون وجنوبيون فالاولون من مميزاتهم الطول وجمال المنظر واستطالة الرأس وامتداد الاطراف فهم مردة لدرجة ما واما الآخرون فهم اقصر قامة واقل جمالا مع استدارة في الرأس وقصر في الاطراف ويرجعون أصل الفئتين الى الحبش والمغول اما اذا لاحظنا مثلا الشعوب السوداء فنجد فيها عدم تناسق مع ميل للانحناء وكبر وجوههم اذا قورنت بحجم رؤوسهم فاذا وجد من الاوروبيين من يقترب من الوصف الاخير يكون قد اختلط دم اسلافه لدرجة ما بدم الزنوج

اما التطور فقد اوجد في أوروبا ناسا من نموذجات خاصة اليك بعضا منها

(١) النموذج العامي وهو غير حساس سريع الملاحظة محب للاستقصاء منظم في اعماله

(٢) النموذج الفني وهو أيضا غير حساس دؤوب على العمل محدود المطالب اميل الى الطاعة عظيم الصور

(٣) النموذج العواطفي صغير القد سريع التأثر كثير الحساسة سريع الالتقاط

(٤) النموذج النسائي جميل المنظر ميال لمساعدة عواطفي مسالم يبحث الدقائق ويترك العموميات ثم ينهمك في الفرعيات . شهواني تماما او معدوم الشهوة تماما

(٥) النموذج الرجالي قوي البنية قوي الارادة يكبح عواطفه اناني ميال للسيادة انوف

عمر عنايت

عمانوئيل كانت

أعظم فلاسفة القرن الثامن عشر

قبل ان ابدأ البحث فى مرمى فلسفة هذا الفيلسوف احنى رأسي باحترام أمام عظمة الفكرة التى ظهرت في أعماله وأقول كما قال «ميشلية Micheler » المورخ المشهور

«كان على شاطىء بحر البلطيق مخلوق غريب قادر على عمل كل شيء فهو انسان ومدرسة ومذهب جدلى. وكل فلسفة حاولت الدنو منه ارتطمت به واضمحلت وبقى زهاء الستين عاما بدون رابطة بشرية يخرج فى ساعات معلومة ليعمل عمله ومن ثم يرجع من حيث خرج».

ولد « عمانوئيل كانت Emmanuel Kant » فى « كنجسبرج Koenigsberg في الثانى والعشرين من ابريل سنة ١٧٢٤ وتلقى دروسه في جامعة تلك المدينة حيث تعلم فلسفة « ليبنتز Leibniz » كما شرحها « ولف Wolf » ثم تعين مدرسا فيها زهاء الستين عاما فكان يدرس الفلك والرياضيات والفلسفة ومات سنة ١٨٠٤ .

لايقدر الباحث ان يعرف تمام المعرفة آدابه مالم يطلع بادىء بدء على أهم مؤلفاته وهى « أساس غيبيات الاخلاق » و « عناصر غيبيات الحق » و « الديانة فى أوساط العقل المجرد » و « غيبيات الاخلاق » و « عناصر غيبيات الفضيلة » و « نقد العقل المجرد » و « نقد العقل العملى » وعرف ماترمى اليه وماتتكلم فيه كتب اللاهوتيين، فادرك العوامل المختلفة التى مهدت لها تربيته السبل لتتأصل في نفسه تأصلا متينا وفى حال معرفته محتويات هذه الكتب يسهل عليه فهم اعتقاده وما هو عليه من التركيب، ليس بما حقق

بل بما عرف من نتائج قيمة فى الذكاء والبراعة من حيث الفنون كالعلم والآداب كالفلسفة .

يظهر «كانت» المعاصر « لهيوم Hume » و « لفولتير Voltaire » و « لروسو Rousseau » وللانكلوبيديست والفلاسفة، كمفخر من مفاخر عصر النور باعطائه أهمية كبري للعقل كما يتبين فى أعظم مؤلفاته « نقد العقل المجرد » و « نقد العقل العملي » بقوله ـ انا افكر فاذن انا موجود ـ ومن أجل هذا عارضه « هيوم » فكتب رادا عليه ـ والعقل المجرد لايبدع فقط شريعة شاملة للموجودات الكاملة والغير الكاملة القريبة من حياة الادراك ، بل يوجد الادراكات التي تحدث عندنا المقدرة الكافية لنوال مشتهياتنا. هذه المشتهيات التي هي على التحقيق الطريق المؤدية بنا الى العلل والامراض ـ وهو يطلب من المبادىء ايجاد مقدرة الرغبة ومقدرة المعرفة كاساس لاينزعزع كما فى العلوم .وقد بين بوضوح بطلان عامل الشعور بالخير بوجود العقل متسلطاً على نواحى الانسان المتعددة مشيرا الى أكثر معاصريه من الفلاسفة.وقد نفى التعصب الدينى والادبى بقوله ـ ان فردوس محمد او الاتحاد التام في نظرية اتباع آلهة الحكمة « Theosophes » والمتصوفين « Mystiques » لهم نصيب من احكام العقل ـ وقد تلمذ بهذا من تفوذ « هيوم » وجعل قيمة أصلية لاحكام الآداب السائدة. ولكي يؤيد أصل هذه القيمة اعتقد أن قوة الادراك والنظر الدقيق المادي اللذين يعملان فى الولد البالغ العاشرة من سنه، يبيحان ماتوحى به الشريعة الادبية ، أوالصوت السماوي الجلي المسمى العقل الذى لايفسد ابدا عند « هيوم » و « شفتسبري Sheftesbury » و « هيتشسون Hutcheson » وروسو وفولتير .

وكان قد اعتقد ان « فولتير » قد أحسن في احترامه بعض أشياء مهمة. ولهذا فقد احتذي مثاله فى بعض احكامه، وعاد ثانية الى ماوجده موافقا لتدعيم ابحاثه كقوله ـ ماذا يجب ان أرغب فيه وماذا يجب ان عمل ؟ماذا يجب ان آمل؟ لدى نظره فى الله والنفس . ولكن بعد ان بعد عن « فولتير » في آرائه

قال عنــه انه كان يقر بالله بإيمان تهكمي. وقد فسر الاشعار الآتيــة ـ ان يوما سيكون مفرحا هو كل املنا، أما أملنا في أن يكون الكل حسن فهذا هو الغرور بعينه ـ وقد قرأ بحمية واعجاب مؤلفات « روسو » ولـكي يهضمها حالا تجاوز حد معناها الاصلي، وأولها كما كان قد أولها « هردر Herder » وحفظ ماقيل عن « نيوتن Newton » وعلوم الآداب وذهب في التفتيش عن الحقيقة بعيدا عما يتطلبه أسلوب المقارنة كيما يصل الى معرفة حقيقة قيمة الانسان. « فروسو » تركله علم طبيعة القوي المحركة « Physiques Mecaniques » وظهرت له تحت ستار المسيحية نظرية آداب « فولتير » فنبهه الى آراء أولية ، وليس هـذا فقط، بل أثبت له انه لايمكن ان يكون ذا فضيلة بدون ديانة وقـد حثه هذا الاعتقاد على ازدراء المذهب الارتيابي « Sceptisme » والمذهب المادى « Materialisme » وشجعه على استشارة ضميره فى كل أمر، وان يحامى عن الحرية .

وقد كان فى حبه الحقيقة وابحاثه فى العلوم الرياضية والفلك والعلوم الطبيعية من اعظم فلاسفة القرن الثامن عشر، كما قال المسيو « فرنسوا بيكافو » F Picavot وقد بين المسيو « نولن Nolen » ما كتبه عن « نيوتن » وكيف انه اراد ان يتبع « كوبرنيكوس Copernic » في ثورته الفلسفية ولهذا نعته ابناء بلدته بموجد الافتراض بتكوين عوالم السديم التى ينسب الفرنسيون افتراضها الى « لابلاس Laplace » أما في الآداب فقد الح بايجاد قاعدة لها تكون غير قابلة للشك ويكون مظهرها مظهر العلوم الطبيعية التى يحققها العالم الرياضى كيما يقدر الانسان ان يفصل فى المسائل الصعبة حالا. وقد ختم كتابه « نقد العقد العملى » ليس بايجاده شهرة عظيمة لنفسه من حيث الآداب، بل من حيث الرياضيات، حيث يقول ـ ان السماء المشعه بالنجوم الناشرة لهذا الاقتران والموجدة هـذا المظهر غير المتناهى، حيث العوالم تضاف الى عوالم والقوانين تضم الى قوانين الى مالا يحـد من الازمان، بدون تغيير شيء فى حركة الفصـول إن فى الابتداء او فى الانتهاء، لمن اعجب الاشياء واخطرها .



فى الوقت الذى ظهر فيه كتاب « نقد العقل المجرد » كان « كانت » قد اعتقد بوجود صلة بين المذهب التصوفي. Mystiques ، الذى كان يكرهه جدا وبين الشريعة المجردة للآداب. ولكن هذا الاعتقاد لم يمنعه عن ازدراء المذهب الارتيابى والمذهب التجريبى السطحى الذى اقتلع الآداب من جذورها والمذهب المادي ومذهب القضاء والقدر والمذهب المثالى ومذهب «سبينوزا» والالحاد. فالفلاسفة الذين ذكرهم كانوا كلهم خصوم الكاثوليكية وقد جربوا ان يظهروا العالم والانسان بطريقة علمية فلسفية استخلصوا منها قاعدة لارشاد الفرد والجماعة. اما هو فبقي ضمن حدود التعاليم الدينية لانه مسيحي ولانه من اتباع لوثر Luther ومن فرقة «الصلاح الكهنوتى Pie'isme» واستاذيه «شولتز Shulz» و «كونتزن Kuntzen» اللذين لقناه تعاليم هذه الفئة عندما درس عليهما اللغات والتاريخ والعلوم والفلسفة، قد غرسا فى ذهنه أن الله موجود فى كل مكان واليهما يعزى السبب فى ايجاد الفرقة المعروفة باتباع لوثر المستقيمي الرأى Partho lox e Luth ri me، وكانوا يعلقون اهمية كبرى على اقوال الانجيل وتلاوة القلب والتوبة والجهاد الشخصى والصراع المؤلم لنوال النعمة، و يميلون كالمعمدانيين الى التنسك حيث لا تظاهر بغير الواقع. وقد رجع « كانت » فى اواخر ايامه يردد صدى ما تعلمه فى صغره بتمسكه بأقوال الانجيل وسرده البراهين العديدة التى تؤيد وجود الله كاملة موجودة. ومحبته الاصغاء الى تكرار الكلمة العبرانية التى هى اسم «عمانوئيل» اى الله معنا. وقد قال «ميلر Muller» نقلا عن «رينهولد Reinhold» ان المذهب «الكانتي Kantisme» دعم الآداب والدين حيث ان «كانت» كل ما كان قد ابتدأ المسيح بعمله، وأظهر ان روح الله ظهرت فى شخصية يسوع. وقد كشف المسيو «بينو اردمان Benno Erdmann» فى شخصيته مبلغ تأثير معلميه عليه وقال الدكتور «ارنولدت Ernoldt» ان المذهب الكانتى اعظم سور اقيم حول الحياة الدينية فصد هجمات التعاليم الفلسفية التى لا طائل تحتها

فى الديانة يثبت «كانت» ماترمى اليه المسيحية من القصاص العادل والخطيئة الاصلية وفى وجودنا على نموذج مثل أعلى وفى ابادة الخطيئة لأرجاع السعادة وقد جمع بين السياسة والغيبيات ، والديانة والآداب بقوله — ان الآداب تثبت لنا حقيقة وجود الله والحياة الآخرى — وهو فى اعتقاده هذا مرتبط بتفكيره الدينى، ويخاف انه إذا نفى وجود الله يضطر بحكم المقارنة الى انكار الحياة الاخرى، والعكس بالعكس. وقدامل اقتلاع جذور الالحاد من النفوس الكبيرة وضم هذه النفوس الى حظيرة الآداب والدين بقوله — ان ما انتهى اليه اخير آ هو اسمى ما يتطلبه وجودنا بمشاركة المعقولات التالية — الله — الحرية — الخلود . وفي الوقت التى كانت الناس تردد فيه مجادلة « باسكال Pascal » للمسيو « ده ساسى De Sac » على «ابقطاط Eqictete » و « مونتانى Montaigne » نادى «كانت» بانحطاط المدارس اليونانية باقلاله من قيمة اتباع ابيقور واتباع زينو «الرواقيين Stoiciens » لان اتباع ابيقور لم يروا غير السعادة، واتباع زينو لم يروا غير هدف الآداب. وقد خالفهم بجمعه الاحكام الصارمة لباسكال وبوسويه ونيكول وديكارت حيث قال — فهم ، اى اتباع أبيقور واتباع زينو، وجدوا فى الفضيلة شجاعة الحكمة وانما طرحوها تحت اقدام بعض الرجال واختلسوا لارضاء شهواتهم شريعة الآداب. وبدلا من أن يقبلوا تهذيبها من ناحية القناعة والتساهل أوجدوا لذواتهم منها تعصباً قويا وادعوا الحكمة — وهذه الانتقادات جاءت من حيث تقريظه المسيحية حيث يقول — فنظرية الآداب في الانجيل اخضعت أولا كل الميول الحسنة في الانسان لتهذيب ضرورى، هو كل مايقع تحت بصره فلا يتركه يتيه فى كمال الآداب الخيالية. فاتباع زينو لايقدرون على اظهار الشريعة الادبية فى كل تفاوتها فيما لو طرحوها تحت اقدام الرجال ، ونظرية الآداب فى الانجيل هى التى تعطى الانسان الثقة التى توافقه من حيث النقص فى هذه الحياة . لكن فى المجيء الثانى سترفعه لانه يأمل إن عمل حسناً، فهذا الحسن من رغبته وليس من

رغبته فقط ، بل لانه وعدبه ، فكل أحكام آداب الانجيل تبين المراد من الشريعة الأدبية. فالوصية القائلة حب آلهك من كل قلبك هي مثال القداسة التامة — «فكانت» مغال في مدح آداب الانجيل وسريع العجب بها. وقد فضلها على الفرقة التى ينتمى اليها من حيث أن آداب اتباع « لوثر » « وميلانكتون Melancothon » خليط من تعاليم المسيح وفلسفة أرسطو. وقد تفرد باظهار المسائل الصعبة كالآلام فى حياته. فالله والنفس والاعمال الحسنة التى ظهرت فى عصر المسيحية الاول كانت شغل فكره الدائم، والسعادة التى هي عنوان الحرية المتصلة بالله والنفس كانت هدفه الاسمي في الحياة. وقد اعتقد ان من وجود الله والنفس حدث ماتراه من النظامات الكاملة خصوصاً الصلاح والسيادة والعدل والحكمة وسابق معرفة الله والاختيار منذ الازل والجد. وقال — لهذا حارب القديس اوغسطين الزنادقة وعبدة البحار، واشتغل لايجاد اعتقاد مستقيم سوي كما عمل بعده أيضاً « كوتشالك Gotschalk » ومعاصروه ولوثر وكالفن وجنسانيوس وبايك وخصوصاً « ليبنتز » في كتابه – تجربة عدل الله – الذى بين فيه الصلاح الآلهى وحرية الانسان وأصل الخطيئة –

ويظهر «كانت » من ناحية أخرى كديكارت فى قبوله واظهاره آله المسيحية في ابحاثه عن المبدع الاول وانما منه نأخذ المثل العلياوالقداسة، وان مقاصده تظهر منذالبدء. ليس فقط فى الطبيعيات أوفيمافوق الطبيعيات، بل فى الآداب، من حيث وجود الشر الذى منع فلاسفة اليونان من تعيين علة صحيحة معقولة واحدةله. وقد أظهر المسيحية بصور متعددة فى تهكمه على المتحزبين للديانات الطبيعية اذ قال – ان الاستاذ في الآداب لايقدر أن يلخص هذه الديانات أو يفهمها، والفيلسوف في حالة معرفته الله كنتيجة للعلم اليقيني ، يكون من أشقى الناس فيما لو صار طبيعيا وضل فى محاولته لمعرفة حدود معرفته، غير ملتفت الى مايتطلبه منه الوجدان من قوة

الادراك والارادة، اللذين اذا لم يعرهما اهتمامه لايقدر ان يعمل عملاصالحا. فالانسان تسلط على هـذه الارض وسيتسلط على غيرها بواسطة الله كما قالت المسيحية لانه مخلوق منحط بحكم الخطيئة الاصلية ولانه يشعر بهبوطه من عالم اسمى، وسيكون بغير احتياج لتخصيص نفسه بصلاح غريزي لانها ستكون بغير احتياج لمنبه ينبهها لعمل الخير أو لرادع يردعها عن عمل الشر،أو لوصية ، فيجب الآن حفظه من أوهام الكبرياء الفارغة كيما يصل الى التسامح والرحمة لانه لايوجد مخلوق يقدر ان يحتقر مثل القداسة التي تصلح لنا حياتنا - فهو هنا كبقية المسيحيين الاتقياء يجزم بصحـة ماقيل في حرية الاختيار من انها الصلة بين الله والخلود،وانها هي التي اوجدتنا في حالة الشعور وعـدم الكمال لنشعر بالكمال والمعرفة وانها ليست بعامل بسيكولوجي بل هي منذر سماوي من علة أولية موجودة تامة مسيطرة على كل العالم .

لاأقصد بهذا أن أبين آداب «كانت» من كل نواحيها بل هي عاصفة فكرية مرت امام مخيلتي فالتقطها ودونتها وانا اعتذر عن الاسهاب بما لمقام «كانت» من الاحترام

بيروت ابراهيم حداد

نيتشه وأوربا

للاستاذ هنرى ليختنبرجيه

من بين الاخطاء التى لا يزال يقع فيها الذين يكتبون عن نيتشه ، أنهم يذكرونه كلما ذكرت وجوه الكفاح السياسى الحاضرة . بل يزعمون أنه رسول الى أحد الاحزاب السياسية أو الاجتماعية فى عصرنا . وليس أسهل من هذا الزعم . فاننا اذا نظرنا فى آراء « نيتشه » المعروفة فى العراك القائم بين « السادة » و « العبيد » أى بين « الوحش الاشقر » (١) و « القطيع » (٢) وحصرنا أقواله ضد الديموقراطية والاشتراكية وأضفنا اليه مدحه للارستوقراطية ونقده الميول وعقيدته فى أن يسود العالم ملك مستبد يكون « سيد الارض » وثناءه على كبار الفاتحين من « قيصر » الى نابليون ، لاستطعنا أن ندخله — سواء امتدحناه أم ذممناه — فى عداد خصوم الحكم الشعبى واعداء النظام البرلمانى والمثل الاعلى الديموقراطى ونصيراً كبيراً لسياسة القوة أو رسولا داعيا الى الفاشيزم .

وحسبنا أن نلقى بنظرة عجلى على أدب نيتشه لكى نوقن بأن الحكم عليه بهذه الطريقة انما هو حكم سطحى . فلم يكن نيتشه مجرد مفكر من حزب اليمين . ولقد صادف أشد المعارضة من المحافظين والمستمسكين بالتقاليد من كل نوع . وأما أنصار مذهب السيطرة الذين أخذوا على عاتقهم السعى فى تنمية قوة الدولة الحربية والاقتصادية فيرون فى نيتشه خصما لا يجب أن يكافح تأثيره . وكذلك أنصار النظام الذين يدفعون غارة الشك عن عقيدتهم الدينية أو الادبية أو السياسية ويعدون النهليسم مذهبا تنفر منه النفس الانسانية فانهم ينظرون فى نيتشه على أنه عدو

---

(١) يعنى الرجل الابيض المتمدين

(٢) سواد الشعب

المسيحية ، تأثر على القانون الادبى المألوف، ومثل المبادىء السيئة.

ومن الممكن أن يثنى المفكر العدمى (نهلست) على شجاعة نيتشه الفكرية ، الا انه مع هذا يستنكر فيه انموذج المفكر الثائر على كل نظام ، الهدام لكل حضارة . وفى الوسع أن يقال أن امام نيتشه من الخصوم بوجه عام فئة الراضين عن النظام الموجود وانصار السلطة ، أى أولئك الذين كانوا يشعرون بالامس بالرضى في مجتمعنا الرأسمالى وأصبحوا اليوم لا يطمحون الى أبعد من تجديد نظام اوربا المادى واستئناف المجهود النفعى فى سبيل حياة أرغد و أكثر رفاهية . هذا من جهة . ومن جهة أخرى يخاصمه أولئك الذين يدعون الى مثل أعلى فى النظام والتقييد والطاعة والذين ينظرون بكثير من الحذر الى هادم الاصنام الذى يضرب في الفلسفة ضربات الحداد بالمطرقة والسندان . عدو الحكومة والكنيسة . عدو القانون الخلقى المعترف به . عدو الجماهير .

واذا كان من الجلى أن الديموقراطيين لا يستطيعون أن يعتبروه واحداً منهم دون أن يكونوا مغالين ، واذا كان من الممكن الا يكون ثمة ما يدهش في أن بعضهم قد عده اريستوقراطيا متطرفا عنيفاً مداحاً للرق والعبودية ومن المحبذين لفكرة استغلال الانسان للانسان ولو من طريق نظرى — فذلك لان نيتشة قد أثار اهتماما عظيما ، لا بين المفكرين من حزب اليسار وحدهم بل فى دوائر العمال نفسها. لان من الواضح أن نيتشة ينتمى الى الثوريين على اختلاف مشاربهم . إما من ناحية مغالاته في مهاجمة المجتمع الحديث، وإما من ناحية الشدة التى ناء بها على الارستوقراطيين أنفسهم الذين تكذبهم الاشتراكية وهم أنصار السيطرة من الوطنيين والملكيين المحافظين على التقاليد والرأسماليين . . . . ذلك « الاريستوقراطى » — كما ينعتونه — يستنكر كل رجعى الى الماضى و يعلن في صراحة عدم مبالاته بالأمراء والقساوسة الذين يبغون

الحياة بخديعة بعضهم البعض . فلا عجب اذا شعر الثوريون بأنهم ميالين بالغريزة الى ذلك الثائر على النظام الرأسمالى ونظام الحكم الحديث . وينبغى أن نضيف الى ذلك أن البسطاء قد لاحظوا نبل قلب ذلك المفكر الفذ . وشعروا بدئ أنه ليس فى صف الكبراء ضد السواد من عامة الناس ، ولا هو على الأخص نصير للأغنياء ضد الفقراء

وليس يكفى فى هذه الاحوال أن نوضح فى صيغ بسيطة موقف نيتشة حيال المسألة السياسية ، لانه اذا أريد انصافه فلابد من النظر عن قرب فى المعنى الحقيقى العميق الذى تحمله صيغه وتعابيره .

ولا جدال فى ان العداء للمثل الديموقراطى الأعلى أو بالحرى نظام الحكم الديموقراطى الحديث ، انما هو عنصر جوهرى فى مذهب نيتشة

ولا يخفى أنه نظر فى التطور التاريخى على اعتبار أنه يهبط بالانسانية الى الحالة التى يصير بها الناس قطيعا منظما . وهو حين عرف الديموقراطية قال إن الديموقراطى باعتباره خلفاً لذلك المسيحى العظيم الذى جعل الناس جميعا متساوين أمام الله ووعدهم بالنعيم الكامل من بعد الموت ، يجب أن ينشد مساواة الجميع أمام القانون ويحضهم على تحقيق مايحلمون به من السعادة القصوى على الارض والطموح الى خلق مجتمع ينتفى فيه كل تفاوت وكل مفاضلة بين الاشخاص حيث يكون الناس ذوو حقوق واحدة وواجبات واحدة ونصيب واحد من السعادة ، وحيث لا يكون ثمة نظام للطبقات ولا يكون حاكم ومحكوم ولا سيد ومسود ولا غنى ولا فقير ، ولكن تكون الجمعية المتساوية المتآخية مكونة من وطنيين انعدمت الفوارق بينهم . ذلك لعمرى هو المثل الاعلى الذى يطمح اليه جميع الديموقراطيين من أى مذهب كانوا جمهوريين أو اشتراكيين أو فوضويين . والكل متفقون على نبذ كل سلطة عليا واستنكارها . فهم لا يريدون « آلهاً ولا ملكا » ويتطلعون الى محو كل امتياز

وينشدون الاخاء الذى يجعل من النـاس جميعاً خصوما للعدالة التى يعد القصاص أداتها ، و يميلون الى عد كل عقوبة كحيف وظلم . وتتألف قلوبهم على عبادة الرحمة والارتياع من الالم والاعتقاد بانه يلزم محو كل الآلام من العالم ويؤمنـون بحق « الجماعة » فى ذاته و يعتقدون أن فى وسع كل فرد ومن واجبه أن يجد سعادته الخاصة فى سعادة الجسم الاجتماعى كله وان من الممكن الوصول الى تلك السعادة بان يعطف كل على أخيه و بالاخاء العام .

هذه الغريزة نفسها — غريزة جعل الناس جميعا فى مستوى واحد ومتساوين كل المساواه ـ تتضح أيضاً في ادراك نيتشة للعلاقات بين الرجل والمرأة . فان مذهب النسوية يكمل عمل الديموقراطية ، وكلاهما ممقوت من نيتشة . فانه لم يسلم بان المرأة معبودة وثار ضد الرأى القائل بان المرأة مخلوق سام ذو غرائز أكثر تهذيبا من غرائز الرجل وأحساس أدنى أرق وأصـدق من احساسه ، وأنها قديرة على قيادة الانسانية الى أرفع المصائر وأسعدها . ولقد خص بسخريته القاسية المرأة المتحررة التى نفت عنها الخوف من الرجل وفقدت احترامه والتى لم تعد ترضى بالتسليم له انما تريد أن تعامل منه معاملة الند للند . وكان يرى أن مايبديه الجنس الخشن نحو الجنس الضعيف من الاحترام والمراعاة انما هو سبة واهانة ، وأراد أن تكافح المرأة مع الرجل فى معترك الحياة . ولقد أظهر مقتاً شـديداً لذلك الصنف من النساء الذى يطلق عليه الفرنسيون اسم « بابلو » (أى الجورب الازرق) و يريد بذلك النساء اللواتى يدعين المعرفة و يشتغلن بالآداب و بالعلوم والسياسة سفهاً وادعاء . وقد عنى المرأة الكاتبة فى المحال التجارية أو فى الادارات والتى تقوم فى المجتمع الحديث الذى تغلب فيه الروح الصناعى على الروح الاريستوقراطى والحربى بضجة كبيرة في سبيل مكافحة تقييد المرأة واستعبادها وتوليها تنظيم الحركات الصاخبة للحصول على مثل ما للرجل من حقوق .

ثم ماذا عكن أن تكون نهاية ذلك التطور ؟ هو ألا يكون فى العالم تباين ولا

جمال . وأن يستحيل الى شبه محجر واسع يحتشد فيه ملأ من المتساوين فى عادية الادراك ، وفى العجز . ملأ يكابد الآلام البليغة ولا ينعم أيضاً بالمسرات العظيمة ، ملأ يعالج حياة صامتة بلا غاية ، وهو ما يعد فى نظر نيتشة خطراً جسيما . واذا كان الرجل المتمدين المرفه الخصيف ، اذا كان هذا « الاخير زمانه » الذى تكاثر عدده وانتشر فى الارض هو المثال الذى صارت له الارجحية نهائيا فى عالمنا الحاضر ، فذلك لعمرى نهاية المغامرة العظيمة للعنصر الابيض . نهاية ذلك المجهود الهائل للمخلوق الذى لا يزال يتجاوز طاقته بتوليد أشكال وقوالب جديدة سامية ويقتضى ذلك الارتقاء العجيب الذى يبدأ من دودة الارض الى القرد ، ومن القرد الى الانسان ، ما فتىء ذلك الانسان يتراجع الى الحيوانية أكثر مما يرتفع الى درجة الانسان

ولما كان نيتشة يرى أن اسمى وظائف الانسانية ينحصر فى نشأة العبقرى وسيادة السبرمان . وان الشعب انما هو المهد الذى تتخذه الطبيعة لاخراج بعض الرجال العظماء ، فلم يكن فى وسعه الا أن يكون عدواً لكل نظرية تقول بأن الفرد مقيد بالجماعة . كان من اعداء « هيجل » الذى يرى الحكومة بمنزلة « الآله الحق » وأنها « الآخر المطلق فى ذاته » ويفنى الفرد فى الدولة ويقول بأن الافراد لم يخلقوا الا من أجل الدولة التى تتمثل فيها وحدها الحرية والحق المطلقين . وبناء عليه فقد كافح بقوة مذهب « هيجل » العملى والايمان بالدولة الذى كان شائعا فى المانيا الامبراطورية غداة سنة ١٨٧١ سواء كان عند الافراد الذين يحتفظون الى حد لا مثيل له باحترام النظام والملكية وتقاليد الحكم المطلق أو عند الرؤساء الذين كانوا يتصورون فى دين الدولة والسلطة « معبودا جديداً » وهو ما قضى عليه نيتشة فى فصل مأثور من فصول كتابه « زارا توسترا » . قال على لسان زاراتوسترا إن العالم الحديث لم يعد يعرف الشعوب وانما يعرف الدول لا غير . انما الدولة هى الاسد الذى يزأر ويبتلع . على انه ليس فى الارض اعظم منى . انا بنان

الله الآمر . أن الدولة تجتذب اليها جمهور السخفاء والسطحيين وتفنيهم فيها وتمضغهم ثم تمضغهم . غير انها وآصفادتسحر با كاذيبها النفوس الكبيرة والقلوب النبيلة التى تطمح الى الاسراف ، وتستعملها وتتخذ من عظمتها و بسالتها وفضائلها وحكمتها زينة لها . كذلك تعظم قوة الدولة وهى تلك القوة المشؤمة التى يسمونها « حياة » وماهى الا انتحار بطىء للجميع حيث تتقاتل شرذمه من القردة تقاتلا وحشيا على الثروة والسلطة . وليس لذى الفكر الحر من مناص غير أن يطرد ذلك السفه الفاحش . «هناك حيث لاتكون ثمة دولة .هناك فقط يكون الانسان غير السطحى . الانسان الكامل . أنشودة الضرورة واللحن الوحيد الذى لا يعادله أى لحن آخر — هناك حيث لاتكون ثمة دولة . هناك انظروا أيها الاخوان : ألا ترون قوس قزح وقنطرة السبرمان ؟ » (من كلام زاراتوسترا) كذلك كان نيتشه يمقت الدولة لانها تستعبد الفرد ذى المواهب الساميه للمجموع ولانها تجعل غايتها الاستحواز على السلطة السياسية أو الاقتصاديه دون أن توجه مجهودها نحو المثل الانسانى السامى ولانها لاتجعل على رأس الدولاب الادارى « خالق القيم الجديدة » وأنما تجعل على رأسها «عاهلا» يدين بمركزه الى مولده والى ارستوقراطية النبلاء والدماء ومحدثى النعمة وذوى اليسار من كل نوع

***

على ان عباد الدولة لايقتصرون على جعل الفرد مقيداً باجماعه ، إنما يبغون عدا ذلك صبغ الدولة بصبغة وطنية وان تكون صاحبة الفوز المبين والشأن العظيم . يريدون عظمة وفوز دولة وطنية . فيخلطون الدولة بالوطن . ولقد ثار نيتشة على هذا المذهب ثورة كانت ذات صدى بعيد . فقد عده البعض ممن لاوطن لهم . وفى الحقيقة أن نيتشة لم يكن عدوا لمذهب الوطنية ولا فوضويا أما من يؤيد أن نيتشة كان ينقصه الشعور الوطنى استنادا على حملاته المشهورة ضد المانيا . فانما يدل على أنه لم يدرك الطريقة التى فهم بها نيتشة حب الوطن

ولا جـدال فى ان نيتشة لم يكن بأية حال وطنيا وانه كافح على الاخص ذلك الضرب من الوطنية الذى راج من حوله فى المانيا ونعنى به مذهب الجامعة الجرمانية . فأنه فى الوقت الذى اشتدت فيه وطنية الالمان غداة الحرب السبعينيه وفاضت حماستهم ، كان قد اعتنق وجهة نظر فوق مستوى الوطنية الشائعه عند مواطنية فلم يرغب في فوز العنصر الجرمانى وانما اراد نهضه « الايلينسم » (الثقافة الاغريقية)وسيادة نوع من الثقافة لاهو بالاغريقى البحت ولابالالمانى الصرف ، وانما ثقافة أور بية أو إنسانيه عامة .

لقد سلم نيتشه فى البدء بأن المانيا هى المهد الذى تتهيأ فيه الثقافة الجديدة وتستحيل العبقرية الالمانية الى عبقرية اوروبية الا أنه لم يلبث أن تخلى عن ذلك الرجاء . وسرعان ماصارت المهمة التى اصطفى الله المانيا من اجلها في نظره محتملة فلقد استطاع أن يحتفظ فى صميمه بالامال الغض فى أن يقوم وطنه فى القريب بدور مجيد في تطور الانسانية ، غير أنه لم يلبث ان احس احساساً قويا بالفارق العظيم الاليم الذى لايطاق بين المثال الاعلى للعبقريه الجرمانية التى تصطبغ فى نهاية الامر بصبغة انسانيه، والعبقرية الالمانية الحاضرة التى كرهها نيتشة وازدراها وكافحها بشدة

وقـد عارض بصراحـة تامة وطنية الدولة بمذهب الاختلاط ، على اعتبار أنه قاعدة لازمة للمستقبل القريب في أوروبا الى مباشرة مهمة التوحيد العظيمة التى لم تستطع مدن الاغريق القديمة أن تحققها فى الوقت المناسب . فان جعل أوروبا ولايات متحدة ضرورة بسيكولوجية وتاريخية واقتصادية

وفي هذه الحالة عارض نيتشة وطنية الدولة بمذهب اللاوطن « كوسموبوليتسم » فعتبر ذلك مبدأ مسلماً ، به ولا بد منه للمستقبل القريب . وان على اوروبا اليوم ان تباشر مهمة الاتحاد العظيمة التى لم تعرف مدن اليونان القديمة ان تحققها في الوقت المناسب . وان تأليف ولايات متحدة من اوروبا انما هو ضرورة بسيكولوجية

وتاريخية واقتصادية يتهيأ حدوثها بتأثير حالات التقسيم والبتر الذى تكابده الامم. و بتأليف عنصر مؤتلف ينشأ من تصاهر العناصر المختلفة ونعنى به عنصر الرجل الاوروبيين. ولا بد من ان يتحقق آجلا او عاجلا حلم نابليون فى خلق قارة اوربية متحدة وسيدة العالم .

ويقوم اليوم ضد ذلك المذهب الداعى الى توحيد اوربا حركة رجعية وطنية ذات صخب وضجيج ولكنها عاجزة فى صميمها لانها حركة مصطنعة . والوطنية فى جوهرها حالة ارغام تفرضها اقلية صغيرة ذات نفوذ على السواد . ولا تعيش إلا بالخداع والكذب والعنف . وليس لها أصل راسخ فى روح الجماهير وانما تتصل بمصلحة بعض الاسر او بعض الطبقات الاجتماعية . ومن واجب الفيلسوف اذا تعرف هذه الحالة أن يصير اوروبيا صادقاً و يعمل بنشاط على توحيد الامم والثقافات . ويرى « نيتشة » ان ذلك المثل الاعلى لما فوق الوطنيه « سوبرناسيونال » والعنصر الاوربى الاسمى الذى يتهيأ فى كل مكان لايلبث أن يتحقق .

ولقد كافح نيتشة مجرى الوطنية المعاكس الذى يعترض قيام اوربا المتحدة وكافحه بتلك الشدة وعدم التساهل اللذين هما من صفاته الطبيعية . وبإزاء الخافقين من اعداء الخاضر أبى ان يتعصب للاحقاد التى تفرق العالم المتمدين . ولم يمقت شيئاً اشد من مقتة لتلك الحالة الدائمة من عدم الثقة والحقد اللذين تعيش فيهما الامم اليوم وذلك المكر الشنيع الذى ينحصر فى انكار كل ميل الى الفتح وكل غرض للاغتصاب مع اساءة الظن دائما بالجار واتهامه باسوإ الاغراض وقبيح المقاصد . وقد وصف هذه الحالة بانها تجرد من الانسانية اسوأ من الحرب . لانها تستثير الحرب وتحض عليها بافتراض النيات السوداء في الجار . وحسب ذلك باعثاً على الاعمال العدائية . وليس باحكام توازن القوى او بتخفيض التسليح المطرد يمكن الوصول الى سلم دائم . وانما بان يكون هناك دولة واحدة اقوى من الجميع

تفرض السلم على سائر الدول . قال « من الممكن ان يأتى يوم ينادى فيه شعب بلغ القمة في النظام العسكرى وتعود ان يبذل اعظم التضحيات في سبيل جيشه ـ ينادى عن اختيار : انني اكسر سيفى . ويهدم كل ماوضعه من النظم العسكرية فان السلم لايتأتى إلا بتهدئة النفوس . لايمكن ان يكون الا فى اليوم الذى ترى فيه الجمعيات البشرية « ان الموت خير من الكراهة وسوء الظن . وانه خير للمرء ان يلقى شر مصير دون ان يبث الكراهة بين الجماعات ويبغضهم في بعضهم البعض » . وهو قول حكيم لم تعرف اوربا لسوء الحظ ان تصغى إليه وتعمل به .

وبالغ نيتشة فى الحملة على وطنية « الحيوان ذى القرون » (يريد الرجل السياسى) وشنع بها ولم يترك صيغة مبينة لم يستعملها فى وصف تلك الوطنية التى تحض كل شعب فى اوروبا على اقامة المتاريس من حوله واحاطة نفسه بسد منيع

واما ذلك الضرب الالمانى البحت من مرض الوطنية فانه ينحصر فى مذهب الجامعة الجرمانية الذى كان يستنكره وعلى الاخص لانه المانى . ولقد ثار ضد تلك السياسة التى تجعل الروح الالمانى عقيما جامداً بادخال الغرور عليه . تلك السياسة الحقيرة التى تديم الاحقاد وتستبقى اوروبا في نظام الدول الصغيرة . وازدرى النشيد الوطنى الذى يقول بان المانيا فوق الجميع .

الا ان نيتشة لم يقتصر على هذا الموقف السلبى البحت بازاء الدولة . حقاً انه دل على كراهته للديموقراطية وللقطيع المنظم الذى يعرض على انه غاية فى ذاته . ولم يغب عنه أن الدولة طبقاً للنظام الذى ينشده عدو للذاتيات الكبيرة . وانه لا ينبغى للسبرمان أن يستسلم لنظامها مهما كلفه ذلك . وانما يتكون ويعظم شأنه خارج دائرة الدولة ، بل غالباً ضد الدولة — ويقال من جهة أخرى أن نيتشة لم يكن لا فوضوياً ، ولكنه كافح الفوضى والحكم المطلق . وأخص ما اهتم له نيتشة تكوين العبقرية والنخبة ذات المواهب المتفوقة . لقد شغف بتأليف « ارستوقراطية جديدة » ينتخب أعضاؤها بمنتهى التدقيق . وأدرك ان الانسان لا يستغنى عن

حياة المجتمع، وبناء عليه، فليس في وسع الفيلسوف ألا يبالى بالمسأله الرئيسية : مسألة نظام القطيع (سواد الشعب) . ولما تناول بحث الجماعات البشرية من هذه الوجهة اتخذت أحكامه على الدولة صبغة أخرى ، مختلفة جد الاختلاف عن صبغة أحكامه السابقة .

لقد فكر نيتشه تفكيراً طويلا وعلى الاخص فى السنوات الاخيرة من حياته — فى الوقت الذى كان يعد فيه عناصر مذهبه فى عبادة القوة — فكر فى مسألة الدولة، وانتهى الى اعتبارات شطت به عن تلك «الفردية الفوضوية» التى زعم بعض النقاد انه استطاع أن يحللها فى تآليفه .

أدرك نيتشة فى مبدأ الامر الخطر الجسيم الذى تجلبه للانسانية السيادة الحاضرة للانسان « المنحط » فان ظاهرة الانحطاط مهما كانت طبيعية ولازمة تفضى الى نتائج سيئة ما دام ترقى الحضارة يؤدى الى تكاثر العناصر الضارة من بنى الانسان إذ نشهد ازدياد المجانين والمجرمين وذوى الهوس من أرباب الفنون ومن اليهم . ولقد تفاقم الانحطاط وعم بتأثير الاضطراب الذى يعترى الاحوال الاجتماعية وينجم من الثورة ومن أوهام المساواة . فان الطبقات الدنيا — من المنحطين والمضطهدين والارقاء من كل نوع — قد اختلطت بالطبقات العالية بحيث لم يعد فى العالم عنصر خالص، وتلاشت أريستوقراطية الدم والغرائز الموروثة. وبالاختصار انحطت العناصر الاوربية . وازدادت فى كل مكان كراهة ذوى الامتياز ومن رفعهم الحظ الى مركز استثنائى . بل لقد خضع الممتازون أنفسهم للوهم الديموقراطى وصار على الذين يبغون القوة أن يملكوا الشعب و يملقونه. أما العباقرة — أمثال « فيكتور هيجو» و « ريشارد فجنر » — فانهم يكونون ألسنة تعبر عن العواطف الكبيرة التى تستثير حماسة الجماهير: الرحمة والايمان بالالم الانسانى وتمجيد الضعفاء والمضطهدين. وجلى أن سيادة الشعب بالائتلاف مع المنحطين من الطبقة العالية يفضى الى خطر الفوضى أو على الاقل الى حالة عدم الثبات .

ولاحظ « نيتشة » فى وجوب تأليف مثل أوسط من الانسان سليم ومتين نسبياً ، كعلاج ضد النتائج المدمرة للاضطراب الاجتماعى . ومن شأن هذه الحالة الوسط المتصفة بالفضيلة والجديرة بالاحترام، انها لطبائع النخبة الممتازة خطر وفتنة. أما من حيث كونها فتنة . فان من الممكن أن ينقاد العبقرى للتأثر بالمثل الاعلى الذى يؤمن به الاناسي الوسط وينزل الى مستواهم ويتغنى بمديح « الاعتدال » وتمجيد العامل المجتهد النافع المتواضع . وأما من حيث كونها خطراً فان العبقرى ليس موضع ريبة فى نظر الانسان الوسط أكثر منه في نظر المنحط . كلاهما يسيء الظن به . وانما يسعى الاناسى الوسط في ازعاج ضمير العبقرى بان يفرضوا عليه عقائدهم الخلقية ويقنعونه بانه ليس هناك واجب أسمى من الاخلاص لخيرهم وخير القطيع (سواد العامة) . ومن شأن الاناسي الوسط أن يراقبوا العبقرى بحذر كما لو كان قذيفة خطيرة لا بد من جعل انفجارها بلا خطر أو بالحرى منع ذلك الانفجار . وليس هذا الفوز للمثل الانسانى الوسط مجرد حادث لا مرية فيه. بل هو الى ذلك عنصر لازم ضرورية لترقى النوع البشرى .

وفى الحق ان الانسان يبغى القوة لا لمجرد كونه انساناً بل إنه يبغيها ويتطلبها على أنه نوع بشرى. وتجاهد الانسانية في سبيل الظفر بالحد الاقصى من القوى وان تبسط باشد ما يمكن سيطرتها على الاشياء . ويبدو أنها لن تبلغ ذلك الحد اذا لم تنجب غير شخصيات قوية أو كان أكثر ما تنجبه من تلك الشخصيات. لان التاريخ قد دل على ان العناصر الراقية لا تعمر طويلا . بل تضمحل على عجل باستنفاد قواها في الحروب . وتتلاشى بسرعة من جراء مطامعها وتعطشها الدائم للمخاطرات العنيفة . ومن شأن الاقوياء أنهم يسرفون فى قواهم ولا يدخرونها . ويسرفون بلا حساب. وليس للمدة فى نظرهم أية قيمة . أنهم يؤثرون للنوع حياة قصيرة ولكن موفورة النشاط والعمل وهم عند ما يبذلون ما ادخروا من قوى يرون أنفسهم أشد من الضعفاء هزالا ونفادا في الارادة واختلالا فى التوازن .

فان عصر العظمة الانسانية انما هو زينة تكلفها ثمنا غاليا

وظاهر أنه ينبغي للانسانية اذا أرادت الحصول على الحد الاقصى من ثمار نشاطها وقوتها ألا تقتصر على انشاء عناصر قوية ومسرفة تتلاشى بسرعة وتحترق بالشعلة الداخلية التي تلتهمها، وانما يجب أن تخلق في الوقت، نفسه مثال الانسان الوسط القابل للنظام المتبع والاطول بقاء، وان تجد أدنى عناصر النشاط الانساني وظيفتها النافعة اذن يكون من المناسب بناء الاداة الاجتماعية العظيمة بحيث يتاح لجميع القوى الفردية، حتى الحقيرة منها، ان تنتج الحد الاقصى من الثمرة النافعة التي تستطيع انتاجها . وتلك هي الغاية التي نسعى اليها اليوم

اما نحن نقترب من حالة الحضارة التي تستغل فيها الارض صناعيا في دوائر واسعة وفي المجموع .

وفي هذه الحالة يكون الانسان الوسط عنصر الازما للاقتصاد العالمي . وجدير بالفيلسوف الا يحتقره والا يزدري نقائصه — الجبن والسفاهة والصغار والاستجداء — ولما كان الفيلسوف هو المثل الشاذ فمن واجبه أن يشمل بحمايته القاعدة المتبعة وان يؤيد عند الانسان الوسط، الرضا بما هو فيه وبما قسم له

كذلك تتضح لنا فكرة نيتشة فقد كان يعتقد في كل وقت ان الحضارة غير ممكنة بلا ارقاء . وتناول هذا المبدأ المبني على القدر المحتوم في البدء بنوع من التشاؤم اليئس . ولكنه عاد فتقبله على انه حادث طبيعي لا ينبغي ان يستثير الحكيم . هل الانسان الوسط المتواضع العامل المعتدل . ذلك الانسان الذي يسرنا أن نصفه « بالطيب » هل هو في الحقيقة سوى « المثل الا على للرقيق : رقيق المستقبل » ؟ ولقد مهدت الديموقراطية والاشتراكية السبيل الفعلي لذلك الاستعباد الذي تكابده الجماهير حين نزلت بالفرد الى حد الحالة الوسط بل الى حد الآلة الصامتة . ورضي نيتشة بقبول هذا المبدأ دون أن يستسلم لشعور الكذب . قال « يلزم أن نتعلم التفكير في حال الجماهير دون أن نكون أكثر عطفا عليها

من الطبيعة . فتنها لم توجد فى تلك الحالة الإلحفظ النوع. فاذا كانت هناك مسألة خاصه بالعامل الاوروبى فأن منشأها يرجع الى شعورنا الكاذب والى بلاهتنا : فأننا اذا اردنا ان نخلق عنصرا من الارقاء الصالحين وجب علينا أن نخلق الوسائل المؤدية الى ذلك الغرض وان نطبع ابن الشعب على الطاعة والخضوع والرضا بصبر بما قسم له . وان من الخطأ ارغامه على الخدمة العسكرية ومنحه حق الاعتصاب وحق ابداء الرأى وتسميم ذهنه بأقوال الصحف. ومن الخبل ومن الهوس تربيته على أن من حقه أن يفكر و يعمل بنفسه وان يأمر و يسود فى حين ان وظيفته الطبيعية هى ان يكون آلة فعالة مطواعة بين ايدى « الطغاة وجماعة السبر مان » الذين يتنافسون في السيطرة على العالم

وفى هذه الحالة يتضح ان الدولة تهم النخبة الممتازة الى الحد الاقصى باعتبارها أداة للسيطرة على الجماهير وقد لاحظ نيتشه عدا ذلك ان من الممكن ان تكون الدولة حتى فى نظامها العسكرى والوطنى مدرسة صالحة ومفيدة لمن يسود العالم فى المستقبل

وتبين له أن العسكرية هى العلاج الفعال للانحطاط . ولم يحجم نيتشه عن التصريح بأنه يسر لترقى العسكرية فى أوروبا . ورأى ان الجمعية التى تنقاد لغرائزها الكمينة فتستنكر الحرب والفتح تصير قابلة للانحطاط والديمقراطية وسيطرة جماعة التجار وان المحافظة على الدول الحربية هى الوسيلة الوحيدة التى تتيح بناء الانسان « القوى» فى أوروبا. ورسم نيتشة برنامجا للمستقبل يشمل التربية الفنية القوية ثم الخدمة العسكرية بحيث يصير كل فرد من الطبقات العالية ضابطا مهما كانت استعداداته .

ومهما كانت الوطنية ضيقة ومحدوده ، فمن الممكن أن يكون لها نفعها وتأثيرها الحسن من حيث أنها تبقى على التنافس بين الدول وتجعل الحروب لازمة وتستحث على نشأة العبقرية الحربية.

وأخيراً قال نيتشة ان الدولة لا تراعي أي قانون أدبي في أفعالها ولا تشعر بالمسؤليات ولا تبالي أن تفعل مالا يبيحه الرعيا لانفسهم وان الجماعات أشد «طيبة» واخلاصاً من الافراد الذين يبلغ من صغارهم أن يتمادوا في شهواتهم الى الحد الاقصى. والجمعية لا تتصف بمحبة الآخرين انما يعد من مهارة الفرد أن يكون أريحيا محبا للآخرين. والجمعية لاتعتبر «الفضيلة» الا وسيلة للقوة والنظام. وأحكامها العامة انما هي أحكام مطابقة للواقع وللحقيقة كل المطابقة. لاتتقيد بأية قاعدة خلقية وتقصد الى تقديس الشهوات النافعة لحفظ النوع وتمجيد القوة وتدخل عليها الطمأنينة. وعلى النقيض من ذلك تزعج ضمائر أولئك الذين يعرضون المجتمع للخطر. أنها تجعلهم في عزلة. اذ تحيطهم بجو من الريبة وعدم التساهل والقسوة وتعاملهم معاملة الاشرار فتجعلهم مرضى اذ تشعرهم بأنهم شواذ في المجتمع. وخلاصة القول أن الدولة لا تسعى الا لمجرد المحافظة على بقائها بأن تحط من شأن الفرد الى درك العبودية او العجز. وهي بهذا الاعتبار أنموذج للسبرمان بل هي الاداة الهائلة التي ينبغي أن يستعين بها هذا الاخير على تأييد سيطرته الدائمة على الجماهير. هذا مايستخلص من روح الفلسفة الاخيرة لنيتشه.

ومما تقدم يتبين أن نيتشه تراوح في الرأي بين مذهبين كل منهما اسمى قيمة من الآخر: الحرية والدوام. فهو من جهة كان المحرر الكبير والمفكر المستقل الرأي وصاحب مذهب الفردية الشديد التعصب لمذهبه الذي يريد ألا يقف امام العبقرية أي عائق او قيد وأن تكون طليقة حتى من القانون الأدبي وان يخولها الاستقلال الذاتي التام. وبناء على هذا المذهب صار عدوا للدولة التي لا تعتقد بظهور العبقري الذي يهدد على الدوام استقلالها والذي يبغي اخضاعها لغاياته المنطوية على الكبر والانانية والذي يريد ان يفرض عليها قانونه. فأعلن ان السبرمان يكون حيث لا تكون الدولة.

ولكنه من جهة أخرى كان ذلك الخالق العظيم الذي طالب قبل كل شيء بالدوام

لاعماله وشمل بهذا المذهب المنطوى على الاعجاب، الآثار التى تغلبت على الزمن مثل الامبراطورية الرومانية والكنيسة الكاثوليكية ودعا الى ظهور حاكم يسود الارض . حاكم مستبد يحصل به قطيع الارقاء على الرضا اللازم وعلى سبب بقائهم . ورغب فى قيام « طاغية » . مهيب ينظم استغلال العالم طبقا لمبادىء العقل ويحقق الحلم الذى طالما شغل اذهان كبار الفاتحين بوضع حد لفوضى « الدول الصغيرة » فى اوروبا والسيطرة على العالم كافة — ويقال بعبارة أخرى ان نيتشة حرر السبرمان من سيطرة الدولة ، وفى الوقت نفسه رأى أن الدولة أداة لازمة لسيادة السبرمان . وعظم شأن هذا المذهب عنده وهو المذهب الذى يمكن أن نسميه امبريليا كاثوليكيا، وقوى على حسابه مذهب الحرية فى غضون السنوات الاخيرة من حياته

نرى من الميسور التوفيق بين وجهة نظر الدوام ووجهة نظر الحرية . وهل نجح نيتشة نفسه فى التوفيق بينهما توفيقا تاما ؟ هـذا مالا نستطيع ان نؤكده . ويوضح مانحن بصدده ان نيتشة بقى فى آخر الامر موضع ريبة من الاحزاب الوطنية والاشتراكية ومن المحافظين الذين يرتاعون من مذهبه المفسد فى السبرمان ومن أنصار الحرية الذين ينظرون الى رأيه فى أن تحكم اقلية صغيرة من السبرمان قطعيا عظيما من الارقاء كحلم ايتوبى خبيث . وميزة نيتشه الجوهرية انه نظر بجلاء الى مسائل العصر الحاضر التى حيرت الاذهان — مسألة « المكانيزم » حسب تعبير « راتناو » ومسألة توحيد أوربا ومسألة تكوين نخبة ممتازة وشكل من حكومة السبرمان — وبسط ذلك بأتم الاخلاص دون أن يحاول تضليلنا بحلول يسهل فيها التفاؤل أو ان يلطف من خطورة تلك المسائل باستعمال التعبيرات المتفق عليها .

وأضيف الى ماتقدم أن من الواضح ان المسألة الاقتصادية لم تكن فى نظر نيتشة ذات أهمية أوليه كما يتصور اغلب معاصريه فقد جعلها نيتشه مقيدة بالمسألة الفلسفيـة . فانه يستدل من تحليل فكرة نيتشة ان القوه التى تطمح اليها الارادة والتى يبغيها السبرمان ليست فى الواقع خيرا محسوسا وليست بسيادة الملك على رعاياه ولا

القائد على جنوده بل هى أدنى بكثير من السلطة التى تفتحها حيازة الذهب . وهى لاترمى الى تكوين أمبراطورية واسعة ولافي جمع ارزاق وثروات في ازدياد مطرد ولا فى الحصول علي حالة أتم رفاهية واعظم رغدا وزينة . انما القوة باسمى اشكالها شيء غير مادى بل هو بعيد كل البعد عن المادية. قال «زارتوستر ا» فى تعاليمه إنها « أفكار تأتى محمولة على اكف الطير فتحرك العالم . فصاحب القوة والعظمة فى صورته السامية ، اذن ليس الرجل العسكرى ولا رجل الاعمال ، كلا ولا « سيد العالم » . انما هو الفيلسوف والمفكر الذى تكون لافكاره قوة انتشار كافية تسحر الارواح وترسخ في النفوس . هو ذلك الكاهن الذى يعلم الغيب والذى يصيغ قبل غيره الاحكام الاساسية القيمة . هو المعلم الذى يوحى الى الاخلاف المقبلة بالتجارب التى ترقى الجنس البشرى . هو العبقرية الدينية التى تملى على الناس سيادة المبادىء التى يدبرون بها أفعالهم »

فالسبرمان الذى عناه نيتشة هو من الوجهة الجوهرية أحد أولئك المعلمين الكبار الذين سيطروا على الارواح أمثال المسيح ومحمد وبوذا . وكذلك الحرب التى اهتم لها ليست تلك الحرب التى تدور فى ميدين القتال والتى تبيد فى عنفها وعمائها الارزاق والكنوز الفنية وحياة الناس والسعادة البشرية . انما هى الكفاح الصامت غير المنظور . الكفاح الخفى الذى يجرى فى أعماق النفوس بين المبادىء العظيمة الكفيلة بتدبير حياة البشر والتى تقرر فى آخر الامر مصير التطور العام . فان الغرض من الحرب المادية المنظورة انما هو سيطرة شعب أو عنصر وتحكمه . ولكن الحرب الروحية تحدد مايمكن ان نسميه بالمصير الدينى للانسانية. فالانسان الذى يطمح بكل قوى نفسه الى سيادة فكرة مدبرة للانسانية وفوز مثل دينى اعلى ، قديما كان أو حديثا ، هو المتشيع المخلص لمذهب نيتشة : أما من يتحمس لفوز الوطن أو العنصر او الحرب فلا يحق له ان يدعى الانتساب لنيتشة

لذلك لا نحصي اليوم من انصار نيتشة غير فئة قليلة. أولئك الذين أطلق عليهم اسم الباحثين الذين كانوا بالامس غارقين فى مادية حضارتنا المولعة بالبذخ ووسائل النعمة والذين ينشدون السلامة اليوم في التجديد الروحي للانسانية. على هذا بقى نيتشة، وهو أحد كبار المحررين للروح البشرى، بل أحد الذين استدلوا باشد الاخلاص والشجاعة على السبيل الذى يخرجنا من ظلمات العدمية.

مقطوعة غنائية

لحنها وغناها الاستاذ النابغة الموسيقار محمد عبد الوهاب

ونظمها أمين عزت الهجين

يرانى الناس مبتسما وقلبى   تمزق فيه آلام الجفاء
ويرضينى رضاؤك عن عذابى   ويطربنى ابتسامك من بكائى
خيالك شاغلى عن كل فكر   وحبك مبرئى من كل داء
تنامين الليالى فى هناء   وأسهر راعيا نجم السماء
فهل شاهدت فى الأحلام طيفى   فتقص عليك أوجاعى ودائى
وإنى قد تلفت فلست أرجى   وصرت كأننى شبح الفناء
صمت وقد يكون الصمت شعرا   يردد فى الورى لحن الشقاء

***

ألذ الحب ما قاسيت منه   وخالط وصله مر الجفاء
تعلل فيه صبحك بالأمانى   وتختم فيه ليلك بالبكاء
ويشجيك الضنى فتظل تبكي   وتشعر فى بكائك بالهناء

سر ليلة

قبلتها شفعا ووترا وضممتها للصدر عشرا
هيفاء ، يزرى بالغصو ن قوامها، وبكيت قسرا
تفتر عن درر بدت كز الشقاء لها وفرا
لم تدر معنى للبكا فالوجه يندى منها بشرا
ترنو بلحظ ناعس فتخلف الاكباد حرى
الليل يحرس حبنا ونرى الرقيب علينا بدرا
واذا مالت رأسها ؟ ترم الوسادة ، تلف صدرا
كالطفل الثم ثغرها بسذاجة وأمس شعرا
فتضم وجهى راحتا ها تودع الاذنين سرا
« انى أحبك ». لاعدمتك أنت ذا تبدين جهرا
فالشمس تعرف اننا الفان مملوآن طهراً
والنسم يحمل بيننا كتب الغرام وليس نثرا
حتى النجوم تعلمت صحف المحبة كيف تقرا
أو تذكرين وقد مشي نا يخفنا «الصبير» (١) فجرا
نخفى اللواعج تارة ونخالس النظرات أخرى
خوف العوازل والوشا ة ومن يرون الحب نكرا ؟
كنا نشد أكفنا باكفنا نعصرها عصرا
وتتمتم الشفتان أقـ ـوالا يراها البعض نكرا
ليس الغرام نقيصة ليذل صاحبه ويزرى

* * *

(١) شجر التين الشوكي

الحسن انت آلهه ولطف فيك قد استقرا
واعرت للورد الذكي شذاه حين مررت مرا
نور الجبين اذا بديـ ـت يخاله الفلكي بدرا
واذا ذرفت الدمع عفـ ـوا اطرق الثقلان قسرا
ولو ابتسمت لذى الهمو م يرى لليل اليأس فجرا

يا طيفها

سبيت القلوب بوجه سفر فضل العباد وذل القمر
ولا بدع انت فريد الجما ل وحيد الكمال منار البشر
فهل في السماء اذا ما تبدى شبيهك قالوا منير ظهر
اعيذك ربي — فلست شبيـ ـه المنير ولكن شبيه القدر
تعـز، تذل ، تميت وتحيي، فمنك الهناء ومنك الكدر

* * *

ذكرتك لما رددت على الـ ـحياة وكنت اسير السهر
أناجي الهلال بقلب كسير عساه ــ الهلال ــ يزيل الضجر
حسبتك رب الجلال تبدى فكنت كموسى بعصر غبر
اهبت تحيي ، ومن ذا تحيي أسير الغرام ولا من مفر
فاحنيت رأسي خضوعا لعلـ ـياك ان الخضوع رهين الظفر
بسمت فهمت ، دنوت فجدت بقلب كليم عليك انفطر
وضعت يديك باخرى عرا ها ارتعاد وقلت لقاء ندر
بحقك قل لى ، قرأت ضميرى بربك أنى اليك الخبر ؟
أردت الجواب ولكن.. ولكن. عصانى اللسان ودمعى انهمر
سألت ، علام البكاء اجبنى؟ بماذا اجيب وامرى اشتهر

هو الحب يذرى بكل الوجو   د يذل النفـوس اذا ما استعر
هو الحب ينمو كزهر الربيع   وينمى الزهور غـزير المطر

* * *

وسرنا الهوينا نجوب الرياض   وضوء المنـير علينا انتشر
عليل النسيم اثار الشجون   فصغت القريض يابن الحجر
لطيفك (ميه) تهدت الورود   بلطف تخر اذا ما عبر
وكانت عروس السماء تبدت   تنـير الطريق وتقفو الاثر
ولو رمت وصف خفوق القلوب   عليك عجزت وقلبي انفطر
هنيئاً لنسم يحيطـك دوما   وسقيا لضوء المسا والسحر

* * *

تركت يدى بلطف ورحت   بعيـداً سريعا وغاب القمر
فصحت جزوعا ولما افقت   خيالك مثلك منى نفـر
قصصت لقومى المنام فقالوا   «جننت» وقالوا «فلان كفر»

حبيب الياس

فى الازهر

لست أريد من هذه الكلمة أن يتقبلها أسيادنا الاشياخ قبولا حسنا ويتفهموها،لأنى يئس منهم جدا ولا أمل لى فى (حرية) فكرهم ولا أريد بها مخاطبة الرأى العام وأيضاح مركز هؤلاء (العلماء) من الدين ومنا،وأول ماأريد أن يفهمه الناس خصوصا في مصر أن هناك فرقا كبيرا بين (علماء الدين) وبين الدين نفسه !

نعم لانزال نسمع فى كل حين أنهم يقولون عن انفسهم (حماة الدين) و (رجال الدين) وأمثال هذه الألقاب ولكن يجب أن لانصدق مثل هذا خصوصا ونحن نرى بل نلمس أنهم لم يفهموا هذا الدين فهمه الحق وانهم يخلطون بينه وبين الأساطير والخرافات (ولو أنهم طبعا لم يخترعوها ، بل قد اختلطت بالدين فى تاريخه.وهذا بحث تاريخى طويل حبذا لو عنى به الاستاذ الباحث صاحب (العصور) فنحن انما نؤاخذهم على عدم فهمهم وتمحيصهم ثم ادعائهم فوق ذلك أن هذا هو الذى يجب أن يكون (ولنضرب بالعقل عرض (العامود) لا الحائط) هناك أذن فرق بين الذين ينتحلون لأنفسهم وصف حماة الدين ورجاله، وبين الدين نفسه ، وأنا أجاهر بكل قوتى أنهم لايفهمون روح الدين ؛ وأن محصولهم من الخرافات التى التصقت بالدين فى عصوره الطويلة ،أوفر جدا من محصولهم من الدين نفسه ؛

وهنا أريد أن أعرض صورة واحدة نفهم منها مقدرة حضرات (العلماء) على التفكير وتقبلهم لما يقال ! . . . . لست أذكر الآن بالضبط فيم كان الشيخ يفسر (وهو شيخ مدرس لطلبة على وشك التخريج فى القسم الثانوى) وجاء ان الله يخلق الأشياء حيث يشاء . فقال الشيخ ان من المشاهد أنه اذا رويت

الأرض (الشراقى) وغمرت بالماء فأنه تـكثر بها (الفيران) وهذه الفيران تخلق من (الطين مباشرة) ! . . . قلنا وكيف يامولانا الشيخ؟ فقال أن الله يخلقه هكذا من الطين ؛ وأنه رأى بنفسه حيوانا في طور التـكوين نصفه الأعلى قد تم وكسى بالشعر و به العينان والوجه الـكامل للفأر ، ونصفه الأسفل لما يكمل بعد؛ بل لايزال من طين لازب ! . . . . .

(ياسيدى اسماعيل ؛ ولا تقل لى مذهب النشوء ولا (غيره) فقد جاء الشيخ بالقول الفصل !) ثم ذهب يقيم الدليل على صحة قوله، وأنه شاهده بنفسه! . . والله على كل شيء قدير ! ! . .

فتصور معى ياسيدى القارىء كيف يحترم الشيخ عقله ،وإما أن أقبل هذا او أكون رقيق الايمان ! ! . . ألست ترى معى أذن أنه يجب أن نفصل بين هؤلاء و بين الدين ؟ و إنى ماأريد من هذه الكلمة ألا أن ألفت نظر الرأى العام الى أن مركز هؤلاء القوم باعتبار انهم رجال الدين ؛ ليس فى محله ، وأنه يجب أن لانجعل لهم مثل هذا الخطر ، وكل هذا التقدير، بل نجعلهم حيث هم وحيث جعلوا أنفسهم ! ! . .

فاذا فعلنا ذلك لم يجدوا هم بابا باسم الدين لمعارضة كل تحرير فى الفـكر ، وأصلاح فى الحياة التى وقفنا بها ،حيث يعدو القوم لا (خببا ولا بالقلاص) ! !. و إن أعجب فلقوم فى الازهر عندهم بعض حرية فى الفـكر ولـكنهم (يخافون). وانى لألقى عليهم تبعة ثقيلة هى كتمان العلم الذى لم يخلقوا ألا ليكونوا له حماة ، وعنه زادة ، ولست افهم مم يخافون مادام الرأى العام المثقف يعضد كل حر خصوصا فى بيئة مثل هذه مليئة بالجمود ! ولعل تنقيب شيخ حر كالشيخ الحالى يجعل من خوفهم هذا بعض الصراحة فيما يرونه الحق، فيظهروا للناس أراءهم ! ! .

وشيء آخر أريد أن أوجهه إلى الذين يبحثون في كتب الدين الاسلامى من الذين يريدون المعرفة الصحيحة ذلك هو (الثقة ! !) فمهما يكن الشيخ المؤلف

(الشيخ الأكبر . والكبريت الاحمر) فلا تنخدع به . فأنك لا شك واجد له زلة ان لم يكن كل كتابه (تخريف) فلا تقبل منه هذا على أنه من الدين فتتهم الدين بما هو منه برىء : بل اتهم عقلية الشيخ قبل كل شيء ! !..والحلال بين والحرام بين

ثم لاتفزع ان وجدت من يقول لك أن (حبة) القمح كانت كبيضة النعامة قدرا ثم صارت هكذا من ذنوب البشر ! ؟ . . بل لاتفزع أن أخبرك من جادل خلا (من فحولهم) في أن الروح مادة تخرج من الجسم عندالوفاة ولا قيمة لاعتراضك بأشكال المادة الثلاث . حيث يقول (هذا كلام النصارى . ولا يعتد به عندنا لأنه تخريف ! ؟ . . .) ولا تأخذك الدهشة أن أخبرك أنه كفر من يقول بأن المادة لاتفنى ، ودليله أن الماء اذا سخن يتطاير و ينعدم ، وأن الماء الذى يقع على الأرض تبتلعه وتفنيه ، وأن هذه اعتراضات النصارى يدسونها لكم لتفكروا !!؟) وربما كان من التسلية أن أقص عليك ماقص الشيخ قال (كان مرة سيدى . . . رضي الله عنه ماش مع سيدى . . . رضى الله عنه فأوصى الأول صاحبه أن لا يؤذى أحداً أبدا إلا اذا كان هوى المعتدى ! وفيما هما فى الطريق لحقا تاجرا كان يمر على مهل فضغط سيدى . . . ؟ على كعب حذاء التاجرفانفتق !، فالتفت التاجر ورفع يده في الهواء، وفيما هو يهوى بها على صدغ سيدى .. ؟ تطايرت ذراعه فى الهواء منفصلة عن كتفه !! . فانظروا ياأولادى كيف يكون مقام اولياء الله جعلنا الله في بركاتهم ! ! . . . .) فالمعنك العناية على تحمل الكثيرمن مثل هذا ، ولأسيادنا(العلماء) طول البقاء ! . . . ؟

م . ع . ش

ازهرى حر

١٤ـ٩ـ٢٨

هرطقة ، والعياذ بالله

بمناسبة ما كتبه الاستاذ حسين محمود فى العدد ١٢ من العصور وأورد فيه بعض (الحكم) التى تمتلىء بها كتب (العلم الشريف) أريد أن أحدث القراء عن حكاية ليست (هرطقة) ولاشيئا بل هى كرامة بسيطة لاحد أولياء الله (ولا اعتراض !.)

كان لسيدى (كذا) (وأظنه سيدى ابراهيم الدسوقى أو الرفاعى) تابع . وكان سيدى يحبه كثيراً ثم حدث أن تغيب التابع عن سيدى الولى زمنا ، حتى اشتاقه ورغب فى لقائه . فسأل عنه فقالوا انه كان به مرض ، وقد قضى الآن ! ، فانتفض الشيخ وقال (كيف ! ؟ .:) ثم لم يروا الا نوراً يعلو ويعلو حتى ركب سحابة ولحق بها عزرائيل وهو يحمل (الوارد) الذى قبضه من أرواح العباد فى ذلك اليوم ، وقد زر عليهم كيساً من الجلد ، فقال له الولى (كيف قبضت فلانا تابعى وأنا فى حاجة اليه ؟!..) فقال عزرائيل أن الله أمرنى بذلك ، فتطاولا على بعضهما (وكلمة من هنا وكلمة من هنا) فما كان من سيدى الولى الا ان (خطف) منه كيس الارواح ، وبعثره فى الهواء ، فذهبت كل روح بقدرة الله تسعى الى جسدها الذى فارقته وشيكا فعادوا الى الحياة باذن الله ومنهم طبعاً تابع سيدى الذى عاش معه طول حياته يخدمه الى أن قضيا معا !!؟..

وهذه الحكاية (وأمثالها كثير جداً) مثبتة فى كتاب مناقب لست أذكر أن كانت مناقب سيدى ابراهيم الدسوقى أو غيره ؛ وفى هذه العجالة لا أريد أن أبحث ، ومن شاء أمثال هذه فليقرأ كتب المناقب . فلا تعترض ياسيدى حسين (لحسن أنت شايف !!..) وبعد أليس من العار حقا ان تهمل هذه الدرر فلا تدرس فى الجامعة المصرية لنفاخر بها أمم الغرب . فلا تعود تفخر علينا بأصل الانواع وأمثاله من كتب (النصارى) السخيفة ؟...

ولا تستبعد اذا نشرت كنوز هذه العلوم (الربانية) أن تقرر دراستها فى كمبريدج وأكسفورد . ويكن لنا فخر الاشتراك فى تثقيف العالم !؟....

أليس كذلك يا أستاذ حسين !... ؟

١٥ — ٩ — ٢٨ محمود على الشرقاوى

مقتل دوق غانديا

جيوفانى بورجيا

فى يوم ١٤ يونيه سنة ١٤٩٧ ، وهى الليلة التى أزمع فيها سيزار وجيوفانى بورجيا السفر الى نابولى ، أعدت والدتهما « فانوزا » Vanozza وليمة وداع لهما فى حديقة الكرم الجميلة في « تراستيفير » . ولقد حضر الوليمة مع الاميرين عدد كبير من أقاربهما وأصدقائهما ، وكان من بينهم الكردينال « مونريل » « وغفريدو بورجيا » الصغير . ولقد ظل المدعوون حول الوليمة إلى ساعة متأخرة من الليل استأذن عندها سيزار بورجيا وأخوه جيوفانى فى الانصراف ؛ ومعهما قليل من الحاشية والخدم ، وبينهم رجل مقنع محوط بالاسرار ، ظل شهراً من الزمان ملازماً لجيوفانى بورجيا ملازمة الظل . وفي تلك الليلة ذاتها بينما كان جيوفانى فى الوليمة أسر اليه ذلك الرجل بضعة كلمات لم يسمعها أحد غيرهما ، فضلا عن أن هذا الرجل كان من زوار جيوفانى الذين يغشون قصر الفاتيكان كل يوم (١)

وترافق الاخوان وحاشيتهما معاً يخترقان شوارع « روما » حتى بلغا قصر « أسكانيوسفورزا » فى حى « بونت » . وهنا أخبر « جيوفانى » اخاه « سيزار» أنه لا يريد العودة إلى قصر الفاتيكان في تلك الساعة « لانه يريد أن يلهو قليلا» . وودع أخاه ، وصرف خدمه وحاشيته جميعاً ، ولم يرافقه إلا خادم واحد وذلك الرجل المقنع الغريب الاطوار . وتابع الخدم السير إلى قصر الفاتيكان ومعهم الكردينال « مونريال » . أما « الدوق » فاركب الرجل المقنع على كفل جواده ، ثم قفل ميمماً شطر الحى اليهودى .

---

(١) اعتمدنا فى هذا المقال على أصح المصادر التاريخية ، فليس المقصود منه مجرد التسلية بل هو درس تاريخى كامل .

وأصبح الصباح ولم يعد الدوق الى قصر الفاتيكان . وقلق خدمه وحاشيته عليه، فأخبروا البابا(١)عن غيبته وسردوا له الظروف التى حوطت هـذا الحادث . على أن البابا لم يفزع لهذا النبأ . وفسر غيابه بما ذكر الدوق لأخيه سيزار بانه يلهو قليلا مع احدى السيدات ، وانه سوف يعود سريعاً

و بعد قليل ، وصلت الانباء الى الفاتيكان بان حصانه قد وجد ضالا فى شوارع روما بالقرب من قصر الكردنيال « بارما » و بالسرج احدى الركابين ، أما الركاب الآخر فقد قطع بآلة حادة . ثم توالت الحوادث فوصلت الى الفاتيكان انباء الخادم الذى رافق الدوق عند افتراقه عن أخيه اذ عثر به لدى الفجر فى « البيازا دلاغيوديكا » مجروحاً جرحا قاتلا وهو عاجز عن الكلام ، وأنه مات بعد أن نقل الى بيت مجاور للمكان الذى وجد فيه .

وتولى الهلع جميع من كان فى الفاتيكان ، وأمر البابا فى اشفاق وخوف أن يدور البحث فى كل الامكنة التى يمكن أن يعثر فيها على شىء يدل على مصير الدوق . ولقد انتهت هذه المباحث بان ملاحاً فى « الشيافونى » واسمه جيورجيو قد زود الباحثين بمـا رأى وسمع ليلة« الأربعاء»وكان قد امضى الليل على ظهر سفينة يحرس حمولة من الأخشاب . وكان مرسى سفينته على الشاطىء الواقع بين جسر « سانت انجيلو» وكنيسة«سانتامار يانوفا»

رأى هذا الملاح فى الساعة الخامسة من الليل ، وقبيل أن يتنفس الصبح ، رجلان خرجا من الزقاق الضيق المار بجانب مستشفى « سان غيرولامو »ووقفا على شاطىء النهر فى الموضع الذى اعتاد فيه « الحمالون » أن يفرغوا عنده صناديق الفضلات فى النهر .وظل الرجلان يتطلعان بامعان وتؤدة ليكونا على يقين من أن المكان آمن وانه لا يراهما أحد . ولما عرفا أن المكان خال ،أرسلا اشارة خاصة ،

---

(١) رودريجو بورجياوالددوق غاندبا وصار البابا الاسكندر السادس

فاقدم عليهما رجل يمتطي جواداً كريماً أبيض اللون تتدلى من فوقه قطع الديباج الموشاة بالذهب ، وخرج من نفس الزقاق الذى خرج منه الرجلان . وكان يحمل فوق كفل الجواد ، على مقدار ما استطاع « جيورجيو » أن يميز في ظلام الليل ، جثة بشرية رأسها يتدلى من ناحية ، والقدمان من ناحية أخرى ، ولما وصل الجواد وراكبه الى النهر ، كان من ورائه رجلان يحفظان توازن الجثة على ظهر الجواد .

ثم تقدم الجميع حتى صاروا على حافة النهر ، وعندها أداروا ظهر الجواد الى ناحية الماء .وحمل الرجال الجثة ثم أخذوا يراوحونها بينهم ، وقذفوا بها الى الغمر . وسمع « جيورجيو » الرجل الراكب يسأل زملاءه عما اذا كانوا قد قذفوا بالجثة الى بعد كاف . فاجيب « نعم يا سيد » — « Signori' Si » وظل الرجل الراكب يلاحظ سطح الماء هنيهة ، وأشار الى شيء طاف ، تبينوا بعد ذلك أنه عباءة فريستهم فأخذ الرجال يقذفونها بالاحجار حتى غابت عن النظر وعادوا من حيث أتوا وعدتهم خمسة رجال .

هذه هي القصة التي رواها الملاح ، كما سطرها المؤرخ « بوركارد » في مذكراته .

ولما سمع البابا هذه الرواية سأل الملاح : لماذا لم يبلغ السلطات عما رأى ، فاجابه الملاح ! انه رأى في حياته التي قضاها على ظهر سفينته أكثر من مائة جثة يلقى بها في نهر « التيبر » من غير أنه يهتم انسان بالسؤال عن مصيرها .

غير أن هذه الحادثة التي رواها هذا الملاح وغياب « الدوق غانديا » (١) قد أوقعت البابا في شكوك ممضة . فأمر بان يبحث الغواصون قاع النهر قدما بقدم وهرع الملاحون وصيادو الاسماك ينفذون الارادة القدسية ، فكانوا مئات عديدة . ولم يمض أصيل ذلك اليوم حتى خرجت جثة الدوق غانديا في احدى الشباك . وكانت الجثة بكامل لباسها ، كما توقع الناس من رواية جيورجيو الملاح ، بل كان القفاز باليدين وكيس النقود في المنطقة و به ثلاثون من الدوقات

---

(١) هو جيوفاني بورجيا .

الذهبية ، وكذلك الخنجر وهو السلاح الوحيد الذى كان مع الدوق . وكذلك الجواهر التى كان يتحلى بها فانها وجدت بتمامها . وكل هذه الظروف قد أثبتت أن القتال لم يكن من يد لصوص ارادوا السرقة ؛ بل من أيد أرضت فى أنفس أصحابها شهوة الانتقام .

وكانت يدا الدوق لا تزالان موثوقتان ؛ وفي جسمه عشرة أو أربع عشر جرحا فضلا عن حز قاتل فى عنقه .

ونقلت الجثة فى قارب الى قصر «سانت أنجيلو» حيث خلعت عنها الملابس وغسلت بعناية ودرجت فى ملابس الرتبة الكنسية التى يستحقها الدوق . وفي الليل نقلت الجثة تحوطها المشاعل من قصر « سانت أنجيلو » الى كنيسة

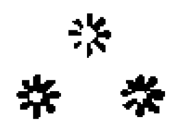


البابا الاسكندر السادس (رودريجو بورجيا)

« سانتا ماريادلبوبولو » لتدفن فيها ، من غير أن يقام لدفن احتفال يليق بمركز الدوق ومقام البابوية .

وكان حزن البابا عميقا . وروى « سانو تو » — Sanuto — عن شاهد عيان ، أن الجنازة عندما اجتازت جسر « سانت انجايو » سمع الذين كانوا واقفين هنالك صيحات الحزن والالم التى انبعثت من صدر البابا فحركت أشجانه وأثارت أحزانه . وحبس الاسكندر السادس نفسه فى الجناح الخاص به من قصر الفاتيكان ليخلص الى آلامه الشديدة وشجونه العميقة ، رافضا أن يرى أحداً من أصدقائه أو مريديه او من ذوى الحاجات . ولولا الحاح الكردينال « سيجوفيا » وقليل من أخصائه ، لما استطاع أحد أن يراه . وقد ظل البابا ، حتى بعد أن نجح « سيجوفيا » فى المثول بين يديه ، ثلاثة أيام لا يذوق طعاماً ولا يهنأ بسنة من نوم .

ورجع الى نفسه بعد قليل ، ثم ثاب اليه رشده ، بعد أن بذل الكردينال « سيجوفيا » كثيراً من جهده فى سبيل أن يجمع البابا شجاعته ، ويلم أطراف نفسه . وهنا أمر بان تفتش « روما » وأن يحاط بها للعثور على القتلة ، انتقاما لابنه : وظلت « روما » تحت رحمة الفاتيكان شهرين كاملين ، والعيون ساهرة لا تنام ، والقلوب واجفة لا تهدأ . ومع كل هذا فقد ضاع كل سعى سدى ، ولم يقف أحد للقتلة على أثر .



الى هنا انتهى دور الجريمة ، وبدأ دور الاتهام . على أن رواية الملاح « جيورجيو » هى كل ما عرف عن مقتل الدوق غانديا وهى كل ما جرى على الالسن من وقائع هذه الجريمة الفذة . أما ما بقى بعد ذلك من الروايات والاقاصيص ، وتعقب ذلك الرجل المقنع ، وعلاقته ببعض عظماء روما فى ذلك العصر ، فاخباريات وتأملات وفروض ليست من الحق الثابت فى شىء . على أن هذه الاخباريات ،

فضلا عن هذا ، لم يبغ ناشروها الوصول الى الحق ولم يتورعوا فيها عن الاختلاق والكذب ، فكانت الى ناحية الرذيلة أدنى ، وعن الحق ابعد وأقصى .

توجهت الانظار في أول الأمر إلى « جيوفاني سفورزا » . فقد ظن بانه انتقم لنفسه من البابا الاسكندر السادس تلقاء ما لقي من سوء معاملة على يديه و بسعيه . ولا شبهة في أن الدوافع التي كانت تدفع جيوفاني سفورزا للانتقام من البابا كانت كثيرة ولها فوق ذلك مبررات مستمدة من روح ذلك العصر ونظامه ، ولكن لم يقم بجانب هذه الفروض شيء من الشواهد التي تدل على أن له ضلعاً في ارتكاب هذه الجريمة .

ثم رجع الناس الى القول بان الكردينال اسكانيو سفورزا هو الذي أوصى بقتل بورجيا وظلت روما تردد هذه الاشاعة اشهراً طويلة . فقد قيل بانه تخاصم مراراً مع دوق غانديا وأن احد حاشية الكردينال اسكانيو قد أهانه وسبه علناً وأن غانديا لم يرجع عن الرجل حتى قبض عليه وشنق .

ولقد استند المؤرخ « سانوتو » على خطاب مؤرخ في ٢١ يوليه سنة ١٤٩٧ جاء فيه هذه الكلمات « من المحقق أن الكردنيال اسكانيو هو الذي قتل دوق غانديا . » هذا ليعزز التهمة ضده . على أن الكردينال اسكانيو سفورزا كان رجلا كثير الاعداء .

فعملوا جميعا على أن يعمقوا صدى اتهامه في مقتل غانديا داويا في جنبات روما وفي الفاتيكان على الاخص ، حتى لقد اضطر الى أن يترك المدينة ضناً بحياته ، ليلجأ الى « جروتافراتا » . ولما استدعي الى روما رفض العودة ما لم يمنح عهداً بالأمان . على أن الظاهر أن مخاوفه لم تكن على اساس ، لان البابا لم يعلق اية اهمية على التهمة التي وجهت ضده ، وانه كان مقتنعاً ببراءة ذمته من دم ابنه كما اخبره شخصياً بذلك فيما بعد .

ولقد اتجه الناس بعد ذلك الى اتهام غيره ، لان الجريمة مادامت قد

وقعت فلابد لها من فاعل . ومن الغريب أن تتجه الشبهة نحو «غفريدو بورجيا» اخاه الأصغر. على أن التهمة فى هذه المرة لم تكن ايضا بلا اساس . فقد كان ليغفريدو زوجة «نيابوليتانية» تدعى «دوناساشيا» ، فتانة الجمال كثيرة التهتك خليعة مشبوبة الشهوات وكان الدوق غانديامن اتخذتهم وسيلة لارضاءشهواتها السفلى. وليس من شك في أن هذه الواقعة صحيحة تاريخيا والأدلة عليها قائمة بينة . إذن فلابد من أن تكون الغيرة الآكلة فى صدر غفريدو هى التى دفعته على قتل اخيه . على أن بعض المؤرخين ينكرون توجيه التهمة الى غفريدو بورجيا . ولكن الظروف تدل على عكس ذلك . اذ أن التهمة لو لم توجه اليه لما اضطر البابا (أباه) الى ان يعلن براءته من دم الدوق .

على هذه الصورة انتهى البحث فى مقتل غانديا ، عند ما اعلن البابا فى شهر اغسطس ان يقف كل بحث فى قضية الدوق ، وأن ينصرف كل الى عمله وأن لايوجه انسان اقل اهتمام بموضوع القتل . على أن « براكشى »، السفير الفلورنتينى فى قصر الفاتيكان ، قد حاول ان يعلل السبب في أن يعلن البابا رغبته فى ترك البحث عن قتلة غانديا . فقد كتب يقول ان قداسته كان يعرف من هم الذين قتلوا الدوق ، وانه اراد التضليل بهم بان يعلن رغبته هذه ، لعلهم يشعرون بانهم في امان ، فيكون من الممكن ان ينموا على جريمتهم بالفعل أنه لم يكن بالكلام .

على أن « براكشى » قد رجع فى خطابات اخرى الى القول بانه انما يقول هذا القول استنتاجاً ، لاعن يقين ومعرفة صحيحة . ولقد كان يقول فى بعض الأحيان أن رغبة البابا في أن يقف البحث عن القتلة كانت تعلل حيناً بما كتب ؛ كما كان ينكر هذه المسألة كثير من المطلعين على خفايا الفاتيكان فى ذلك العصر، عصر الاسرار . على أن حقيقة ماخفى من الدوافع وراء هذه الرغبة التى ابداها البابا ، لم تعرف ولن تعرف .

على أن الامر لم يقف عند ماأبدى البابا من رغبة، فإن « بارتولوميو دلفيانو » وأسرة « أورسيني » كلاهما قد ناله شيء من الشك والاتهام . ففي شهر أغسطس كتب سفير « فرارا» -Ferrara- في الفاتيكان يقول بان « بارتولوميو دلفيانو » له يد في مقتل الدوق ، وفي شهر ديسمبر كتب « سانوتو » من روما خطابا يقول فيه بأن أسرة « أورسيني » مسؤولة عن دم « جيوفاني بورجيا » .

وليس لهذه الاتهامات التي كانت تلقى ذات اليمين وذات الشمال من قيمة تاريخية . غير انها كافية للدلالة على أن الرأي العام كان في ثورة واضطراب جعله يوجه التهم لكل انسان يمكن أن يحوم من حوله شك في ارتكاب الجريمة. هذا من ناحية . أما الناحية الاخرى التي اريد استخدام هذه الطريقة في سبيلها وتسخيرها لها ، طريقة كيل التهم جزافا ، فكانت محاولة نفي التهمة عن « سيزار بورجيا » وكان اتهام « سيزار » في رؤوس الناس أثبت من اتهام غيره تلقاء هذه الجريمة .

لم يذكر اسم « سيزار بورجيا » متهما بقتل أخيه الا في شهر فبراير سنة ١٤٩٨ وكان أول من سمع بهذا الامر سفير « فرارا» في مدينة البندقية في ١٢ فبراير من تلك السنة .

نجد تفاصيل هذا الاتهام فيما كتب المؤرخ « غريغوروفيوس » صاحب الكتاب التاريخي المعروف ، « تاريخ روما في العصور الوسطى » . فقد ذكر أن البابا « رودريجو بورجيا » لديه أدلة يقينية على ان سيزار هو قاتل اخاه ، دوق غانديا،لأنه كان لديه شعورا ، بل اقتناع الهامي ، يوحي اليه بهذا .

يقول « غريغوروفيوس» : « ان الناس في ذلك العصر كانوا يعتقدون بان سيزار بورجياهو قاتل اخيه». على أن المؤرخ « رنايل سباتيني» وهوآخر من كتب في هذا الموضوع ينفي بحرارة كل التهم التي يوجهها المؤرخ غريغوروفيوس الى سيزار بورجيا ، وبكثيرمن الحق وقوة النقد، نكاد نعتقد مع سباتيني بان كل ماقرأنا

ونحن لا نزال فى طور الطفولة عن مقتل دوق غانديا بيد أخيه سيزار بورجيا اختلاق محض فقد قرأت مرة بأن سيزار طعن اخاه بخنجر والقى به من نافذة على نهر « التيبر » لانه



سيزار بورجيا

عثر به يغازل شقيقته « لوكريزيا بورجيا » وكان سيزار على علاقات غير شريفة بها . على أن امثال هذه الروايات المختلفة تترك فى الذهن اثرها الباقى ، ومن الصعب ، على ما أرى ، أن تستقوى البراهين التاريخية على الروايات التى تنمق فى القصص التى توضع على قواعد تاريخية ، فيشوه فيها التاريخ ، و يؤخذ تلك الوقائع على انها حقائق ، وما أريد بها إلا استفزاز النفوس و إغرائها بصوغ الحوادث فى صورة ما.

أما اذا تركنا الروايات التي نقرؤها في القصص التاريخية جانباً، ورجعنا الى التاريخ الصحيح ، رأينا « غريغوروفيوس » وهو اكثر المؤرخين اقتناعا بان سيزار غير بريء من دم أخيه دوق غانديا ، يعزو ارتكاب سيزار للجريمة الى عاملين. العامل الاول حقد سيزار على أخيه جيوفاني لان بقاءه كان يمنع على سيزار أن يكون اميراً زمانياً، وأن ذهاب اخيه يفتح له هذا الباب الذي لا يسد مطامعه غيره . اما العامل الثاني فكان اشتراك سيزار وجيوفاني في حب اختهما « لوكريزيا » حباً غير بريء، وان هذا الحب كان سبباً في قيام المشاحنات بينهما . وفي هذا يقول المؤرخ المعروف مسيو « ليبنوا » : « من أجل أن يرمى سيزار بورجيا بتهمة لم يقم دليل واحد على اشتراكه فيها ولا يمكن أن يبرهن على صحتها ، كان من الضروري أن يرمى بتهمة اخرى أشد من الاولى شناعة واكثر اسفافاً ، في حين أن إثباتها عليه اكثر صعوبة واحوج الى البرهان والدليل من الاولى »

ولقد أثبت المؤرخ الكبير رفائيل سباتيني بكثير من الوقائع التاريخية الصحيحة أن التهمة بعيدة عن أن يؤخذ بها سيزار بورجيا ونقض كل الأدلة التي أقامها المؤرخ « غريغوروفيوس » وهو الذي استجمع كل أدلة الذين سبقوه من المؤرخين ورمى بها سيزار جملة واحدة

هذه هي رواية مقتل دوق غانديا . على أن ما يصح من مجمل ما قرأنا في الموضوع ينحصر في أن القتل كان انتقاما لا بقصد آخر . هذا ما صح لدى كل المؤرخين . أما الظروف التي حوطت هذه القضية ، فلا يعرف التاريخ من أمرها الا ظنونا وتأملات لا تغني من الحق شيئاً

يا ربتى !!

ما النجم يبعث ضوءه يطوى الظلام
ما البدر يبسم بعد تبديد الغمام
ما الشمس تغرى العالمين بالابتسام
فى أوجها العالى وقد قشع القتام
* * *
مثل ابتسامك في فؤاد الصب .. !

والزهر عند تساقط الطل الندى
كالعود يزهو بين أيدى المنشد
والطير فى صدحاتها بترد
ليست بأجلى منك لما تنشدى
* * *
فيردد الانغام عن مغناك قلبى

الحسن معبد ربتى قدسته
والنور من عينيك ثم قبسته
ياليت شعرى لو ملكت دخلته !
متخفياً فى ركنه ... ياليته !!
* * *
هل أستطيع أراك ، أو تأبين قربى ؟

أنا مذ عرفتك قد تخذتك ... ربتى
سبحت باسمك فى الصباح وفى دجى أمسيتى
ورأيت عالمك الجميل يفيض طهراً كلتى
أنستنى الدنيا ... فما أمنيتى

الا قبولك ، اننى أخلصت حبى

حسن كامل الصيرفى

سر الحياة فى النبات

تلخيص خطاب سيربوز العالم النباتى الهندى

استهل سيربوز كلامه بذكر الحضارتين القديمتين اللتين قامتا على ضفاف النيل والكنج واشار الى ارتباط الهند بمصر بروابط الود وصلات الثقافة العقلية منذ اثنين وعشرين قرناً لما أرسل الملك ازوكا ملك الهندوسيين العظيم رسله الى مصر وكانهم أن ينقلوا اليها المعرفة كعربون ود وتقدمة وفاء وان يقيموا بين المصريين كأنهم منهم وكاخوة وأخوات فلما جاءتنى دعوتكم لانقل اليكم ما جمعته على ضفاف الكنج من المعرفة انارت في هذه الدعوى قبساً من ذكري الماضى وان ما لقيته من الترحيب الشرقى الحميم على يد وزراء الدولة والشعب المصرى جعلنى أشعر اننى واحد منكم

والعلم ليس وقفاً على الشرق ولا هو محصور فى الغرب بل هو مشاع بين الامم فى مجموعه ومع ذلك فان الشرق مؤهل خصوصاً بما فطر عليه من المزاج العقلى والمواهب التى توارثها من جيل الى جيل أن يخدم العلم خدمات عظيمة وان يكون له نصيب كبير فى توسيع المعارف . والخيال الشرقى المتأجج بالذكاء والذى يستطيع أيضاً أن يضبط نفسه بعادة حصر الفكر فى موضوع واحد وهذا الضابط هو الذى يحبو الانسان القوة على معالجة الشىء الذى يسعي لمعرفة حقيقته بصبر لاينفد والعالم كله يعتمد بعضه على بعض وقد أغنى تراث العالم المشترك في جميع العصور تيار دائم من التفكير وادراك هذا التعاون المتبادل هو الذى حفظ كيان البشرية العظيم مرتبطاً بعضه ببعض وضمن استمرار تقدم الحضارة وبقاءها

وانتقل المحاضر من هذه المقدمة الى الخوض في موضوع محاضرته وهو « سرحياة النبات » فبحث أولا فى مقابلة النبات بالاحياء الحيوانية فقال :ـ

ان النظرية المقررة عموما هو ان جهاز الحياة مختلف جداً فى الحيوان عنه في النبات فالحيوان يجيب عن الصدمة بحركة انتفاض سريعة أما النباتات

العادية فلا تشعر اذا ضربت ضرباً متوالياً وان للحيوان نسيجاً نابضاً لتوزيع الدم المغذى في أجزاء الجسم وانه ليس للنبات مثل هذا النسيج وأن أعضاء الحس في الحيوان تتأثر بمؤثرات الحوادث الخارجية فتنتقل هزة التأثير على الاعصاب فتحدث رد الفعل غير الاختيارى عن بعد في حين انه ليس للنبات مثل هذا النسيج لنقل المؤثرات بل كان الاعتقاد ان هناك تيارين من الحياة يسيران جنباً الى جنب من غير أن يكونا مرتبطين بصلة ما. غير ان هذه النظرية قائمة على خطأ تام وقد وقف تأثير النظريات غير الصحيحة حائلا في سبيل المعرفة

ان العثرة الحقيقية التي تعترض سبيل البحث في حياة النبات هي ان عمل الحياة فيها يجري في باطن النبات فلا تستطيع ان تنفذ عيوننا الى داخله. فلذلك كان من الضروري أن تخترع آلات ذات دقة متناهية وحس يستطيع ان ينفذ الى أصغر وحدات الحياة وان يسجل نبضها . وكان اختراع «الميكرسكوب» الذى يكبر الاشياء ألفي مرة فاتحة عهد جديد في تقدم المباحث البيولوجية ولكن جهازى « الكرسكوجراف » المغنطيسى الذي يكبر المرئيات خمسين مليون مرة يكشف اليوم عجائب حياة باطنية جديدة . ويقوم بصنع هذه الاجهزة مهندسون من الهنود دربوا في معهدى. ويتوقف التقدم الاقتصادى في بلد ما على تقدمه في الاكتشاف والاختراع وعقل الشرق من هذه الناحية قادر على التدليل على قوته العظيمة . وقد اعتبرت النتائج الجديدة التى عثر عليها في معهدى عن التأثير المشترك الذى تحدثه العقاقير المختلفة في النبات والحيوان ذات شأن لها أهمية عظيمة جداً في تقدم علم الطب . ويعرض جهازى الذى يكبر النمو في الحال تكبيراً هائلا سير النمو وقد تيسر بواسطته أن يقرر قانون النمو ومعرفته جوهرية لتقدم الزراعة العملية التى يتوقف عليها قوت العالم

وبرهن المحاضر على ان للنبات حساً بواسطة اختراعه العظيم بان أرسل تياراً كهربائياً ضعيفاً جداً في النبات وفي أحد الحاضرين وقف في نفس الدائرة فلم يشعر الانسان بشيء ما ولكن لوحظ ان النبات يهتز من اثر

الصدمة . فالنباتات العادية ليست ذات حس فقط بل في وسعها أيضاً أن تسجل من التأثيرات مالا يستطيعه الانسان فالنبات أشد حساً والحالة هذه من الانسان

وثبت النبات فى الكرسى الكهربائى على أسفنج مبلل ليسهل سريان التيار اليه فمد النبات بعد فترة كما دل على ذلك سكون الخط الضوئى المنبعث من الجهاز المكبر على اللوحة فلما أرسل تيار قوى في الجهاز تلا ذلك ارتجاف فى النبات دل عليه انحراف الخط الضوئى الى اليسار بعنف غير ان النبات لم يكن قد مات بعد بل عاد يرتجف من تأثير القوة الكهربائية القاتلة فيه وبعد ذلك اهتز الخط الضوئى وانحرف الى اليمين الى موت لاعود منه وكرر هذه التجربة فلم يبد النبات حراكا لانه سكن سكون الموت

وجريان الدم فى الحيوان يحدثه عمل ضاغط يقوم به نسيج نابض يتخذ فى الحيوانات الدنيا شكل قناة طويلة ويحدث الدفع الى وجهة معينة عمل دورى . كذلك اكتشف فى النبات عمل دورى يجرى بواسطته عصير النبات . وادهش المحاضر الحاضرين بالتأثير الذى تحدثه العقاقير فى نبض النبات والحيوان على السواء

واشتدت دهشة الحاضرين واعجابهم لما عرض المحاضر عليهم تأثير السم والترياق فى نبض النبات فان سريان السم جعل النبض يضعف شيئاً فشيئاً وكانت الحياة عندئذ تهتز وتترنح ولم يبق لها سوى انحراف بسيط حتى تموت ثم جرب بعد ذلك تأثير جرعة معتدلة من خلاصة نبات هندى قام من جرائها صراع بين الحياة والموت وأخيراً ظفر الترياق واستطاع النبات ان ينزع نفسه من قبضة الموت . وبهذه الطريقة اكتشف عدد عظيم من النباتات الهندية لم تكن تعرف خواصها الطبية ولبعض هذه النباتات في عالم الطب فعل أنجع مما عرف حتى اليوم بل انه رد باستعمال احداها قلب ضفدعة الى الحياة بعد ماكان قد سكن . وسيؤدى البحث الى مكتشفات جديدة فى علم الصيدلة تفيد فى غوث الانسانية

ونستطيع ان نرقب تدرج الحياة في النبات والحيوان ولكنه تدرج طويل المدى والنبات أقرب الينا جداً مما نتصور وقد وجدنا انه ليس كتلة من النمو النباتي ولكن أنسجته تفيض بالحس فهو يجيب عن الهزة الخارجية بالارتجاج وكل رجة تقع في مكان منه تسري اليه كله وقد استطعنا ان نسجل سير حياته النابضة وان نثبت ان نبضه ينخفض ويرتفع اتباعاً لقوة الحياة التي تسري فيه وان النبض ينقطع بموت الوظائف الرئيسية وفي ذلك وكثير غيره تتشابه أسباب التفاعل في النبات والانسان معاً وهكذا يغدو في وسعنا بالتجارب النباتية ان نخفف من ويلات البشرية (١)

---

(١) عن جريدة المقطم

حرية الفكر

وقساوسة الاسلام

حرية الفكر عندى　　فى معبد التقديس
وانما الفكر نورا الا　　آله عند الرءوس
فيجتلى كل غيب　　بضوئه المعكوس
وتستشف خبايا الا　　اكوان والناموس
لا تحجبوه بوهم　　من عالم التدليس
وبالتقاليد تترى　　وطائشات الطقوس
الى الأمام حثيثا　　لا تعبأوا بالرموس
مامات فات ولكن　　مايأت رهن النفوس

العقل شمس حيانا　　بها آله الشموس
وان مما يسمى الا　　جحود فى القاموس
ستر الصنيع وشوب الا　　انعام بالتغليس
اتكفرون بربى ؟ !　　فما جزاء المجوس ؟ !
ولم حكمتم على ذا　　بالكفر والتنجيس ؟ !
كفرتم وتشطتم　　للغي والتلبيس
لبستم لبنى الا　　سلام ثوب القسوس
ورحتم تدخلون الا　　عقول شتى الحبوس
وتلصقون بدين الا　　اسلام شتى الرجوس
دعوه والعقل يزهو　　وادعوا الى ابليس ..

« الحاجرى »

فرساوس

من أساطير روما واليونان

١ — بحث فرساوس عن رأى مديوسا

منذ ان ولد «فرساوس» تطلع اليه الآلهة والآلهات وحوطوه بالعناية. ولما سألهم «ميركرى» أن يساعدوا الصبى وأن يمدوا اليه يد العون، لبوا طلبته بارتياح



فرساوس

فاعاره « بلوتو » خوذته العجيبة التى تخفى عن الانظار كل من يضعها على رأسه . وأعطته « مينرفا » درعها الذى يرسل ضياء كضياء الذهب ، فضلا عن لمعانه الذى كان يعكس عليه الاشباح كما تنعكس على المرآة الصافيـة . ومنحه « ميركرى » سيفه المحدود ، وحذاءه ذا الاجنحة الذى استطاع به « فرساوس » أن يطير في السماء ويحلق فى الجو ، ، وأن يسابق به أشد الطيور سرعة فى قطع المسافات البعيدة .

وبعد أن تمت عدة « فرساوس » حصر كل همه فى أن يعثر على الجزيرة التى تسكنها « مديوسا ». ولم يكن فى العالم كله من يعرف هذه الجزيرة سوى أخوات ثلاث كن يعشن معا فى جوف كهف بعيد

أما الاخوات الثلاث فكن خلقاً عجيباً ، واعجب شىء فيهن انه لم يكن لهن عينان كالبقية الذوات البشرية ، بل كان لهن عيناً واحـدة لا غير . وكن يتبادلن استعمال هذه العين . فاذا كانت العين مع احداهن عجز الاثنتان الاخريان عن أن يريا شيئاً وأخذتا تتخبطان فى ظلام دامس . وعند ما كانت تنقل العين من احداهن الى الاخرى ، كان يظلن ثلاثتهن برهة وجيزة لا يرين شيئاً.

غير أن هذه العين كان فيها من قوة الابصار ما في ستة أعين من عيوننا مجتمعات . فكانت الواحدة منهن اذا لبستها استطاعت أن ترى ما يقع من الحوادث فى أقصى بقاع الارض ، ومن هنا كانت معرفتهن بمكان الجزيرة التى تقطن فيها « مديوسا » .

وأخذ «ميركري » بيد « فرساوس » ودله على مكان الـكهف الذى تعيش فيه الاخوات الثلاث . وبعد ان ودعه وزوده ببضع نصائح ثمينة تركه، ولـكنه اختفى في دغل قريب يلاحظ ما يحدث عن كثب، ولبث في انتظار.

وبعد قليل ظهرت احدى الاخوات ، والعين فى مقدم جبهتها ، ووقفت على باب الـكهف . واذ كانت تأخذ بيدى اختيها ، أخبرتهم عن كل ما كانت ترى أمامها ، وأخذت تقص عليهم عجائب ما يقع فى بلاد الارض النائية

ولقد أصغيتا اليها باهتمام هنيهة ، غير ان الضجر تملك احداهما فسألت قائلة — « يأختاه : لقد جاء دورى فى أن أستعمل العين الآن . فاعطنيها » .

فقالت الثالثة : « كلا . هذا ليس بحق. إنهذا دورى أنا » . أما وسطاهن والتى كانت تحمل العين فقالت فى فزع — « امت اليكما يأختى أن تسمحالى بان أحمل العين برهة أخرى . فانى اتخيل انى أرى شبحاً مختفياً وراء هذا الدغل القريب » .

فلما سمع « فرساوس » هذا الكلام اضطرب وتململ فى جذائه المجنح



فرساوس وغرايى (الأخوات الثلاث)

غير ان خوفه كان بلا باعث ، لان الاخوات أحذن يتخاصمن على العين ، وتوانين حتى اضطرت التى كانت تلبس العين الى ان تخلعها عن جبهتها .

وفي هذه اللحظة كان الاخوات الثلاث غير مبصرات ، فانتهز «فرساوس» هذه الفرصة ، فاتقدم عليهن والتقط العين . ووقع هرج شديد اذ اتهمت كل واحدة أختها بأن هي التى خبأت العين من أختيها . غير ان « فرساوس » لم يتكلم ولم يفه ببنت شفه . حتى اذا هدأ روعهن وكادت الخصومة أن تنتهي ، كلمهن « فرساوس » قائلا : « اخواتى الطيبات : لا تخفن ولا تنزعجن . ان العين فى أمان . وانها الآن فى يدى » .

ولم يكدن يسمعن هذه الكلمات حتى تملكهن الغضب والاسى فهجمن ثلاثتهن في الاتجاه الذي صدر منه الصوت . غير أن « فرساوس » كان أسرع منهن حركة وأخف انتقالا ، اذ حلق فى الجو بحذائه المجنح ، ولما صار على بعد كاف منهن ناداهن قائلا « انى لن ارد اليكن عينكن ياصديقاتى حتى تخبرننى بدقة كيف استطيع أن أعثر على الجزيرة التى تعيش فيها مدبوسا »

وكان المكان سراً بين الاخوات الثلاث لايبحن به ولو كان ذلك في مستطاعهن . غير أن فقدانهن العين التي يرين بها كان أمراً عظيما لايصبرن عليه ، بل كان شيئاً مزعجاً لاقبل لهن به . وبعد ترددات وجيزة ، اضطررن أن يخبرن فرساوس عن كل ماسأل . وظللن ينتظرن فى دلع ، ولم يهدأ لهن روع حتى وضع « فرساوس » العين في جبهة اقربهن اليه

ورجع مسرعا الى حيث اختبأ « ميركرى » وشكره على ماأسدي اليه من مساعدة . وبعد أن ودعه طار فى الجو قاصداً طلبته .

وطار « فرساوس » فى الجو فقطع ودياناً وبحاراً ، واجتاز قارات وجزائر كانت تعيش فيها « الجرجونات » (١) المزعجات . ولم يستطع

---

(١) الجرجونات : فى الميثولوجيا القديمة ثلاث نساء هن « شتينو ، وايوريال ، ومدبوسا كن يعشن فى جزائر وراء البحار الغربية وكن يقلبن كل من رآهن الى تماثيل من حجر . وكانت مدبوسا من بينهن قابلة للفناء ، فقتلها فرساوس .

« فرساوس » أن يتطلع الى أسفل وهو محلق فوق تلك البقاع . غير أن درع « منيرفا » المضيء كان بمثابة مرآة استطاع بها أن يرى الممسوخ الثلاثة (شتينو وابوريال ومديوسا) على الشاطىء مستغرقات فى نوم عميق .

فاستل « فرساوس » سيفه المحدود . وبعد أن عين مكان مديوسا بالضبط بان جعلها هدفاً منظوراً على درعه اللامع . هوى الى الحضيض بسرعة فائقة . ومن غير أن يخطىء قصده فصل رأس مديوسا وهى نائمة عن جسمها، ثم حلق فى الجو ثانية حاملاً الرأس وراءه

ولقد أزعج ازيز الثعابين الملتفة حول رأس مديوسا اختيها ، فاستيقظتا من نومهما وهمتابان يتبعا « فرساوس » لينتقما منه . غيرأن خوذة « بلوتو » قد حجبته عن نظرهما ، واستطاع فرساوس أنه يفر برأس « مديوسا » الثعبانى قافلا الى حيث كان .

وظل ينهب الفضاء ماراً على أرضين كثيرة وبحاراً عميقة . وصادف من المخاطر مانجا منها باعاجيب عديدة . فلما قارب الجزيرة التى كانت تعيش فيها أمه ، هبط تواً الى كوخها الذي كانت تعيش فيه فرمى بالدرع والخوذة ، والقى بالسيف جانباً ، وخلع حذاء « ميركرى » المجنح . وبعد أن لف رأس « مديوسا » فى خرقة . ذهب ليلاقى أمه ويحييها .

ولم تكد تراه حتى أخذها الفرح وداخلها السرور بمرآي ولدها ، لانها كانت قد يئست من أن تراه مرة اخرى ، على ظن أنه مات . وفى ذلك دلالة على أن المسافة التى قطعها فرساوس ليصل الى الجزيرة التي كانت تعيش فيها « مديوسا » واختيها كانت كبيرة شاقة ، ولم يكن ليعرفها الا الاخوات الثلاث ذوات العين الواحدة .

وقص «فرساوس» على أمه كل قصته وما حدث له من المخاطر والمغامرات المفزعة ، وكيف أنه قابل « أندروميدا » الجميلة — المرأة المسلسلة (١). وقصت عليه أمه كيف قسى الملك في معاملتها — وكانت تدعى « دانا» وكيف هزأ بها وسخر منها عندما كان فرساوس غائباً عنها . فصمم «فرساوس»

(١) الاسم الذى أطلقه العرب على كوكبة من كواكب السماء.

علي أن ينتقم لامه منه .

وذهب « فرساوس » صبيحة اليوم الثانى الى القصر . ولما عرف الملك أن « فرساوس» لا يزال حياً أخذه الرعب والوجل وداخله الاسى ، لانه كان يظن أنه مات .

« هأنت يا فرساوس قد عدت من غير أن تفعل ما وعدتنا به . إن شجاعتك ليست بقدر مافهمنا ولا بقدر ما فهمت في نفسك » . فأجابه فرساوس :

« كلا يا صاحب الجلالة : لقد قتلت « مديوسا » واحضرت اليك رأسها معى . »

« هذا ما يجب عليك أن تبرهن عليه بان ترينا الرأس رأى العين . » — ذلك لان الملك لم يكن يعتقد بصحة ما قال فرساوس .

« ما دمت يا صاحب الجلالة مصمماً على هذا ، فاليك الرأس » — وأخرجها من الحقيبة التى كان يحملها تحت ابطه ، ورفعها اليه . فنظر اليها الملك هنيهة ، وكانت لا تزال ابتسامة السخرية منطبعة على سيماه ، ثم جلس من غير أن يبدى حراكا — ثم انقلب الى تمثال من الصخر الجامد .

ولما سمع الناس بما حدث خرجوا فى فرح ومرح ، لانهم كانوا يخافون الملك و يخشون بطشه وظلمه . وانتخب « فرساوس » حاكما آخر أمره عليهم فعاشوا فى سلام وسعادة .

وعرف « فرساوس » انه انما نجح فى مهمته بمساعدة « ميركرى » وغيره من الآلهة بما أعطوا له من وسائل ومعدات ، فلم ينس أبداً ذلك الدين الذى هو مدين به لهم . فاعطى رأس «مديوسا» لمنيرفا ، ففرحت بالهبة ، ووضعتها فى وسط درعها اللامع . ومنذ ذلك الحين ، تظهر رأس مديوسا فى درع مينرفا اللامع كلما اشتبكت فى حرب ، فتقلب كل من رآها الى صخر جامد ، اذا ما رأى الخلائق جمالها المفزع المخيف .

* * *

٢ — كيف تزوج فرساوس

عرفنا أن «فرساوس» قد قص على أمه لدى عودته من جزيرة «مديوسا» وأختيها أنه رأى «أندروميدا» الجميلة . رآها بعد أن قتل المسخة المفزعة، بينما كان عائداً الى بلاده .

في جزيرة من الجزر القريبة من شواطيء بلاد اليونان ، كانت تعيش امرأة جميلة تدعى « كاسيوبيا »(١) . وبعد ان مضى وقت طويل على وقوع هذه القصة التى نقصها عليك وضعت هذه المرأة بين النجوم المتألقة السماء، ويمكنك أن تراها حتى اليوم مستوية على « كرسيها »الأبدى ، مضيئة براقة بين نجوم السماء .

أما فى خلال الزمان الذى وقعت فيه هذه القصة ، فكانت لاتزال تعيش على الارض كما ذكرنا ، وكانت فتانة الجمال . وكانت فوق ذلك مغرورة بجمالها فوقفت ذات يوم تباهى بمحاسنها وتقول بأنها أجمل من أية من «حوريات» ــ Nymphs ــ البحار . فى حين أن « حوريات » البحار كن جميلات جهد ما يحمل الجمال من معنى، فغضبن من « كاسيوبيا» وحنقن عليها ، كيف تقارن جمالها بجمالهن ، وكيف تختال عليهن بمحاسنها .

والظاهر أن الناس فى تلك الازمان كانوا يتبعون فى اظهار غضبهم طرائق قاسية عتية . فأرسل « الحوريات » ثعباناً بحرياً عظيما الى الجزيرة التى كانت تعيش فيها « كاسيوبيا » فخرب ودمر وزرع الخوف والفزع فى قلوب أهل الجزيرة. حتى لقد اضطر الناس أن يذهبوا الى هيكلهم ليستوحوا آلهتهم.

وكان استيحاء الآلهة فى تلك الأزمان أمراً مألوفاً . فكنت ترى فى المدن العظيمة هياكل شيدت للآلهة والآلهات . وكان يعيش فى هذه الهياكل كهنة ، كان يظن الناس أنهم الوسيلة ــ Orcle ــ بين الناس والآلهة أى أنه بوساطتهم يمكن للناس أن يخاطبوا الآلهة . فاذا ارتج الأمر على أحد من الناس أو حار فيما يتبع من سبيل ازاء أمر واقع أو أراد أن يعرف شيئاً سوف يقع في المستقبل ، ذهب الى الهيكل ، وقدم « ضحية » أو « تقدمة »

(١) كاسيوبيا هى ذات الكرسى عند العرب

للآلهة ، وفى نظير ذلك يرسل الآلهة بكلمات التحذير أو النصح .

فلما ذهب أهل جزيرة « كاسيوبيا » الى هيكلهم ليستوحوا آلهتهم ، وليسألوا لماذا غشى جزيرتهم ذلك الثعبان المزعج كان الجواب : « إنه غرور كاسيوبيا وانها إذا اعطت ابنتها « أندروميدا » الى الثعبان ، اكتفى بهذه التضحية « حوريات » البحار ، وكف الثعبان عن أذاهم » .

وكان حزن الناس عميقاً ممضاً عند ما سمعوا كلام الوحى . فان وداعة « أندروميدا » وطيبة قلبها ، حببت الناس فيها . حتى لقد قال كثيرون بانها أكثر من أمها جمالا وأشد فتنة ،وانه من الظلم أن يكون غرور كاسيوبيا سبباً فى أن تموت أندروميدا.

وماذا تقول فى كاسيوبيا ؟ انها لم تصدق كلام الوحى . بل فزعت الى الهيكل وركعت على ركبتيها متوسلة بأن تقدم ضحية كبيرة إذا استرد الوحى تلك الرسالة المزعجة . رسالة أن « اندروميدا » لابد من أن تلقى بين أنياب الثعبان المزعج المخيف .

غير أن الوحى قد كرر ماقال من قبل وقال لها : « إنك إذا أردت أن تنقذي مدينتك وأهلها من الخراب العاجل ، وجب عليك أن تضحى بابنتك » .

فرجعت كاسيوبيا الى قصرها حزينة كئيبة ، وسجنت نفسها فى حجرتها لتسترسل الى أشجانها . لانها لم تعد تستطيع أن تنظر الى وجه ابنتها . وكم نقمت على غرورها الذي أودي بها الى هذا المصير المزعج والذى سبب لها هذا الالم الصارخ ، حتى لقد كرهت أن ترى وجهها الجميل الذى كان سبباً في أن تعتز بنفسها ، والذى كان من قبل سبباً في فرحها وحبورها .

وبعد قليل قاد أهل الجزيرة أندروميدا الجميلة الى شاطىء البحر ، وأوثقوها الى صخرة معلقة في الفضاء . ووقفوا من حولها محزونين مكروبين ينتظرون قدوم الثعبان العظيم الذى كان سوف يأتيهم أجمل شابات الجزيرة وأكثرهن وداعة وأشدهن للخير حباً .

وأظهرت « أندروميدا » كثيراً من الشجاعة والصبر ، لتخفف عن أمها ويلات ماتجد من الحزن والاشفاق عليها . غير أنها كانت فى الحقيقة فازعة أشد الفزع ، بل كانت تنتفض خوفاً ، كلما تخيلت مرأى الثعبان فاغراً فاه ليلتهمها بين أفكاكه المريعة .

وكان الجميع ينتظرون فى فزع ورعب، عند مارأوا شبحاً أسوداً يتقلب فوق الامواج عن بعد قصى ، وعرفوا أنه ذلك المخلوق الهائل آتياً ليأخذ من بينهم «أندروميدا » الحسناء . وأخذ الثعبان يقترب شيئاً فشيئاً ، وهو يضرب مياه البحر بذنبه القوى ، مرسلا أزيزاً قوياً تهلع له القلوب وتنخلع له الافئدة . وأخذ الثعبان يتقدم نحو الصخرة التى علقت أندروميدا فوقها فانتفضت الفتاة بقوة وأرسلت صرخات مزعجة أليمة ،وغطى الناس وجوههم بأيديهم ليخفوا عن أنظارهم هول الموقف ، لأنهم لم يقووا على أن يروا اندروميدا الجميلة يبتلعها ثعبان مخيف .

في تلك الآونة ظهرت فى السماء بقعة سوداء كأنها غيامة كثيفة ، وظهر حسام لامع ممشوق شق بضيائه أشعة الشمس القوية ، وهوى على الحيوان الهائل فغاب فى ظهره حتى النصاب .

وكان « فرساوس » طائراً فوق هذه البقعة ، فرأي بنظرة واحدة تلك الفتاة الجميلة معلقة فوق الصخرة ، والثعبان يتقدم نحوها ، وقد رفع نصف جسمه ليبتلعها . وبسرعة فائقة انقض « فرساوس » على المسخ الهائل واشتبك معه فى معركة حامية الوطيس .

وأخذ النـاس يتطلعون الى المعركة بقلوب والهة . حتى اذا ماتمكن « فرساوس » من طعنة نجلاء سددها الى قلب الثعبان ، انقلب على ظهره فى الماء ميتا تتلاعب به أمواج اليم المتلاطمة ، ثم تجاوبت التلال القريبة برنات كررت بها أصداء المعركة العظمى .

وحل « فرساوس » وثاق « اندروميدا » ورمى عنها سلالها وأغلالها ، وأعادها الى أهلها . ولقد ذرف الناس دموع الفرح وأرسلوا صيحات المرح

والانشراح وعبروا لفرساوس عن شكرانهم على ما اسدى اليهم من يد لا ينسونها أبد الدهر .

وأضافت «كاسيوبيا» البطل الكبير فى قصرها ، وبعد أيام طلب منها يد اندروميدا لتكون له زوجة ، بعد أن فتن بجمالها وآدابها وصفاء نفسها . أما اندروميدا فكانت قد أحبت فرساوس منذ أن رأته لاول وهلة عند مارأته يهوى بسيفه الباتر علي رأس المسخ العظيم، فقبلت زواجها بفرساوس وملء قلبها سرور لايوصف .

وبدأ أهل اندروميدا يعدون معدات العرس وقد اشترك فيه كل أهل المدينة ليحيوا فاتنتهم وبطلها المنقذ . وكان فى المدينة رجل عجوز كانت تخشاه كاسيوبيا وزوجها كل خشية ، ويخافون منه كل خوف وكان قد سألهم من قبل أن يعطوه ابنتهم زوجة فلم يرفضوا جهارا ، ولم يردوه علناً حذر بطشه بهم

وكانت « اندروميدا » تمقت هذا الرجل العجوز ، وكان بغضها له سبباً فى ان تحب « فرساوس » الذي أنقذها من ثعبان البحر الهائل ومن الرجل الذى تبغضه بغضاً شديداً .

واتى يوم العرس وسطعت أنوارد البهية التى زادتها شمس النهار بهاء ، وعقد قران فرساوس باندروميدا باحتفال شائق . وازدحم الناس حول الموائد يأكلون ويشربون مالذ وطاب من فاخر المأكل ومعتق الشراب .

وكان الناس فى أتم صفاء ، اذ فتحت الابواب على مصاريعها فجاءة ، ورأى الناس خائفين فزعين ، رجلا قبيح المنظر قصير القامة ، وبيده سيف مسلول ، ومن ورائه ثلة من الجند مدججين بالسلاح .

وخيم السكون الرهيب ، حتى تكلم الرجل قائلا : « فرساوس . لقد أتيت لآخذ عروسى اندروميدا التى وعدت بها . اعطنيها في سلام ، والا قتلتكم وجندى هؤلاء جميعاً »

ولقد تملك اندروميدا الخوف واخذت باثواب فرساوس متشبثة به .

وهنا وضع فرساوس يده على حقيبة كان يحملها تحت إبطه وقال ـ «ان من تدعوها زوجتك هي لي وحدي وليس في الدنيا من قوة تستطيع أن تأخذها من بين يدي» . فأجابه الرجل العجوز قائلا ـ «سنرى» وتقدم يريد فرساوس .

غير انه لم يكد يتقدم الى وسط الحجرة حتى وقف فجاءة من غير أن يبدي حراكاً ، وسيفه مسلول في يده كما لو كان يتحفز للضراب . ذلك لان فرساوس كان قد رفع رأس «الجرجونة» ـ مديوسا ـ فانقلب الشيخ الى تمثال في صخر حيث كان .

ولما رأى اتباعه ماحدث لقائدهم رجعوا مذعورين ونكصوا فراراً من القصر . واخذت الوليمة بعد ذلك زخرفها كأن لم يكن شيء مما كان .

وأخذ فرساوس عروسه الى جزيرته الاصلية ، فقضوا عيشاً رغداً في ذلك الكوخ الصغير الذي ظلت والدة فرساوس تنتظر فيه عودة ابنها مشفقة والهة .

الصين

عن كارلو سفورزا

يكثر الناس فى الوقت الحاضر من الكتابة عن الصين ولكن ليس هناك قراء كافين . وفي ذلك اثبات على أن رجل الطريق له نصيب من الذوق أكبر من نصيب المفكرين . فليس هناك أية فائدة من محاولة التفريق بين شانج تسولين وشانج كاي شك وبقية الشانجات الذين يقودون عصابات تتقاتل في الشرق الاقصى .

ان حالة الصين فى الآن الحاضر تشابه لدرجة كبيرة حالة ايطاليا فى القرن الخامس عشر .

وقد تحزب الكتاب للصين تحزبا كبيراً أفضى الى التعارض التام فالبعض يدعى أن في الصين نهضة وأن شمس الديموقراطية لاشك قد أشرقت عليها وأن وأن . أما معارضوهم فيهزون أكتافهم استهزاء واذا نطقوا فهم يقولون ان فرقتين من الجند كافيتان لاخضاع الصين بأسرها وهكذا تجعلان حداً لمهازل الجنود الصينية الخشبية .

ولكن أليس الرأى الاخير هو نفس رأي البعض عن الحركات التاريخية السابقة، وهل للمجازر البشرية نتائج حاسمة أم أن الضغط مهما قوي لايكون الا كمثل محاولة ضغط كرة من المطاط لتبقي دائماً غير كروية فى حين أن النتيجة دائماً تؤدي الى ازالة آثار ضغط الاصبع ؟

ومن أغرب الاشياء أن الاصطلاحات المألوفة لنا لاتدل في الصين على المعنى الذي تفهمه منها بل تدل على معنى مناقض تماماً. مثلا « الشرف السياسى » فهو غير مفهوم فى الصين كما تفهمه . لانه اذا أخذ أحد الزعماء رشوة من أحد البيوتات المالية هناك لايعد عمله نقيصة بل على العكس يعد سجية خصوصاً اذا استعمل فى تنشيط دعوة سياسية . وكذلك لايعبر

الصينيون أدنى التفات الى من يحتفظ بمثل هذه الرشوة الى تأسيس ثروة لاعقابه لان التفكير فى صالح العائلة من الامور المشرفة . فالبيت أرقى منزلة فى نظر الصينيين من الدولة . ومن الغريب أنه ليس فى لغتنا ألفاظ تعبر عن بعض الصفات الخلقيــة الصينية فمثــلا ليس في العربيــة اصــطلاح أوفى من كلمة صدغ (بفتح وسكون) للتعبير عن صفة التظاهر بالكبرياء التى يقدرها الصينيون أعظم تقدير، سواء ا كانوا من الاشراف أم من العــامة . فالتصديغ هو مصدر كل المصائب (حسب اعتقادنا) التى تحل بالصين. ولكنه عندهم من أجل الخصال .

الظاهر أن عهد الملــكية فى الصين قد مضى وانقضى وهذا معناه عند الغربيين انه لن تقوم للملكية قائمة بعد ولكن هل هذا هو المقصود من هذا الاصطلاح في الصين ؟ سل ايا كان من رجال الصين الازكياء عن رأيه فى الحالة الاقتصادية الحاضرة، تراه يهز رأسه اسفا ثم يقول وكيف تنتظر للحالة صلاحا وليس لنا ملك يطلب من السماء لها الصلاح ؟ ويجب ان لاتنسى ان شقة البعد بين الملك والسماء اقصر بكثير مما يتصوره أى مفكر غير صينى . ويجب أن تفهم أوروبا تمــام الفهم ان ازالة ذلك الصنم المسمى ملك الصين معناه هدم هيكل تصوراتهم العالمية والاخروية . ومن العبث محاولة ملء الفضاء القائم بينهما الان آثار الهيكل القديم تأصلت في الارض منذ القرن السابع للميلاد. هذا اذا نبشنا أصل العائلة المالكة الاخيرة فقط . فالملك ليس حاكما بل هو معبد يري الصينيون العالم من خلاله . وبالطبع كان يحيط بالملك ملوك ثانويون هم الامراء الاقطاعيون الموزعون فى انحاء الاقطار الصينية . ومن الخطأ ان يقارن الانسان مملكة الصين بالامبراطورية الرومانية المقدسة، فان الاخيرة هكذا سميت لانها لم تكن رومانية تماما كما وانها لم تكن مقدسة تماما بعكس المملكة الصينية فكانت مقدسة بكل مافى معنى الكلمة من قوة. فالنظام الصينى يجب ان يتخيل على شكل هرمى إذ كلما توغل المؤرخ فى ماضيها وجد أن القاعدة تزداد سمكا عن ذى مثل

حقيقة كانت العائلات المالكة تعزل ويحل محلها عائلات اخرى ولكن لا يشعر بهذا التغيير والتبديل الا نفر قليل . وإذا فرض وتطرق هذا الحادث الى اذهان بعض العامة فيكون على أي حال مشوبا بمسببات دينية . وماذا يهم شخص الجالس على العرش مادام هو الملك ؟ وهـذا هو بالضبط الواقع منذ ١٩١١ فاغلب الناس حتى المحاربين لم يدر بخلدهم تصديق اشاعة خلع آخـر ملوك عائلة سنج على اساس انه لوحدث مايشاع لكانت الارض غـير الارض والسماء غير السماء . فاذا قارنا هذا بحال الامبراطورية الرومانية نجد فرقا ظاهرا يتلخص في ان الامبراطور كان قائدا لا يمت بصلة الى الآلهة ولاصلة له بالسماء . ولم يكن قصر الملك الصيني بالصرح كما يتبادر الى الذهن، بل كان أقرب الى معبد منه الى غيره، وليس هذا فقط بل كل قاعة من قاعات القصر الملكى كانت معبدا قائما بذاته لها اسم مستقل مكون من اكثر من لفظة احداها لابد وان تدل على معنى معبد، حتى قاعة نوم ملك الصين فقد اطلق عليها اسم معبد السماء

والآن يجب علينا ان نتساءل هل من الممكن ان تكون الصين جمهورية قلبا وقالبا ؟

وسوسة الخناس

الفلسفة هى محاولة الوصول الى الحقيقة المطلقة ولكن هل هذه الحقيقة هى المتجلية لحواسنا أم هي أمر مجهول منا تماما . يقولون ان ما نحس به ليس أكثر من مظاهر يختلف وصفها باختلاف الحس. فاللون غير ثابت لانه يتغير بتغير الاضواء المنعكسة عليه كذلك الشكل يتغير بتغير نقطة الرؤية والصلابة تتغير بتغير قوة الضغط، وكذلك قل عن الذوق والسمع والشم فاذا كان أمامك ثلاث أوان تحوى احداها ماء مثلجاً والثانى ماء عادياً والثالث ماء ساخناً فانك لو وضعت احدى يديك فى الماء الساخن والاخري في الماء المثلج تشعر بتأثيرين متضادين، ماء بارد جداً وماء حار جداً . أما اذا رفعت احدى يديك ووضعتها فى الماء العادي فتشعر بأن الماء الآخر أقل بروده أو أقل حرارة مما شعرت به أولا. كذلك اذا تطلعت الى الحائط تراه أملسا مع انك تراه تحت المجهر غير أملس. فالمظاهر تبدو لنا متفاوتة باختلاف الظروف والبيئة. والآن يجب أن نتساءل هل نحن نشعر بالشيء الا بواسطة حواسنا وهل هذه الحواس تري من الشيء غير مظاهره ؟ فما دامت المظاهر تختلف باختلاف الحالات فكيف يمكننا أن نجزم بان حقيقة هذا الشيء هو كذا وكذا فى حين ان المظهر الذي يبدو لحواسنا معرض دائماً للتغير؟

لنتحول الآن الى تلك الحقيقة المطلقة ولنتساءل هل هناك شيء (مادة) وراء هذه المظاهر الغير ثابتة ؟ فكل مايمكننا أن نقوله هو لاشك في وجود محسوس ووراء هذه الظواهر، ولكن ما هو ؟ فلنفرض ان أمامي انسان يكلمنى فهل هناك ما يثبت وجود هذا الانسان؟ وهل يجوز أن أكون حالماً بوجود شيء أسميه انسان ؟ طالما نحن نحلم باشياء رأيناها وأخرى لم نرها، بل تجسمت لنا في الحلم

جالت هذه الافكار فى فكر ديكارت فعول أن لايعتقد بما لم تقم بينة على وجوده فأخذ يتابع شكوكه الى النهاية الى أن شك فى كل شيء وأصبح

يتساءل عما اذا كان هو بذاته موجوداً أم لا ، أما كل ما خلا شخصه فقد سلم جدلا بأنه لا أكثر من خداع . ولكن اذا لم يكن ديكارت موجوداً فكيف يتاح لديكارت أن يخدع بل كيف يتاح له أن يشك ؟ هنا قال جملته الشهيرة « انا أفكر فاذن انا موجود » ولكن هل هذا «الأنا» غير متغير ؟ وبمعنى آخر هل «أنا» الذى افترض وجوده منذ عام هو نفس «أنا» المفترض وجوده فى الوقت الحاضر، وهل هو أيضاً «انا» الذى سيكون فى المستقبل ؟ أليس هذا «الأنا» قد تغير فى القدم وتغيرت تجاربه وتغيرت وجهة نظره كما تغير اهتمامه وقوته ومجموعة حواسه ؟ فهذا «الأنا» يتغير كل يوم بل كل دقيقة وكل ثانية «فانا» لم يحس بان الحائط أملس وكل ما هنالك أن (مجهولا) قد أحس بذلك

ما هو الذى يمكننا الحكم بوجوده خلف المظاهر ؟ وكيف نعرفه ؟ فلنسلم أن هناك جسما له هذه المظاهر فهل هذا الجسم يكون دائماً موجوداً سواء أشعرت حواسنا بوجوده أم لم تحس بها ؟ فهل الكرسى موجود حتى اذا لم يكن أحد فى الغرفة ؟ لنجتهد أن نغطى الكرسى تماماً بقماش فهل يظل الكرسى موجوداً اذا اختفت ظواهره عنا أم لا يكون موجوداً ؟ واذا لم يوجد فكيف احتفظ القماش بشكل الكرسى ؟ أتم ذلك بمعجزة ومن هو الذى أوجدها ؟ فاذن هناك سبب لما نحس به

لنرجع الى الحائط مرة ثانية فانه بالرغم من ملاسة الحائط نسبياً فان كل شخص يراها يكاد يجزم بانها ملساء فالحكم الاجماعي فى هذه الحالة تعميمى وليس تقدي. كذلك الرجل الواقف أمامك يراه كل شخص آخر — حقيقة ليس كما تراه أنت بالضبط — ويحكم بانه موجود . ولوانك كنت حالما لكانت رؤياك غير معززة . لانه على فرض انك حلمت بتشريفى لبيتك العامر فليس من المنتظر ان يحلم الحاج محمد بانه حلم انه كان موجوداً عندك لما اترت المنظرة بحضورى. وكذلك عم سلامه لم يحلم انه قدم لى القهوة كما قدمها لك وكما قدمها للحاج محمد وكذلك صديقى على افندى لم يحلم باننى اجبته بما يفيد

انني قاصد منزلك ولكن قد يوجد لدى اختلافات فى التفاصيل كنتيجة لوجهات النظر المختلفة التى اتيح لكل منهم الاستئثار بوجهة منها

ملخص ماسبق هو انه من الواجب علينا التسليم بوجود « أشياء » أخرى غير ذواتنا ،ولكن ليس فى حيز الامكان اثبات ذلك. وكذلك من المستحيل علينا الوقوف على ماهية الاشياء وكل ماهنا لك اننا نحس فيجب ان يكون هناك سبب لهذه الظواهر التى تجعلنا نحس

تأليف

حسين محمود

بكلوريوس فى الترجمة من كليات أمريكا

(ملحوظة) بعد ارتكاب جريمة الكذب السابقة وبخني ضميرى ولذلك اعترف بملء الخشوع انني لم أؤلف كلمة واحدة مما سبق وانما قد لخصت بضع صفحات من كتاب لبرتراند رسل تلخيصا سخيفا لاثبت للقراء انني عالم ومفكر وفيلسوف وأيضا لكى أقدم نفسى لهم كخريج لكليات امريكا، يعني انني مررت عليها كلها واحدة بعد الأخرى حتى تحصلت على باقة بكالوريوسات.

هل الادب العربي قديمه وحديثه
يكفي لتكوين الأديب ؟

هذا هو موضوع المناظرة التى تناقش فيها الدكتور هيكل والشاعر خليل مطران ، فالاول يقول سلباً ، والثانى يقول ايجابا ، وقد فاز الثانى على الأول فى نظر المستمعين الذين حضروا المناظرة وأعطى لهم حق ابداء الرأى كتابة فكانت النتيجة أن المطران قد فاز بأكثرية الاصوات ، ولقد أتانا نبأ هذه المناظرة قبل وقوعها فانتظرنا وقوعها لنظفر بالنتيجة وكم أخذ منا العجب مأخذه عند ما تلقينا تلك النتيجة التى تثير فى المرء دواعي الهزء والسخرية .

ونحن اولاء مدينون بالشكر للدكتور طه حسين الذي اطلعنا بحديثه على ما خفى علينا من أمر هذه المناظرة والظروف التى دعت اليها والغاية التى من أجلها وضعت. فمن طه حسين علمنا ان هذه المناظرة وتلك المناظرات كانت ضرباً من العبث البريء الذى يقصد به الى التمرين والتدريب على الخطابة دون أن يقصد به الى اثبات حقيقة من الحقائق .... فاتحاد الجامعة الذى يهيء هذه المناظرات ويختار أفراداً من الأدباء للمباراة فيها ترقية لأبواب الجدل والخطابة والاخذ والرد له ما يشاء في وضع هذه المناظرات وتوخي الفائدة التى يبتغيها منها ، ولكن كم كنا نود لو يترك الحكم للمستمعين فى أنفسهم دون أن يدعوهم داع لاعطاء الاصوات كتابة لتفرز ثم تعلن على الملأ جهاراً وعلانية لا سيما في مواضيع دقيقة كهذه ، يحتاج الحكم فيها إلى روية وامعان وتدقيق وتمحيص ودرس واختبار من ذوى المقدرة والباع الطويل فى الأدب وفنونه ، ولعمر الحق انها لمهزلة أن يظن ان الحق كل الحق لا يكون الا فيما تنطق به الاكثرية ، فكم خدعت الاكثرية فمالت الى الضلال ، وكم أصابت الحق أقلية ، ، فى مواقف كهذه فنطقت صوابا ، وقد يمكن فى مواقف كهذه أن تحيد الاكثرية الساحقة عن جادة الصواب وتظل أقلية ضئيلة على جادة الهدى ، فكم نجنى على الحق ان نلتمسه فيما تنطق به هذه الأكثرية ، ومن

هنا كان التصويت غير مجد فى هذا الباب وضرره أ كثر من نفعه ، وكم كنا نود لو ان اتحاد الجامعة فكر فى هذا ولم يلتجىء الى هذا السبيل المعوج ، وله مندوحة من تحذير غوستاف لوبون وغيره من علماء الاجتماع الذين حذروا ونبهوا ان الجمهور العالم فيه والغبى كثيراً ما يخدع عن سبيل العاطفة ، وكثيراً ما يلعب بتلك العاطفة خطيب قدير ، أو مفوه ساحر ، ، كيف شاء وأنى يشاء ، فيقلب ببراعته الحق باطلا والباطل حقاً وان العالم كثيراً ما ينحط فى سلك الاجتماع الى طبقة الجاهل فينطق عن عاطفته دون عقله ويلتبس عليه الضلال ويعمى عن الحق ويضل سبيلا . . .

فلا تحاد الجامعة أن يفكر فى شؤون ترقية الخطابة بالطرق التى يرتئيها مجدية امام التصويت ، اما أخذ الأصوات لاسيما فى البت فى مواضيع كهذه فهذا ما نحذره عنه للحق فى ذاته وللفضيلة فى ذاتها . . .

والآن فلنرجع الى روح الموضوع ولنمعن النظر كثيراً فى هذا السؤال الملقى وهو « هل الأدب العربى قديمه وحديثه يكفى لتكوين الأديب » ولنتنبه الى ان الذى أجاب عليه سلباً كان هيكل والذي أجاب إيجابا كان المطران

فانظر كيف ان هيكل الذى قال الحق انهزم فى التصويت ولم ينل الا اقلية والذى أخطأ كيف ظفر بالاكثرية فانتصر ، وما سبب ذلك ألا التصويت الذي اتبع ، وما كان أجدره أن لا يتبع ، فموقف مطران فى المناظرة كان ضيقاً ومجاله غير واسع ولكنه كان داهية ليس في المنطق ولا في الاستنتاج ولا في الحكم ولا في القياس ولا في الأدب بل كان داهية فى الخطابة وحسبه مع ضيق حدود موضوعه أن عرف كيف يستل من غمد الكلام حساماً ومن فنونه درعاً وما كان حسامه الا « القرآن » الذى أتى بذكره في مناظرته فكان لذاك السيف حكمه وكان له وقعه على آذان المستمعين وقلوبهم فخروا خاشعين ونطقوا بالحكم غير منتبهين فنال الفوز من حيث كان نصيبه الانهزام واصاب خصمه الاندحار من حيث كان مقدر له الانتصار . . . فالخطابة فن عماده الاقناع أن تصل اليه فى قلوب المستمعين حتى ولو أدى بك الامر الى الخداع والمواربة والتدليس والبهتان أيضاً ...

فكم من ذى حجة قوية أصابه الفشل فى ميادين الخطابة لعى في النطق وقلة براعته فى فنون الخطابة والالقاء وفاز عليه ذوحجة واهية بارز فى مضمار الالقاء.

ومن هنا كثيراً ما يكون المهزوم صاحب الحق والفائز أخا الضلال ومن هنا كان التحذير لازماً وتحكيم العقل مطلباً والحكم عن الهوى غير محبوب .

والآن دعنا ندخل فى حدود المناظرة لنقول فى ذات الموضوع ما يمليه علينا الحق وما يهدينا اليه الواقع والدليل ولكنا نرى أن لا مندوحة من أن نجيل الطرف فيما جاء به المتناظران لنميز بين الطيب منه والخبيث.

والحق أن المطران كان أقرب الى الصواب من هيكل فى تعريفه الجامع المانع فى الأدب والأديب ومن هنا يحق له أن يتباهى أنه مع ضيق مجاله وفساحة مجال خصمه قد تمكن من أن يطعنه من جعبة الخطابة بسهم ومن جعبة الادب بسهم آخر كلاهما كان صائباً قاتلا . . .

والحق أنه لمن العيب أن يقصر أديب كبير ذو شهرة واسعة ورئيس تحرير جريدتين كبيرتين عن أن يعرف الأدب والأديب تعريفاً جامعاً مانعاً كما يقولون ..

لئن كان له العذر فى تقصيره وهو خطيب عن ايفاء هذا التعريف حقه فاى عذر له بعد أن يرجع الى نفسه ويخط خطابه الذى نشره على صفحات سياسته الاسبوعية ألم يقرأ هذا الخطاب قبل نشره ألم يصححه ألم يوقع عليه امضاءه فكيف لم يتسن له ان يأتى بتعريف يكون محكما صائباً ، أم هى الحبسة قد فعلت فعلها في موقف الخطابة أم هو الفشل فى اكتساب الاكثرية الذى كان ضغثاً على أبالة لم يمكناه من الاهتداء إلى هذا التعريف الجامع المانع؟؟

اللهم لا أدرى وأشهد أنى لا أدرى كما أشهد أن تعريف هيكل عن الادب والاديب لم يكن جامعاً ولا مانعاً أبداً وها نحن أولاء نثبت تعريف هيكل بنفسه ونصه سائلين المولى ان ينفعنا بأدبه ، فقد قال حفظه الله :—

« ان الادب فن جميل غايته تبليغ الناس رسالة ما في الوجود من حق وجميل بواسطة « الكلام » . والاديب هو الذى يؤدى هذه الرسالة .فكل

ما يقع عليه من أدب أى لغة من اللغات لا غاية له غير هذه الغاية وكل أديب يكتب في أى باب من الابواب انما يريد بلوغها كلها أو بلوغ جانب منها ، والادب العربى لا يخرج عن أدب سائر اللغات فى هذا التعريف »

ونحن نسجل هذا التعريف ساخرين هازئين ونأسف كل الاسف ان ننداع اندفاعا للهزء والسخرية فى موقف الجد والادب ولكن ماالعمل، فكم في مواقف الجد ما يدعو للهزء والسخرية .

ونحن لنثبت لحضرة دكتورنا تقادة تعريفه نريد أن نسأله سؤالا بسيطاً قائلين ما قولك بأولئك الذين تدعوهم أدباء ويدعوهم الملأ ادباء وفلاسفة وعلماء بأن احد أولئك الذين كتبوا فى الأدب شيئاً كثيراً خلد لهم ذكراً ومجداً تليداً لا تزال تحتفظ به أجيال الامم المتمدينة كشيء خالد حرى به أن يرفع ويخلد صاحبه ، نسأله قائلين ما قولك بهؤلاء الادباء وبادب هؤلاء الادباء ، هؤلاء الادباء ياسيدى، لا أريد أن أحصيهم لك عداً فهم فوق الحصر، ولكن حسبى أن انعتهم بفئة المتشائمين ، هؤلاء يا سيدى ، لم يؤدوا فى أدبهم « رسالة ما فى الوجود من حق وجميل » وهم كما تعلم وأخالك لا تعلم لم يقروا « بجمال » هذا الوجود كما انهم لم يقروا « بالخير » الذي فيه وهم قد سخروا منه وسخروا من الحياة جميعاً ، من قوانينها ومصيرها وشؤونها ومتناقضاتها ومن مفرياتها ومن نظامها، سخروا من ذلك كله ومن أنفسهم ومما في أنفسهم من دوافع وشهوات ونوازع وآمال أيضاً فما قولك بهؤلاء يا سيدي « الدكتور » أريد أن نتبعك ونقول معك بناء على تعريفك أنهم ليسوا أدباء : أريد أن تعلن الى العالم المتمدن رأيك ونتيجة واسع اطلاعك فى الادب ليقال انك قد فتحت فيه فتحاً مبينا ???

هؤلاء لم يقروا ان هنالك ثمة شيء يدعى (رسالة) كما تقول ويقول صاحبك العقاد وتردد هذه الكلمة معه . بل حسبهم انهم شعروا وانهم دونوا ماأملاه عليهم العقل والشعور فكان فى نظرهم أدبا وكان في نظر المدركين أدباً عالياً منحوه عن تقدير وطيبة خاطر درجة السمو والخلود لانه كان صورة صادقة نقلت لهم نفسيات اولئك الذين لا يشملهم تعريفك عن الادب والاديب .

والآن فاما أن تعترف «يادكتور» ان فى تعريفك عن الادب والاديب قصوراً عظيما اوتعلن ان هؤلاء لم يكونوا فى نظرك أدباء ولا أدبهم أدبا واننا لكلا الامرين منتظرون.

فالادب عند المدركين ليس هو الفلسفة والعلم كما يقول الدكتور بل هو شيء آخر قد يكون وقد لا يكون فيه فلسفة وعلم. ذلك لأن الادب هو كل شيء يمليه الاحساس ويجود به النفس ويلقنه الضمير وتصوغه العواطف بصيغة الكلام أوالكتابة أجل كل ذلك أدب والأديب هو ذو النفس المزود بالشعور والعقل والاحساس والذي يحسن الصياغة ويجود بما يمليه عليه شعوره واحساسه وعقله اما كتابة أو كلاما ، أجل هذا هو الأدب وهذا هو الاديب فى نظرنا ونظر المدركين أيضاً . . .

على أننا للآن لم نبد رأينا فى جوهر الموضوع ولئن طال بنا الحديث وحال دون ابداء الرأي هذا التطويل فما الذنب بذنبنا بل ذنب من خطؤه الفادح يحتم علينا ان نصحح معياره الذى اتخذه قياساً في تعريفه للأدب والأديب ، وها نحن نبدي رأينا بلا خوف ولا وجل ، هذا الرأى الذي يتفق مع رأى هيكل وهو ان الأدب العربى قديمه وحديثه لايكفى لتكوين الأديب. أجل لايكفى ولن يكفى أبداً

وقبل أن نقول كلمتنا نريد أن نثبت أمراً آخر وهو اطلاع المرء على الأدب القديم منه والحديث لايخلق منه أديباً مالم يكن بمواهبه قد خلق ليكون أديباً وعندئذ فالاطلاع يفيده ولا يضره اذ يصقل من جوهره ويثير من مواهبه ... والآن أين هو الأدب القديم ؟ وأين هو الأدب الحديث عندنا ؟ : أفى الكتب؟ أليس كذلك؟ فأين هي هذه الكتب التى يمكننا أن نقول أنها تكفى لتكوين الأديب ؟؟

وأنا أقول بهذه المناسبة ان الكتب العربية الموضوعة في الادب حديثا هي أفيد للأديب والمتأدب من تلك الكتب القديمة جميعها على الاطلاق ، وما فازت هذه الكتب الحديثة ، الا لأن مؤلفيها ، ومنهم من لايزال على قيد الحياة ومنهم من فارقنا الى رحمة الله قد نهلوا من مورد أدب الامم

الراقية وجنوا من ثمراته الناضجة واطلعوا على ترتيبه المحكم. أجل تقول ترتيبه ونعني ماتقول ... اروني أيها القوم الذين لاتريدون النطق بالحق والذين تخالفون سنة الوجود، اروني أي كتاب قديم في الادب العربي مرتب يسيغه عقل الأديب والمتأدب العصري ، اروني أين هو ذلك الكتاب وما اسمه لأقوم بطبعه وتوزيعه مجانا على حسابي ان لم اجد من ذوي الأريحية وعشاق الادب من يمد الى يدا ... ستشيرون طبعاً الى :

الكامل للمبرد أوأدب الكاتب لأبن قتيبة

أوالبيان والتبيين للجاحظ

والنوادر لأبي القالي

و و و و

كما قال ابن خلدون ومشايخ بن خلدون وتلامذة ابن خلدون وكما لازلتم تقولون ، هذه ليست كتب أدب بالمعنى المفهوم من الأدب فى العصر الحديث ، ذلك لأن العصر الحاضر قد وسع باب الأدب توسيعا شمل الحياة باسرها وكتبكم هذه وتوابعها لاتمثل هذا الحياة ولاتحمل شيئا من زهورها ولا من زوابعها ، ولا من شؤمها ولامن بؤسها ولامن غدرها ولا من آلامها ولا من متناقضاتها ولا من افراحها ولا من عبوسها ولا من غرورها ، ولا شيئاً من نفس الانسان ومن متناقضاته ومكنونات شعوره وميوله وعواطفه

إن هي الا كتب حملت من « القال والقيل » والشيء التافه والصبياني والمتناقض والمنقوض في صيغة المداعبات الكلامية نثراً ونظما شيئا كثيرا هذه الكتب لاتغنى الاديب عن الادب شيئاً ، فالأديب العربي الذي برز فى حديثاً فى الأدب ليس مديناً لهـذه الكتب بشيء بل انى لأخاله ناقماً عليها لتشويش فكره وضياع وقته سدى . انما هو مدين لما زودته به الفطرة من شعور واحساس ورقة عواطف . لهذا هو مدين وليس لغيرهذا هو مدين وليس لهذه الكتب التي لاتزال فئة تتخذها المثل الاعلى لها والتى آن الاوان لان تقول الحق فى شأنها بلا مواربة ولا تعصب. والآن أي كتاب من كتب الادب القديم التي يجلونها ويقدسونها يكفى؟ أهو الاغانى أم كتاب الحيوان

أوصبح الاعشى ؟ أوأين هو ذلك الكتاب الذى لايحتاج للتنقيح وللترتيب وللطبع مرة ثانية لكى يقرأ وتقبل النفس على قراءته بشىء من الرغبة . بل أين هوذلك الكتاب العربى الذى يمكننا ان نقول فيه انه كتاب أدب كما هو مفهوم الادب في العصر الحديث عند الامم التى تفهم الادب.

على ان ذكر القرآن الكريم ماكان الا « حجة خطابية » وما ذكره يتعلق فى حدود هذا الموضوع فهو كتاب منزل من آله حكيم وماهو بكتاب أدب صاغه أوجاد به انسان . انه كتاب معجز ، وكتاب دين ودنيا وآخرة وما دام كذلك ،فليبق متبعاً محترما مبجلا فى الحدود المنزلة !!

أما موضوعنا فهو الادب الانسانى الذى جادت به النفس الانسانية بصورته وأساليبه المتباينة المختلفة،هذا هو الادب الذى لاتزال ربوعنا مفتقرة اليه وستظل بحاجة اليه مالم يتطور ابناؤها للاندماج فى الادب العالمى لينهلوا من موارده العذب والاجاج ليحملوا الى ادبهم من عذبه ومن اجاجه أيضا الواناً شتاناً . . .

فكما سبق وبينت فى مقالاتى ان الأدب الجدى لم يعد محدوداً فى حواجز من زخرف الألفاظ بل ان حدوده قد وسعت حتى شملت الآفاق كلها بل هو اصبح واسعاً لايحد الا بما يحد به وسع النفس الانسانية ان كان لوسع اعماقها من حد

والادب اصبح عالمياً بالمعنى المفهوم من هذا الاسم الواسع ومن هنا كان الاقبال ولايزال عند الامم المتمدنة المتطورة المتقدمة الراغبة فى الرقى على الادب الخالد عظيما ، فلا يظهر كتاب ادبى يحكم له بالتفوق الاوترجم ولو كان مؤلفه في شمال الارض والمترجم لهم في جنوبها ،ولا ينظر الى مافى هذا السفر الخالد كشىء صادر من أجنبى مهما كان دينه ومذهبه ودمه وجنسه وملته بل ينظر اليه كشىء صادر من انسان وكفى . . .

والنفس الانسانية كما قلت كانت ولم تزل واحدة فى الانسان الشرقى منه والغربى والشمالى منه والجنوبى وان كنا نقدس الادب لشىء فانما نقدسه لانه بدأ يعمل عمله في سبيل هذه الوحدة العامة في «الروح الانسانية » فان كنا

نريد أن نعمل فى سبيل هذه الوحدة الانسانية ، وحدة الروح والنفس ، فلنقبل على الادب الخالد أياكان مصدره وأياكان منشؤه مادام أنه ناشىء من انسان ، نتقدم عليه لنستفيد منه ونفيد أدبنا الذى انما بهذا نخدمه ان كنا حقاً نغار عليه ونبغى له التقدم والنجاح . أما أن نظل في عزلة فسيظل أدبنا فى وحدته متقهقراً ، وفى زاوية الفساد منزوياً ، يعمل فيه الفساد دون أن يتزود بلقاحات تقيه شر ناشزات الفساد .

والآن فقد أتى على الادب العربى حين من الدهر أجدبت فيه العبقرية وأجدب فيه الانتاج ، أفلا يجدر بالذين يغارون عليه أن يشدوا الهمم لتقوية عنصره وتزويده بالنافع المفيد من رياض الادب النضر الذى أثمر عند الغير ونضج، لأن الزمان والمناخ جادا عليهم فى أوقات مختلفة بالغيث الطامى الذى أنبت العبقرية وأنبت الادب الناضج ، أفلا يجدر بنا إن كنا نبغى الغرس النافع أن نأتى الى دوحاتهم الخالدة ، فنأخذ منها أغصاناً لنأتى فنزرعها لتنبت فى أرضنا القاحلة ؟ أفلا يجدر بنا أن نتخذ من لقاح دوحاتهم لقاحاً فنأتى به إلى دوحاتنا التى تغلب عليها الدهر فأذبلها فنطعمها ونلقحها لتزودها بقوة تدفع هذا الذبول وتبعث فيها الحياة ؟أجيبوا ياأعداء التطور ،وان لم تجيبوا فدعوا الذين يحسنون الغرس ويغارون على الغرس يعملون ماينفع ويفيد واتركوهم أحراراً يلتجئون الى أى أدب مجيد كان ليتزودوا منه بما يفيد الغرس ويزيدالادب العربي قوة ، دعوهم ولا تشوشوا ففى التشويش جرم كبير .

فى الامس مات عظيم من عظماء البيان وهو توماس هاردي فمجدوه بنو قومه ورفعوه الى مرتبة العظماء ومانال مرتبة الخلود الا بأدبه ، وأدبه قد ترجم الى جميع اللغات الحية ، أوليس من العيب بل من العار أن لايكون من كتبه ورواياته وأسفاره كتاب واحد فى العربية مترجماً ، فاين كتب شوبنهاور ، ونيتشة ، وهين ، وأديسن ، ورسكن ، وديكنز ، وماتيوأرنولد وبكين ،وثاكري ، وهيوم ، وكانت ، وبلاتو ، وباسكال، وكونت ، وتين ، وسانت بوف ، وبوزويل ، وجونسون ، ونديار ، وسكوت ، وستفنسن وفولتير ، وروسو ، ولام ، وهازلت ، وبليك ، وديكارت ، وماكولى

وغيرهم؟.أين هي أين ؟؟ والآن مالنا نتعب أنفسنا باحصاء الذين رحلوا ولا نحصي المعاصرين ومنهم برنارد شو ، وولز ، وغوركي ، وكبلنج ، وسنكار ، وثيت ، ودنزيو ، ولدويج وغيرهم من الاعلام الذين لاتحصيهم الذاكرة .

أجل أليس من العار أن يكون من كتبهم التي أكثرها ترجم الى اللغات الحية كتاباً مترجماً الى لغتنا العربية التي ندعى أننا نغار عليها فنسعى لموتها باكتفائنا بما لدينا من كتب،ولعمرى لقد ترجمت لنا كتب من كتب أناتول فرانس ، وغوته ، وشاتوبريان ، والفونس دوديه ، وهيجو ، وكارليل ، ودستوفسكي ، وتولستوي ، وتاغور ، فهل أضرت هذه الكتب بأدبنا ؟ ألم تزده ثروة وحياة ؟ألا فاتقوا الله يامن تعلمون الحق فتنكروه أو ترونه عياناً فتتعاموا عنه. اتقوه واعلموا أن تعصبكم هذا ليس بتعصب مجد أبدا ، ان هو الا تعصب ذميم ، الضرر كل الضرر فيه ، فاعرضوا عنه ان كنتم على الحق تغارون ، واسعوا لتزويد ادبكم بالنافع المفيد ان كنتم بفيض الادب المجدي الغنى تهيمون .

وبعدفانا نقول ايجازاان الادب العربي قديمه وحديثه لايكفي لتكوين الاديب وان أدبنا لن يتقدم مالم يندمج فى الادب العالمى ، وان على الاديب الغيور ان لا يتوانى عن اتقان لغة من اللغات الاجنبية الراقية ليشرف بنفسه على نهضة الادب العالمي ، وان علي الادباء الذين يحسنون احدي اللغات الاجنبية الراقية واجباً نحو الجمهور وهو أن لا يتوانوا عن نقل الشيء المثمرمن أدب القوم الى لغتهم ليزيدوا فى ثروتها الادبية كماوان علي الامم الناطقة بالضاد ان تفكر فى تشكيل كتلة من الادباء المطلعين فتقدم لهم مطالبهم ليتخصصوا لنقل الرائع المفيد من الادب العالمى الى الادب العربى . انا ان فعلنا ذلك أو شيئاً من ذلك فاذ ذاك يحق لنا ان نقول إننا نغار على أدبنا ونسعى للاخذ بناصره من كبوته ، اما ان نكتفى بما عندنا ، ونقتنع بوحدتنا، فسيظل ادبنا متأخراً وسيظل يصيب كل فرد منا نصيبه من اللوم والتبعية ... والسلام على من سمع القول فاتبع أحسنه : أو بالحرى أصدقه !!

عكا   توفيق حابى « أبو النجا »

توقيع ميثاق السلام

في يوم ٢٧ اغسطس الماضي اجتمع مندوبو الدول ليوقعوا عن دولهم ميثاق السلام الذى ينص على تحريم الحرب بين الامم أو اتخاذها وسيلة لفض المنازعات السياسية . وجرى الاحتفال ببساطة بعد ظهر ذلك اليوم ، غير انه كان مؤثراً لما يحمل في تضاعيفه من المعانى الانسانية العميقة ، التى لم تجتمع الدول منذ أن كان للسياسة شأن في تصريف حالات المجتمع ، لتقرر مثله على طول العصور .

وبعد أن انتصف نهار ذلك اليوم بقليل بدأ المدعوون الذين ندبوا للاحتفال بمشاهدة توقيع الميثاق يتوافدون على قصر وزارة الخارجية الفرنسوية ، ويأخذون أماكنهم في قاعة الساعة المشهورة . وكان اول القادمين مستر ميرون هريك سفير الولايات المتحدة في باريس ، وكان يصحب مستر كيلوج وزير خارجية الولايات المتحدة وصاحب الاقتراح الاصلى في تقرير الميثاق ، وأخذ مكانه في الصف الاول من الامكنة التى اعدت للمدعوين .



لورد كوشندن — عن بريطانيا العظمى
مستر سميت — عن اتحاد جنوب افريقية
كونت مانزونى — عن ايطاليا

وعندما اخذت الساعة تدق الثالثة تماماً ساد سكون رهيب ، اذ فتح باب

القاعة وطفق المندوبون المفوضون عن الدول يأخذون مقاعدهم حول مائدة على صورة حدوة . وعندها ارسلت العاكسات الضوئية انوارها فانارت القاعة العظيمة بضوء يخطف البصر .

وجلس مسيو بريان وزير خارجية فرنسا في وسط المائدة . وعن يمين هرشترزمان جلس مستر كيلوج . واخذ بقية المندوبين مقاعدهم . وبعد أن مضى على هذا المنظر بضع دقائق تمكن خلالها المصورون وعمال الصور المتحركة من ان يتموا عملهم ، وقف مسيو بريان والقى خطبته المعروفة ، ولم يكد يتمها حتى صفق الحاضرون تصفيقاً حاداً .



مستر كوزجريف — عن دولة إرلاندا الحرة

مسيو هيمانز — عن بلجيكا

مستر مكنزى كنج — عن كندا

ثم اخذ مسيو بريان يقرأ نص مواد الميثاق واسماء الدول التي حضر مندوبوها لتوقيعه . وقرأ مستر كامرلنك بعد ذلك ترجمة الميثاق بالانجليزية ، وهنا انتهت مقدمات الاحتفال ، وقد استغرقت اربعين دقيقة تماماً .

وعندها نهض هرشترزمان ومشى بتؤدة حول المائدة الكبيرة حتى وصل الى طاولة صغيرة وضعت بين جناحي الحدوة وقد وضع عليها متن الميثاق . وهنا ناوله احد السكرتيريين قلماً ذهبياً كان اهل مدينة الهافر قد أهدوه للمستر كيلوج

لدى قدومه الى فرنسا ، ووقع به امضاءه بالنيابة عن الجمهورية الالمانية . وبعد أن رجع هر شترزمان الى مقعده ، تقدم مستر كيلوج ووقع الميثاق بالنيابة عن جمهورية الولايات المتحدة . ثم تتابع المندوبون فى التوقيع على حسب الحروف الابجدية لاسمائهم

نص الميثاق

« رئيس جمهورية الولايات المتحدة ، ورئيس الجمهورية الفرنسوية ، وجلالة ملك البلجيكيين ، ورئيس جمهورية تشيكوسلوفاكيا ، وجلالة ملك بريطانيا العظمى وايرلاندا والدومنيون عبر البحار وامبراطور الهند ، ورئيس الجمهورية الالمانية وجلالة ملك إيطاليا ، وجلالة امبراطور اليابان ، ورئيس جمهورية بولاندا .



السناتور مكلاشلان	هر شترزمان	مسيو بنيش
عن اوستراليا	عن المانيا	عن شيكوسلوفاكيا

« إذ يشعرون شعوراً عميقاً بما عليهم من واجب مقدس يحفزهم إلى العمل على هناء النوع الانسانى ، بعد أن اقتنعوا بان الوقت قد آن لنبذ الحروب طوعية واختياراً باعتبارها وسيلة من وسائل السياسية القومية ، ليفوزوا ببقاء العلاقات الودية والسلام السائدين الآن بين اممهم على الدوام

« وبعد أن اعتقدوا بان التغييرات التى قد تقع فى علاقات بعضهم ازاء بعض

يجب أن تتم بالوسائل السلمية ، وأن يكون الوصول الى نتائجها تبعاً لطرق سلمية منتظمة ؛ وأن الدولة التى توقع على هـذا الميثاق ، اذا عمدت الى الحرب ابتغاء الوصول الى منافعها القومية ، تكون عرضة للحرمان من المزايا التى يخولها هذا الميثاق

«وهم يؤملون ، ان دول الارض قاطبة ، إذ تتشجع بما تعطى الدول الموقعة من مثل لهن ؛ على أن يشتركن في هذا العمل الانسانى ، بان ينضممن الى الميثاق بمجرد تنفيذه ، وأن يضمن اممهن فى حيز المنافع الخيرية التى ينتجها ، و بذلك تتحد كل الامم المتمدينة في العالم على نبذ الحرب وتحريمها كأداة للسياسة القومية



مسيوزالسكى	سير ج بار	كونت يوشندا
عن بولاندا	عن زيلاندا	عن اليابان

«قد قرروا أن يرقعوا معاهدة ، ولهذا الغرض قد انتدبوا مفوضيهم . . . . . . الذين اطلع كل منهم زملاءه على ماخول له من الحقوق ؛ وقد وجدت كلها حائزة للصيغ الكافية ، قد أتفقوا على المواد الآتية :

« اولا — تعلن الدول الموقعة عن اعتقاد ؛ باسم الامم التى يمثلونها ؛ تحريم العودة الى الحرب كوسيلة لفض المشاكل الدولية ، والاقلاع عنها كأداة للسياسة القومية التى تقوم من اشتباك علاقات بعضهم ازاء بعض.

« ثانياً — تقرر الدول الموقعه أن تسوية المنازعات والخلافات أوحلها ، مهما

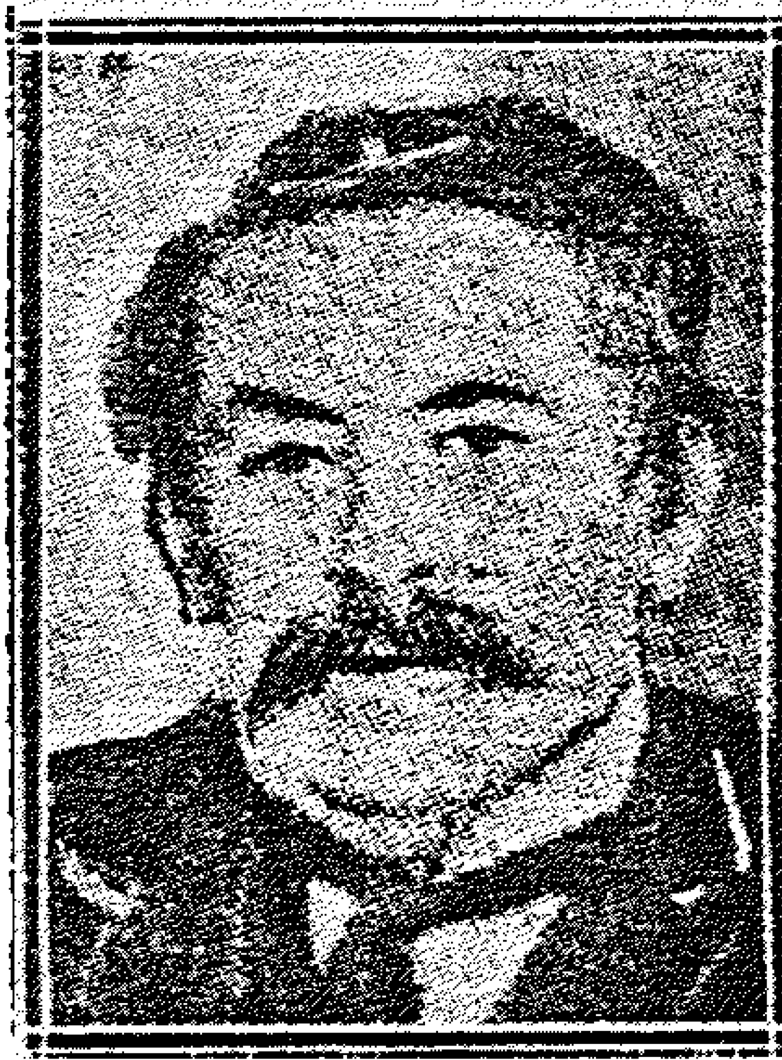
كانت طبيعتها ومنشؤها ، والتى يمكن ان تقوم بين الدول ، سوف لايكون الا بالطرق السلمية

« ثالثا — هذه المعاهدة سوف تصادق عليها الدول الموقعة والتى ذكرت فى الديباجة على مقتضى ماتتطلب نظامات كل منها ؛ وينفذ مفعولها بين جميع الدول الموقعة بمجرد أن تودع صورها المصدق عليها فى . . . .



مستر كيلوج

عن الولايات المتحدة وصاحب المشروع



مسيو بريان

عن فرنسا

« وستظل هذه المعاهدة ، بعد أن يتم التصديق عليها بالصورة التى ذكرت قبلا ، مفتوحة لقبول من ينضم اليها من الدول مااقتضت الضرورة ذلك ؛ حتى يتم انضمام دول الارض اليها . وكل الصور التى تدل على انضمام اية من الدول يجب أن تودع فى . . . . والمعاهدة بعد كل ايداع شىء من هذه الصور ؛ تصبح نافذة بين الدولة التى تودع الصورة الخاصة بها و بين الدول التى تكون صادقت على المعاهدة .

« وسوف يكون من واجب حكومة . . . . بان تزود كل حكومة ذكرت فى الديباجة ؛ وكل حكومة سوف تنضم الى المعاهدة فى المستقبل ، بصورة

مصدق عليها من المعاهدة ، وكل صورة مصادقة على قبولها . وكذلك من واجب حكومة . . . . أن تعلن هذه الحكومات تلغرافياً بإيداعها صور التصديق على المعاهدة تقريراً للانضمام النهائى اليها . »

ويتلو ذلك أن المعاهدة قد وقع على صورتين منها ، احداهما باللغة الفرنسوية والآخرى باللغة الانجليزية ، وان كانتا الصورتين لها ذات القوة التى للاخرى



الحرب والسلام

بين العلم والخيال

بدأ محرر جريدة التيمس تعليقه على توقيع ميثاق السلام باعتبارات علمية هي أسمى مايمكن أن يصل اليه العلم الحديث من تفسير لحقيقة تلك الصيحة العالية التي بعثها مستر كيلوج من سماء الدنيا الجديدة ، صيحة تحريم الحروب كأداة لفض المشاكل السياسية . قال :

« كانت الحرب منذ أن بزغ فجر التاريخ الانساني عادة ، بل نظاماً اجتماعياً ، وباعثاً من أقوى البواعث التي أدت الى تكوين الامم والى انحلالها ، ومؤثراً أقوى في تطورها من نظام القبيلة الى نظام الشعبية ، ومن الشعبية الى نظام الامبراطوريات . فان أقوى الدول التي ظهرت على سطح الارض وأعظمها ثروة وعزة ، وأنفذها أثراً في تحريك النزعات التي أدت الى الكشف عن فنون الحياة العليا ، قد تكونت من طريق الحروب المتتابعة ؛ وبالحروب تحررت الامم المستعبدة . وفي كل عصر من عصور التاريخ نجد أن الحرب كانت عاملا من أقوى العوامل التي كونت تاريخ الانسانية . فهل يمكن أن يقلع الانسان عن هذه العادة الموروثة منذ أبعد الازمان ؟ » .

ولو اكتفى محرر التيمس من مقاله الطويل بهذه الاسطر لكان فيه عن الحقيقة غنى وعن الواقع عوضاً . غير أن مماحكات السياسة ، وظروف السياسة ، وموقف الامبراطورية الانجليزية أزاء أمم الارض ؛ جعلته يرجع الى فروض وتصورات توافق المزاج السياسي ، وكان مقاله مثلا لتعطيل السياسة لحقائق العلم ، ولتقييد العقول الكبيرة بصغائرها وسفاسفها .

أما الحقيقة التي تقوم في رأس محرر التيمس ، والتي لايمكن أن يكون لديباجة مقاله هذا دافع غيرها ؛ فحقيقة أن الحرب والجلاد غريزة انسانية

لازمت عصور التطور الاجتماعي منذ أزمان موغلة في القدم ، وأن هذه الغريزة اقوى في شعوب المدنية منها فى جماعات الانسان الفطرية . لهذا ننقل تمهيداً لهذا البحث فقرة أثبتها الاستاذ « وليم مكدوغال » فيما كتب في غريزة القتال فى كتابه المعروف « علم نفسية الجماعات » . وليس لنا أن نعرف الاستاذ مكدوغال للقراء ؛ فهو علم من اعلام الاجتماعيين وعلماء النفس فى العصر الحاضر ؛ وكتابه الذى ننقل عنه هذه الفقرة يكاد يكون احدى العمد الاول التى يقوم عليها البحث في العلوم : قال

« لقد لعبت غريزة القتال والجلاد في نشوء النظامات الاجتماعية دوراً لم تبزها فيه غريزة أخرى . وهي الآن فى خلق مظاهر الانفعالات الاجتماعية والافعال التى تبنى عليها ، أبين أثراً منها فى الازمان الأولى . على أن الأمم تختلف اختلافا كبيراً في هذه الغريزة من حيث قوة أثرها فى تحريك الانفعالات . غير أنه لايقوم لدينا دليل واحد على أنها قد أصبحت في امم الزمان الحاضر التى تأثرت بعصور المدنية اضعف منها في جماعات العصور الأولى . ويغلب أن تكون هذه الغريزة اذرع فعلا واثبت أثراً في الامم الاوروبية الحديثة مما كانت في اسلاف هذه الامم الاولين . غير أن طرق التعبير عنها قد تغيرت بتقدم المدنية وارتقاء الحضارة . ذلك لأن تطور القانون والعادات قد كف الافراد عن التناحر والتجالد ، بل جعل تجالدهم جسمانياً أمراً غير ضروري ، فافسح ذلك الامر المجال للتناحر الضمامي بين الجماعات . ومن المشاهد أنه عندما تخضع أمة تمكنت فيها غريزة التناحر قسراً لنظام مدنى تشريعى ، فان أفرادها ينزعون الى صور من الخصومات يلوح لنا فيها كثير من التطرف ؛ بل تظهر منافية للعقل » .

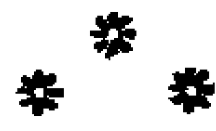
وكان العلامة الكبير « وولتر بيجهوت » أول من نبه الاذهان الى هذا الموضوع اذ تكلم فيه باسلوب علمى في كتابه المعروف « الطبيعيات والسياسة »

اذ خص بها بحثاً كاملا في كتابه هذا . ولقد تبع « وولتر بيجهوت » فى كتابه نظرية علمية لا تزال حتى اليوم محتاجة الى اثبات اذ بنى كل نظرياته على نظرية توارث الصفات المكتسبة التى قال بها لامارك الفرنسوى وتابعه فيها داروين وسبنسر . غير أن العلامة « مكدوغل » ينقض « بيجهوت » فى الاسباب التى تقوم عليها نزعة الجماعات الى الجلاد والصرع ، فيقول بانها « غريزة » لا « صفة مكتسبة » بالمران خلال حياة الفرد . وليس هنا موطن استعراض النظريات العلمية أو الحقائق التى يعزو اليها كل من الباحثين السبب الذى تعود اليه هذه الظاهرة ، بل يكفى هنا أن نقرر أن علماء الاجتماع وعلم النفس على اختلاف مذاهبهم ونظرياتهم فى هذه الاسباب مجمعون على حقيقة أن الحرب والصراع عامل من أكبر العوامل التى كونت الجماعات الانسانية ، وانه لا يزال لها الاثر الاكبر فى منازع الجماعات فى العصر الحاضر ، بل أن أكثرية الباحثين يكادون يجمعون على أن هذه الصفة على قول لامارك وداروين ، أو الغريزة ، على قول مكدوغال وشيعته ، هى الآن أكبر أثراً وأذرع فعلا فى نفسية الجماعات منها فى العصور الأولى . فهل يمكن أن تستقوى على هذه الغريزة معاهدة توقع أو ميثاق يمضى بين دول الارض ليمحى أثرها من عالم الاجتماع وهل يمكن أن تخضع الاوضاع الانسانية قوانين الطبيعة لاغراضها أو نظرياتها أو شهواتها ، أو ما شئت فقل من منازع الرغبات البشرية ؟

ولقد أشرنا من قبل فى مقالنا الذى نشرناه في العدد الماضى من العصور بعنوان « فكرة السلام » الى أشياء ليس من شيء يؤيد وجهة نظرنا فيها بمقدار ما يؤيده ما سوف تقع عليه من الحقائق فى هذا البحث . فقد كان من رأينا أن نبوءة « افلاطون » التى فاه بها منذ خمس وعشرين قرنا من الزمان اذ قال « بأن الامم يجب ان يعهد بها فى أمر سياستها الى « الفلاسفة » ستتحقق . وماشغل الفلاسفة من مكانة فى العصور القديمة ، شغلها اليوم العلماء المجربون في هذا العصر . ولقد

ذهبنا الى القول بان الناس قد شعروا بحاجة ماسة الى سياسيين من طراز جديد يعرفون أدواء الامم بطرق عملية و يأخذون في معالجتها باساليب قائمة على التجاريب العلمية المحققة النتائج . لهذا قال الكثيرون من كتاب هذا العصر المعروفين أن فشل الديمقراطية ليس له من سبب إلا فشل السياسة الانتهازية التي اتبعها سياسيو القرن التاسع عشر ، وسار على أثرهم فيها سياسيو القرن العشرين .

وانك لن تكون بهذا الرأى أكثر اقتناعا منك اذا قرأت نص الميثاق الذى نشرناه في موضع غيرهذا من العصور ؟ وقارنت خياليته بما نقع عليه من حقائق العلم في هذا البحث الذى نعتمد فيه على أوثق المصادر العلمية .



ولو أردنا أن نمضى فى هذا البحث لنستعرض مجمل النظريات العلميــة التى تقول بها كل شيعة من العلماء لاحتجنا الى عدد كبير من الصفحات نملؤها بالابحاث العلمية التى لاحاجة لنا بها فى اثبات ما نريد اثباته . بل نكتفى هنا أن نقول بأن العلامة « مكدوغال » وهو اكبر ثقة في هذا الموضوع يعزو السبب فى غريزة القتال الى مجموعة غرائز أخرى تنتجها . منها غريزة الغيرة وغريزة الخوف وغريزة التسود في الحياة . أما الصور التى ظهرت جليــة على صفحات التاريخ الانسانى وكانت هذه الغريزة سبباً فى تصويرها فذلك ما نكتفى به اثباتاً لما نذهب اليه .

ظهرت غريزة الصراع في النوع الانسانى لابسة الثوب الفردى منذ أقــدم العصور التى ظهر الانسان فيها فوق الارض . فقتصرت إذ ذاك على صراع اوتناحر بين فردين من أفراد النوع يتغلب فيه فرد على آخر ، من غير ان يكون لانتصار أحدهما وانهزام الآخر أى أثر فى حياة الاسرة اللذين هما تابعــين لها . ومن ثم انتقلت الظاهرة من صراع فردى الى صراع ضمامى يقع بين القبائل الهمجية التى كانت تعيش فى ظلال نظام مدنى فيه خشونة وقسوة . وقد يمكن أن نجد أن الصراع الفردى بين أفراد كل قبيلة من هذه القبائل قديمة بقدمها قد فنى تماماً ؛ فى حين

أن روح الصراع والجلاد ازاء القبائل الاخرى قد قوى وتشعبت وجهاته ، حتى لتجد أن هذه القبائل تكاد تكون فى حالة حرب دائمة . على انك فوق هذا لا تستطيع أن تقع على أية فائدة مادية أو نفع محقق يمكن أن يجنى من وراء هذه الحروب الدائمة بين القبائل الفطرية ، تلك الحروب التى غالب ما تنتهى بافناء قرى أو قبائل برمتها فناء تاماً ، فى حين أن نتيجتها المحققة هى أضعاف طرفى الحرب ضعفا ظاهراً . ففى « بورنيو » الوسطى بقاع صغيرة لم يبسط عليها النفوذ الأوروبى بسطاً تاماً حتى الآن ؛ وفيها تجد هذه الظاهرة على أشد ماتكون فعلا بين قبائلها . وأفراد هذه القبائل على الرغم من توقد ذكائهم وعطفهم على أفراد قبيلتهم ، تجدهم شديدى العداء لغيرهم من القبائل التى تجاورهم ؛ فهم يعيشون فى خوف مستمر من أن يهاجموا فى أية ساعة أو يؤخذوا على غرة وهم ساهون ، وقد تفنى قبائل برمتها فى حرب لاتعرف لماذا نشبت ولا لأى سبب كانت . ولهذا تجد أن عدد أفراد هذه القبائل أقل بكثير مما يجب أن يكون اذا اعتبرت وفرة حاجات الحياة فى البلاد التى تسكنها فيما لو ساد بينها السلام . ولن تجد للفائز بعد كل حرب من هذه الحروب من مغنم مادى يذكر ، فاما بضعة رؤوس تطيح بها السيوف الباترة أو عبد أو اثنين يؤخذان أسراً !!!

أما اذا اعتبرنا ان الانسان كائن « عاقل » صرف وان ليس لغرائزه فى حياته الاجتماعية من أثر فاننا ولا شك نعجز عن أن نعلل مثل هذه الظاهرات . ومما يزيدنا اقتناعا بهذه الحقيقة أن ظاهرة الجلاد الاجتماعى ظاهرة لا يقتصر أثرها على الجماعات البربرية فى العصور الاولى ، فان تاريخ النصرانية ، وتاريخ العرب قبل الاسلام و بعده ، ليس الا مجموعة وقائع من التخريب والهدم لم تجن من ورائها أية جماعة من الجماعات أقل نفع مباشر ، فى حين انك ان أردت أن تبحث فى أسبابها لما وجدت لغير غريزة القتال والصراع مشبوبة فى صدور الحكام أو صدور الجماهير من مسبب لها . على انك اذا نظرت بعد ذلك فى أطراف العالم

كما هو اليوم لما وجدت القارات الخمس الا عبارة عن معسكر مدجج بالسلاح تقوم الملايين العديدة من أفراده فى ثكنات عسكرية وهى على قدم الاستعداد لترضى فى الجماعات شهوة القتال والحرب والتخريب ، اذا حرك تلك الشهوة سبب من أتفه الاسباب كاهانة توجه الى راية احدى الدول أو مقالة تسب فيها احدى الجرائد السيارة أمة من الامم .

على أنه لا بد من أن يكون لهذه الغريزة ، أو بالأحرى كما يقول مكدوغال ، لمجموع الغرائز التى تحدث ظاهرة النزعة الى الصراع ، من صورة أولية تطورت على مر الازمان حتى وصلت فى العصر الحاضر الى الحرب النظامية كما نعهدها الآن . أما اتكنسون واندرولانج فيصوران هذه الصورة في كتابهما « القانون الفطرى » كما يأتى :

الاسرة هى أول الصور الاجتماعية وجوداً بحكم الضرورة . وكانت الاسرة فى العصور الاول مكونة من « بطريق » أو سيد كبير متعدد الازواج ، اذ كان لبطشه وقوته التى يتسود بهما على غيره من أصحاب الأسر يستطيع أن يسبى كثيراً من النساء يتخذهم زوجات . فكانت الاسرة عبارة عن « بطريق » وزوجات وأولاد . فاذا بلغ الاولاد الذكور سن الحلم طردهم « البطريق » من الاسرة غيرة على كل مايتعلق بمصالحه الزوجية أو سلطته فى داخل الاسرة . فكان الذكور يكونون شبه عصابات مستقلة تعيش من حول الاسرة الاصلية وفى داخل دائرة نفوذها بعد أن يطردوا غيرة من مركزها الذى نشؤوا فيه . اذن فلا بد من أن يقع فى بعض الاحيان بين الذكور المطرودين مدفوعين بغرائزهم الجنسية صراع شديد مع بطريق الاسرة ، فاذا انتهى بانتصار احدهم عليه احتل مكانه من الاسرة وأخذ سلطته . ولهذه الظاهرة الاجتماعية بدايات فى كثير من أنواع الحيوان يمكن الاستدلال عليها واقتصاص أثرها . على أن هذا النظام الاجتماعى لا يكون الاحيث تتسود غريزة الغيرة الجنسية فى جماعة اصبحت فيها سيادة

البطريق الاكبر للاسرة « ومنعه » تزاوج الذكور باناثه قاعدة أو قانوناً فطريا بعيداً عن أن يتطور على مقتضى تقاليد موروثة من ازمان بعيدة.ولا جرم ان هذا « المنع » أو الحظر فيما يتعلق بالاختلاط الجنسي كان أول مافرضت القوانين الفطرية من نظام على الافراد .

ولقد أيد الاستاذ مكدوغال هذه النظرية ؛ بعد أن عزاها الى غريزة الغيرة الجنسية فقال بان نظرية « القانون الفطرى » وهو أول قانون يفرضه البطريق غيرة على ذكور اسرة بعينها ـ يظهر لنا اولى الخطا التى تخطوها الجماعة نحو نظام مفروض ، من المستطاع الاستدلال عليه بقواعد بيولوجية أقرها العلم فى العصر الحاضر . ذلك لان كسر « القانون الفطرى » كان معناه الموت لمن يقدم عليه ، مالم يستطع التغلب على « البطريق» ويحتل مكانه من الاسرة . اذن فلا بد من ان تكون قدرة البطريق على الجلاد والصراع قد استقوى عليها فردمن اولاده الذكور الذين لم يقدروا على كبح جماح غريزتهم الجنسية فاقدموا على الجلاد والصراع على الرغم مما كانوا مهددين به من بطشه وقوته .

وهنا يبدأ قانون الانتخاب الطبيعي الذى كشف عنه داروين العظيم فى اظهار آثاره الاولى فى الاجتماع . فان « الخوف » تلك الغريزة الحيوية الغريبة ، لابد من أن يكون قد منع الكثيرين من الذكور عن أن يرموا بانفسهم في غمرات جلاد مميت في سبيل التسود على الاسرة . أما المقدمون فهم الذين يفوزون باخلاف النسل ، في حين ان المحجمون يموتون بلا عقب . وهنا يبدأ قانون الانتخاب يفعل فعله ويظهر اثره . ومن هنا يمكن التدرج الى صور الجماعات العليا التى تطورت على ازمان موغلة فى القدم حتى تصل الى الصورة الاجتماعية التى هى عنوان المدنية الحديثة .على ان هذه الصور الاجتماعية مهما اختلفت وتباينت فلا شبهة في ان غريزة القتال كانت السبب الاقوى فى اظهارها وخلقها .

على أن الانسان لايزال حتى اليوم عبد غرائزه الفطرية ، وهو أكثر مايكون

حرية اذا احتكم العقل فى تصريف حالاته ، واشد مايكون عبودية اذا تسلطت عليه غرائزه . فهل يمكن ان يقال بان الانسان قد تخلص من غرائزه أو على الاقل هل يمكن أن يقال بان الانسان قد استطاع ان يخضع غرائزه لقوة عقله وميوله الانسانية ! ! !

اما وأن الانسان لايزال كما كان فى عصوره الأولى ، خاضعاً لغريزة حب الصراع والقتال ؛ فان العلم لابد من أن ينظر الى مشروع كيلوج والى ميثاق السلام نظرة ملؤها الشك والارتياب .

فصول في التاريخ الطبيعي

نشوء الانسان فى عصوره الاولى

بعد أن نشر العلامة شارلز داروين كتابه « أصل الأنواع » فى سنة ١٨٥٩ دئب على التأمل العلمى العميق ليطبق مذهبه فى تغاير الأنواع ونشوئها على الانسان وما زال يعالج الموضوع حتى سنة ١٨٧٤ إذ استطاع أن يطبع كتابه « أصل الانسان » فقال في مقدمة الكتاب :

« ان الغرض الأول من تأليف هذا الكتاب ينحصر فى النظر ـ أولا ـ فيما اذا كان الانسان كبقية الأنواع الحية قد تسلسل من صورة كانت موجودة من قبل ثم انقرضت ـ ثانياً ـ فى المتجه الذى اتجه فيه الانسان ماضياً في النشوء والتحول ـ ثالثاً ـ في قيمة الفروق الحقيقية الكائنة بين ما يدعوه الباحثون بالسلالات البشرية » .

ولقد جاء هذا البحث بعد أن أثبت العلامة الفرنسوي « بوشيه دى برت » وسر « ليل » وسيرجون لوبوك والعلامة هكسلى قدم النوع البشري ، وبعد ان قضى هكسلى من طريق تشريح المقابلة ـ « بان مباينة الانسان للقرود العليا ، أقل من مباينة القرود العليا لمراتب المرئيات الدنيا » .

استكشف فى جزيرة جاوه هيكل بشرى هو في الواقع حلقة بين أحط السلالات البشرية وأرقى أنواع القرود العليا . ولقد عاش هذا النوع فى تلك البقاع في العصر « البليوستيسينى » ، فاستطاع الباحثون بعد العثور على آثاره العظمية أن يضعوا قاعدة للبحث في البقعة التى شهدت نشوء الانسان فوق الكرة الارضية . فان الحفريات التى عثر عليها مطمورة فى طبقات العصرين الثالث والرابع من العصور الجيولوجية فى أواسط أفريقية ، اما ناقصة نقصاً كبيراً واما هى في حكم العدم الصرف ، تبعاً لتاريخ تكوين القارة الافريقية

جيولوجيا ، حتى انه يتعـذر على العلماء أن يحكموا حكما قاطعاً فيما اذا كانت إفريقية قد عمرها نوع من الاحياء يقارب الصورة البشرية ، أحط تكويناً من البوشمان وأقزام الـكونغو . اما فى شمال افريقية فقد عثر على آثار تدل على سابق وجود النوع الذي يسمى اصطلاحا « هوموريعيغنيوس » وهـو عين النوع الذى عاش فى نياندرتال وكوريز وجبل طارق بأوروبا . (ويلاحظ هنا أن البوشمان وأقزام الـكونغو والسود من نوع آخر يقال له هومو سابينز (Homo Sapiens

أما اذا انتقلنا الى أوروبا فانا نعـثر على بقايا قرد راق يدعى اصطلاحا دريوبتكوس Dryopithecus بل نعثر على صورة قريبة جهد القرب من انسان جاوة الذى يدعى بثكانتروبوس ethicanthropus . اصطلاحاً ، هي من أحط الصور البشرية . مع أنها تابعة للجنس ـ هومو ـ Homo اى انسان ـ اصطلاحا وهذه الصورة ولو انها قد اعتبرت نوعاً قائماً برأسه هو نفس النوع الذى نعثر على بقاياه في أوروبا (هوموريعيغنيوس) الا انها قريبة جداً من النوع الذى يعيش في أواسط افريقية (هومو سابينز)

ان حجم الجمجمة في هذا النوع وتفاصيلها تشـابه في ظاهرها جمجمة الغوريلا في تدلى حاجب الجبهـة وبروزه وتسطح الجبهة ذاتها وكبر الانف وصغر الذقن . أما الاسنان فاينـت أقل شبهاً بأسنان الغوريلا من أسـنان سكان أوستراليا الاصليين فى العصر الحاضر . والظاهر أن سكان أوستراليا السود هم أعقاب نوع الهومو ريعيغينيوس ، واذا أردنا أن نعرف الصورة التى كان عليها هذا النوع فى أوروبا فعلينا أن ننظر في السـلالات الشبيهة بالاوسترالية والتى تهذبت قليلا بحكم التطور عن أصولها الاولى .

أما السود الافريقيون الذين يعمرون أفريقية من جوف الصحارى الى بلاد الـكاب — لأن البوشمان تنوع من السود — ففيهم كثير من صفات



رسم تخيلى لانسان الكهوف الذى عثر على جمجمته فى مقاطعة كوريز بفرنسا

القردة العليا ومظاهرها ، غير أنهم أخذوا يتميزون كسلالة بشرية قائمة بذاتها منذ أزمان بعيدة ، فى حين أنه لايشك أحد من الباحثين فى أنهم متسلسلون عن نوع الهومو بريميجينوس ، ويرجح أنهم نشؤا أصلا فى بلاد الهنـد .

والعبـيد ليسوا بأكثر من نويع متفرع من نوع « الهومو سابيز » ويجمعهم بالاوروبيين والمغوليين أصل واحد عنه تفرع الجميع .



« هومو بريميجينوس – Homo primigenius – » أى الانســان الاول . وهو النوع الانساني الذى عاش فى العصر البيلوستيسينى فى أوروبا أو الانسان النياندرتالى .

على أن كل الدلائل العلمية تدل على أن الانسان قد تسلسل عن صورة « أنترويودية » — أى قردشبيه بالانسان — فى بقعة من بقاع الهنـد أو

مايقاربها . فقد استكشف مستر « ليديكار » جمجمة حفرية لصورة من صور القرود العليا أطلق عليها اصطلاحاً اسم «باليوبثكوس Palaeopitheeus في أسنانه من المشابهة لاسنان الانسان ماليس في غيره من الصور الانتربودية . وهذه الصورة تتصل من جهة بالشمبانزى ومن جهة أخرى بالاوران أوتان ويرجح أنها هاجرت شرقاً إلى « جاوة» وهنالك نشأ عنها نوع « البثكانتروبوس » .

ان صغار الاوران أوتان تكون جماجمها مشابهة للجماجم البشرية مشابهة عجيبة . ولكن جماجم الافراد البالغة منها تكون بعيدة عن الجماجم البشرية ، مما يدل على أن النوع أخذ في الانحطاط منذ عصر قريب . وهذه الحقيقة تصدق على نوع الغوريلا فى أفريقية ، صدقها على الاوران اوتان فى آسيا . فلا يبعد مطلقاً أن يكون قد نشأ من نوع البثكانتروبوس في شبه جزيرة الملايو أو في الهند أو فى جاوة نوع آخر هو نوع الهومو أى الانسان . وكان ظهور هذا النوع فى مبدإ الامر كمثال شائع بين نوعه الاصلى ، فسماه الباحثون في العصر الحاضر « هومو بريميغينيوس » . والظاهر أن بلاد الهند وهى أغنى بقاع العالم بصور الاحياء وفيها تأصلت نصف أنواع الحيوانات التى تعيش في الدنيا القديمة . قد كانت أيضاً المهد الاول الذى نشأ فيه الانسان من الاسرة السميانية ــ Simian Family ــ وفوق ثراها وقعت التغايرات الطبيعية التى طرأت على نوع الهومو بريميغنيوس فكان منه نوع الهوموسابينز ، وكذلك التغايرات التى وقعت على النوع البشرى الاخير، فكان منه تنوعات النوع البشرى الاولى ، التى تأصل منها السود والنوع القوقاسى الاول ــ وكان يشابه الاوستراليين السود ــ وسلالات المغول ، ومن هناك هاجرت السلالات منتشرة فى سطح الكرة الارضية ، الى الغرب والشرق والى الشمال الغربى والى الشمال .

ولقد اعتبر الباحثون نوعى الهومو بريميغنيوس والهومو سابينز تنوعين من النوع الانسانى لان لهما كفاءة جمجمية تبلغ ٩٠٠ سنتى متر مكعب

وكانت أفرادها منتصبي القامة ، مع ابهام القدمين أقل أو أكثر انفراجاً عن أصابع القدمين ، كيفما اقتضت الظروف . هـذا عدا المشابهة فى الاسنان ، وفي الأنياب والأضراس، وكذلك في الانف وكثير من بقية الاوصاف فى المخ



٣ ـ اسرة فى جزيرة تيرا دلفويجو فى العصر الحاضر ومن شكل معيشتها تدرك كيف عاش الانسان فى العصر الحجرى .

والعضلات والوظائف الفسيولوجية والتناسلية. كما كانت اجسامهم أقل اكتساء بالشعر من غيرهم من السلالات ، ولو أنهم أغزر شعراً من انسالهم الذين نعثر عليهم فى العصور الحديثة . وكذلك الحال فى الشوارب واللحى ، فأنها تنبت فى وجوه ذكورة هذين النوعين لدي البلوغ ، وعندها يخف الشعر الذى يكسو الظهر من مؤخر العنق الى العقبين بصورة ظاهرة .

ويرجح الباحثون أن البثكانتروبوس قد استعمل الادوات الطبيعية كقطع الاحجار يقذف بها دفاعا عن نفسه ، والاصداف يتخذها وسيلة

للقطع ، والعصى للضرب والجلاد . غير أن نوع الهومو سابينز قد حسن فى هذه الادوات كثيراً بالصناعة وجعل منها أدوات تؤدى اغراضا كثيرة كان يحتاج الى تأديتها . فصنع أنواع السلاح ومختلف العدد التى أخرجته من حظيرة الحياة الحيوانية الى حظيرة أرقى ، وهيأته بظروف تميزت فيها حياته بميزات جديدة .



٤ ــ عبد من عبيد افريقية وهو مثل للسلالة التى تعمر أفريقية من الصحارى الى بلاد الكاب .

فلما بلغ نوع الهوموسابينز هذا المبلغ من الرقى فى استعمال الادوات اضطرت الانواع الاخرى أن تخلى له الطريق لانها كانت عاجزة عن مقاومته فتركت له موطنه الاسيوى وهاجرت الى أوستراليا وأوروبا وشمال أفريقية ، وعلى الارجح الى شمال آسيا الشرقى ، ولم يصد هذه الانواع لدى هجرتها الأولى عن أن تبلغ أقصى حد ممكن من شمال الكرة الارضية الا البرد القارس الذى كان يغشى شمال الارض فى العصر البليوستيسيني .

أما نوع « الهوموسابينز » فلم يصده عن الارتقاء صاد ولا وقف دونه مانع مهما كان أثره . فقد كانت العوامل الطبيعية دافعة له على التفكير فاستكشف النار وارتدي بفراء الحيوانات السميكة ، وابتنى الاكواخ التى تحميه من هجمات الطبيعة فى فصولها المتغايرة .على أن الانسان عندما نشأ هذه النشأة الاولى قد واجهته الطبيعة باعداء كثيرة العدد متباينة الصور .أما اشد هذه الاعداء لدادة فكانت صور الحياة الدنيا ، الميكروبات والديدان والهوام . أما اعداؤه الاقوياء فاستقوى عليهم بالتعاون الضمامى وبالعقل وبالآلات التى اخترعها . وأما الاعداء «الصغيرة» فقد زودته الطبيعة بقانونها الانتخابى يفنى ماطاح ويبقى على ماصلح، حتى اكتسب حصانة ضد الامراض التى تحدثها أكثر هذه الاعداء ، ولم

يخرج من هذه المعركة الا ظافراً وليكون سيدالارض والبحار والهواء في العصر الحديث



معركة حامية الوطيس بين الانسان في عصوره الاولى وبين كموث مأسود

التداوى باشعة الشمس

مؤتمر لوزانه

عقد فى لوزان مؤتمر علمى طبى للتداوى بأشعة الشمس حضره مندوبون عن كل دول أوروبا وقد اقتنع العالم الآن بفضل أبحاث هؤلاء المبتكرين أن فى أشعة الشمس قوى شفائية لاحد لها وهذه العقيدة هى أساس علم العلاج بأشعة الشمس كما أبان عن ذلك الاستاذ شاموريل عميد كلية لوزان وهذا ما أوحى الى الاستاذين برنارد (من مصحة سان موريتز) ورولييه (من مصحة ليزن) بفائدة هذا العلاج التى تضاعفت بمجهوداتهما حتى تغيرت وسائل علاج السل بالوسائل الجراحية تغيراً كليا بفضل الاصلاحات التى ابتكرها هذان العالمان والتى أثرت بدورها فى أبحاث علماء فينا وأدت الى علاج الكساح بوسائل مستحدثة فأشعة الشمس كما أبان خطباء عديدون ناجعة فى انماء قوى قاتلة للجراثيم فى جلد الانسان ودمه وهذه القوى تمده بالوقاية ضد الامراض وقادرة كذلك على تغذية الوظائف الحيوية بطريقة غير محسوسة بحيث تبعث فيها النشاط والقدرة على العمل وفى الوقت نفسه تقيها وتنقذها من الاخطار التى تنتابها .

وهذه الاستكشافات أدت كما هو محتوم الى أبحاث عويصة فى طبيعة الخاصية الشفائية الكامنة فى ضوء الشمس . وقد وصل العلماء الى الجزم دون أى شك بأن هذه القوة كامنة فى « الاشعة الاكتينية » هذه الاشعة البنفسجية وما وراء البنفسجية التى تقطرها السحب والضباب والدخان من ضوء الشمس . فجبال الالب العالية التى كثيراً ماتعلو السحب هى بطبيعتها حمامات بديعة للاستنقاع باشعة الشمس .

وسويسرا ظلت دائما مهد العلاج باشعة الشمس لأن كل وسائل التداوى والشفاء الاساسية متوفرة بحالتها الطبيعية

ضرورة العناية — وما زلنا بحاجة الى معلومات أو في ما وصلنا اليه في هذا الشأن ويؤكد الاطباء السويسريون ضرورة العناية والاحتراس فى التداوى باشعة الشمس واستخدامها ويحذرون من ضرر التعريض لها وتعريض الجلد بالقدر الزائد عن الحاجة خصوصا فى بدء العلاج. ففى ليزن التى سيزورها أعضاء المؤتمر لتكريم عمل روليين يبدؤ بالعلاج بحذر تحوطه العناية الكبيرة بدرجة تدهش دعاة « حمامات الضوء » فى بلادنا فالمرضى فى ليزن تحوطهم وسائل الوقاية من ضوء الشمس في مراحل العلاج الاولى فوق مرتفعات الألب وحين يتضح للأخصائيين ان لاضرر من تعريضهم لأشعة الشمس يحصر هذا التعريض أو الاستنقاع في جزء صغير جداً من مسطح الجسم (قد لايزيد على قدم) وذلك بضع دقائق محدوده . وهـذا الاحتراس يصحب العلاج فى كل أدواره . حقاً أنه متى تغير لون الجلد تحت تأثير الاستنقاع يمكن تحمل « جرعات » من ضوء الشمس وحقاً ان الأطفال العراة متى تحول لون الجلد عندهم الى اللون الأسمر البندقى يسمح لهم باللعب في الشمس تحت سماء الألب الصافيه ،غير أن هناك مراقبون بعيون يقظة ساهرة يحولون دون النتائج السيئة التى قد تنجم عن أخطـاء الافراط في التعريض لضوء الشمس الذى يستخدم فى ليزن لاحداث رد فعل طبيعى ضد الامراض دون درجة الطغيان والمغالاة .والنتيجة تقدم مطرد نحو الشفاء فى أغلب الاحايين

وهذه الطريقة تختلف اختلافا جوهرياعن تلك الطرق السائدة فيانحاء أوروبا حيث أسست « حمامات » للاستنقاع بالضوء الصناعى يباشرها اشخاص غـير متعلمين أوغيرمدربين التدريب الكافى . ومن المحتم ان ستتزعزع عقيدة الناس في فوائد الاستنقاع بضوء الشمس مالم تفرض الرقابة الشديدة على مباشرة هذا العلاج . ولم تخف على المؤتمر وجود حملات على هذه المعالجة المستحدثة موجهة من بعض الجهات.ومن المؤكد ان ستقوى هذه الحملات وسيحدث رد فعل فى

الحماس الذى قوبلت به مبتكرات الشفاء بضوء الشمس ولذلك فالحذر والعناية ضروريان للنجاح .

وفي الواقع أن أكثر الحاجة الى الرقابة راجع الى الضوء الصناعى والأغذية التى يستعاض بها عن ضوء الشمس وفي مصحات الألب التى نهجوا على منهاجها فى البلاد الأخرى لا يباشر هذا العلاج إلا الأطباء ذوى الخبرة والدربة بيد انه مما يؤسف له أن هناك رجالا ونساء تنقصهم الخبرة ومع ذلك يصفون الدواء ويشخصون الأدواء ويقومون بتقديم « جرعات » من الضوء البنفسجى والمواد الكيمائية التى تحتوى على عناصر من قوة ضوء الشمس وهناك حوادث يرجع منشأ الضرر فيها الى التداوى غير الموفق باشعة الشمس بسبب اخطاء مباشرته

بيد أنه لا مراء فى ان مستقبل التداوى بالأشعة عظيم باهر . وقد أثبت البحث الحديث ان فى مقدور الانسان تحديد كميات « الجرعات » التى تقدم للمريض تحديدا دقيقا يوافق حاجة المريض الفردية ثم ان اكتشاف « الارجوستيرول » الذى يرجع الفضل فيه الينا معشر الانجليز وهو المادة التى تمتص الضوء قد مهد لنا الطريق الى منهج فى العلاج آية في البساطة يلائم حاجاتنا وحاجات الشعوب الشمالية ملاءمة صالحة بشكل خاص ويمكن تقديم أشعة الشمس للمريض كبقية الأدوية بفضل هذا الاستكشاف فتأثير الارجوستيرول على العظام والدم مما يدرس الآن دراسة عميقة وهنا يتضح لنا ثانية ان نجاح التداوى يتوقف على العناية فى القيام به وتقديمه للمريض وعلى المعرفة الواسعة بالنتائج التى تحدث عن المواد التى توصف له وسيكون هذا المؤتمر الدولى قد قام بأجل الخدمات للانسانية اذ نتج عن مداولاته ايقاظ الشعور بالحاجة الى فرض نوع من الرقابة على القيام بالعلاج الضوئى وهذه الحاجة ماسة فى كل بلد .

(عن التيمس)

اموندصن

أكبر رواد العصر

إن اموندصن الذى يجب علينا الآن مع الأسف والأسى أن نفترض وفاته قد توج حياة حافلة بعظيم الأعمال والمشروعات بعمل ينطوى على البطولة وتضحية النفس فى السعى لانقاذ زميل رائد اشتبك معه من زمن ليس بالبعيد فى جدال حاد مرير. وإن سجل أعماله لا يدانيه سجل آخر فى مدى أفق أعماله وسعة ميدانها والنجاح الهائل الذى حازه والذى بز به معاصريه فله الشرف الثلاثى أنه أول من اجتاز الممر الشمالى الغربى من طرف لآخر وأول من وصل الى القطب الجنوبى كما كان القائد الذى اشترك فى عبور المنطقة القطبية الشمالية فوق متن الهواء. فهذه أعمال ليست بالصغائر وما هى الا الاعمال البارزة فى حياة حافلة بالعظائم، حياة ثلاثين سنة أوقفت على ارتياد القطبين الشمالى والجنوبى مع بعض المحاولات التى قدر لها فشل لا يقل مجداً عن النصر، ولذلك فقد كانت له مكانة فذة بين رواد القطبين واذا لم يكن الابتكار صنعته السامية الفذه فمقدرته على الاتيان بجلائل أعمال الجسارة والاقدام لا تدانى. وكان فوق ذلك قائداً موهوباً للرجال. حتى لقد ولدت معه هذه الصفة.

ولد أموندصن فى بورج من أعمال النرويج فى يوليه سنة ١٨٧٢ ولم يعد العشرين سنة حينما رجع نانسن منتصراً من عبوره الموفق لجرينلاند (الارض الخضراء) ثم كان ان جذبه سحر القطب الشمالى وبعد محاولة لم يوفق فيها الى الانتظام فى سلك بعثة نانسن فى السفينة « فرام » هجر دراسته الطبيه وبدأ تدريبه على الارتياد القطبى بصفة بحار عادى على مركب نرويجى تقوم باصطياد كلاب البحر لفرائها فى المنطقة القطبية وقد كانت بنيته مساعدة له اذ كان مفتول العضلات طويل القامة حديدى الأعصاب غير هياب ولا وجل وكان مبرزا فى الانزلاق على المزالق

الزوبحية المعروفة « بالشى » -Ski- وسنحت له أول فرصة حينما التحق كبحار فى سن الخامسة والعشرين في البعثة البلجيكية سنة ١٨٩٧ — ٩٩ التى كان يقودها البارون جرلاش وفي أثناء هذه الرحلة نضجت عنده فكرة القيام بمشروع مزدوج وهو عبور الممر الشمالى الشرقى واعادة تحديد مركز القطب الشمالى المغناطيسى الذى حدده لأول مرة السرجيمس روس سنة ١٨٣١ — والمشروع الآخر عمل علمى جليل . وقد وافق نانسن على هذا المشروع وفى يونيه سنة ١٩٠٣ غادر اموندصن كرستيانيا للقيام بأولى مخاطراته ولم تكن هذه خطوة عمياء بل كانت فى حيز الممكن والعمل المستطاع مع توفر الظروف الموفقة والسفينة الملائمة والمؤونة الوفيرة ونجح اموندصن ورفاقه الستة بعد سفر ثلاث سنين على ظهر سفينة من سفن صيد الرنجه ظلت قبل ذلك تجوب متن البحار ثلاثين سنة للوصول الى القطب الجنوبى

ان العمل الثانى الذى قام به الكبتن اموندصن لا يدانيه من الاعمال الا القليل فى صفحات الارتياد بل قد لايدانيه شيء. فبعد نجاحه فى القطب الشمالى كان مطمحه ان يجارى نانسن في رحلته فوق ظهر « الفرام » ويدخل تحسينات لم تخطر لهذا الاخير ببال

وكان موطن النفس على ان حركة الثلوج وذوبانها قد تتدافعه وتتجاذبه اربع سنين ونيف وقدر انه بتسيير سفينته ابعد شرقا وشمالا عن النقطة التى بدء بها نانسن يصوب سير السفينة فيصبح اتجاهها نحو القطب اكثر سدادا عما تخيله مواطنه العظيم وأن الجائزة التى احتفظت بها الأيام دهرا جزاءا وفاقا للجهود العظيمة ستكون من حظه قبلما يخطفها بيرى فتكون من نصيب امريكا بيد ان هذا الأمل لم يكن الا سرابا خلبا اذ وصل بيرى الى القطب فى ربيع سنة ١٩٠٩. ثم ابحر اموندصن من الزويج صيف ١٩١٠ موطنا العزم على فحص احوال الأحياء في المنطقة القطبية فحصا دقيقا من كل نواحيها وقد غادرت انجلترا في نفس السنة بعثة سكوت العظيمة قاصدة المنطقة التى اعتاد رواد الانجليز العمل فيها في القطب

الجنوبى ومن اهم اغراضها الوصول الى القطب . وحينما وصل الى جزيرة ماديرا اعلن أموندصن لرفقه غرضه فى تغيير القصد من سياحته و بدلا من الابحار شمالا عزم على الاتجاه جنوبا الى القطب الجنوبى للوصول اليه.وحينما وصل هـذا النبأ الى انجلترا بعد ذلك ببضعة شهور دهش القوم من هذا التحول المدهش وتناولوه بالنقد المر يرمن جراء تدخله فى ميدان كرس البريطانيون أنفسهم لارتياده حتى اصبح ميدانهم الخاص

ولما ان توجت جهود اموندصن أصبحت المسألة الشخصية امرا ثانويا محضا فبدأت الرحلة الى القطب في ٢٠ اكتوبر سنة ١٩١١ والحظ الموفق الذى صحبه فى القطب الشمالى سار في ركابه في المنطقة الجنوبية و بدلا من الاعاصير الثلجيه التي مافتئت تقضي على جهود جماعات ارواد الانجليز صحا الجو صحوا منقطع النظير في المنطقة الجنوبية وبسم الحظ للنور ويجيين ولم يعكر صفوهم الا عاصفة شاذة وكانت مهماتهم قليلة فلم يثقلوا كاهلهم بجهود نقل مهمات ثقيلة وكانت تجر مزالقهم الكلاب لا الأنهار وكان كل عضو من البعثة زلاقاماهرا على الشى ski (آلة الانزلاق) غيرانهم لم يلبثوا ان عاقت سيرهم الاعاصير الثلجية والضباب والارض الغير الثابتة بيدا نه عند اقترابهم من القطب تجاوزوا اقصى نقطة وصل اليها شاكلتون (عند درجة ٨٨ ودقيقة ٢٣)

عاد للاجوال الجويه صفوها البديع وفي ١٤ دسمبر سنة ١٩١١ غرسوا علما نرويجيا وسط منطقة مستوية من الثلوج التى لايحد الطرف آخرها وقد غابوا عن قاعدتهم ٥٥ يوما وقطعوا ٩٠٠ ميلا

ثم وصل الكبتن سكوت ورفقه الاربعة الى الغرض المقصود بعد ذلك بخمسة اسابيع ثم تحقق لبعثته أسوء مخاوفها فوجدوا خيمة النور ويجى ورسالة يرجون فيها الكبتن سكوت ان يبعث بخطاب الى ملك النرويج

ثم رجع اموندصن ادراجه سائرا بسرعة ٢٢ ميلا في اليوم فوصل الى ماجئه الشتوى فى ٢٥ يناير سنة ١٩١٢ وهو ورفقته في صحة جيدة

وفضلا عن انتصار اموندصن الباهر فقد امدتنا بعثته بمعلومات عن القطب

الجنوبي وحددت اتساع المنطقة المعروفة « بحاجز روس » التى تمتد جنوبا الى الدرجه ٨٨ والتى هي اشبه بسلسلة جبال « الانديس » فى القطب الجنوبى تجتاز هذه القارة حتى تتصل بأرض جراهام . ثم واصلت الابحاث الجيولوجيه التى بدأت بمساحة جبات كنج ادوارد واراضى فكتوريا الجنوبيه .

وفى يونيه سنة ١٩١٨ ابحر اموندصن ثانية من كرستانيا على ظهر الباخرة «مود» ليتمم مشروعه الأول وهو ارتياد منطقة القطب الشمالى وفي يوليو سنة ١٩٢٠ وصل الى نومى من اعمال الاسكا لتصليحات رؤى القيام بها لباخرته ولو ان اموندصن لم يصل الى الهدف المقصود. الا انه بعبوره مضيق برنج اتم عبور منطقة الممر الشمالى الشرقى وذلك لم يتأت الا لبعثة البارون نوردنسكيولد على ظهر السفينه فيجا (١٨٧٨ — ١٨٨٠) و بذلك اضاف فخرا جديدة لصحيفة مجده الباهرة . وفي اغسطس ابحر اموندصن مرة أخرى بعد ان قلب له الحظ ظهر المجن هذه المرة ثم كان ان قضى خريف عاصف وشتاء غير موافق على مشروعه فى الطيران عبر القطب الشمالى ثم عقب ذلك سوء حظ آخر عام ١٩٢٥ ولذلك اقتنع اموندصن ان السفينة الهوائية اصلح من الطيارة لأغراض ارتياد القطب وأيدت هذه النظرية رحلته الهوائية فى السفينة نورج فى مايو سنة ١٩٢٦ ولو ان رحلة السر هوبرت ولكنس العظيمة من نقطة بارو الى سبتزبرجن هذه السنه ربما قد عدلت شيئاً من هذا الرأى .

و بعد رجوع الكوماندر بيرد من رحلته بالطيارة الى القطب بدأت السفينة نورج رحلتها من كنجزباى فى سبتزبرجن قصدة نقطة بارو فى الاسكا وكان معه امبرتو نوبيلي (صاحب الرحلة المشئومة) الذى عمل تصميمات السفينة الهوائيه وقام على صنعها والزورث ولارسن وكلاهما اشترك فى الرحلة بالطيارة عام ١٩٢٥ فمرت السفينة فوق القطب تماما وهبطت إلى الارض سالمة بعد ٧٢ ساعة من مغادرتها سبتزبرجن فى قرية تكسرت على شاطىء الاسكا .

وكانت هذه الرحلة تنطوى على مخاطر و شاق شتى غير ان كان نصيبها النجاح دون اى ضرر حاق بالسفينة أو باى راكب من ركابها وكانت نتائجها العلميه من الاهمية بمكان أذ فضلا عن اثباتها امكان الطيران بالسفن الهوائية عبر الحوض القطبى باقصر الطرق من سبتزبرجن الى القارة الاسيوية فقد فتحت لنا منطقة عظيمة من مناطق القطب الشمالى لم نكن نعرفها من قبل. وعززت النظرية القائلة ان ليس هناك كتلة ارضية واسعة بين القطب وألاسكا وقد كان من المفهوم ان هذه البعثة تختتم حياة الارتياد النشيط الذى شب عليه اموندصن اذ ناهز الخمس والخمسين سنة وقد صرف الشطر الاكبر من ثلاثين سنة من عمره فى المناطق القطبية بيد ان تلبية النداء الهاتف من قلبه لأنجاد زميله السابق كان امرا محتوما لامحيص له عنه فكان ان طار من ترمسو فى الثامن عشر من شهر يونيه الماضى على ظهر الطيارة البحرية « لاثام » المشئومة يقودها الربان الفرنسى الكبتن جلبو متجها صوب الشمال مرة أخرى ولآخر مرة فى حياته .

منك أنا

أرسل الينا شاعر العراق وفيلسوف شعرائها هذه القصيدة العامرة الابيات والتى تدلفى أول ماتدل عليه أن الشعر العربى قد نهض نهضة صحيحة إذ خرج من الذاتيات الصرفة إلى الموضوعيات ، أى خرج من الانسان إلى الطبيعة فاتسع أفقه وترامى مداه .

وللسيد الزهاوى مبدأ معروف هو « أن القصد المظنون وجوده فى الطبيعة هو من عمل الاثير المحرك لأجرام الكون ، كما أنه فى الحيوان ولا سيما الانسان من عمل الكهربائية التى هى صورة من صور الاثير . ويرى أن الاثير هو « الله » و « الكون » معاً ، وأن هناك حياة راقية عامة لخلايا الاجرام فى كيان اللانهاية ، وهي صبغة الاثير الذى « لا إله الا هو » ، وأن حياة الحيوان والنبات هى صور ابتدائية لتلك الحياة القائمة بخلاياها من أجرام السماء . وأن الطبيعة لاتتناهى ، فمن الشطط الاعتقاد بوجود خالق مدبر خارج عنها أو غير خارج عنها ولا داخل فيها يدبرها بحكمته البالغة تعليلا لحوادث الكون المختلفة . وهو فى هذه الفكرة قريب جهد القرب من فكرة الذين يقولون بوحدة الوجود مجردة عن الغيبيات التى تقوم عليها الاديان ، كما يقول في احدى قصائده :

لما جهلت من الطبيعة أمرها وأقمت نفسك في مقام معلل
أثبت رباً تبتغي حلا به للمشكلات فكان أكبر مشكل

واليك قصيدته العامرة

* * *

يا روح هذه الدنى شرارة منك أنا
قد استطارت تبتغي لنفسها أن تعلنا
إن بصيصى كله من بعض ذلك السنى

انك أنت الكون والذي له قد كونا
وانك العقل الذي قد بث فيه السننا
يالك من مهندس بنى الدنى وما ونى
بنى بحكمة له بالغة فأتقنا

* * *

جسمي عنك قد نأي وكلما نأي دنا
وليس لي سواك من روح يدير البدنا
سرك اختفيه فلا يزداد الا علنا
ما أنت الا أنا محسوساً فهل أنت أنا
منك انبثقت بعد ما فيك كنت أزمنا
فكنت طوراً خافياً وكنت طوراً بينا
وسوف أردى راجعا اليك من غير فنا
وسوف أبقى بك من بعد الردى مرتهنا
وليس موتي غير تغيير يرى فيك السكنا
وليس في انتقالتي منك اليك من عنا
فلا انفصال عنك لي هناك كنت أم هنا
كنت علي بعد ان برأتني مهيمنا
وكنت من قبلي عليك دائماً ومبرهنا
فتارة مستقبلا وتارة مقترنا

* * *

ان المكان بعض ما وسعته والزمنا
ان الحياة ومضة منك أبت ان تكمنا
كل الذي فيك أراه بعيوني حسنا
حسنك ما لاح علي الاشياء الا فتنا
لا غرو اما عبد الانسان فيك الوثنا

انى منى سائر اليك تحدو بى المنى
كنت اليك واصلا لولم يؤخرنى الونى

***

الكون قد بنيته وأنت خير من بنى
بك الوجود واجب فليس يقبل الفنا
وليس كون ماله من أول مكونا

***

الله والكون لاعـ ـلان الحياة اقترنا
فما لذا عن ذاك أو لذاك عن ذا من غنى
ما الكون الا مظهر له به تبينا
وانه بعد تبـ ـين به تزينا
سناء فيه ظاهر حبذا ذاك السنى

***

قالوا سيجزينا على أعمالنا مفتتنا
فقلت هذا باطل ما ان يكون ممكنا
هو الذي أراد أن نسيء أو ان نحسنا
وهو الذي صير منا ملحدا ومؤمنا
اذا جنيت مكرهاً فهل أنا الذى جنى
وهل عقابه من العدل الذى قد أعلنا
وهل لنا ان شاء أن نغوى سوى أن نذعنا
وهل علينا في حيا ة الارض غير ما عنى
ألم نكن لما قضى به مثالا حسنا
الله لا يجزى على إتيان ما شاء لنا
الله لا يحمل فى الضمير منه الاحنا
حاشا لمن ينعت الرحمن ان يضطغنا

ليس الخلود فى غيا   بة الجحيم هينا
مخافتى من ناره   تشير فى الشجنا
والشك في رحمته   يحز قلبى مثخنا
برح بى التفكير حـ   تى نال من جسمى الضنا
وربما كان الذى   يأتيه فوق عقلنا

بغداد   جميل صدقى الزهاوى

الزولوجيا

أو

مبادىء علم الحيوان

— ٩ —

يحتوي جذع الكراستاسيا على أنواع السرطان والكركند ـ Crayfish والجمبرى والسرطان البحرى وهوام الماء الصغيرة وجميع هذه الأنواع تغشى الأنهار والبرك الراكدة ، إلى غير ذلك من آلاف الصور الحية التى تجدها فى البحار المالحة . والكراستاسيا — الحيوانات القشرية — ليست على وجه العموم من الحيوانات الضارة بالانسان . بل ان بعضها مفيد فائدة مباشرة بأن تتخذ طعاماً سائغاً . وكانا يعرف الى أى حد يستطيب الانسان أكل الجمبرى وكم من الخلائق البشرية تعيش عليه وعلى غيره من الانواع القريبة منه ؟ وعلى الاخص في البقاع التى تغشاها الشواطىء البحرية . غير أن أكبر فائدة يجنيها الانسان من الحيوانات البحرية أنها أهم عنصر من العناصر الغذائية التى تعيش عليها الاسماك الكبيرة ، وأن أنواع الاسماك التى تحدث أكبر الاضرار بصيادي السمك يتوقف انتشارها وتطوافها فى البحار على وجود الحيوانات القشرية أو عدم وجودها فى بقعة من البقاع . وعلى قدر ماتجد من الفائدة فى الحيوانات القشرية تجد من الضرر فى الحشرات — أى الانسكتا — فمن بين الحشرات لاينتفع الانسان الا ببضعة صور قليلة هي النحل ودود القز ودود القرمز cochineal insect ، وصورة أو اثنتين أخريين . أما العسل الذى يجنى من النحل فسائل يخزن فى خليات صغيرة تبنيها النحلة بتأكسد جزء من بشرتها ندعوه « الشمع » أما الفائدة التى ترجوها النحلة من اختزان هذا السائل فهو تغذية صغارها عند أول خروجها من الدور اليرقى الى الدور الحشري . أما الحرير الذى تنتجه دودة القز

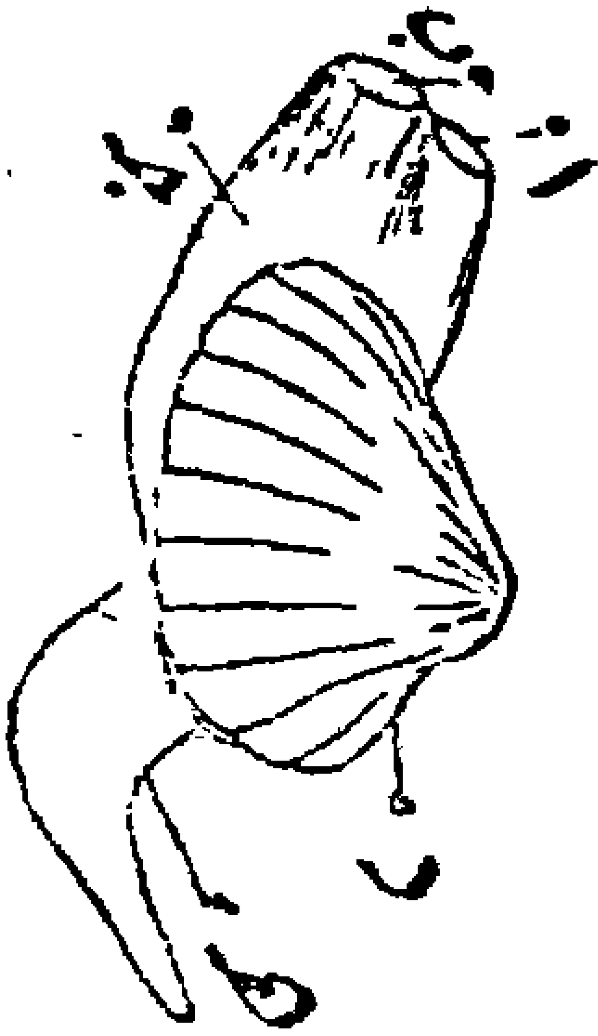
فعبارة عن مادة تفرزها الدودة وتكون فى صورة خيوط تتكون على هيئة « عابة » — شرنقة — تختفى فى داخلها الحشرة خلال دور انقلابها الحشرى . أما القرمز فادة تحويها أجسام الحشرات ، وتحصل عليها حشرة القرمز من النباتات التى تعيش عليها .

أما الحشرات التى يمكن أن يقال أنها مفيدة فائدة مباشرة للانسان ، فكلها من الحشرات المفترسة التى تعيش بالاغتذاء على غيرها من الحشرات ، وإما أن تكون من الحشرات التى تغتذى بعصارة النباتات أو بغبرة اللقح النباتى ، وبذلك تنقل لقح النبات من الاسدية — أعضاء التذكير — الى الاستجمانه — أعضاء التأنيث — فيحصل بذلك التلقيح ثم الأثمار في النباتات . وهذه العملية ضرورية لاخراج حب ناضج يحفظ النوع النباتى من الانقراض. ولا جرم أن الحشرات هم أعداء الانسان الذين ينافسونه فى الاستمتاع بثمرات الاشجار وما تنبت الارض . ولا جرم أن عدد الحشرات اذا ازداد زيادة الى حد غير مرغوب فيه فان الانسان يهدد بمجاعة قد تكون القاضية علي حياته . في حين أن الحشرات الخرطومية — التي تعيش بامتصاص الدم — تجعل الحياة غير محتملة في كثير من البقاع الاستوائية . وقد اتضح أن هذه الحشرات فضلا عن اضعاف أجسام الذين تغزوهم بانقاص كمية الدم التي تجرى في شرايينهم على الدوام ، تزرع فى دمائهم جراثيم البروتوزووا الطفيلية التى تسير مع الدورة الدموية وتحدث أنواع الحميات ثم الموت . أما المشكلة التى تواجه المستعمرين اليوم فى استعمارهم الاقطار الاستوائية وهي أغنى بقاع العالم وأكثرها ثمرات، فتنحصر فى كيفية مقاومة الحشرات وكيفية ابادتها فى مواطنها الاصلية حيث توافقها الظروف على التكاثر والانتشار . ومن هنا كانت الحاجة الى درس طبائع الحشرات والاكباب عليه اكباباً جعل للحشرات علماً قائماً برأسه بين العلوم البيولوجية . وهذا العلم يعرف اليوم « بالانتومولوجيا » Entomology أي علم الحشرات . ومن طريق هذا العلم عرف الانسان أكبر قيمة يمكن أن تجنى من علم الحيوان — الزولوجيا — فى علاقته بحياة الانسان ورفاهيته .

ان أنواع الاركنيدا قليلة جهد القلة مقيسة بأنواع الحشرات . على أن الاركنيدا مضرة بالانسان ابلغ الضرر ، من العقرب بذنابها اللادغ التى تصل مثليته لاقدام أهل خط الاستواء العادية « بق الحصاد » -Mite- الذى يدب دبيبه الخفى تحت أرجل الذين يحصدون الغلال من الحقول وينفذ من جلودهم فيحدث فيهم خراجات مؤلمة . أما العناكب فقد يقال إن لها فائدة فى أنها تقتل بعض الحشرات .

* * *

بعد الجذع الذى سماه الباحثون « ارثروبودا » يأتى جذع « المولاسكا » Mollusca - أى الحيوانات الصدفية ، أو الاسماك الصدفية . ويحتوى هذا الجذع على أنواع الاخطبوطيات وسمك « السبيت » - Cuttle - fish - ومن بين النوع الأخير حيوانات من أكبر الحيوانات التى تعيش اليوم . وهذا الجذع يمتاز ، كما تمتاز الارثروبودا والمولاسكا ببشرة قرنية صلبة - Cuticle - على أنها على خلاف فى هـذه عما هي فى الاخرى . فان البشرة فى الارثروبودا تحوى جميع جسمه الحيوانى وتتكون به شبه درع تدرع به من الحوادث ، فى حين ان البشرة فى المولاسكا وتدعى « الصدفة » - Shell - لا تتكون من الجسم الا من ناحية خاصة منه تدعى اصطلاحا « المعطف » - Mantle - أما بقيـة الجسم فيظل أملساً حريرياً ، ويكون فى أكثر الاحيان مغطى « باهداب » ومجهز بكثير من الخلايا الغددية تفرز مخاطاً أو مادة دقيقة . ومن هـذه الصفة الاخيرة اشتق اسمها الانكليزى من كلمة « موليس » - Mollis - اللاتينية معناها أملس أو رخو . أما الجزء الاول الذى يحمل « المعطف » أو « الصدفة » من جسم الحيوان فيدعى اصطلاحا « الفص المعطفى » - Mantle - lobe - أو « الثنيـة المعطفية » - Mantle - fold - وتتكون على ظاهر الجسم مثبتة عليه ، في حين أن باقى الجسم يمكن أن يبرز من داخل الصدفة فيكون بين جناحيها الممدودين وتكون الصدفة من فوق الجسم ، وبذلك يحتمي الحيوان من أعدائه فى الطبيعة . وعلى الضد مما فى الارثروبودا تجد أن وسائل الحركة فى الصدفيات



(ش ١)
منظر جانبي لحيوان من الحيوانات الصدفية البحرية كمثال للمرتبة التي تدعى (بليسيبودا) -Pelecypoda-
(هـ) القدم (جـ) الفص المعطفي (ا ، ب) فتحتان خارجيتان تبقيان فوق سطح الفص المعطفي (د) الصدفة

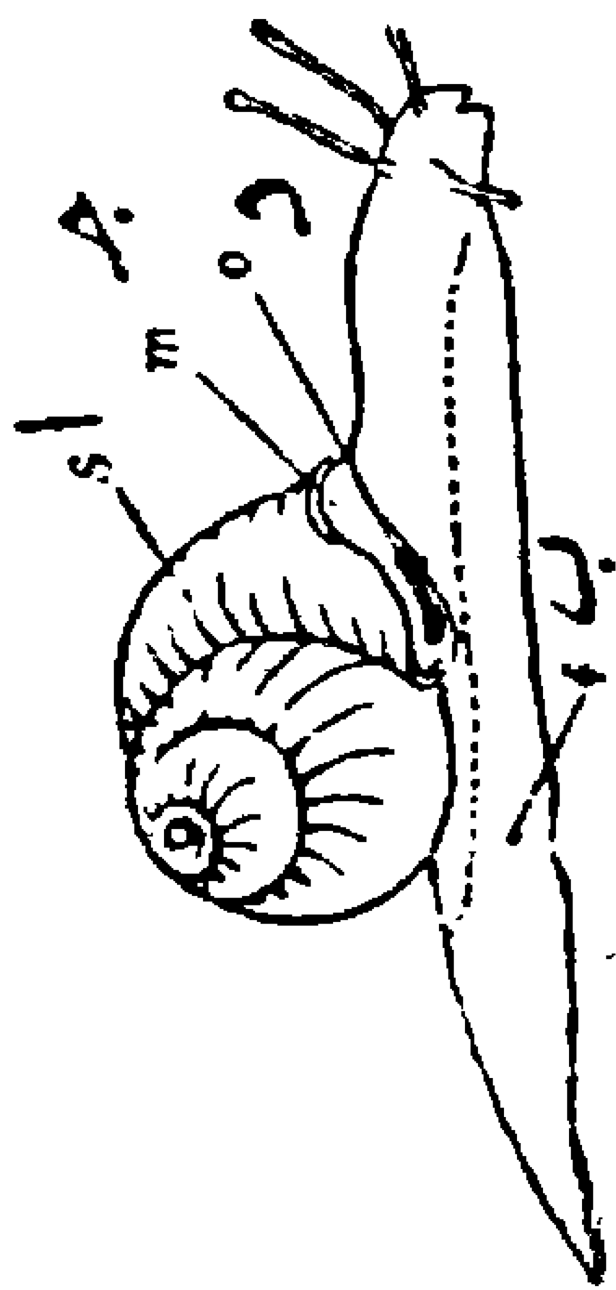
عبارة عن كتلة غليظة عضلية تدعى اصطلاحاً القدم Fort وبواسطته يمكن للحيوان أن يتحرك زحفاً على الأرض. أما الاعضاء الداخلية في المولاسكا، فاكبرما يميزها عن غيرها، فخلو تكوينها من « التكرار العضوي » (١) - Metamerism -. فان الفجوتان الجسميتان، الفجوة الاولية والفجوة الثانوية، كليهما تكونان ناميتان تماماً. غير ان الفجوة الاولية تكون متضمنة لاكبر المساحة التي تقع بين البشرة والقناة الهضمية - Gut - في حين أن الفجوة الثانوية تكون ما يدعى « الاكياس التناسلية » - Genital Sacs - وموضع يدعى اصطلاحاً « شغاف القلب » - Pericardium - أو « غلافه » ويحيط دائماً بالقلب. وفي هذه الصفة الاخيرة نقع على فارق آخر بين تكوين المولاسكا والارتروبودا، لان الجذع الاخير، ولو أن لافراده « شغافا » حول القلب، الا ان هذا الموضع يكون في فجوة الجسم الاولية لا في الثانوية، ويفتح القلب في مخارج غير مغلقة تدعى « اصطلاحاً » « المنافذ » - Ostia -.

وتقسم المولاسكا الى « جموع » أو « فصائل » تبعاً لشكل اعضائها الرئيسية واحجامها. وتلك الاعضاء الرئيسية هي المعطف والصدفة والقدم. ففي بعض الانواع تجد ان المعطف قد انقسم الى مساحتين احداهما الى اليمين والاخرى الى اليسار في مجمل الجسم، كما تتكون الصدفة من صمامين احداهما يمينية والأخرى يسارية، تتحدان بوساطة « قطعة » قرنية متحركة تدعى « المصراع » Hinge. والفائدة التي يجنيها الحيوان من هذا المصراع تنحصر في أن تبقى الصمامتين مفتوحتين، مادام المصراع غير مضغوط عليه. ولكن عندما يكون الحيوان حياً وقد انذر بوقوع خطر داهم، فانه يتمكن من أن يكمش قدمه والجزء الاسفل من جسمه مابين ذراعي « المصراع »، وبذلك

(١) وجود عدة فجوات في الجسم تتعدد بها الاعضاء الواحدة كما في حيوانات الانيليدا

يستطيع أن يبقى الصمامتين مضغوطتين باحكام فوق بعضها بفضل عضلة قوية يستعملها لهـذا الغرض : أما القـدم فى هـذه الحيوانات فيكون على شكل « بلطة » أو « إسفين » وبها يستطيع الحيوان عندما يكون حياً أن يحرث في الطين اللازب بها طريقاً يخترقه . اما اسمها العامى Pelecypoda (من الكلمة الاغريقية Pelekus)أي إسفين فمستمد من هذه الصفة الرئيسية فيها ، وعليه فيمكننا ان ندعوها في العربية « ذوات الارجل الاسفينية ». أما اسمها الآخر (Bivalve)ذوات الصمامتين فمستمد من الصفة التى تكون فى الصدفة .

وتجد في فصيلة أخرى من المولاسكا أن « المعطف » عبارة عن كساء يحيط بكل الجسم وأن الصدفة تكون على هيئة « قبعة » أو « قلنسوة » فاذا نما الحيوان وكبر يستطيل مع نمائه طرف المعطف والصدفة ويستعدقا وتستمر هـذه الاستطالة حتى تأخـذ الصدفة شكلا لولبياً . و يكون للقدم ظاهر مسطوح ليستطيع الحيوان ان يزحف به على ظاهر الصخور التى يعيش عالقاً بها . أما هذه الفصيله فتدعى اصطلاحا « غستروبودا »Gastiopada تعريباً أما ترجمة فتدعى « ذوات الارجل البطنية Bellyfoot . وقـد تدعى أيضاً « ذات الصمامة » وهو اسم مستمد من صنة فى صدفتها .



ونرجع في النهاية الى « السبيت » ـ cuttlefish ـ فنجد أن المعطف عبارة عن أو كساء وغطاء مستدير يحيط بالجسم كله ، ولكن الصدفة كما في الغسترو بودا إذ تكون كقبعة تكون عادة مظروفة فى داخل المعطف الذي ينمو من جوانبه و يقفل عليها . أما القدم فينقسم قسمان ، القدم الامامى Forefoot والقدم الخلفى Hindfoot . أما القدم الامامى فينمو من الامام حتى يصبح للجسم بمثابة طوق

ش – ٢ –

منظر جانبي لحلزون حى كمثال لفصيلة الغستروبودا من المولاسكا . (ب) القدم أما الخط المنقط كما فى الشكل السابق فيبين الحد الاعلى لقسم العضلى من الجسم (ج) المعطف (د) فتحة بين المعطف والجسم (ا) الصدفه .

وأطراف هـذا الطوق تنقلب الى « اذرع عضلية » Musculer Arms شبيهة بالاسواط مجهـزة بادوات «ماصة » وتتخذ من أقوي وسائل الهجوم والدفاع فيها يستطيع الحيوان أن يقبض بقوة على فريسته . فى حين أن الفم مجهز بمنقار قوي يمكن للحيوان به أن يمزق فريسته إرباً أما القـدم الخلفية فعبارة عن انبوبة .عضلية مهتزة تدعى « القمع » Funnel ومنه يقذف تيار قوي من الماءالى الوراء والى الامام .

أما اسم هذه الفصيلة علميا فتدعي « سفالوبودا » وهو اسم مشتق من شكل أقدامها . أما ترجمة فيمكن أن تدعى «ذوات الارجل الرأسية».



منظر جانبي لحيوان من حيوان السبيث فى حالة السباحة كمثال لفصيلة السيفالوبودا من المولاسكا (د) القدم الامامي وقد تحول الى اذرع فيها أجهزة ماصة (ح) القدم الخلفى . والخط المنقط يعين نهاية القـدم الاعلى (ب) المعطف (ا) الصدفة المختفية

بين الصحف والمجلات

السياسة الاسبوعية : أغنياء العصر وأغنياء الغابر

لست أعرف بالضبط من أين ترجمت السياسة الاسبوعية هذا المقال . وأظن لا يكفى أن تستند جريدة محترمة مثل السياسة الاسبوعية على جريدة انكليزية فى نقل السخافات ليمكن للناس هضمها

« كان رعمسيس الثالث الذى حكم مصر منذ نحو ثلاثة آلاف سنة يملك ثروة لا يتصورها العقل إذ بلغت اربعمائة الف تالن من الذهب أى نحو مائة مليون جنيه على الأقل واذا تذكرنا النسبة بين قيمة النقود فى ذلك العصر وقيمتها فى هذا العصر — وهى نسبة عشرين الى واحد علمنا ان ثروة فرعون رعمسيس الثالث لم تكن تقل عن ألفى مليون جنيه فتأمل »

« ولكى تعلم الفرق بين قيمة النقود فى عصرنا وذلك العصر نقول أن الثور كان يباع في أيام رعمسيس بأقل من أربعة شلنات وان ثمن أردب القمح لم يكن يزيد عن القرشين وان أجرة العامل من قرشين الى ثلاثة قروش »

« وكانت معظم ثروة رعمسيس الثالث سبائك من الذهب وحجارة كريمة

« ومما يدلك على ثروة القوم وما كانوا يمتلكونه من العبيد والعمال والحشم فقد روى المؤرخون أن خوفو الذى جاء قبل رعمسيس الثالث بزمن طويل كان عنده مائة الف عامل يشتغلون ببناء الهرم المعروف باسمه والذى استغرق بناؤه عشرون عاما

« واذا تذكرنا ان عدد سكان المصريين القدماء لم يزد قط على سبعة ملايين أدهشنا أن يقوم فيها ملوك جمعوا تلك الثروة التى لم يحلم بها المتقدمون ولا المتأخرون »

فأول ما يتبادر الى فكر من له ولو قليل من الادراك هو السؤال عن كيفية تقدير المؤرخون لثروة رعمسيس هذا باربعمائة الف تالن من الذهب ثم اذا فرض ان هذا هو تقدير الاوائل فمن أين للمعاصرين تقدير قيمة التالن بمائتى وخمسين جنيها (انكليزيا بالطبع) ومن أين أتى رعمسيس وخلفاؤه بهذه الكمية مضافا اليه ما كان تملكه ثراة الدولة فى ذلك العصر يضاف اليه ما كان متداولا بين أيدى الناس وهو كثير جداً لان العامل الذى يأخذ أجراً يتفاوت بين قرشين أو ثلاثة (يعنى بلغتنا أربعين أو ستين قرشاً) لاشك وان يكون من حظه مس القطع الذهبية أكثر مما يمسها كثير من صغار الموظفين وبالطبع أكثر مما يمسه عاملنا الحالى الذى يربح ثمانية قروش فى اليوم فهل كانت مناجم الفحم تنقلب مناجماً للذهب فى أساطير التاريخ ؟ ليحاول القارىء الفاضل أن يجرى معي عملية الحساب الآتية :

بنى الاهرام فى عشرين سنة كل سنة ٣٦٠ يوما فقط فتكون الجملة ٧٢٠٠ أو ٧٠٠٠ يوم

وكان يعمل فى بناء الهرم ١٠٠٫٠٠٠ عامل فيكون عدد العمال ٧٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ عامل فقط لو اشتغلوا باستمرار كل منهم يوم واحد لا أكثر ٧٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ تضرب فى ٥٠ قرش متوسط يومية العامل ٣٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه بالسعر الحاضر تقسم على ٢٠ أى ١٧٫٥٠٠٫٠٠٠ جنيه حسب السعر القديم أو ٣٥٠٠٠٠٠٠٠ على ٢٥٠ وهو نسبة عدد التالينات للجنيه ١٫٤٠٠٫٠٠٠ تالن ذهب

فبناء هرم خوفو كلف الدولة ١٫٤٠٠٫٠٠٠ تالن ذهب أو ٣٥٠٫٠٠٠٫٠٠٠ جنيه حسب السعر الحالى بأقل تقدير وهذا كان قبل رعمسيس بزمن طويل أى حين كانت الاسعار أقل بكثير وذلك خلاف المصاريف الأخرى

لنفترض الآن ان سكان القطر كانوا «٧» مليون فبالقسمة على ٦ ينتج ١٫٣٠٠٫٠٠٠ شخص ذكر قوى فى سن يتمكن معه من العمل فاذا كان عمال الهرم ١٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ أى ١ الى ١٣ من هؤلاء فكم كان أثر خروج

هؤلاء من الغيطان لعشرين سنة عظيما على المحاصيل الزراعية (وهى كل موارد ثروة مصر فى ذلك الوقت) ويجب أن يعلم انهم له يكونوا يزرعون القطن أيضاً في ذلك العصر

والذى اتذكره هـو أن كتب التاريخ الابتدائية تقول ان (جملة) العمال التى كانت تسخر فى السنة لبناء الهرم هى ١٠٠٠٠٠٠٠٠ نفس. وكانوا يبدلونهم من وقت لآخر فيمكن أن تقول ان عددهم فى أى وقت واحـد لم يتجاوز ١٥٠٠٠ نفس وكان أجرهم فقط اطعامهم بالثوم والبصل وكانوا يحضرون هم خبزهم معهم لمدة قصيرة أى حوالى شهر من الزمن وحتى هـذه الرواية الأخيرة فغير معقولة لأن العمال الذين كانوا يأتون من الصعيد يحتاجون لمدة طويلة فى السفر بالمراكب أو سيرا على الاقدام فالمنتظر انهم كانوا يجمعون هؤلاء العمال من اسرى الحرب (العبيد) ومن سكان المناطق الغربية من الجيزة. اقسم أيضاً مكعب الهرم على عـدد العمال المزعوم فى ٢٠ سنة ينتج شيئاً غريبا مدهشا

وكان الثور ثمنه ٥ شلن أى ٢٥ قرشاً فاذا ضربنا هذه القيمة فى ٢٠ وهى النسبة يكون ثمن الثور ٥ جنيه مصرى وهو ثمن كثير نسبيا لان المنتظر ان المراعى كانت كثيرة فى مصر والمواشى كانت موردا مهما للايراد في ذلك الوقت فلا يعقل ان يكون ثمن الثور نصف ثمنه فى الوقت الحاضر ولو قال ان ثمنه كان خمسة قروش أى جنيه لـكان فى الامكان هضم الخبر

وكيف يكون ثمن الثور ٢٥ قرشا بينما كان ثمن اردب القمح ٢ قرش أي ٤٠ بالسعر الحالى هذا فى الوقت الذي كان يأخذ فيه العامل بين ٤٠ قرش و ٦٠ قرش في اليوم ؛ ؟ فما كان يصنعه العامل بعد ان يشترى ٥ أرادب قمح كل شهر لطعامه باجر خمسة أيام فقط فهل كان يرفل في الديباج ؟ !

بالطبع السياسة الأسبوعية ناقلة ، وناقلة عن مصدر محترم وهو جريدة انكليزية ولكن هل يمنع كون الفقرة نشرت فى مجـلة انكليزية ان يكون المكتوب سخيفاً لايستحق النشر ؟

مجلة الرابطة الشرقية

جاءتنا هـذه النشرة من اللجنة التى سوف تقوم على المجلة نثبتها هنا بحروفها . والعصور ترحب بالزميلة الجديدة راجية أن توفق كل توفيق للوصول الى اغراضها السامية وان تنال لدي الشرقيين عموما والناطقين بالضاد منهم على الاخص مكانة خليقة بها

***

تتشرف اللجنة التى وكل اليها تدبير مجلة « الرابطة الشرقية » بأن تضع تحت نظركم ذلك البيان الوجيز تقرءون فيه شيئا عن غاية المجلة وموضوعها ومنهجها ، ولعلكم ستجدون منه أن الغاية التى انتدبت المجلة لها من النبل والشرف بحيث ينبغى أن تحل في كل قلب نبيل شريف ، ومن العزة وبعد المنال بحيث ينبغى أن يتعاون على السعى لها جميع القادرين ممن يؤمنون بمبدأ العمل لعظمة الشرق وسعادة الأمم الشرقية . غاية خالصة لايشوبها مس من نزعات الهوى والغرض ، ولا ميل إلى وجه من وجوه الربح والتجارة ، ولا اعتبار لمعنى من معانى المنفعة والكسب . ولكن دونها عمل كثير ، وبذل كريم وصبر جميل لوجه الله تعالى وفى سبيل الشرق والشرقيين .

باسم هذه الغاية النبيلة العزيزة التى نشعر بانها رباط بينكم وبين المجلة وثيق ، ومبدأ مشترك رفيع ، وعهد أكيد ، نتقدم إليكم بمجلتنا (الرابطة الشرقية) علماً بأنكم ستكونون لها نعم المولى ونعم النصير .

عن اللجنة

على عبد الرازق

***

نبهت حوادث العالم فى تاريخه الحاضر كثيراً من علماء الشرق وقادة الرأى فيه إلى أن الأمم الشرقية أصبحت أحوج ماتكون إلى أن تتصل بينها الروابط ، وتتمهد لها أسباب التعارف والتقارب .

كان الشرق فى حاجة إلى ذلك منذ القدم ، منذ انقسم العالم إلى أمم شرقية وغربية منذ كان الشرق شرقاً والغرب غرباً . وكان المتقدمون من دعاة الاصلاح فى العالم الشرقى يشعرون مثلنا بهذه الحاجة ، ويدعون إلى العمل على سدها ، الا أن هذه الدعوة لم يقدر لها أن تتوطد على نظام ثابت ، وقواعد محكمة ، لذلك كانت تتقلب على تقلبات الأيام فتظهر حيناً وتخفى ، وتضعف آونة وتقوى . لكن إحساس الشرقيين بتلك الحاجة قد أصبح اليوم أقوى منه فى كل ماسلف من العصور . وأدرك العاملون على نهضة الشرق أنه قد آن لهم أن يقيموا الدعوة إلى الرابطة الشرقية على ماينبغى لها من أساس متين ونظام محكم .

لذلك اجتمع فى مصر سنة ١٣٤١ هجرية سنة (١٩٢٢ م) أفذاذ من رجال الشرق العاملين على اصلاحه . وبعد التشاور فيما بينهم أسسوا جمعية دعوها « جمعية الرابطة الشرقية » « يكون غرضها نشر علوم الشرق وآدابه والبحث في شئونه ، للعمل على ترقية شعوبه وتكوين صلة تعارف بين أرباب الرأى والقلم منهم على اختلاف أجناسهم ، لتبادل الآراء والمعلومات فى هذا السبيل . ثم لتكون رسول سلام وتعارف بين الأمم الشرقية ، التى لها من سوابق تواريخها المجيدة ، وحضارتها القديمة ، وتقاليدها القويمة ، ومدارك أفرادها العالية وموارد ثروتها الثمينة ماتستطيع به أن يخدم بعضها بعضاً ، وأن تتضامن فى سبيل إسعاد المجتمع الانسانى وتربيته لخير جميع الأجناس والأديان . »

شعرت جمعية الرابطة الشرقية منذ نشأتها بأنه لامناص من أن تكون لها مجلة خاصة تخدم أغراضها وتنشر مبادئها وتعينها على الوسائل التى تريد انتهاجها . لكن حالة الجمعية وظروفها في الماضى لم تكن لتسمح لها بالتفكير الجدى فى إصدار المجلة على الوجه الذى يليق . ثم أراد الله ، وله الحمد ، أن تتغلب الجمعية على تلك المصاعب التى كانت تعترضها ، فلذلك قررت بجلسة ٧ ذى القعدة سنة ١٣٤٦ ـ (٢٧ ابريل سنة ١٩٢٨) أن تصدر مجلة

تدعى « الرابطة الشرقية » ووضعت لها نظاماً تسير عليه ، واختارت لجنة تقوم بتدبيرها مؤلفة من ثلاثة أعضاء .

برنامج المجلة — الغاية التى تعمل المجلة لها هي ، في الجملة ، إزالة مايمكن إزالته من الفوارق غير الطبيعية التى أقيمت سداً بين الامم الشرقية وبعضها ، ومحاولة التقريب بين هذه الامم ، حتى يتيسرلها أن تتعارف ، فاذا ماتعارفت تآلفت ، وإذا ما تآلفت تساندت وتعاونت ، وإذا ما تساندت وتعاونت استطاعت أن تعيش حرة قوية ، وضمنت لحياتها أن تكون سعيدة كاملة ، ولمدنيتها الناهضة أسباب الرقى والنجاح ، فيتساوي عند ذلك الشرق والغرب ويصبح كلاهما عضداً للآخر فى مجال العمل النافع لخير البشرية كلها .

وسوف لا تألو المجلة جهداً فى التماس تلك الغاية بكل الوسائل التى تناسب ما لذلك المقصد الكريم من نبل وشرف. فتحاول أن تتبع بعناية كل مظاهر الحياة الشرقية وعناصر نهضتها ، وما يكون ذا أثر قريب أو بعيد فى مدنية الشرق ، فتتخذ من ذلك كله موضوعات لبحث حر ونزيه يشترك فيه أهل الرأى البصيرون ممن يعنيهم أمر النهضة الشرقية ، عسى ان يتضح سبيل الخير والشر ، ويتميز وجه النافع والضار ، دون أن تقف المجلة فى ذلك موقف المتعصب لأمة ولا طائفة ولا دين ولا مذهب ، لكنها تضع المصلحة العامة للشرق كله فوق جميع هذه الاعتبارات . تريد المجلة فى جميع الأحوال أن تقف موقف السفير الأمين الذكي يحاول أن يزيل ماقام بين أمم الشرق من حجب وعقبات ليرى بعضها بعضا ، ويسمع بعضها بعضا ، فتتعارف ، فتتقارب ، فتصبح بنعمة الله اخوانا .

موضوع المجلة — تعنى المجلة بكل ما يكون ذا علاقة بنهضة الشرق أو مؤثراً فى مدنيته ، وبكل ما يساعد على تمكين العروة بين الشرقيين . لاتتقيد بناحية من البحث دون ناحية ، ولا بموضوع دون موضوع ، ما دام ذلك داخلا فى حدود أغراضها ، ومتصلا بمظهر من مظاهر الحياة الاجتماعية فى الشرق. والمجلة حريصة ، من أجل ذلك ، على تنكب المباحث التى لا يكون فيها

ما ينفع مبدأ الرابطة الشرقية ولا يمس الشئون الحية فى أمم الشرق . وكذلك تحرص المجلة على مجانبة الابحاث التى لها علاقة بالمنازعات الدينية ، والخلافات المذهبية . فان التعرض لمثل هذه الابحاث في الشرق خطر يخشى أن يغتال كل دعوة الى تقارب الشرقيين وتواصلهم . تلك دعوة يجب أن تأخذ سبيلها بعيداً عن كل ما يثير حزازات النفوس ، ويحرك نزعات العصبية . . .

وتتجنب المجلة الخوض أيضاً فيما قد يعرضها لفتن السياسة ، فلا تتناول المباحث السياسية إلا من نواحيها العلمية البريئة .

الموضوعات التى تعنى بها المجلة بنوع خاص هى : (١) المباحث العلمية . (٢) الاجتماع . (٣) الاقتصاد . (٤) الأدبيات والفنون الجميلة . (٥) الأخبار والحوادث مشتملة على ما يكون له اتصال خاص بموضوع المجلة . (٦) الاشارة، بقدر ما يمكن ، إلى ما يظهر من الكتب والمباحث التى يكون لها ارتباط بموضوع المجلة مع تلخيص المهم منها ونقده . (٧) درس حالة التعليم فى الامم الشرقية المختلفة . (٨) جماعة الرابطة الشرقية ، بنشر قراراتها وأهم أخبارها ومباحثها وتلخيص المحاضرات التى تلقى بها .

ويشترط فيما تتناول المجلة من هذه المباحث ، بوجه عام ، أن يكون مفيداً لأمم الشرق ومتصلا بحياتها الحاضرة ، وألا يكون فيه ما يثير خلافا دينياً أو سياسياً .

نصراء المجلة — تعتمد المجلة ، فى أداء واجبها وتحقيق أغراضها ، على المساعدة التى ترجوها من أعضاء الرابطة الشرقية وكل من يتفضل بمناصرتها والكتابة لها فى حدود موضوعاتها من شرقيين ومستشرقين .

مراسلو المجلة — تتخذ المجلة ، تدريجياً ، فى كل جهة من أهم الجهات الشرقية وغيرها مراسلين يوافونها بالأنباء ويكتبون فى موضوعاتها ويستكتبون من ذوى الرأى والمكانة في بلادهم من يرون في كتاباتهم نفعاً للشرق وللمجلة .

اشتراك المجلة — رأت اللجنة ، مؤقتاً ، أن تظهر المجلة مرة كل شهرين،

وأن تكون قيمة الاشتراك السنوى خمسين قرشاً صاغاً في مصر ، وستين فى الخارج ، تدفع سلفاً . وأن ترسل المجلة مجاناً إلى حضرات أعضاء الرابطة الشرقية .

عنوان المجلة — المخاطبات غير المالية تكون باسم « لجنة الرابطة الشرقية بشارع سامى رقم ٢٨ بالمالية بمصر »

والمعاملات المالية تكون باسم « حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا» بالعنوان المتقدم

لجنة المجلة — الرئيس : السيد عبد الحميد البكرى . مدير المجلة : احمد شفيق باشا . المشرف على التحرير : الاستاذ على عبد الرازق .

مصر — القاهرة ١٧ صفر سنة ١٣٤٧ (٥ أغسطس سنة ١٩٢٨)

فهرست

فهرست الصور

ص

ANCORA IMPARO



العُصُور

العدد ١٥ مجلد ٣ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس نوفمبر سنة ١٩٢٨

تولستوى

فى يوم ٢٨ أغسطس الماضى كان قد مضى على ميلاد الكونت ليون تولستوى مائة عام . فقد ولد مثل هـذا اليوم فى سـنة ١٨٢٨ ، وتوفى سنة ١٩١٠ .

الكونت ليون تولستوى ليس روسى الاصل . فان جد أسرة تولستوى وكان اسمه بطرس اندريفتش المانى الاصل ، سكن روسيا فى زمن الامبراطور بطرس الاكبر . أما ابنه نيقولاس ، والد ليون تولستوى ، فقد ولد فى سنة ١٧٩٧ ، وعاش فى أرياف روسـيا بعـد أن خدم فى الجيش زمانا غـير طويل . وكان زواج الكونت نيقولاس من الاميرة ماريا فولكونسكى سبباً فى أن تسترد الاسرة مجدها القديم وكانت قد أخذت فى الاضمحلال خلال عقدين متواليين من الزمان . وكان ليون تولستوى أصغر أولادهما وخامس أطفالهما من الذكور ، وفقد والدته عندما كان فى الثالثة من عمره . ومات أبوه بعد وفاة أمه بست سنين ، وهو فى الحادية والاربعين .

ولم تظهر على ليون تولستوى علائم النجابة فى صغره على الرغم فى أنه كان دقيق الملاحظة كثير التفكير . غير أنه كان سريع التأثر شديد الحساسية ، حتى لقد خيل اليه أنه موضع الاهمال وقلة العناية من أخوته وأخواته ، وثبتت هذه الفكرة فى عقله حتى أنه كان يجد فى الهرب من الاطفال الذين يجتمعون من حوله اثناء اللعب ، ويحبس نفسه فى حجرة منفرداً عن الناس . وقد وصف الكونت تولستوى إحدى الحالات التى استمكنت من نفسيته خلال طفولته ، إذ خيل اليه أن الموت ينتظره عن كثب ، وأن السعادة تنحصر فى أن يفعل الانسان مايشاء وأن ينتهز فرصة الظرف الحاضر ، من غير أن يجعل للتفكير في المستقبل أقل اعتبار فى نظره .

ولما تملكته هذه الفكرة (الابيقورية) التى جانبا بكتبه وأوراقه ، واتخذ من فراشه مرتعاً للكسل والاستسلام لغريب التصورات ، وسعى وراء اللذة يأتيها كيف شاء وعمد الى الصويحبات يألف من راقت له منهن . والى القصص يقرأ منها ماأرضى نزعته ووافق مشربه . غير أن طفولة ليون تولستوى لم تكن خلواً من المسرات . فالصيد والقنص ، وهما إحدى مسرات نبلاء الروس فى ذلك العهد ، كانا من الاشياء التى عكف عليها أبوه . وكان من عادة ليون أن يرافق اباه فى مصايده ومطارده منذ نعومة اظفاره . ولم يكن قصر أبيه خلوا من أنواع التسلية الاخرى ، فالعربات الفخمة والخيول المطهمة لم تكن تنقصه ، وكذلك صنوف الابهة وضروب العظمة التى كانت تحف نبلاء روسيا فى ذلك العهد البائد .

وعلى الرغم مما كان فى قاعة التدريس من خشونة وفظاظة ، فان الذكريات القديمة قد ظلت حية في عقل ليون الصغير ، فقد بقيت كما كتب عن نفسه ، حية مشبوبة ، وكانت تراجعه حينا بعد حين كنبع فائض يزوده على الدوام باحلى الذكريات .

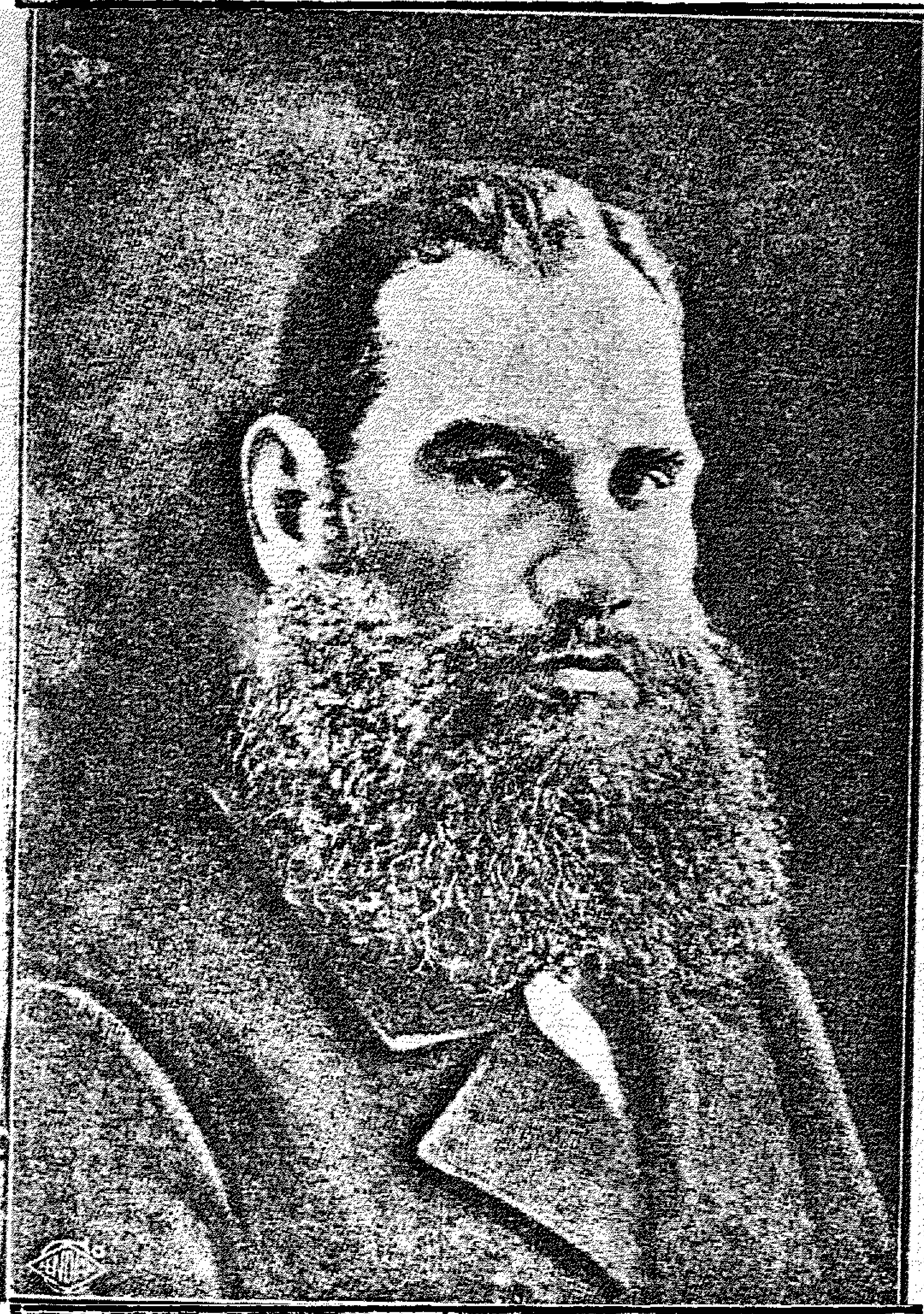
وبعد أن مات أبوه فى موسكو سنة ١٨٣٧ عهد بليون واخوته الى عمتهم « الكونتس اوستن ها كن » ، كما عنيت بالقيام عليهم احدى قريباتهم

البعيدات النسب بهم ، وكانت تدعى مدام « إرغو لسكايا » وماتت عمتهم في سنة ١٨٤٠ ،فعهد بهم الى عمة اخرى تدعى مدام « جشكوف » كانت تسكن في مدينة « قازان » . وكانت عمتهم هذه مثال المرأة الروسية ممن هن في منزلها من النبل والكرامة . فقد كان بيتها « مفتوحا » على مصراعيه للزائرين والزائرات ، محبة للهو والمرح والمجتمعات . أما آراؤها في مسائل الآداب فكانت مثال الحرية المتطرفة ، التي قد تبلغ حد الاباحة في بعض الاحيان . وكان ليون في الحادية عشرة من عمره عندما ظللته عنايته ووقع تحت تأثيرها . ذلك التأثير العميق الذي قال ليون في نضجه أنه كان بعيدا عن النفع والهدى .

وعهد الى معلم فرنسوي أن يقوم على تعليم ليون واخوته توطئة لدخولهم الكلية في مدينة قازان. وكان ليون على النقيض من أخوته ، يقضي ساعات فراغه في نزهات طويلة منفردا مع تأملات عميقة في الحياة ومشاكلها، او في مكان للرياضة البدنية . وهنا نجد أن الدافعين الطبيعي والفلسفي قد نميا في نفس ليون منذ صغره ، وكان لهما من الصراع مواقف في التناحر مواقع في نفس ليون تولستوى شهدها في سني حياته الطويلة . على أن الظاهر أن الدافع الفلسفي لم يتغلب على الدافع الطبيعي العملي في نفس تولستوى الا بعد أن صار شيخا هدمته الايام وعجمت عوده السنون .

ولما بلغ الخامسة عشرة من عمره ، وكان ذلك في سنة ١٨٤٣ ، التحق بجامعة قازان . على ان ليون لم يخرج من الجامعة بعد ذلك الا وبيده وثائق التعليم العالى ، على الرغم من أن جامعة قازان لم تكن في ذلك الحين معتبرة من معاهد الثقافة العليا . غير أن ليون تولستوي قد نال مع اجازاته اجازة اخرى هي لدى الحقيقة أثمن من كل الوريقات التي تزود بها الجامعات الناجحين من طلابها . نال اجازة باستقلاله عملا وفكرا وهنا اخذ تولستوى يستقبل حياة طويلة حافلة بشتى الاعمال الخالدة .

* * *



الكونت تولستوى

وكان من الطبيعى أن يتطلع شاب فى مركز تولستوي الاجتماعى وقوة عقله وصادق يقينه بحق النوع البشرى فى الحياة السعيدة الطيبة ، الي اصلاح ما يمكن اصلاحه من حالات بلاده فى عصر سادت فيه الفوضى واصبحت العبودية قانون العمل والعمال ، والفرق بين المالك والعامل ، شريعة الاجتماع . لحاول ان يصلح وحاول أنه يؤثر فى الجو المحيط به ، فافلح قليلا واخفق فى كثير فى مشروعاته حتى تلك التى حاول أن يفرضها على زراع أرضه الخاصة . ذلك

لان الجو كان فاسداً كل فساد حتى لقد تعذر على مصاح مشبوب العواطف مملوء بالامل وحماس العمل أن يصلح ما يملك اصلاحه ، فكان ذلك سبباً فى أن يمتد افقه الى فكرة الاصلاح العامة بأن يصبح مؤلفا وان يكتب للناس يرشدهم من طريق الأدب الى واجباتهم والى حقوقهم .

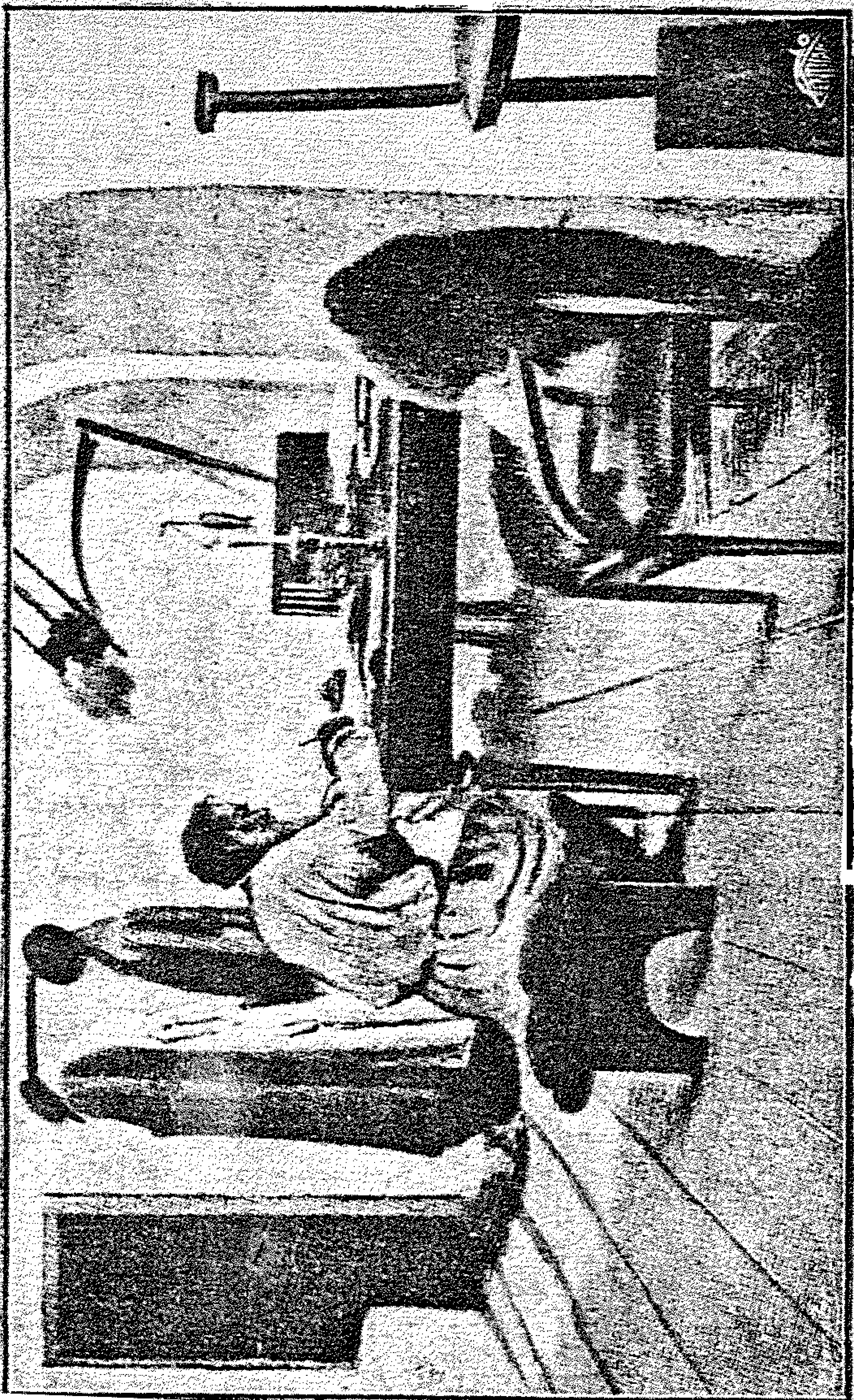
وفى سنة ١٨٦٢ تزوج من ابنة الدكتور « برز » الثانية وعاش معها فى ناسيانا بوليانا وشعر بعد ذلك بأنه سعيد حائز لكل ما تتطلب ميوله من عيش السكينة والهدوء . فانصرف الى العمل الأدبى والتأليف . فاخرج روايته الخالدة « الحرب والسلام » ونشر بعدها « أنا كرنينا » وهما الروايتان اللتان صب فيهما تولستوى كل آرائه وآماله وبث فيهما كل ما أراد أن يبشر به لأبناء جيله من المبادىء .

وكان كلما تقدم فى السن نزع الي التطرف فى الرأى . فانه تنازل عن كل املاكه الواسعة لاولاده وامرأته علي اعتبار أن الملك عبء ثقيل وان الانسان يكون اكثر سعادة كلما قلت فى الحياة حاجاته . بل قال لزوجه عندما عزم عن التنازل عن املاكه أنه أصبح يعتقد أن الاختصاص بملك شيء جريمة كبرى ضد المجتمع الانسانى . وانصرف بعد ذلك يكتب قصصاً قصيرة يحاول بها أن يصرف الناس عن الآثام التى يرتكبونها باسم القانون ويرشدهم الى الطريق الذى يمكن أنه يؤدى بهم الى السعادة الدنيوية والخلاص الأخروى .

وانك لن تستطيع أن تفهم شيئاً من عقلية تولستوى مالم تدرس فكراته الدينية واعتقاده فى حقيقة النصرانية . على أن درسك لميوله الدينية يكون كاملا اذا انت عرفت أنه يعتقد فى النصرانية مجردة عما يبث فيها من الاساطير والتقاليد فهو بالحرى يعتقد فى شريعة النصرانية الادبية خالصة من كل شيء آخر فيها .

علي أن حياة تولستوى قد دلت على انحراف عقلى غريب كلما تقدم فى السن نحو نهايته المحزنة . ولا جرم أن لزوجه اكبر الاثر فى هز اعصابه تلك الهزات المتوالية التى أدت به الى الفرار من سكنه وموته بعيداً عن اسرته ميتة جدير ألا يموتها انسان حاول ان ينفع الانسانية وعمل على نفعها

بحرارة اليقين ، ثم لم يجد بعد طول جهاده الا شيطان « فوست » يوحى اليه بأن صفاء النفس وهدوء الضمير وراحة البال فى الحياة الانسانية اشياء بعيد علي العلم ، كما هو بعيد عن الايمان ، ان يحبو بها قلب الانسان



تولستوى فى حجرة عمله

الرومانتيسم

Romantisme

تحليل الرومانتيسم ـ الحركة الرومانتيكية فى المانيا وفى انكلترا ـ الرومانتيسم فى فرنسا ـ مدام دي ستايل وشاتوبريان ولامارتين وهيجو ـ الرومانتيسم في الفن الفرنسى

***

اذا كان هناك اسم أثار ضجة كبيرة فى تاريخ الآداب الاوربية منذ مائة وعشرين سنة وما زال يدور من حوله الجدل العنيف، فان ذلك الاسم هو الرومانتيسم. وما فتىء أصحاب المذاهب الادبية الى يومنا يتخذونه ذريعة للكفاح . فهو فى نظر البعض رمز لاتساع الروح الانسانية وتحررها وفى نظر البعض الآخر رمز للعجز والضلال والفساد

واذا أردنا تأويل الرومانتيسم نقول إنه أطلق على الحركة الادبية التى ابتدأت في فرنسا حوالى سنة ١٨٢٠ واستمرت الى سنة ١٨٥٠ . والمراد منه فن يتغلب فيه الخيال والشعور على العقل . ويقال بوجه عام فى تفسير الرومانتيسم إنه الحرية في الفن . ويطلق اسم « الرومانتيك » على الكتاب الذين تحرروا فى بداية القرن التاسع عشر من قواعد التأليف والاسلوب الكتابى التى وضعها الكلاسيك (القدماء) . وهى القواعد التى بقيت متبعة في مدى القرنين السابع عشر والثامن عشر .

وقد كانت الحركة الرومانتيكية التى تناولت الآداب الفرنسية بالتجديد، وجهاً من وجوه حركة أعم شملت سائر أوروبا . فان لانكلترا والمانيا وروسيا أيضا مؤلفيها الرومانتيكيون . وان هيجو ليذكرنا باسماء المجددين الخالدين فى الآداب الاوربية : « بيرون » و « جوته » و « تولستوى » . ولم يكن

تأثير الرومانتيسم في الآداب باقل منه في الفن . وحسبنا أن نذكر من المصورين « ديلاكروا » ومن الحفارين « دافيد دانجيه » ومن الموسيقيين « برليوز » و « فجنر » . كان أولئك الفنانون حلفاء للمجددين في الآداب.

أما أصول تلك الحركة فانها ترجع الى ماقبل سنة ١٨٢٠ – بل أن الاسم نفسه أقدم من ذلك التاريخ . فقد جاء في رسالة من الاب « لو بلان » الى الرئيس « بوييه » مؤرخة في سنة ١٧٣٧ ان المسيو «باب» يحاول ان يهب حديقته ذلك الذوق الذى يسميه الانكليز رومانتيك « Romantic »ونسميه « بيتورسك » (١) ويتبين من ذلك أن معني لفظ « رومانتيك » في ذلك التاريخ كان يختلف عن المعنى الذى أعطى له فيما بعد . على أن اللفظ قد مر باطوار اخري اصطلح فيها على أن تكون له معان تختلف كل الاختلاف عن المعنى الذى سبق ذكره .

فقد أطلق لفظ « الرومانتيسم » فى الاصل على كل ما يفهم من الحياة الخاصة « بالرومان » (٢) وهو أوسع معانيه . اهتدي اليه فى الاقاصيص الحماسية المنسوبة الى شعوب « الرومان » . وقد كان لتلك الشعوب الفضل فى ترقي العبقرية الاولى للعصور الوسطى . وأطلق اسمها على تلك العبقرية التي تشترك فيها مع ذلك شعوب أوروبا الشمالية والغربية .وتأتت عن حادث عظيم النتائج هو توطد اركان المسيحية

وعلي هذا الاعتبار يكون المعنى المراد من الرومانتيسم انما هو العقلية التى جعلت المسيحية مصدروحيها ، على نقيض العقلية القديمة والكلاسيكية اللتين كانتا تستلهمان من الوثنية ومن الاصول الاغريقية . وقد أغرت العقلية الاولى فناً توخى تمثيل اللانهائى وتناول عن اختيار الممتنع الوعر والمعجب والخيالى والخفى، علي حين أن الفن القديم كان يستمد إلهامه من العقل ويتوخى الهدوء والبساطة والنبل والتبيين .

اذن ينطوى الرومانتيسم علي روح العصور الوسطى بعواطفها الدينية

---

(١) مبتكر مبتدع جدير بالتصوير

(٢) Romains غير الرومانيين المنسوبين الى روما Roma

العميقة وتحمسها للجمعية المتصلة بالفروسية وحبها للاعاجيب والمعجزات. وكان اهتمامه بالايمان وبالعاطفة والخيال أشد من اهتمامه بالنقد وبالعقل والقياس. وبالاختصار كان ثمرة الطرائق المناقضة على خط مستقيم للطرائق القديمة التي اتبعت جادة العقل والخلق والوثنية.

وفى الحقيقة اننا اذا بحثنا ملحمة « نيبلونجن » الجرمانية القديمة و « أنشودة رولند » الفرنسية و « الرومانسيرو » و « الكوميديا الآلهية » التي ألفها « دانتى » لوجدنا عدداً يذكر من الصفات المتشابهة المشتركة بينها جميعاً، تناقض الصفات الشائعة في الشعر القديم، برغم اختلاف المواضيع والافكار فى تلك الملاحم المشهورة.

نلاحظ غيوب القضاء والقدر من العالم ـ عالم تلك الملاحم ـ وان الانسان قد صار حراً. ولم يعد مقيداً الا بارادته وبالعناية الآلهية التى يمكن أن تخطئه دون أن ترغمه. وان ارادة الله تفعل فعلها فى القلوب دون ان يكون لها دخل فى النظام الطبيعى للحوادث.

ونلاحظ أيضاً أن الانسان قد صار روحاً وان الجسد قد فقد أهميته. ولم يبق الالم الطبيعى موضوع مأساة. وتخلي « فيلوكتيت » و « برومتيه » عن مكانيهما لمن حقت عليهم اللعنة من شخصيات « دانتى ». وتجرد الحب من معناه الخيالى وصار اتحاداً وتطلعاً متبادلا لروحين في الزمن والمسافة وفى الموت. وتبدل وجه الطبيعة الخارجي. وصارت مثل الانسان اشد اضطراباً وحيرة. يري فيها ظلا من روحه. وقد أسكنها شتيتا، لا من الآلهة كل في دائرته المحدودة، بل من القوى العطوفة الرحيمة أو الشريرة والابالسة والشياطين.

وقد تمثل ذلك بأشكال مختلفة منها الطيب والشرير وجعلها تتنافس فى العالم. وقامت العوامل الحرة مقام القضاء والقدر. ذلك كان أثر الانقلاب الفكرى الذي تأتى من المسيحية ومن عبقرية الشعوب « الساتورومانية » والجرمانية.

ثم جاء عصر النهضة « رينسانس » فى القرنين الخامس عشر والسادس عشر فغير قليلا من ذلك التطور الطبيعى. غير ان التغيير كان فى فرنسا أعمق منه

في سائر أوروبا. ولم يكن هناك غير «دانتي» الذي اتخذ من «فرجيليوس» أستاداً ومرشداً له في رحلته الخيالية الى الجحيم «الكوميديا الآلهية» وشكسبير الذي يكاد يكون إيطالياً مقدار ما هو انكليزي سكسوني. وأكبر ميزاته انه لم ينحط الى ذلك الدرك من التقليد الحقير للأمثلة القديمة.

ولم تصطبغ الآداب الفرنسية بالصبغة الكلاسيكية ويشرق نورها على سائر أوروبا الا بعد ذلك بزمن طويل أي في القرن الثامن عشر. وخرجت الآداب الاوربية من الطريق المشترك للرومانتيسم المحض الذي أخذته فرنسا كسائر الشعوب من القرون الوسطى.

وكان تقليد الآداب القديمة قد ابتدأ في فرنسا حوالي القرن السادس عشر وبلغ غايته في القرن السابع عشر. الا انه من الممكن أن يقال ان الكتاب الفرنسيين ابتدعوا وقتئذ آداباً صارت منسوبة الى فرنسا أكثر مما هي الى العصور الوسطى. على حين ان الامم الاخري جعلت تنحوا منحي الادب الفرنسي في القرن السابع عشر. وكان ينظر اليه اذ ذاك على انه أدب كلاسيكي جديد. وكانت الروح الفرنسوية هي الوحيدة في أوروبا الحديثة التي تتصل اتصالا قوياً بالروح القديمة. ولم يكن تقليد النماذج الاغريقية واللاتينية عندها نزولا وانحطاطاً أو بدعة انما كان أشبه شيء بالتقليد المتبع بين الاسرة الواحدة.

ولكن لم يلبث ان جاء اليوم الذي صار فيه ذلك الادب الكلاسيكي الجديد عند أغلب أمم أوروبا عبئاً ثقيلا. وكان ذلك الأدب الكلاسيكي قد تألف طبقاً للمثل القديمة والقواعد التي رسمها القدماء أو ظن أنها مقتبسة من القدماء وأخذ يتدرج شيئاً فشيئاً الى الكمال حتى بلغ مثلا ثابتاً ومتبعاً لا يجوز الحيد عنه. على ان الطبيعة الانسانية تأنف من الثبات على حالة واحدة ولا سيما في الآداب، مرآة الافكار، ذات التغير الدائم. هذا الى ان لكل أمة عبقريتها الخاصة التي قد تتفق أو لا تتفق مع القوالب المقتبسة من الامم الاخرى. وكان الأدب الكلاسيكي الجديد برغم اصطباغه بصبغة التعميم والشيوع قد طبع بطابع الروح الفرنسي، وهو ما كان يعوق ترقي

العبقرية الوطنية عند الشعوب الاخرى التي اتخذته نموذجاً تحتذيه وتعمل على مثاله .

فليس يستغرب ان يفضى تأثير الأدب الفرنسي فى القرن الثامن عشر إلى احداث رد فعل فى الأدب الأجنبي اطلق عليه اسم « الرومانتيسم » . وقد بدأت هذه الحركة فى المانيا حيث كان لادب فرنسا القديم الكلاسيكية الراجحة ثم انتقلت الحركة الرومانتيكيه الى انكلترا . وكانت عظيمة الأثر فى هذين البلدين ففاضت بنورها على الادب الفرنسي فأثمرت حركة الرومانتيسم

أصول الحركة في المانيا

ان الادب الالمانى فى القرن السابع عشر لم يفتقر الى الاسماء مقدار ما كان ينقصه صلة الالهام المشترك والصفة الوطنية. كان كتاب ذلك العصر فى عزلة عن بعضهم البعض لم تربطهم أية فكرة عامة وكأن المانيا قد نسيت ماضيها ولم تعد تذكر ما كانت عليه فى القرن الثالث عشر . من عصر « وولفرام فون اشنباخ » و « هرتمان فون درأو » و « والترفوندر فوجلويد » وكأنها جهات الحركة الفكرية القوية التى سبقت عصر الاصلاح وتمثت معه. ونريد بها الحركة التى رأسها لوثر وملانكتون وزوينجلى وهنس شاس . وبالاختصار كانت المانيا قد ضلت عن نفسها . وكان « مارتن أوبيتز » و « بول فالنج » و « اندريه جريفيوس » و « فردريك دي لوغو » و « هنرى بوشلوز » يقلدون فرنسا لعهد لويس الثالث عشر في حين كان « هوفمان فون هوفمانسو الدو » و « كريستيان هالمان » يحتذيان الامثال الشائعة في ايطاليا المنحطه . وفى ذلك الجو من الانحلال الفكرى الذى عم شعبا باكمله ظهرت عبقرية من الطراز الاول فلم تر من حولها شيئاً حياً فاختارت ان تكتب باللغة اللاتينية ونعنى بها عبقرية « ليبنز » (١٦٤٦ ـ ١٧١٦) . وليس لها مكانها فى تاريخ الادب الالمانى. وكان قد حان الوقت الذى تنشأ فيه حركة تجديد فى موطن « والترفوندر فوجلويد » و « هنس شاس » و « لوثر » و « ألبير

دورر » وان يهتدى ذلك الموطن فى آخر الامر الى تقاليده والى عبقريته الوطنية . وهو ماحققه القرن الثامن عشر .

على أن حركة التجديد في الادب الالمانى لم تتم دفعة واحدة . وأول من رفع رايتها « جوتشد » (١٧٠٠ ــ ١٧٦٦) وقف حياته مخلصاً على جمع ما تفرق من قوي بلاده وتأليف أدب ألمانى واسع النطاق تزهو به المانيا تجاه فرنسا وايطاليا . غير انه كان كاتباً بلا حرارة ولا خيال . كان عاجزاً عن بلوغ المثل الأعلى الذي دعا اليه

الثانى : « بودمر » (١٦٩٨ ــ ١٧٨٣) وهو شاعر وسط مثل جوتشد ولكنه كان من نقاد الطبقة الاولى دعا بحرارة الى إحياء العبقرية الجرمانية وايقاظ العاطفة الوطنية وعارض شعر العناصر اللاتينية بشعر العنصر الشمالى وتوخى الطبيعى والجليل في وقت معا واستثمار حماسة ذوي الالباب لما أبداه ملتون من الجرأة والشجاعة الادبية الفائقة ولم يترك فى الوقت نفسه اظهار وجوه الجمال البسيط فى أناشيد « مينيزنجر » (من الشعراء الغزليين في العصور الوسطى)

والتف حوله جماعة من شباب الشعراء يتبعون طريقته وأنشأوا صحيفة مجددة دعوها « صحيفة بريم » وقد نشرت فيها سنة ١٧٤٨ الاناشيد الثلاثة الاولى من ملحمة « مسياد »

الثالث : « كلوبستوك » قد وجد فيه « بودمر » مثال الشاعر الحقيقى فأعلنه للملأ على أنه رسول الشعر الجديد وبالغ فى تشجيعه والثناء عليه وفى الحقيقة أن حياة كلوبستوك الشعرية كانت اشبه شىء برسالة قدسية (١٧٢٤ ــ ١٨٠٣) كان كلوبستوك وقوراً عظيم التشدد تنعكس شخصيته فى اشعاره ،فسما بجميع تصورات معاصريه الى القمة التى بلغها خياله واحيى الميل الى الاشياء العظيمة وترددت فى انشاده الهامات جرمانيا القديمة

ولقد تغنى بكل الفضائل الالمانية (تقول الالمانية لاالبروسية) . الحماسة والغيرة الدينية والرحمة والرجولة . تغنى بكل ذلك لا في ملحمة المسيح التى

نظمها لاغير ، بل في مقاطيعه الشعرية وفي دراماته . مجد كل التمجيد جرمانيا القديمة مقدار ما مجد المسيح والعصر الاول الانجيل. كان موضوع عبادته ينحصر في المسيحية الاولى والمانيا الاولى . ومن الممكن أن تقول في حياة كلوبستوك كلها ما قالته مدام دوستايل عن ديوانه «مسياد» « يحسب الانسان حين يبتدىء قراءة ذلك الديوان انه دخل كنيسة كبيرة وسطها ارغن يدق »

الرابع : « ليسنج » ١٧٢٩ـ١٧٨١ جد مختلف عنه . فبينما يرفع كلوبستوك القلوب الى العلا ويطهر الاذهان يبزه ليسنج في حدة الذكاء وقوته وهو شاعر وفيلسوف وعلامة وصحفي ومجدد فياض بالآراء و الفكر وجدلي من الطراز الاول . كان ينفض الجدة على كل ماتناوله من مواضيع العلم والنقد واللاهوت والمسرح ولم يكن لاحد من المفكرين مقدار ما كان له من التأثير العظيم في المانيا فهو بحق محيي الروح الالماني العام في القرن الثامن عشر . وسواء بعث الحياة في قرائه أو استنهضهم الى الكفاح، فانه قد هدى العقول التي ضلت عن نفسها . ولقد صار « جوته » شاعرا لما قرأ كتابه « لاركون » .

هذا مقام ليسنج في الادب الالماني . أراد أن يهدم كل ما كان يعد في نظره قيداً وعبودية للفكر من أجل أن يهب العبقرية الالمانية الحرية الكافية في حركاتها. وقد تناول هذا الغرض من طريقين . أولا هدم النظريات التي قام عليها الفن الدرامي الفرنسي . ثانيا وضع نماذج أخرى حازت اعجاب الالمان. وكان المسرح الفرنسي يعول على القواعد التي رسمها ارسطوطاليس فسعى ليسنج في اقامة البرهان . على ان النقاد والشعراء الفرنسيين لا يفقهون كتاب الشعر الذي وضعه أرسطوطاليس . وانهم وضعوا قواعد أخرى أحلوها محل تعاليم الفيلسوف الاغريقي. واقترح على الالمان أن يتبعوا طريقة شكسبير وهي اكثر انطباقا على الروح الجرماني وعلى حرية العبقرية بوجه عام.

فاندفعت المانيا في الطرائق الجديدة متأثرة بدعوة ليسنج . ومنذ ذلك الوقت

اهتدت المانيا الى نفسها وامتلكت قواها الادبية وانتجت آدابها الاولى المبتدعة وهي تلك الآداب التى تطلق عليها اسم الكلاسيك .

الخامس: « هردر » ١٧٤٤_١٨٠٢ كان نسيج معاصره ليسنج فى احياء العاطفة الوطنية وتحرير العبقرية الالمانية .قضى قضاء نهائياً علي تأثير العصور المترفة وأيقظ الميل الى الآداب الاولى ولم يكن له نظير فى احساسه القوى بالعصور الاولى للعالم والازمنة الفطرية وعبادة الالهامات الاولى لكل شعب. ومن يطلع على تآليفه يرى ينبوعا زاخراً وثمينا من الشعر :« ليدر» و« أصوات الشعوب » و« أناشيد الحب في الشرق» وهي تآليف مليئة بالصور الجديدة كتصويره للصداقة بين ذوى المروءة والخير « تحت مثل ظل المساء حتى غربت شمس الحياة » ومن الممكن ألا نجد له مثل صراحة ليسنج ووضوحه الا أنه كان أشعر منه وأشد تأثيراً على العقول

السادس : « جوته » ١٧٤٩ _ ١٨٣٢ اهتدى الى عالم جديد حين قرأ « لاركون» ولم يكن قد عرف بعد لما صادفه هردر فى ستراسبورج واظهر له كل عبقريته وتدل التآليف الاولى التى اخرجها جوته علي مقدار التأثير الذى أحدثه هردر في روح الشاعر الشاب

ويطلق مؤرخو الادب الالمانى على تلك السنوات المملوءة بالحماسة التي شقت العبقرية الالمانية فيها طرائق جديدة اسم حقبة الهجوم والانفجار . وحتى هذا الاسم الغريب اقتبس من درامة ألفها «مكسمليان كلنجر» تعرب عن روح ذلك العصر الذى لم يستكمل نظامه ولم يتهذب كل التهذيب.

وبلغ من تأثير الجديد في شباب الشعراء الالمان « فوس » و « بورجر» « هاهن » و « ستولبرج » انهم اجتمعوا فى جوف غابة على مقربة من « جوتنجن » وأقسموا اليمين للشعر الجديد ورفعوا « كلوبستوك » الى مقام الرسول واحرقوا تآليف « فيلاند » ودخلوا ميدان الفن كما يدخل الناس فى دين جديد

وكانت العاقبة فى الحقيقة ان نشأت الفوضى في الآداب الالمانية . كانت

رجعى الى الحالة الفطرية الاولى كما وصفها الالمان أنفسهم . وكانت درامة « شيلر » المعنونة باسم « قطاع الطرق » (١٧٨٢) آخر قذيفة بل آخر تتويج للحركة الجديدة .

ولما كانت روح الادب الحديث تقضي بالبقاء في حدود الفطرة احتفاظاً بميزة الابتكار ، اجتهد الشعراء في أن يجعلوا العصور الوسطى مصدراً لالهاماتهم. الهامات خشنة غريبة وساذجة . غير أن ذلك البعث كان تجديداً عظيما في الأدب ، لولا انه يعاب على ما فيه من تلاعب أدبي واصطناع للعواطف والعقائد المندثرة .

وقد وجد « جوتة » في معاصره الكبير « شيلر » صديقاً فتح أمامه أنفس كنوز الفن . وانما خلق الشاعران لكي يكمل كل منهما الآخر ويصلح به نقائصه . وكان من الممكن أن نفضي الحماسة بشيلر الى التفيهق . ويفضي صفاء « جوتة » وطلاوته الى الخشونة . فأخذ « جوتة » عن « شيلر » اتحاد الخيالى بالحقيقي والعقل بالشعور الحار المتحمس . وهو من جهة أخرى اخضع ما في شعر صديقه من شهوة وثورة لقوانين الجمال الابدى ووجهه نحو الكمال في الفن . ويستدل من رسائلهما على أنهما كانا يتبادلان التشجيع والتنقيح متحدين في عبادة مثل أعلى واحد .

ولم تلبث العبقرية الالمانية بعد تلك التحضيرات والجهود العظيمة ان تبدت في أبدع صور الانبثاق والجلال . في ذلك العصر أخرج « جوتة » أجل اشعاره : « الملك توليه » و « الملك الاون » (١٧٩٥) و « هرمان ودوروثيه » (١٧٩٧) وهي ملحمة من طراز جديد . وأخيراً درامته الخالدة « فوست » رمز المصير الانساني .

الرومانتيسم في انكلترا

وانتقلت الحركة الرومانتيكية من المانيا الى انكلترا غير ان الآداب الانكليزية احتفظت في غضونها باستقلالها . وبينما كان الرومانتيسم في المانيا

حركة رد فعل ضد التأثير الفرنسي — حركة افضت الى خلق فن وطني جديد — كانت في انكلترا حركة رجعى الى العصور الوسطى والى عصور «السلف» القديمة. فان الشاعر « يونج » كان قد أخرج للناس « لياليه » — من سنة ١٧٤٢ الى سنة ١٧٤٦ —

لبث الشاعر « يونج » يخرج للناس « لياليه » الى سنة ١٧٤٦ . تلك «الليالى» التى تنم عن آلام قلب جريح ذاق مرارة الحياة وإن حسب القارئ السطحي انه لاينتسم منها روح القرن التاسع عشر الاسيفة المراضة . واخرج « هرفى » ديوانه « تأملات بين القبور » سنة ١٧٤٦ . وشهد « جراى » ترجمة احدى قصائده الى كل لغات العالم ونعنى بها « مرثية فى مقبرة باريف » . (سنة ١٧٤٩) واستعار « مكفرسن » اسم « اوسيان » فاحرز شهرة واسعة ترجع الى الخفاء الذى أحاط به تآليفه وما زال « مكفرسن » حياً خالدا برغم غموضه . وما زال لصوره الروائية وشخصياته تأثير قوى فى الاذهان . وان لاوصافه الرتيبة لحسن يجول فيه الخيال ، وان جزالة أسلوبه لتحرك النفوس وتسمو بها

وارتفع مقام فن القصة بتآليف « ريشاردسون » وهو خالق القصة الانجليزية الحديثة . حلل « ريشاردسون » القلب الانساني في حالات مؤثرة وهو الذى حدث عنه « جان جاك روسو » فقال إنه لم يؤلف فى أية لغة من لغات العالم الى الآن قصة تضاهي « كلاريس هارلو » (١٧٤٨) ولا مايقرب منها . و برغم أن « فيلدنج » كان أقل تأثيرا من « ريشاردس » فقد سحر الالباب بصوره الروائية الشتيتة الصادقة في « توم جونس » (١٧٥٠) وأخرج « جولد سميث » روايته « قسيس واكفيلد » التى كانت نموذج القصة الخلقية المنطبقة على ميول أوروبا فى كرم الطباع وحب الانسانية

كذلك انتقلت الى انجلترا الحركة الفكرية التى أثارت فى المانيا النقد وخلقت تآليف « هرود » و « جوتة » فنشر الاستقف « برسى » سنة

١٧٦٥ مجموعة الاشعار الوطنية الانجليزية القديمة التى اهتدى اليها بعد البحث الطويل وظهر الشاعر الشاب « شاترتون » الذى مات منتحراً فى سن الثامنة عشرة (١٧٧٠) بعد ان اخرج ديوان شعره الذي قلد فيه شعر قدماء الانجليز وقد عزاه الى الراهب « روفلي » ونشر « والتون » سنة ١٧٨١ كتابه الجليل فى تاريخ الشعر وأعان فيه قوة الشعر الانجليزى وحريته منذ نشأته الأولى

غير ان الشاعر الفذ الذى أعلن حقاً صورة كاملة للتطور هو « وليم كوبر » الذى قضى عمره فى عزلة (١٧٣١ — ١٨٠٠) وبرغم ان شعره قد طبع بذلك الطابع الدينى الذى ينطوي على روح الامس ، فأنه يعد بحق خالق الشعر الجديد في الأدب الانجليزى وهو الشعر الذى تتجلي فيه روحه بنواعجها الكمينة واتصالها التام بالطبيعة وكان مجرد رؤيته صورة لأمه أو رؤية الخريف فى الريف أو نزهة وسط الغابات مصدراً يبعث فى نفسه ما كمن من الشعر الرقيق المؤثر ، وهى بواعث كان يزدريها غيره من الشعراء .

تلك كانت ميزة المدرسة الجديدة فى الادب الانجليزي وهى تدل على أصدق ما تجنه نفس الانسان من التأثرات . وما فى الطبيعة من صور ساذجة مألوفة تجاهلها الشعراء القدماء وأبدع في نقلها المصورون « بلومفيلد » و « جراهام » و « أكرب » .

وكانت مدرسة البحيرة التى يطلقون عليها اسم مدرسة « اللاكست » مطلع فجر تلك الرجعة الى الطبيعة الا انها اقترنت بالتطلع الى المثل الاعلى . أما أولئك الشعراء الذين الغوا تلك المدرسة فهم: « كولريدج » و« شيلى » و « كيتس » و« سوزى » و « ويلسن » و« توماس مور » . وقد تغنوا ببحيرتى « كومبرلاند » و« ويسمولاند» .

وفى ذلك الوقت نبغ أيضاً أمير شعراء عصره « بيرون » الذى ابتدع بشعره الحار القوي فى ذاتيته الملاحم الغنائية المسماة « ليريك » وهى « شيلدهارولد »

سنة ١٨١٢ و « الجاور » و« عروس ابيدوس» و« القرصان » و« لارا » الى آخره. وأخيراً ظهر سيد الروائيين الانجليز « والترسكوت» ١٧٧١ — ١٨٣٢ ظهر بعبقرية شعرية وروائية ممتازة في أغاني حدود ايقوسيا و« سيدة البحيرة» و« عروس لامرمور» و« ايفانهو » و« بنت برث الحسناء » الخ . فأحيي العصور الوسطى التي طمرت تحت تراب القرون وتغنى كما قال « بالجن والعمالقة والغول والفارس والقزم » .

هل تذهبين ؟

ياهنـد قد فسد الزما ن وراج قول المرجف
فهلم نذهب في الظـلا م الى الجبال ونختفي
هل تذهبين .
وهناك نسرح مثلما ال أطيار تسبح في الفضا
متوكلين على المقـا در صابرين على القضا
كالزاهدين
أو نمتطي طيـارة ونطير في الجو الفسيح
متمتعين كما نشا ء بحبنا الصافي الصحيح
في كل حين
ياهنـد هـذي نجمة غـراء لامعـة الجبين
غمـازة فكأنهـا تدعو اليها العاشقين
هل تذهبين ؟

رشيد أيوب

اليمين

LE JURON

من أغاني بليتيس

معربة عن الفرنسية بتصرف

* * *

قال لى : أقسمت لو تعلو على   قنن الأجبال ، تكسوها الثلوج
موجة النهر الذى ينساب في   دعة ، ما بين هاتيك المروج

* * *

وإذا قدر للانسان أن   ينثر الأمواج في البحر بذورا
فإذاها بعد حين زهرة   تملأ الآفاق عطراً وعبيرا

* * *

وإذا حال ضياء الشمس فى   وضح اليوم . ظلاما دامسا
لاصباح . لاضحى . لاشىء من   هذه الأشياء إلا طامساً

* * *

أو هوى البدر على العشب كما   تسقط الازهار عن هذي الغصون
بدداً . للريح تلهو لهوها   ببقاياه ، كما تلهو السنون ...

* * *

أى بليتيس ! إذا ما وقعت   هذه الاحداث فى هذا الوجود
حينذا نصبح فى حل من ال   هجر ، والصد ، ونسيان العهود !!

حسن كامل الصيرفى

تلغراف حرب السبعين

كان السبب المباشر لوقوع الحرب البروسية الفرنسية عام ١٨٧٠ تلغراف أرسله جلالة ملك بروسيا الى بسمارك العظيم فاستفاد منه ذلك الوزير الداهية في عام ١٨٦٩ .كان نابليون الثالث قد تقدم فى السن وبرح به المرض وكان لفرنسا دستور ينص على مسئولية الوزارة البرلمانية وعلى أساس أحكام هذا الدستور اضطر نابليون ان يطلب من اوليفييه الذى كان يكرهه أن يؤلف الوزارة فتربع فى دستها في وقت كان فيه جو السياسة الداخلية صافيا اذعضده سبعة ملايين ونصف مصوت ضد مليون ونصف وبقى مليونان على الحياد

وكانت الوزارات المتتالية التى سبقت عهده قد اخفقت فيما بذلته من الجهود لمنع بسمارك من تنفيذ ما كان يرمى اليه من توحيد الممالك الالمانية فى امبراطورية واحدة ، وظهر أثر هذه العرقلة في وقوف الشعبين البروسى والفرنسى في مواجهة بعضهما فارتأى أوليفييه أن يساعد على تصفية الجو الخارجى أيضاً فأوقف مجهود عرقلة الوحدة المنوى انشاؤها ، وبذلك اعتقد انه قد أفلح في ازالة خطر احتكاك الدولتين ببعضهما وفعلا صرح امام البرلمان بزوال الخطر وهكذا اعتقد كافة الساسة الاوروباويون

ولكن حدث بعد ذلك ان علم سفير فرنسا فى مدريد ان الامير ليوبولد هوهنزولرن البروسى قد رشح للتاج الاسبانى .فابرق بذلك لحكومته فشعرت أوروبا من جديد بقرب هبوب العاصفة اذ قد اعترضت فرنسا على تتويجه واظهرت استعدادها لمنعه بأي واسطة كانت وكادت الحرب تقع بين الأمتين لولا تنازل الامير عن الترشيح فبدأت العواصف تخفت ثانية

ولكن حدث بعد ذلك ان طلب نابليون الثالث من سفيره فى المانيا ــ دون أن يستأنس برأي وزيره الاول ــ أخذ المواثيق على ملك بروسيا « أن لا يشجع في المستقبل أى أمير بروسى على محاولة التربع على عرش اسبانيا » فلما عرض السفير ذلك على الملك فى مصيفه لم يعطه ذلك الوعد بل صرفه بالحسنى وبعد ذهاب السفير أمر الملك سكرتيره أن يبرق الى بسمرك التلغراف وهو يتناول الطعام مع القائد العام البروسى «مولتكى» ومعوزير الحربية البروسية «روم» فاغتاظ وعول على الاستقالة احتجاجا على « الاهانة » التى لحقت بوطنه وكذلك فعل ضيفاه عندما قرأ التلغراف لهما وبعد المداولة

وتثبت بسمرك من قوة الجيش البروسى واستعداده للحرب ، وضع التلغراف فى قالب عده الفرنسيون مهينا لكرامتهم فاعلنوا الحرب . وكذلك عده الالمان فاستعدوا لها واليك محتويات التلغراف كما وصلت لبسمرك وكما ابلغها للصحف ولسفراء بروسيا فى الخارج

الاصل	البــــلاغ
كلفنى جلالة الملك أن أعلم سعادتكم بما يأتى . خاطبنى سفير فرنسا راجياً ان أكلفه كي يبرق في الحال لحكومته بما يفيد أننى متعهد باننى لا أشجع فى المستقبل أى أمير بروسى للترشيح لعرش اسبانيا فرفضت هذا بحزم إذ ليس فى الامكان ولا من العدل القطع بذلك وأخبرته بانه لم يصلنى بعد خبر عن الموضوع وأن اكبر برهان على أن ليس لبروسيا يد فى الموضوع (السفير) هو وقوفه على الخبر عن طريق فرنسا أو اسبانيا فى حين أننى لم أعلم به حتى الآن. وقد استلم جلالته بعد انتهاء المقابلة خطابا من الامير وقد اشرت على جلالته انا ويوابرج بعد مقابلة السفير كما سبق ووعده الاكتفاء بتكليف احد أركان الحرب ليقول للسفير ان خطابا قد وردمن الامير يحوى اخباراً فعزز أخبار باريس وليس لدى جلالته ما يريد قوله ويترك جلالته لسعادتكم فعل ما ترونه بخصوص إعلام الجرائد والسفير بما جرى أو عدمه .	بعد أن أعلنت مملكة اسبانيا الحكومة الفرنسية بتنازل الامير عن الترشيح للعرش قدم سفير فرنسا لجلالة الملك مطلباً مفاده أن يأذن له كي يبرق الى حكومته بان جلالته لن يقدم فى المستقبل على تشجيع أى مرشح بروسى لعرش اسبانيا . وعلى ذلك قرر جلالته أن لا يقابل السفير الفرنسى ثانية وأرسل اليه أركان الحرب صاحب النوبة يقول أن ليس لدى جلالة الملك مايقوله للسفير .

ولما قرأ بسمارك مسودة البيان على رفيقيه سرامنها جدا ورأيا فيها أوفى طريقة لغسل الاهانة التى لحقت بوطنهما فارسل البيان الى الجرائد وسفراء بروسيا في الخارج وطبع به ملحق وزع مع جرائد المساء فى برلين والصق على الحيطان ووجهات المحال التجارية .

فاسقط من يد أوليفييه وشعر كأن الصاعقة قد هبطت عليه من عل ولما أفاق من ذهوله لم يعد يحلم بالسلم خصوصاً وقد هاج الباريسيون وماجوا فلم يكن هناك بد من الحرب.

وليس معنى ما سبق أن التلغراف هو السبب الوحيد لاندلاع لهيب الحرب لانه لم يكن الا شرارة علقت بالهشيم فاندلعت منه السنة النار ولوأن الفرنسيين يدعون بان بسمارك كان المسبب الوحيد لاضطرام لظاها وانه كان الـكل فى الـكل يمكننا الآن بعد مراجعة مذكرات أوليفييه أن نقف على حالة الساسة الفرنسيين الفكرية فقد كان يعد وزير فرنسا خطابا يلقيه على الجمعية قبل أن تصدمه حادثة التلغراف ونجده يقول في الخطبة المذكورة مايأتى «تأكدنا اليوم أنه سوف لايتربع أميرأجنبي على عرش اسبانيا وهكذا تم لنا نصر باهر دون أن نهرق قطرة دم وبما ان المرشح البروسى قد انسحب فلم يعد هناك داع لطلب معونتكم فلو القيت هذه الفقرة ضمن خطاب الوزير لـكانت هي الشعلة التى تضرم الحرب

ويقول أوليفييه في مذكراته بعد ماأتممت كتابة خطابى دخل الغرفة وزير الخارجية وهو يقول « انظر ها امامك شخص مصفوع » فاستفسرت عن المعنى الذى يقصده فناوانى صورة البيان قائلا اقرأ هذا فذهلت بعد الانتهاء من قراءته ولمـا رجعت الى نفسى قلت ليس هناك شك فى أنهـم يرغموننا على اعلان الحرب وشعرت بالعرق يجرى باردا على جبهتى و بعد قليل استفقت على صياح الشعب لتحيا الحرب . . الى برلين :

وكانت مقابلة السفير لملك بروسيا فى ٢ يوليو وأعلنت الحرب فى ١٥ منه وبعد مرور شهرين بالضبط على المقابلة انكسرت فرنسـا فى موقعة

سيدان الشهيرة وهكذا محيت الامبراطورية من الوجود

ويختلف الناس في فعلة بسمارك فيقول البعض انه زور في التلغراف فى حين يقول البعض الآخر انه حرف فيه فقط ولاجل ان نعرف ماحدث يجب أن نضع ملخص الاثنين امامنا للمقارنة

ملخص التلغراف	ملخص البيان
١ قدم سفير فرنسا طلبا رفضته بحزم	١ قدم سفير فرنسا مطلباً للملك
٢ ثم تسلمت خبراً عن تنازل الامـير	٢ لذلك رفض الملك مقابلته ثانية
٣ لذلك لم أجد داعٍ لمقابلة السفير مرة أخرى	
٤ لك الخيار فى نشر الخبر او حفظه	

هذا مثل من عدة أمثال لانتهاز الساسة للفرص المناسبة الصالحة لبلادهم فيشهرون الحرب.

عمر عنايت

نشوء الغريزة

« ان الاستقراء المنطقى يسوقنا الى أن نعزو حدوث الغرائز الى سنة عامة تعمل على نشوء الـكائنات العضوية وتهذيبها ، فتمضى بالاقوياء الى التكاثر والتغـاير ، وبالضعفاء الى الزوال والانقراض ـ وان عقولنا تأبى ان تسلم بان هذه الغرائز خلقت فى الحيوانات خلقا من العدم . على ان درس غرائز الحيوانات درساً مدققاً ، لايبلغ فى التدليل على وجود هذه السنة التى تحدث تغاير الغرائز التدرجى ، من كل الاستقرآت المنطقية . »

رأى دروين — الفصل الثامن من اصل الانواع

ذكرى لبنان

عن ديوان رشيد ايوب المسمى بأغاني الدرويش وهو من امتع ما أخرج للناس من آداب المهجر السوري في أمريكا الشمالية

***

اذرفي يا عين دمعي فالهوى متلفي
واسعفي لعل ناراً في الحشا تنطفي

***

يا غرام يحلو لمثلي فيك فرط السقام
لا يلام من يحفظ العهد ويرعى الذمام
فالمقام مقام أرواح عليها السلام
فاختف يا مدعي الحب ولم يدنف
فالوفي من يبذل النفس ولم يكتف

***

هل يعود عيش قطعناه بتلك الصرود
أو تجود هذي الليالي بانتظام العقود
كي نرود في سفح صنين مقر الجدود
فانصفي أيتها الدنيا غريبا وفي
واعطفي على فتى في الحب مستهدف

***

لا براح من غربة أودت به وانتزاح
ما استراح من يرصد الافلاك حتى الصباح
يا رياح عودي اذا ما جئت تلك البطاح

شنفى   سمعي ومن حدثت منهم صفى
تشنف   روحي بمعناك اللذيذ الخفى

***

يا نوى   ان كان قلبي بالغرام اكتوى
والنوى   ظهري ورثت في المشيب القوى
ما انطوى   بساط آمالى ورب الهوى
فا عرفي   لا شيء عن لبنان مستوقفى
فهو في   وغيره فى الأرض لم أصطف

الرجعى الوراثية

من أخبار « ويلسدن » بانجلترا ان مجلس الاوصياء فى تلك المقاطعة قد اعجزتهم الحيل عن أن يجدوا طريقة يستطيعون بها أن يحكموا طفلة صغيرة تبلغ من العمر ثلاث سنوات ونصف عهد اليهم بها . فإن هذه الطفلة عبارة عن حيوان جامح غير مستطاع تأليفه .

ويقول الذين درسوا حالة الطفلة أنها مثل للرجعى الى الحالة التى كان عليها اجداد النوع الانسانى فى العصور الجيولوجية الأولى ، وأنها فى كل تفاصيل حياتها وحركاتها عبارة عن حيوان كامل الصفات . أما شكلها الظاهر فمثال الانسانية الكاملة من حيث الصحة وخفة الحركة ، غير أنها مع ذلك جموحة ضعيفة العقل كثيرة الاذى حتى اضطر أوصياؤها الى عزلها فى مكان خاص وجهزوا لها محبسا هو عبارة عن قفص من الحديد ذى حواجز طويلة . ولقد وصفها احد الباحثين فقال ان منظرها يذكرني بحيوان مفترس يزمجر انتظاراً لوقت الطعام .

عن الاوبزرفر

هل اميريكا مفرطة الغنى

حتى فى « أرض الذهب » يوجد خلاف فيما إذا كانت اميريكا مفرطة الغنى ، وهذا هو رأى الاغلبية ، أو أنها ليست كذلك ، وهذا هو رأى الاقلية الاضعف .

ليس هناك شك لدى الطرفين من أن الزارع الاميريكى مفرط الغنى أو بالاقل غنى وهذا هو الذى يقيس عليه الناس عند القاء آرائهم جزافا غير شاعرين بان الفلاح الاميريكى هو ثلث الامة فقط

ان الصناعات وبوجه خاص تلك المختصة بالنسيج والتعدين قد أصبحت فى بحران . وأما رقم العطلة فمن الميسور تفهمه اذا عرفنا أنه يوجد حول مليون عامل بلا عمل والسبب فى ذلك هو ان حالة الشركات الصغري بوجه عام سيئة

والآن نتساءل هل حقيقة أن الاميركيين أغنياء ؟ يجب أن يكون الجواب على هذا السؤال اما بالنفى أو بالاثبات المطلقين . هناك من يجيب باجل بينما يجيب البعض الآخر بلا ، ولكن كلاهما متفقان على أن هناك اضراراً تنجت عن الفقر أو عن الغنى المفرطين. ويقول البعض أن لا ضرر ينتج عن الغنى وانما ينتج عن الغباوة التى يصرف بها المال والآن هل لنا أن نتساءل عما اذا كان غنى الامة الغنية يتناول الاغنياء والفقراء معاً ؟ والا يكون الجشع فى هذه الحالة جاثماً جنباً الى جنب مع حاجة الفقراء الى الغذاء الكامل والتعليم المجدي . وكذلك مع العمل المضنى المهدد بالشيخوخة ومصائبها ؟

أجل ليست الثروة مصيبة فى حد ذاتها ولكن الضرر الذي يعود من اساءة استعمالها قد يزيد عن شرور الفقر فالاميريكى القادر على انفاق ٤٠٠٠ دولار في السنة يبذل جهداً عظيما كي يرفع دخله الى ٥٠٠٠ دولار واذا ما نجح في ذلك يجد أن رقم مصروفه قد ارتفع خلال تلك المدة الى ٦٠٠٠ دولار دون أن يشعر والسبب يعود الى رقى المصانع والمتاجر واجتهادها فى اقتلاع كل درهم يحويه جيب الاميريكى .

وقد تمنن المنتجون فى ساب المستهلك بطريقة البيع بالتقسيط للافراد ومعنى هذا هو اجبار المشترى على العمل المنهك لتسديد ما عليه فبعدما كان البائع تحت رحمة المستهلك وضع المستهلك تحت نظام التقسيط تحت رحمة الصانع وهذا النظام يسبب انتفاخا مالياً فالبائع بالتقسيط يوصى علي صفقات كبيرة مؤملا تسديد أثمانها مما يدفعه المستهلك من الاقساط والمصانع تشتري كميات عظيمة على أمل دفع أثمانها من الدفعات التى يسددها التاجر بعد قبض أقساط المستهلكين وبالطبع ينتج عن ذلك أيضاً توسيع المصانع والمتاجر وبما أن المستهلك لا يقتصر علي شراء ما هو فى حاجة اليه بل يشرئب بنظره الى تقليد من هم فى مستوى أعلا من مستواه مستهينا بالاقساط، فان الازمة لا تلبث حتى تداهمه فاذا ما اشتد عليه الضغط اضطر الى الاختيار بين أمرين، فاما انهاك قواه بالعمل طلبا لرفع رقم دخله وإما أن يستسلم للافلاس فتباع املاكه بابخس الأثمان .

وقد أصبح الاميريكى بفضل هذه الطريقة رقيقاً للتاجر الذي يلعب بسيف ذي حدين فهو يبتز آخر درهم يملكه المستهلك. هذا من جهة ومن جهة أخري فانه يجبر الصانع على الرضوخ لما يمليه عليه من الشروط لان طلباته الكبيرة تغرى أي صانع لمنافسة غيره فى الأثمان ولان الصانع يحتاج الى ربح فلا مجال امامه الا الضغط على العمال كي يزيد ارباحه .

فالاميريكى ليس بالثري بل هو متظاهر فقط بالثراء يعيش على اكثر من دخله وهو دائما مديون ولكن سيأتى « يوم التصفية » ان آجلا أو عاجلا وعندها ينهد أساس كل هذا البناء المنتفخ .

ولكى أعطيك فكرة عن درجة بؤس الرجل الاميريكى أسرد لك القصة الآتية .

أراد سكان احدى المدن الاميريكية الصغيرة الاحتجاج علي ارتفاع رقم ضريبة ماء فقصد بعضهم احد متوسطى الثروة من رجال الاعمال طالبين انضمامه اليهم، فاجاب بان ما يدفعه من هذه الضريبة لا يتجاوز ٥٠ دولاراً

فى السنة وهوما يعادل دخل يوم فاذا ما انضم الى الجماعة سينفق اثنى عشر يوما بالاقل فى اجتماعات وانضمام الى وفود وفي اجابة علي أسئلة وخلافه ولذلك يجد أن من صالحه خسارة دخل يوم وتوفير دخل احدى عشر يوما لنفسه .

وهل بعد ذلك لا يقال إن البرذعة قد أصبحت محتكمة فى الحمار، وبمعنى آخر ينكرون ان العمل قد أصبح السائد حتى على حرية الاميريكى؟

ملخصة حسين محمود

بين الدين والعلم

خطأنا بعض الكتاب يوم قلنا بأن الدين سوف يناهض العلم فى المستقبل وقيل بأنه لايقوم دليل على أن مواقع أخرى سوف تقع بين الدين والعلم . على أنى وقعت على قول للاستاذ جوليان هكسلي يؤيد ماذهبنا اليه قال :

« قد تقع علي كثيرين من حسنى النية يقولون لك بأن العراك بين العلم والدين قد انتهى أمده وفات زمانه . والحقيقة على نقيض ذلك . فان تلك المعركة التى أطلق عليها تجاوزاً معركة الدين والعلم تكاد تبلغ فى هذا الزمان شكاها الفاصل . فان كل المواقع القديمة لم تكن سوي مناوشات بين الطلائع . وما حادثة غاليليو وحادثة داروين الا تصادمين بين طرفى المتخاصمين . أما الموقعة الكبرى فانا فى انتظارها . وهى ولا شك سوف تتناول فكرة وجود خالق ، ولا شيء غير هذا » .

عن كتاب «الدين بلا وحى» للعلامة جوليان هكسلى

خطاب مفتوح

الى اصدقائى الاتقياء

ملخصة عن الانكليزية

اى اصدقائى الاتقياء ، واقصدكم انتم رجال الدين وليس غيركم ، مغفرة وصفحا. بينا انا اعترف باخلاصكم المتناهى لما تتمسكون به من المعتقدات لا املك من اظهار اندهاشى كما افتكر كيف تحاولون الجمع بين النقيضين فانكم تدعون بان لكل منكم عقلا ، فى حين انكم تسلمون باشياء ينفى حقيقتها كل من له ذرة ولو صغيرة من العقل

صدقونى اننى لا اقصد ان اهينكم كما وانى لا ادعى الكمال لنفسى ولكن لم اصل بعد ، كونوا مطمئنين ، الى الجمع بين المتناقضات كما تفعلون انتم . وانى مستعد تمام الاستعداد للاقتناع وترك كل ما تثبتون انه خطأ من افكارى ، فهل لكم بعض الشجاعة انتم ايضا لتصرحوا مثل هذا التصريح قبل ان نلج باب الجدال ؟

اننا لو فتحنا كتاب الطبيعة العظيمة لا يسعنا الا التسليم بوجود قوات متفرقة كانت السبب فى الوجود كما وانه توجد قوات اخرى تسببت فى العدم. نجد قوات مبدعة ونجد قوات مشوهة ، نجد قوات ناجحة وقوات غير ناجحة. انتم تقولون ان كشكول هذه القوات المتناقضة المتعارضة اسمها الله

وجدت خلائق لاعداد لها منذ ازمان توغل في القدم الا امد لا يحد. وقد فنيت بعض هذه الخلائق ، فهل يصح لى الاستنتاج ان خلقها كان خطأ ؟ والا فلماذا اندثرت تلك الزحافات العظيمة الهائلة التى كان مجرد خلقها دليلا على عظمة الله ؟

ولماذا اندثر بعضها قبل ان يخلق الانسان بعدة آلاف من السنين مع انكم

تقولون بان خلق الحيوانات من اجل الانسان! اليس ادعاؤكم هذا خطأً فظيع ؟

اهو الله الذي يوجد ويمنى ؟ اذن هو يجري تجاربا في مختبره الطبيعي العظيم فاذن هو يحاول الوصول الى الحقيقة التي لم يتوصل اليها بعد ؟

وفي العالم ملايين من النباتات ومن الحيوانات ايضا ولكن الانسان لا يعرف الا بضع مئات منها فكيف تثبتون ان الله قد خلق كل شيء من اجل الانسان؟

وكيف تدعون ايها السادة ان الله جبل اول انسان من الطين ثم نفخ فيه من روحه، والعلم ـ الحفريات ـ يدلنا على ان الانسان احتاج لآلاف عديدة من السنين ـ ان لم يكن مئات الآلاف من السنين ليصل الى ما هو عليه الآن. وبالرغم من مرور كل ذلك الزمن لا يزال الانسان محافظا على اعضاء اثرية ورثها من اسلافه الحيوانات مثل الزائدة الدودية والاظافر

ايها السادة انكم تخيلتم الله على صورتكم ثم نسيتم هذه الحقيقة وادعيتم انه صوركم على صورته وهذا ليس بالخطأ المهم فهو ينحصر من مبادلة بسيطة بينكم وبين الله الذي ظننتموه رجلا كبيرا جدا يعمل الاعمال التي تعملونها ويتصف بالصفات التي تتصفون بها وله رغبات كرغباتكم ولكن هذه الاعمال والصفات والرغبات هي في نظركم هائلة جدا.

اذا كان الله يظهر آثاره للناس كي يعرفونه فلم حرم الاوائل من مشاهدة آثاره وقد كانوا احوج منا لذلك؟ خبروني لماذا هبط من عرشه ليكلم موسى وقومه واشغل وقته فى مناضلة فرعون الى ان ضاق ذرعه فهرب بهم من مصر. حقيقة انه هلك ابدان المصريين ولكن النتيجة كانت هروبه بتلك الشرذمة القليلة بدلا من ان ينصرها فهل لم يكن فى ميسوره اكتساب النصر ؟

وحلت روح الآله فى طفل يهودى لكى يثبت لقبيلة من القبائل بانه آله موجود. ولكن هل خفى على الله ان اهل الهند والمكسيك وسيبيريا والترنسفال لم يسمعوا بهذه الحادثة الا بعد فوات الوقت ،وعندئذ صدقوها فقط لتخليص اجسامهم من نار محاكم التفتيش الهائلة. بل ما قولكم اذا مكم الله فى اناس لم يسمعوا بحلول الروح العزيزة فى جسد ذلك الطفل اليهودى حتى

الوقت الحاضر. اظنكم ستبتهلون اليه تعالى كي يثبت لهؤلاء الجهلة صدق قصة هبوطه بقوة المدافع والغازات الخانقة

ليس هذا هو الذي اوحي اليه بل ما يدهشني هو وجود نفر من مدعي العلم يعيشون وسط الثقافة والمدنية ومع ذلك يتمسكون اشد التمسك بصحة هذه الخرافة فهل لم يخطر ببال أولئك السادة ان ينجسوا ولو اطراف اصابعهم بمس كتاب عن مبادىء علم الحياة ليعرفوا استحالة نشوء الجنين بدون لقاح وكتاب مبادىء علم الفلك ليوقنوا ان الافلاك ليست ممسكة بخيط حتى يحركها الناس لتقود قوماً الى داخل غار لتريهم اين ينام الطفل ابن الله وليس لدى وقت ولا مكان لاستعراض مبادىء كافة العلوم الاخرى التي لا تفند بل تخطوا فقط على السفاسف التى يسمونها معجزات دون أن تشعر بوجودها الا ن الطفل المراهق له مقدرة عقلية كافية لنبذ امثال هذه الخزعبلات لولا . . . . اجل لولا الخوف من التقلب حول سيخ الشواء على نار جهنم القوية (يلاحظ اننا علمنا من التجربة ان النار الهادئة افيد كثيرا فى انضاج اللحم من النار القوية التى تحرقه) وبمناسبة ذكر عملية الشواء الاخروية هل احسن آباء الكنيسة صنعا عند ما سبقوا البارىء جل جلاله فقاموا فى دنياهم بعمل كان ينتظر أن يقوم به هو فى الآخرة . فهل حرق الكنيسة للاحياء فى عالم الدنيا كاف لتطهيرهم ام هو تعد على حقوق الله ام هو اجراءات تسبق اجراءات الآخرة وتكون لها بمثابة (ابيراتيف) لتفتح نفس الاحد كي يقبل على عذاب الاخرة بشهية جيدة

وما الذى يقصده الله من تدمير قرى الاولين وتشتيتهم بل ما الذى يقصده من اثارة البراكين على بعض جهات من الارض دون غيرها لا فرق بين ما اذا كانت مملة بوثنيين او بمسيحيين، بل ما ذنب الاطفال الذين يصب الله جام غضبه على ملاجئهم فيحرقهم فيها وهم احياء .لماذا هذه المحاباة بل لماذا يضحى الله ببعض المؤمنين الانبياء ويترك حبل الكثيرين من الكفرة الاشقياء على غاربهم

واذا كان الزواج مقدس فلم يرزق الله من لم يتزوجا زواجا مقدسا بابناء والبنوة نعمة بل لماذا يكون بين ابناء الآخرين اصحاء وضعفاء كما هو الحال بين نتاج كل زواج مقدس؟ واليس في وجود اولاد غير شرعيين اصحاء بينا نجد اولاد غير شرعيين اصحاء بينا نجد اولاد شرعيين ضعفاء ، اثبات على ان الله قد بارك نسل أولئك الجحدة ؟

هذا قليل من كثير اتقدم بكل خضوع اليكم راجيا بحثه

ساؤوا بارلو برازيل بندلي البيلوني

الانتاج والمدنية

الفرق بين المدنية القديمة والحديثة عظيم . على انك اذا اردت أن تعرف الفرق الحقيقي مقيسا بالحالات الواقعة فامعن النظر في مايلي

« تمثل الشاعر دانتي المشهور انسانا وأفعى وقف احدهما بازاء الآخر . وما لبثا أن يقفا حتى تولاهما انقلاب خاتي خطير . فانبطح الانسان على الأرض واندمج ساعداه في جنبيه والتحمت ساقاه ، واخذ جسمه يستدق و يزداد استدارة وامتداداً ، في حين أن الافعى انتصبت على ذنبها واخذ رأسها يتضخم ونبت لها ساعدان ، وانفلق نصف جسمها الاسفل فكان ساقين ، ثم نظر كل من الانسان المنقلب افعى والافعى التي انقلبت انسانا بعضها الى بعض برهة ثم مضى كل منهما في سبيله . فلو أن دانتي أدرك هذه المدنية لما تمثل أن انسانا وقف ازاء افعى ليأخذ كل منهما صورة صاحبه ، بل تخيل انسانا وقف أمامه آلة ميكانيكية فنت ارادته في ارادتها ، فاصبح آلة ، واصبحت الآلة انسانا

من كتاب معضلات المدنية الحديثة

رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزهاوي

— ٣ —

في العظات والامثال

كان ليل من قبلنا ونهار ونجوم تلج بالدوران
رب أرض وطئتها هي كانت عين حسناء في قديم الزمان

— ٧٦ —

ذهب العمر مثل ماء بواد أو كريح مرت على الفلوات
لم أفكر في كل عمري في يو مين يوم مضى ويوم يأتي

— ٧٧ —

ان وفى لي الغريب فهو قريبي أو جفاني الصديق فهو عدوي
رب سم فيه شفائي ودريا ق أرى الموت منه لي في دنو

— ٧٨ —

عامل الناس بالولاء جميعاً من يسيء فهو بالملام خليق
فاذا كدت فالصديق عدو واذا جدت فالعدو صديق

— ٧٩ —

أيها القلب هب ربيعك قد زين — بزهر من نرجس وأقاحي
وتر الزهر ليلة بت كالظل — وفارقته بوقت الصباح

— ٨٠ —

ما مضى فات والذي سوف يأتي   مختف في غياهب الشبهات
اغنم وقتك الذي أنت فيه   ثم لا تحفل بماض وآت

— ٨١ —

أنا فوق الثرى أري راقدينا   وأرى تحت وجهها مختفينا
والى اللاوجود أرسل طرفي   فأرى القادمين والذاهبينا

— ٨٢ —

هى دنيا ما لها من ثبات   فتمتع بالراح بين يديكا
أنها لو وفت لما انتقلت قط — من الآخرين يوما إليكا

— ٨٢ —

أنت فى الواجبات قصرت عمراً   أفلا تستحي من التقصير
هب جميع الدنيا غدا لك ملكا   أترى غير تركها فى الاخير

— ٨٤ —

هب جميع الدنيا أتت لك عفواً   وأفادت وان نجمك سعد
وافترض أن قد عشت مايةعام   وبلغت المنى ! فماذا بعد

— ٨٥ —

بأيدى الماشطات حسناء رودا   مشبهاً وجهها من الحسن زهراً
الغبار انفضيه عنها برفق   فلقد كان وجه حسناء أخرى

— ٨٦ —

ان هذا الورد الذي قد تفيأ   ت وقد جاء بالاريج يجود
قد بدا فى هذا التراب كثيراً   وكثيراً الى التراب يعود

— ٨٧ —

انما الناس أجمعين كما قد   هلك الناس قبلهم يهلكونا
أمم قد أتت فما كان لبث   ثم يأتون ثم لا يلبثونا

— ٨٨ —

كم الى اللون والروائح تصبو   وتروم الاخباث والطيبات

أنت يوماً تغور مختفيا فى الأرض حتى ان كنت ماء الحياة

— ٨٩ —

أيها القلب مضك الدهر غماً أنت فى يوم ميت من عذابك
اتخذ مقعداً من العشب وانعم قبلما ينمو نابتاً من ترابك

— ٩٠ —

في عيون المحققين سواء أجنان مكانهم أم جحيم
حسن يسمعونه أو قبيح وجميل يرونه أو ذميم

— ٩١ —

أن تحاول أن تستريح لخامل كل من جامل المخاصم بذا
سالم الناس ان أردت سلاماً ان من يؤذى غيره يتأذى

— ٩٢ —

افرض الشيء الذى هو موجو د ولما تفز به مفقوداً
وأحسبن الشيء الذى هو مفقو د وقد رمت نيله موجوداً

— ٩٣ —

انما الديك قائل بصياح منه شبه النحيب قبل النهار
قد مضت ليلة من العمر أخرى في غضون الكرى وما أنت دارى

— ٩٤ —

كان هذا الشقيق من قبل حين دم ملك فى الارض ذى سلطان
وكذا كانت البنفسجة الزر قاء خالا بوجه إحدي الحسان

— ٩٥ —

كن حماراً مع الاولى زعموا أن لهم فى كل العلوم اقتداراً
من حمير يكفرون بجهل كل انسان لا يكون حماراً

— ٩٦ —

انما الرزق لا يزيد ولا ينـ ـقص مهما ذممته أو حمدتا
استرح من جميع مالم تجده وتحرر من كل ماقد وجدتا

— ٩٧ —

ان هلكنا حثوا على الوجه منا من ترى كانت مثلنا انسانا
ثم يحثون بعد صحن نبلى من ثرانا على وجوه سوانا

***

فى الحكمة والشك

— ٩٨ —

انما الهم والسرور وهـذا — الخير والشر كل ذلك موعز
لاتحلها الى السماء بجهلى انها الفمرة منك أعجز

— ٩٩ —

أنت لو كنت بالحياة خبيراً لعرفت الذي لدى الموت يجرى
أنت في هذا اليوم حى ولا تد رى فتيلا . فكيف ان مت تدرى؟

— ١٠٠ —

ان أهل العلوم قدحوا بالفـ ـكر زنداً فلم يخف الظلام
لم يروا مخرجاً من الليل ينجى ولقد قصوا قصة ثم ناموا

— ١٠١ —

اغتنم فرصة الحياة وخذ بالا بــو وأنعم فالعمر أن مر مراً
لست ذاك الذى لقد حصدوه مرة كالكراث ينبت أخرى

— ١٠٢ —

لعبوا بالتراب دهرا الى أن جبلوا منه في النهاية طينى
أنا ما إن كون تحسن منى فمن الكور هكذا أفرغونى

— ١٠٣ —

فئة فى اليقين والشك هاموا وفريق بالدين راموا لواذا
واذا صائح يقول مشيراً ليس ذا كم هو الطريق ولا ذا

— ١٠٤ —

ان خلف الستار عنك وعنى   لحديثاً على المسامع يلقى
فاذا ما انطوى الستار فلا أنت   عليه تبقى ولا أنا أبقى

— ١٠٥ —

أنا لا أشترى الخيال بفلس   وتبيع الدنيا باخراك أنتا
قلت من بعد الموت أين ذهابى؟   هات خمراً واذهب الى حيث شئتا

— ١٠٦ —

ماهــذا الوجود من اول أو   آخر فافتكر به وتعجب
ليتنى قد علمت من أين جئنا   والى اين بعــد حين سنذهب

— ١٠٧ —

ليس تدرى العقول مبدأ هذا   الكون والمنتهى فيا للعقول
من سماء فيها نجوم وأرض   جمعت بين تافه وجليل

— ١٠٨ —

أمم قد بادت وعادت وبادت   ثم عادت لاتسأم التكرارا
ان خلقا يحيون فى الارض مالم   يمت الله يولدون مرارا

— ١٠٩ —

قال أهل الحجى برب قدير   واطالوا فى ذاته التفكيرا
ثم لم يعرفوا حقيقته بل   هذروا أولا وناموا أخيرا

— ١١٠ —

انهم قد قالوا هناك جنان   لك فيها خمر وحور عين
فاتخذ فى دنياك خمراً وحوراً   مثلما فى اخراك سوف يكون

— ١١١ —

امر الناس باجتناب المعاصى   وهو فى الوقت نفسه يغريها
ان هذا كمن يقول اقلب الكا   س بأمرى ولا ترق ما فيها

— ١١٢ —

ان ذاك النقش الذي وقعت   عينك يوما بين النقوش عليه
ليس الا فقاعة ظهرت فى   وجه بحر طما وآلت اليه

ثمار الفكر الغربي

مراجعات وتلخيص عن أحدث المؤلفات الأوروبية

ابن الانسان

تأليف اميل لودفيج الاديب الالماني المعروف — وهو ترجمة عن حياة المسيح عيسى بن مريم على نمط جديد لم يتحه كتاب التراجم من قبل — يقع في ٣٢٠ صحيفة من القطع الاوسط من اللغة الانجليزية .

The Son of Man : by Emil Ludwig : Translated from the german by Eden & Cedar Paul ,with eight illustrations after Rembrandt. pub ., Ernest Benn & co limited : London.

في الساعات الاولى من يوم الجمعة ٧ ابريل سنة ٣٠ بعد الميلاد ـ على ماحققه المؤرخون بكثير من المرجحات ـ خرجت من ثكنات « انتونيا » في أورشليم شرذمة قليلة من الناس قاصدة الى خارج أسوار المدينة ؛ وعلى مقربة من طريق عام ، ومن فوق ربوة يكفي ارتفاعها لان يجعل ما يحدث فوقها ظاهراً للشاهدين وعابري السبيل ، انتهى مسير الشرذمة لتباشر عملها . ثلاثة من « المفسدين » سوف يصلبون في تلك الساعة . أما أحدهم فقد اتهم بأنه يقوم بدعوة يحاول بها أن يقضي على النفوذ الروماني في أرض « يهوذا » وأن يعيد مملكة « اليهود » الى سالف عهدها ودارس عزها وسطوتها ، وأن يجعل نفسه بعد ذلك أميراً على تلك البلاد . ذلك عيسى بن مريم الناصري .

وكانت أورشليم في ذلك اليوم تعج بالقادمين والزائرين الذين أموها من أطراف الدنيا الاربعة ليحيوا فيها عيد الفصح ويحجوا الى بيت الله الحرام .

وأقيمت الصلبان الثلاثة وعلى أحدها انبغ من أخرجت الانسانية من

أبناؤها البررة المصلحين ، وعلى الاثنين الباقيين مفسدين من مفسدي ذلك العصر ومن قاطعي طرق بلاد يهوذا في عصر ما عرفت فيه السبل سلطة القانون ولا بطش الحكومات . وهكذا كان . اجتمع الصلاح والفساد في مكان ليدل على أن الصفات الانسانية مهما تحررت ومهما سمت فلا بد من يختلط بها أصل من أصولها الحيوانية المكونة من خليط من فاسد النزعات وصالحها ومن عناصر، اذ ترى فيها سمو العواطف فى الأمومة والابوة ، تقع فيها على اسفاف حب الغلبة وحفظ الذات ، تلك الصفة التى كثيراً ما كانت سبباً فى اهراق الدماء وتصديع كل ما رأبت شرائع الآداب من صدوع الانسانية .



هذه صورة وجيزة يختتم بها الاستاذ « أميل لودفيج » كتابه « ابن الانسان» الذي حاول به أن يصور عيسى بن مريم في صورة تقرب جهد القرب من حقيقة ما حدث فى تلك الازمان . ولمؤلف هذا الكتاب طريقة مبتكرة فى وضع التراجم اذ هو يحاول أن يتغلغل في روح العصر الذى عاش فيه بطله الذى يترجم عن حياته، ويستعمق فى درس حوادثه حتى يخلق في ذهنه جواً يقرب جهد القرب من الجو الذى عاش فيه بطله . ثم يندمج فيه ، بعد أن يستوعب كل ما يستطيع استيعابه من حالات العصر الذى يسبق ظهور البطل مباشرة وحالات العصر الذي يعقب طيه فى أكفان الزمان ، ليخلص من جماع ذلك بصورة هى الى الفن التصويرى أقرب منها الى الفن الأدبى. والحق أن الصورة التى تخلص بها من كتاب لودفيج لصورة ثابتة خالدة ، والطابع الذي يدمغ به مخيلتك لن يزول .

قرأت عن الكتاب كثيراً من التلخيصات قبل أن أطالعه في الاصل الانجليزى وقرأت فى بعضها نقداً وفى بعضها مدحاً يفوق حد الاغراق . أما النقد فخصه به رجال الكنيسة ، وفريق منهم فى طليعة أدباء الانجليز كالاسقف انج مثلا ، وأما المدح وبالغ الوصف فصدر من أقلام فئة خصت اليوم بالتحكم فى الادب الانجليزى ولها القدح المعلى فى النقد وقوة الحكم

على حقائق الصور الادبية التي تصدر من أقلام الكاتبين . على أني ظللت بين هؤلاء وهؤلاء فى شك وريبة حتى وقع لى الكتاب ، واذا بالاثر الذي يتركه فى نفسي والصورة التي يطبعها فى مخيلتي أعظم من أن تبرزها جمل التقريظ التي قرأتها من قبل فى صحف الانجليز . الاثر بالغ والصورة جلية واضحة. أما طابعها فثابت فى الذهن يساورك أينما سمعت باسم «عيسى» أو اورشليم أو بيلاطس أو هيرووس أو هيروديا امرأته أو شالوم ابنتها أو يوحنا المعمدان أو جرى على لسانك ذكر الناصرة أو بذهنك صورة الجليل . على أنك لا تذكر هذه الاسماء أو الأماكن مفردة اذا ذكرتها الواحدة بعد الأخرى ، بل أن ذكر أي منها كاف لان يقيم فى ذهنك الصورة التي برع لودفيج في طبعها فى مخيلتك تامة كاملة .

وبعد كل هذا فانك لن تفهم مايكتب لودفيج أو تستطيع أن تعرف مارمى اليه فى كتابه العظيم الا اذا ماشيته بعقل تحرر من التقاليد وفكر غير مفسد بالنقل ، وعرفت انه انما يتكلم « فى عيسى » لا في « المسيح » والفرق عظيم بين الحالتين .

***

اقرأ من انجيل لوقا فى الاصحاح الثانى

« وفى تلك الأيام صدر أمر من اوغسطس قيصر بان يكتتب كل المسكونة . وهذا الاكتتاب الاول جري اذ كان كيرينيوس والى سورية . فذهب الجميع ليكتتبوا كل واحد الى مدينته . فصعد يوسف أيضاً من الجليل من مدينة الناصرة الى اليهودية الي مدينة داوود التى تدعى بيت لحم لكونه من بيت داوود وعشيرته ليكتتب مع مريم امرأته المخطوبة وهى حبلي . وبينما هما هناك تمت أيامها لتلد . فولدت ابنها البكر وقمطته واضجعته فى المذود اذ لم يكن لهما موضع فى المنزل . »

وجاء فى هذا الاصحاح نفسه .

« وكان أبواه يذهبان كل سنة الى أورشليم في عيد الفصح . ولما كانت

له اثنتاعشرة سنة صعدوا الى أورشليم كعادة العيد . وبعد ما اكملوا الأيام بقي عند رجوعهما الصبي يسوع في أورشليم ويوسف وأمه لم يعلما . واذا ظناه بين الرفقة ذهبا مسيرة يوم وكانا يطلبانه بين الاقرباء والمعارف . ولما لم يجداه رجعا الى أورشليم يطلبانه . وبعد ثلثة أيام وجداه فى الهيكل جالساً فى وسط المعلمين يسمعهم ويسألهم . وكل الذين سمعوه بهتوا من فهمه وأجوبته . فلما أبصراه اندهشا . وقالت له أمه يابنى لماذا فعلت بنا هكذا . هو ذا أبوك وانا كنا نطلبك معذبين . »

اذن فقد كان أبوه يوسف وأمه مريم يكلآنه برعايتهما . ومات أبوه يوسف وبقى عيسى مع أمه فى بيته بقرية الناصرة . أما لودفيج فيصف لك عيسى على باب منزله بالناصرة هادئاً ساكناً يرعي الطريق بعينين سوادوين لامعتين تلوح من بينهما إمارات الذكاء النادر والقوة الروحية البالغة . ومن حوله اخوته الصغار يقطعون عليه سيال تأملاته ويشوشون عليه تيار افكاره فيقوم متثاقلا من البيت الى تل قريب تكسوه الاشجار وتهب عليه الرياح البليلة ، وهنالك يستلقى تحت الظلال مستغرقا فى التأملات العميقة . وقد يظل على حاله تلك ساعات طويلة يعود بعدها الي البيت منهوك القوي ولكن على ماتعهدفيه من الرصانة وتوازن الخطو وشبوب الروح الفائضة بكل معانى القوة والجمال .

* * *

في نهر الأردن يقف يوحنا المعمدان ليعمد الناس ويغسل خطاياهم فيأخذ من ماء النهر ويصب على رأس من يريد التعميد . ومن ثم يتفوه بكلمات يقول فيها « انا أعمدكم بماء ولكن يأتى من هو أقوى منى الذي لست أهلا أن أحل سيور حذائه . هو سيعمدكم بالروح القدس ونار » .

(لوقا اصحاح ٣) .

وحج الناس الى الأردن ذرافات ووحداناً . وسعى اليهود الى الأردن ليتعمدوا ويتطهروا من خطاياهم وليروا ذلك المبشر الذى يبشر لهم

بملكوت السماوات وانها قريبة منهم وان المسيح الذى بشر بظهوره انبياء بنى اسرائيل قريب ظهوره



يوحنا المعمدان فى الاردن

وفى سن المراهقة أو أزيد قليلا يذهب عيسى الي يوحنا ليتلقى المعمودية على يديه . « ولما اعتمد جميع الشعب اعتمد يسوع أيضاً واذ كان يصلى انفتحت السماء ونزل عليه الروح القدس بهيئته جسمية مثل حمامة وكان صوت من السماء قائلا أنت ابنى الحبيب بك سررت » .

(لوقا اصحاح ٣)

هنا يصور لك لودفيج صورة خالدة من صوره العظيمة . يوحنا فى النهر يغمره الماء إلى مافوق ركبتيه ويأخذ من ماء النهر ويصب على رأس من يتعمد . وبجانب النهر تل عال ينحدر من فوقه الطريق إلى حيث كان المعمدان . والحجاج يتزاحمون إلى النهر ليطهروا أرواحهم من أرجاس الحياة الانسانية

ويستقبلون ملكوت السموات التي يبشر هُم بها يوحنا ويسمعون كلماته التي يوحي اليهم فيها بان المسيح على الأبواب وان زمانه قد قرب .

وينحدر عيسى من فوق الجبل ميمماً نحو النهر ثم يلتقي بالمعمدان فيطيل كلاهما النظر فى الآخر ثم يأخذ في تعميده بعد أن يفرغ من كل الناس ، ولم يكد يسمع عيسى كلمات المعمدان حتى تأخذه هزة عميقة فيخرج من النهر مسرعاً ويهيم فى البرية شارد الفكر مضطرباً ثم لايعود إلا وهو على اعتقاد بانه المسيح وأنه مخلص العالم الذى بشر بظهوره انبياء بنى اسرائيل .

« وخرج عيسى من النهر بعد أن تطهر من الخطايا التى لم يرتكبها قط ، ولكن كان لايزال مضطرباً لان كل الاشياء التى رآها فى نهر الاردن حتى ذلك الوقت كانت بلا معنى يدركه . ولقد ارتج عليه الموقف بعد أن توالت أمام ناظريه صور ماء النهر والمعمدان والجماهير المتزاحمة من حوله ، فخرج من غمر الجماهير ووقف وحده بعيداً مغمضاً عينيه ، محاولا أن يلم أطراف نفسه المضطربة مرة ثانية ، وهنا يضيء أمام ناظريه ظلام الوجود ، فيرى رؤياً ويسمع صوتاً . ويخيل اليه أن أبواب السماء قد فتحت وأن حمامة تطير، كأنها تحمل اليه رسالة . فيسمع صوتاً غريباً منبعثاً من قلبه يقول له — « انت ابنى الحبيب بك سررت » .

«ما اهولها من برهة . وما أزعجها من لحظة . اهـذا صوت أبيه ؟ لقد سمعه من قبل مرات عديدة . فى تدفق ماء النهير وفى غمزات الاضواء السماوية التى تبعث بها النجوم البراقة . وفى صريخ الأطفال اذ يلعبون . غير انه الآن بين جلى صريح ، بل كلام فى مقاطع مميزة فيدعوه ابنه » .

« ومالكه الروع ففر عيسى من غمر الجماهير ومن المعمدان ، متغلغلا فى جوف الصحراء »

« وفى اليوم الثانى يثوب الي رشده وهو فى جوف الصحراء . وتعاوده شيئاً بعد شيء ذكرى ماحدث فى اليوم السالف. غير أن اضطرابه لم يذهب وروعه لم يشب . ولقد زادت الوحدة والاستيحاش إلى اضطراب نفسه » .

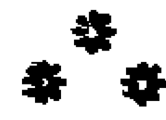
هـذه هى الصورة التى يصور بها لودفيج تعميد المسيح . اما صومه

وفراره فى البرية فاليك مايقوله لوقا من اصحاحه الرابع » .

« أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس وكان يقتاد بالروح فى البرية أربعين يوما يجرب إبليس . ولم يأكل شيئاً فى تلك الأيام . ولما تمت جاع أخيراً». الخ

« ورجع يسوع بقوة الروح الى الجليل وخرج خبر عنه فى جميع الكورة المحيطة . وكان يعلم فى مجامعهم ممجداً من الجميع » .

بهذا اكتملت مقدمات رسالة عيسى ابن الله ، وبدأ يعلم الناس على القواعد التى أخذها من معلمي اليهود وزاد اليها رسالته التى بشربها انبياء بنى اسرائيل منذ ابعد الازمان



قد تسأل من هو يوحنا المعمدان ؟؟ وكيف ظهر فجاءة بين يوم وليلة ليؤدى إلى بنى اسرائيل رسالة طالما انتظروها بحرارة الخوف واشفاق الرعب والوجل .

انتشرت اشاعة بين بنى اسرائيل محصلها أن رجلا ظهر عند منقطع العمران على مقربة من نهر الاردن يدعو الي التوبة ويحبوا الناس بالغفران . وانه بدلا من الختان يطهرهم تمميداً بالماء الذى ينقى اجسامهم وأرواحهم معاً. وهو مسدل الشعر فوق الكتفين ، كما أن له لحية كثة طويلة ، ويكتسى بوبر الابل وان الصوم وطول التعبد قد فعلا فى جسمه فاصبح نحيلا ضئيلا امانفسه فمشبوبة بالايمان مملوءة بالتقوى . وأنه يلقى الى الناس رسالة مؤداها التحذير من غضب الله ويزجرهم عن فعل الموبقات وارتكاب الخطايا والآثام . اما الفكرة العامة فكانت على ان هذا هو النبي « إيليا » الذى عاش من قبل فوق جبل الكرمل فى كهف من كهوفه المنقطعة عن العمران وعن جلبة الناس ، والذى كان يظهر حينا بعد حين ليتوج ملوكا ويخلع آخرين . اما الاساطير فتقول بان « إيليا » لم يمت أبدا وانه بقى حيا على طول الازمان وانه سوف يسود يوما من الايام ليخلص بنى اسرائيل . فها هو قد ظهر

اخيرا . ظهر « إيليا » برسالة المخيفة المهيبة ، وها هو يوم الحساب قد آن .

كان يدعي يوحنا . وكان منذ نعومة اظفاره معروفا بعناده وشدة مراسه . عكف على عيش الوحدة والانفراد والابتعاد عن الناس والانقطاع في الوديان السحيقة القريبة من مكان مولده ، فى تلك البقعة التى يتابع فيها التل التل ، ويتلو فيها الوادي الوادى على تلاحق وبلا انقطاع .

ولقد تعلم يوحنا فى اورشليم ونهل من حكمة اليهود القديمة ودرس الشريعة وعكف على تفسير الكتب المقدسة ليكون كاهنا كأبيه . غير أنه بعد زمان هرب من المدرسة ، إما لأن ما كان يتلقاه هناك أوسع عن عقله القاصر ، وإما لانه كان اصغر من عقلة الكبير . ولكن الى أين يذهب ؟ الي الوديان المنقطعة عن العمران والى الجبال والتلال المتلاحمة والى الكهوف التى كانت مبعث أنبياء اسرائيل منذ أزمان بعيدة ، لا ليقضى هنالك طوال عمره بل ليعود مبشرا برسالة وبالمسيح الذى ينتظره اليهود على احر من جمر الغضى رهبة ورغبة ، حبا وإشفاقا ، أملا ويأسا . فلما ظهر يعمد بماء الاردن كان هو « إيليا » وكان « أشعياء » وكان كل من تذكر من أنبياء ذلك العهد على كثرتهم . ولكنه يعمد بالماء ، ثم يبشرهم بمن يعمدهم بالروح وبالنار

* * *

لم يفطن الكتاب الذين كتبوا فى حياة المسيح الى حقيقة ذات بال محصلها أن اليهود كانوا ينتظرون ظهور مخلص من بين ظهرانيهم يفتح لهم ملكوت السماوات بعد أن يطهرهم من أرجاس الحياة ويأخذ بيدهم الى العرش الاعلى . اما هذه الحقيقة فقد فطن لها فى النهاية كتاب الالمان الذين ترجموا عن حياة عيسى، لولئك الكتاب الذين استطاعوا بقوة برهانهم وسبك عباراتهم التاريخية وصوغ الحقائق في قالب قصصى رائع، أن يقتلعوا عقلية « رينان » ، اكبر مؤرخ نصرانى أنجبته فرنسا ، من أحضان الكنيسة . ليلقوا به في بحر الشك المضطرب المتلاطم الامواج .

كانت تثور في نفسية الشعب اليهودى الآمال والمخاوف ، بل كانت تلتهب فى عقولهم نيران الانتظار لمن يخلصهم من نير الرومان ومن حكمهم

القاسي ويدهم الحديدية . كانوا ينتظرون المخلص وكانوا ينتظرون ملكوت الله . بل كان املهم قريب وايمانهم بظهور المسيح المخلص ثابت حتى لقد اعتقدوا بان احدا منهم لن يموت قبل أن يراه وقد رفع راية اسرائيل ونشر سلطته على اورشليم وأنه اصبح السيد المطاع فى أرض يهوذا . ولا جرم أن شعبا يعيش عيش التطلع الى المستقبل ، ويبيت ليله ويقضى نهاره فى توقع ظهور مخلصه وتوجس الشر من المستعمرين ، كما كان شأن اليهود فى أول العصر النصرانى ، لا بد من أن يكون قد فقد كل امل له فى الحاضر ، والوى بعينه يتطلع الى المستقبل القريب . لهذا كان ظهور عيسى فى الاردن وتعميده خطوة ضرورية يعتقد بعدها شعب اسرائيل أن بن يوسف النجار هو المسيح المنتظر وأنه المخلص وانه ابن الله .

وكانت النبوءات التى بشر بها انبياء بنى اسرائيل تدل على أن المسيح لا بد من تتوفر فيه شروط خاصة منها أن يكون من نسل داود وان يولد حيث كان داود أى فى بيت لحم . لهذا حاول كاتبو الأناجيل أن يصلوا نسب يوسف النجار بنسب داود وحاول احدهم أن يجعل بيت لحم مسقط رأسه بدل الناصرة : حتى لقد وقع كتاب الاناجيل لكى يوافقوا بين هذه النبوءات وبين حقيقة عيسى فى اخطاء تاريخية كثيرة . فقد اهمل احدهم فى سلسلة النسب التى حاول أن يربط بها بين يوسف النجار وبين داود ذكر ملوك أربعة . وذكر بعضهم وقوع التعداد الرومانى فى عصر مغاير للعصر الذى وقع فيه ، بل ذكر أن يوسف هاجر من بيت لحم الى الناصرة ليعد ضمن أهلها ، فى حين أن الناصرة فى ذلك العهد لم تكن تحت سلطة الرومان

وبعد أن اكثر متى ولوقا من ذكر ابيه يوسف وأمه مريم فى جمل منفصلة وحوادث واقعة ، نجد ان احدهما قد اشار الى انه ابن الله وأن مريم كانت حاملا وهى مخطوبة يوسف والق الناس قد وهموا أن يوسف أباه الى غير ذلك ، ليقولوا بأنه ابن الله وان الله أبوه .

على أن نسبة البشر الى الآلهة أو الى الله كانت فى الازمان القديمة من المعتقدات الشائعة . فكثيرا ما نعثر على أبطال آباؤهم آلهة وأمهاتهم من البشر .

ليعظم الناس من شأنهم ويرفعوا من مكانتهم . ولماذا نذهب بعيداً فان اسفار العهد القديم تنص على مواليد حوطوا بالعناية الآلهية كمولد اسحاق وصموئيل، وفى التلمود رواية عن موسى أنه ولد من أم عذراء. ويقول «فيلو» الاسكندرى أن صموئيل ولد من أم بشرية ، وانها حملت به بعد أن تلقت البزرة الآلهية . وتقع على أمثال هذه الاساطير فى تاريخ اليونان والهند وبابل واشور . ولم تكن بلاد يهوذا والجليل بعيدة عن التأثير اليونانى ، بل كانت تتنفس فى جو مفعم بالاساطير والفكرات اليونانية .

لهذا تجد أن اليهود، وقد ظلوا زماناً ينتظرون ظهور المسيح في شفقة على انفسهم وخوف من الرومان ، قد حوطوا عيسى بكل مايوفق بين مولده ونشأته. وبين النبوءات الكثيرة التى بثها انبياؤهم فى اسفار العهد القديم .

***

وقبض هيرودس علي يوحنا المعمدان والقى به فى غيابة السجن. والروايات فى القبض على يوحنا المعمدان متضاربة ، غير أن المعقول من مجمل هذه الروايات هى خوف هيرودس ، حليف الرومان ، من قيام فتنة يحاول فيها اليهود نبذ السلطة الرومانية . ويقول البعض إن السبب الاكبر هو اعتراض يوحنا على هيرودس لدى زواجه من هيروديا زوجة أخيه فيلبس(١) بل يقولون بأن قتل المعمدان، كما سنرويه لك بعد ، راجع الي حفيظة هيروديا على انه اعترض علي زواج هيرودس منها.

ومضى عيسى يعلم ويشفى المرضى ويحيي الموتى «باذن الله» والتف الناس من حوله حتى خيل الى الكثيرين انه إنما يقوم بدعوة سياسية لا بتبشير دينى ، اذ وجه كل همه الى نصرة الضعيف على القوي ، وأوحى بمذهب الشيوعية فى الأموال .

وأزهرت له الحياة وفتحت أمامه الابواب المغلقة واجتمع من حوله الحواريون . غير أن الزمان لم يلبث انه تنكر لابن الله وكانت أول الحوادث

---

(١) بهذا تقول الاناجيل ولكن الحقيقة ان هيروديا لم تكن زوجة فيلبس بل زوجة بوطيوس اخيه

التي ألقت في ذهنه بأثر بالغ ، حادثة قتل يوحنا المعمدان

عيسى يشفي المرضى



في الحصن الذى يسكنه هيرودس تقام حفلة زاهرة لاحياء ذكري ميلاده ، وقد دعى اليها رؤساء الجند والامراء وحكام الاقاليم فى الجليل . كل هذا وهيرودس غير عالم بما يدبر له من الخفاء

وكان كهنة أورشليم يحرضونه دائما على قتل يوحنا المعمدان في سجنه. ذلك الرجل الذي ازداد نفوذاً بين الناس وقوة حتى بعد أن سجن وضمته في جوفها الجدران الصخرية. بل كانوا يحاولون قتل المعمدان ليثنوا بتلميذه الناصري الذي التف من حوله كل أتباع يوحنا. غير أن هيرودس كان يرفض كل هذا بقوة وحزم. لا لشيء الا لأنه كسياسي كان يعتقد أن دم «الشهيد» لا ينسى، وان ذكراه وأثره في الاذهان أبلغ من نبي يعيش بين الناس. وكان كفيلسوف يتمتع بحديث المعمدان في بعض الاحايين. وكرجل ضعيف كان يجزع من قتل رجل هدمته السنون وزاده المشيب وقاراً وزوده الايمان بالهيبة والجلال، في حين أن قتله كان على غير طائل ومن غير أن ينتفع به إنسان فوق الأرض.

أما هيروديا زوجته فكانت أكثر منه شجاعة واقداما وأوسع منه نفوذاً وكانت تود أن تجيب في المعمدان ناب الكهنة. وكانت اعتراضات المعمدان على زواجها من هيرودس، ولو أنها لا تؤثر في بقائها زوجة له. الا انها كانت تحز في قلبها بسكين باترة. وتمت المؤامرة بين هيروديا وابنتها شالوم فزينتها أجمل زينة وحلتها بأثمن الحلي. وبعد ان لعبت الخمر بالرؤوس رقصت شالوم ففتنت الرجال وبهرت هيرودس. فضمها الى صدره وطلب منها أن تسأله ماتريد، فانه لن يبخل به حتى ولو طلبت نصف ملكه! ياهول الموقف!!! أرأس المعمدان جواباً على كرم هيرودس! وكيف ترجع كبرياء هيرودس عن وعد وعد به وهبة وهبها لابنة زوجته المحبوبة؟ اذن يضحي بالمعمدان!

وتحمل الرأس المهيبة الوقورة في طست الى وسط الحفل الجامع، فتشيح شالوم بوجهها، ويغطي هيرودس عينيه بكلتا يديه. ثم يأمر بالغاء الحفلة ويغادر الحجرة، مستسلما الى تأملاته وأحزانه ومخاوفه.

ولا جرم أن قتل المعمدان كان بمثابة انذار خفي لعيسى، حزن، بل اعتقد ان الخريف قد أدرك شجرته المورقة الخضراء، وأن رأس المعمدان أول ورقة سقطت منها.



وكانت النهاية بعد طراد وفرار، فاجتمع عيسى مع تلاميذه للعشاء الأخير.

وكان عيد الفصح والمدينة فى هرج والكل يحاول أن يهيء لنفسه عشاءاً ليقيم بذلك شعائر بنى إسرائيل. وكان عيسى قد اتخذ عادة أن يعظ ويعلم فى الهيكل نهاراً ويأوي ليلا إلى جبل قريب يقال له جبل الزيتون. فقد كان يتوجس شرا وكان كهنة اليهود يهيئون من تحت قدميه تلك الهوة السحيقة التى اسلمت به إلى الصليب. وكيف لا يبيتون له وقد كسر السبت وقال انما السبت قد خلق من أجل الانسان ولم يخلق الانسان من أجل السبت؟.

« وبعد هذا كان عيد لليهود فصعد يسوع الى اورشليم. وفى أورشليم عند باب الضان بركة يقال لها بالعبرانية « بيت حسدا » لها خمسة أروقة. في هذه كان مضطجعاً جمهور كثير من مرضى وعمى وعرج وعسم يتوقعون تحريك الماء لان ملاكا كان ينزل احياناً فى البركة ويحرك الماء. فمن نزل أولا بعد تحريك الماء كان يبرأ من أى مرض اعتراه. وكان هناك انسان به مرض منذ ثمان وثلاثين سنة. هذا رآه يسوع مضطجعاً وعلم أن له زماناً كثيراً، فقال له أتريد أن تبرأ. أجابه المريض ياسيد ليس لى انسان يلقينى في البركة متى تحرك الماء. بل بينما أنا آت ينزل قدامى آخر. قال له يسوع قم. احمل سريرك وامش. فحالا برىء الانسان وحمل سريره ومشى. وكان في ذلك اليوم سبت ».

« فقال اليهود للذى شفى إنه سبت. لا يحل لك أن تحمل سريرك. اجابهم أن الذى أبرأنى هو قال لى احمل سريرك وامش. أما الذى شفي فلم يعلم من هو. لان يسوع اعتزل. إذ كان فى الموضع جمع. بعد ذلك وجده يسوع فى الهيكل وقال له هاأنت قد برئت. فلا تخطىء أيضاً لئلا يكون لك اشر. فمضى الانسان وأخبر اليهود أن يسوع هو الذى أبرأه. ولهذا كان اليهود يطردون يسوع ويطلبون أن يقتلوه لانه عمل هذا يوم سبت. فاجابهم يسوع أبى يعمل حتى الآن وأنا أعمل. فمن أجل هذا كان اليهود

يطلبون اكثر أن يقتلوه . لانه لم ينقض السبت فقط بل قال أيضاً ان الله أبوه معادلا نفسه بالله » .

هذا ماتقرأ في انجيل يوحنا وفي ثبت الاصحاح الخامس منه . وكثيرا ماحاول اليهود أن يحيطوا بيسوع وحوارييه في المنزل الذي يجتمعون فيه ويقتلوهم . غير أنهم كانوا يخشون شر الفتنة ويحسبون حسابا لمقاومة اثنى عشر رجلا وعلى رأسهم « الله » حالا فى هيكل أنسان . ولقد تعذر عليهم أن يجدوا طريقاً ينتقمون به من عيسى أو يقفون على وسيلة يهيئون بها طريقاً للاحاطة به وإيقاعه فى شرك الشريعة اليهودية أو القانون الرومانى . غير أنهم وجدوا فى شك يهوذا الاسخريوطى ذلك الطريق وفى ريبته وقعوا على الوسيلة . اذن يشى الاسخريوطى بعيسى ، فاذا وقع بين نابى اليهود و بيلاطس فعل الله مايشاء .

وأعدت حجرة العشاء الأخير وصفت من حولها أربع وسادات يسع كل وسادة منها ثلاثة واجتمع الحواريون الاثنى عشر ومعهم السيد ابن الله أو الله أو المخلص أوماشئت فقل ، ليحيي الليلة الأخيرة من لياليه فوق الأرض . ولما أخذ كل منهم مجلسه أخذ يحدثهم عيسى فقال .

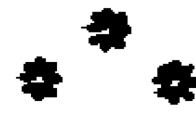
« شهوة اشتهيت أن آكل هذا الفصح معكم قبل أن أتألم . لانى أقول لكم انى لا آكل منه بعد حتى يكمل في ملكوت الله . (لوقا اصحاح ٢٢)

« لما قال يسوع هذا اضطرب بالروح وشهد وقال الحق الحق أقول لكم ان واحداً منكم سيسلمنى » (يوحنا إصحاح ١٣)

اذن هنا لك خائن كان ينم عن خيانته اضطراب في أصابعه الممتدة الي الاناء وهم يأكلون ، و بريق في عينيه لم يخف على عيسى ، ولم يستعص علي نفسه القوية و بصيرته النافذة أن تدركا لماذا كان اضطرابه ولاى سبب ينبعث هذا البريق من عينيه . شيئان لم يشهدهما فى تلميذه « يهوذا سمعان الاسخريوطي » من قبل . على أن شك يهوذا لم يكن ليخفى علي عيسى ، ولا الريبة الآكلة فى صدر الحوارى المزيف كانت لتظل مستخفية علي مدارك الاستاذ العظيم . اذن فللخيانة مقدمات سبقت تمهد لها الطريق . واضطراب الاعصاب المتجلى فى بريق عينى الاسخريوطى ليلة الفصح كان دليلا كاملا عند روح عيسى

المشبوبة الحائرة، على أن الخيانة قد تمت وأنه سوف يضحي به، فلم يخف ماجال في نفسه وقال ان واحداً منكم سيخونني ويسلمني لاعدائي. ولكن لأي شيء. ليكمل ملكوت الله في الارض وليذهب الابن الى الآب لان الرسالة قد تمت والعمل قد أنجز.

وظل عيسى يؤاكل الحواريين ومن بينهم يهوذا حتى قال في الخبز هذا لحمي وفي الخمر هذا دمي. دم العهد الجديد. ذلك الدم الذي سيراق عما قريب تخليصاً للأنسانية. فيالعظمة عيسى، ويا لنبل الرسالة التي أداها والتضحية التي ضحاها.



السماء صافية الاديم والهواء يهب عليلا بليلا في ليل رخو جميل، وقد خرج عيسى من المدينة يتبعه مريدوه ميمما شطر جبل الزيتون. ولكنه يشعر باضطراب ويشعر بأسف. وقد ملكت نفسه الحيرة والاسى. ولكن لماذا؟ لعله تفقد يهوذا الاسخريوطي فلم يجده؟ وهكذا كان، فان يهوذا كان قد احتفى وذهب ليتم جريمته الشنعاء بعد أن حل في جسمه الشيطان. شيطان الشك والارتياب.

وذهب الى حيث كان بستان في الجبل، وبعد قليل التفت اليهم وقال « كلكم تشكون في في هذه الليلة لان مكتوب اني أضرب الراعي فتتبدد خراف الرعية. ولكن بعد قيامي اسبقكم الى الجليل. فاجاب بطرس وقال له وان شك فيك الجميع فانا لا أشك أبدا. قال له يسوع الحق اقول لك في هذه الليلة قبل أن يصيح الديك تنكرني ثلاث مرات. قال له بطرس ولو اضطررت ان اموت معك لا أنكرك. هكذا قال ايضا جميع التلاميذ ».

(متى اصحاح ٢٦)

أما الضيعة التي دخلها عيسى فكان يقال لها « جثسيماني » كما ذكر في انجيل متى. واجلس تلاميذه وانتحى ناحية يصلي وينتظر خيانة الاسخريوطي، متى تهبط نقمتها.

هنالك حركة وجند مقدمون ومشاعل تنير الطريق. وفي المقدمة

يهوذا سمعان الاسخريوطي الشاك المتريب يتقدم نحو عيسى ويأخذ بتلابيه ثم يقبله . وكانت القبلة علامة على أنه السيد المراد اخذه في الاغلال . وهنا يقول له عيسى « يا يهوذا أبقبلة تسلم ابن الانسان؟» . ويقضى الامر ويلقى القبض على عيسى العظيم، ليفتدى بدمه الانسانية .

***

أما بيلاطس الحاكم الرومانى فالروايات فى شأنه متضاربة في الاناجيل فنها ما يقول بانه عذب عيسى واهانه ثم أمر بصلبه . ومنها مايقول بانه أراد تسليمه لليهود ليحاكم حسب شريعتهم . ومنها مايقول بانه ضفر اكليلا من شوك البسه لعيسى بعد ان جلده بالسياط . اما الرواية التى يصدقها لود فيج فالتي تنص على أن بيلاطس قد سلم أمر المسيح الى اليهود قائلا انه ليس أكثر من فيلسوف وليس من شأنه أن يعاقبه على ذلك . ولكن اليهود يلحون ثم يلحون فيبيح لهم دمه. فيساق الى الصلب مع اثنين من قطاع الطرق الآثمين .

وتقام الصلبان الثلاثة فى صورة مثلث ويلح على المسيح العطش فيناوله احد الجند اسفنجة مبللة يسد اذ يمصها ظمأه ببلولتها . حتى اذا ملكته سورة الألم وكاد الايمان يخونه صاح يقول « آلهى آلهي لم تركتنى؟» . ثم تعتريه غيبوبة ثم يستفيق ظمآنا فيعطى اسفنجة قد بلت بالخل فيقول « قد اكمل ، ونكس رأسه وأسلم الروح ». على رواية الاناجيل

اما الحواريون وعلى رأسهم بطرس فقد أنكروه حتى قبل أن يصيح الديك وتفرقوا عنه بدداً . على أن فى نكران الحواريين لعيسى وانفضاضهم عنه في ساعة كان من الواجب ان يكونوا فيها معه لموضعاً للتأمل ومحلا لطول الاستبصار . فاذا كان الايمان لم يعلم الانسان كيف يضحى أو كيف يحب أو كيف يخلص . فأى شيء في هذه الدنيا فى مستطاعة يهذب البشرية ؟

وكان اليوم يوم جمعة والسبت قادم ويجب أن يموت المصلوبون قبل أن تشرق شمس السبت . فيضطر الجند الى استصدار الامر من بيلاطس بان تكسر

سيقانهم تعجيلا في موتهم . وتكسر سوق المجرمين . أما عيسى فكان قد اسلم الروح . وهنا يغمزه احد الجند بحربة فى جنبه فيسيل الدم فياضاً إلى الارض . يسيل الدم الزكي ليخلص الانسانية !!! على انى لست أعلم من أى شيء خلصها؟ ذلك مالا علم لى به حتى الآن .



فوق الصليب

وتنقل الجثة الي غار ويسد باب الغار بصخرة ضخمة لتدفن في اليوم التالى . وفى اليوم الثانى تحضر أمه مريم ومريم المجدلية وجمع من النساء والرجال ليدفنوا بن الانسان ويواروه التراب . ولكن أين الجثة . لقد اختفت . ورفع بن الانسان الي السماء .

يقولون بان بيلاطس أمر بدفنها اثناء الليل سراً اتقاء لفتنة . ويقولون بان اليهود أخفوها أنتقاماً . ويقولون بان بستانى الضيمة أخفاها خوفا على

زرعه أن يهلكه الناس صبيحة الغد بارجلهم. هذه هى الاحتمالات. أما الحقيقة فسر فى جوف الزمان .

وهنا نقول بانه لم يسدل بذلك الستر الأخير على رواية عيسى. بل نقول إن اختفاء الجثة كانه بمثابة ارتفاع الستار عن أول فصل من فصول أكبر مأساة شهدها التاريخ الانسانى .

اسماعيل مظهر

العلم والصناعة

تلخيص خطاب الرئاسة الذي القاه السر وليم براج في الاجتماع السنوي لجمعية تقدم العلوم البريطانية .

في الاجتماع السنوي السابع والتسعين لجمعية تقدم العلوم البريطانية التي السر وليم براج المرجع العظيم في علم ذرات المادة خطابا خصص أكثره لا لبحث عويص المعنويات، بل تناول فيه الموضوع العملي الحي وهو علاقة العلم باسراع حركة إنعاش الصناعة .وأسهب الرئيس في العلاقة التي تربط العلم بمهارة الصانع التي حددها بأنها اتقان انتاج كل مايؤدي الى زيادة رفاهة البشر واستنتج من ذلك أن الشعوب تعيش بما تصنع أو تكسبه بكدها وجدها وان نجاحها وقف على اتقان صناعتها .

ثم تناول الكلام باعجاب حار بجمال مناذج الصناعة اليدوية القديمة بيد أنه إبان في استعراضه لمراحل الصناعة من المصنع القائم على صانع بمفرده الى المصنع الهائل الكبير الشغب ـ تاج الصناعة الحديثة ـ ان هذا التحول مما لا مناص منه وان ليس في مقدور انسان ان يرجع عقارب الساعة عن المضي والسير . وان الصناعة الحديثة مع كل ما يقترن بها من صخب وضوضاء وإذاعة تطعمنا وتكسينا وتمدنا بالدفء وما يقوم بأودنا العقلي. وذلك لملايين كان نصيبهم الموت دونها .

ان أنشط الصناعات الحديثة هي القائمة على البحث العلمي الحديث واظهر هذه الصناعات الهندسة الكهربائية .وفي أمريكا شركات وجماعات تقوم بالصرف على معامل للبحث والتجارب مما يكلفها الملايين من الجنيهات كل سنة ومع ذلك فقد وجدت هذه الشركات ان الربح المادي يبرر بقاءها واستمرار الصرف على هذه المعامل . فصناعة المحركات الكهربائية — هذه الصناعات البالغة من النشاط مبلغاً واسعاً

وصناعة الطيارات والصناعات الكيمائية كلها . امثلة هامة من الاعتماد على مسائل علمية عويصة وغاية فى التعقيد والتشعب مما تتجه اليها البحوث العلمية بنشاط وعناية فائقة فى المعامل .

الانتاج الواسع : ومن رأى السر وليم براج أن الانتاج الواسع هو في نفسه شيء بديع ويقوم بضروريات ورفاهة الكثيرين . بيد أن اعتراضه على ذلك أنه متى بلغ هذا الانتاج أوجه من الوفرة تصبح عملياته غير متطلبة من الصناع الا القليل من الذكاء والادراك ويصير من السهل أن يقوم بذلك ويتوفر عليه العمال ذوي الأجور الرخيصة والادراك الضئيل فيجب التمهيد لذلك باعداد تطبيقات مستحدثة للمعرفة العلمية وآراء جديدة وعمليات وآلات جديدة كذلك. وإذا وجب على مهارة الصانع لكى تقوم بواجب امداد الشعب بوسائل الرفاه والراحة ان تحسن عمليات الصناعة باستمرار متواصل ووجب كذلك على الأمة التى تطمح إلى النجاح ان تمتلك وسائل التحسين ويتوفر لديها مضاء العزيمة الذى يحفزها إلى ذلك .

ثم استطرد الى تبيان ان مواطنيه الصناع في مجموعهم حائزون لصفات الجدارة والذكاء والمهارة والدقة مما يسمح بتحقيق كل تحسين. وتساءل أليس من الواجب ان نستفيد من هذه الصفات بالسعى وراء إيجاد صناعات جديدة بجهد متواصل وسعى لايتأتى أو التحوير في الصناعات القديمة لتلتئم مع حاجاتنا المستحدثة. ويجب أن لا نستمسك بمغالاة فى الاعمال والجهود القديمة متى وصلت الى مرحلة صار في مقدور الكثيرين عندها أن يواصلوها والاتيان بمثلها بنفس الاتقان. ومتى صار فى المستطاع لدينا أن نقوم بالجديد منها والاصعب ممارسته اذا لزم الأمر . انه فى الامكان دائما أن نشد أزر الصناعات القديمة بالوسائل السياسية ولست أرغب فى التنديد بهذه الطرق وتسفية الحكمة فى تطبيقها. بيدان الحق البين لا يعدو الرأي القائل أن خير الحمايات كلها للصناعة هى المعرفة والمهارة اللذين يستطاع لنا بهما انتاج مايتحتم أن يطلبه الغير منا لان ليس في مقدوره أن يأتى بمثله .

ان تحسين الاتقان الصناعي واخراج مصنوعات قيمة متوقف لدرجة كبيرة على تشرب الاستكشاف العلمي وتمثيله واستخدامه وتحويره لخدمة الصناعة . في حين أنه من الضروري أن ندرك ان المعرفة العلمية والخبرة كي يؤديان لنا القسط الأوفر من الخدمات يجب ان يتصلا اتصالا مباشرا بالمسألة المفروض علينا حلها. فهناك صنف جديد من العمال بدأ في الظهور والتكوين يشمل المشتغلين بين جماعات الابحاث ومعامل الابحاث الصناعية فهؤلاء يجب أن تقدر خدماتهم التقدير السامي خصوصا وهم الصلة المباشرة بين صاحب العمل وزملائه العمال في المصانع وفوق ذلك فهم على اتصال شخصي باصحاب رءوس المال والعمال على السواء. وقد يتمكنون من التغلب على التفرقة الضارة التي سادت بين العامل اليدوي في المصنع من جهة ومصمم الرسومات في مكتب التصميم . ومن جهة أخرى بين ادارة المصنع والمعرفة العلمية

وللآن لم يقدر أحد التقدير الكافي لمصلحة المشتغل في الابحاث العلمية والتفكير في مكافأته مع أنه بظهور هذا الصنف الجديد من العمال سيقدر القوم التقدير الاوفى للخدمات الجليلة التي في مقدوره القيام بها .

نظرية المجتمع الآلية :

ثم قال الرئيس في ختام خطابه

ان البحث العلمي في المعمل قائم على العلاقات البسيطة بين السبب والنتيجة في عالم الطبيعة وقد اتخذت هذه في بعض الأحايين كالقاعدة الأساسية لنظرية آليه لتفهم الكون فهذه العلاقة صحيحة في عملنا التجريبي وما دامت ثابتة الصلاحية فلا مناص من الاستفادة منها حقا وضرورة غير ان استخدام النظرية الآلية في المعمل لايعني حتما أنها تمثل مايدركه العقل أو يستخدمه في مواطن أخرى في الحال أو الاستقبال .

ان الاستخدام الصحيح للبحث العلمي من الضروري لرفاهيتنا بحيث أنه ليس في وسعنا أن نحوطه بغيوم من سوء الفهم والادراك تعوق سيره وتقدمه .

واسوأ المساويء ذاك الضرب من خطل الرأي الذى يفترض أنه مناف لأسمى الغايات فالعلم كما أفضى الى حديثا أحد الشبان الباحثين لايرمى فى مهمته الى القضاء على روح الأمة بل الى بقاء الروح والجسم متلازمين

واذا اتجه تفكيرى الى العلوم وعلاقته باتقان الصناع فذلك لتبيان الاهمية الكبرى لمراميها واغراضها ولم يغب عن بالى أن هناك أوجه أخرى للبحث فى حقائق الطبيعة ولا يمكن تحديد فارق محدد بين العلم البحت والعلم التطبيقى فهما مرحلتان للتقدم ووجهان يندمجان في بعضهما وكلاهما يخسر الميزات التى ينطوى هو عليهـا اذا انقطعت صلته بالآخر

فهذه العلاقة الثنائية شائعة فى نواحى كثيرة للنشاط الانسانى وقد عبر عنها بطرق شتى وقديماً كان ذلك في العبارة الشاملة التى تجمع كل مطامح وآمال الباحث عن الحقيقة والمعرفة « سوف تحب الآله بكل قلبك وبكل روحك وبكل عزيمتك »

وسوف تحب جارك بقدر حبك لنفسك.وفي القصص القديم سمع كل البشر هذه العبارة كل بالسان الذى يتكلم به من أيام الميديين والاغريق والعرب فكل قول عظيم حكيم قد تداولته ألسنة البشر ولهجاتهم ومعنى هذه الكلمات لطالب العلم انه يجب عليه ان يتجه بكل قلبه نحو القيام بمهمته والاضطلاع بخدمة العلم تحدوه العقيدة وتحفزه.ان ذلك من أجدر المهام ولو أنه ربما لا يدرك مبعث ذلك ادراكا تاما وان كل سعى للانسان فى تفهم الوسط الذى يعيش فيه لسعى محمود وفى سبيل الحق. وفوق ذلك فأنه بهذه الطريقة تمكنه ان يكون نافعا لبنى جنسه .

هل تسود المرأة العالم

تتج تحول الانسان من عصر الى آخر عن جهود المرأة وليس الرجل فالمرأة هى التى فكرت فى عهد الصيد والقنص فى الاحتفاظ ببعض الحيوانات لتغذية صغارها بهم وقت الحاجة وهي التى فكرت فى زراعة الارض حين كان الرجل يهيم فى عصر الرعى خلف قطعانه وهي التى انهمكت فى الصناعة عندما كان الرجل يفلح الارض فهى دائما التى كانت تمهد السبيل أمام الانسانية للانتقال من طور الى طور

لننظر الآن فيما كان يفعله الرجل فهو في عصر القنص كان يهيم على وجهه فى الآجام والغابات فلما وجد المرأة قد اتبعت عملية تربية المواشى التصق بها مؤثراً حراسة الماشية عن القاء ذاته في المجاهل عرضة لانياب الوحوش واستخاص لنفسه ما كانت تمتلكه المرأة بقوة الذراع فاصبح صاحب قطيع من النساء اللاتى يملكن بدورهن جماعة من الصغار وقطعانا من الماشية. فلما صارت له الكلمة العليا أخذ يرعى القطعان جملة ليس تلبيه لضرورة كما كانت تفعل المرأة بل جريا وراء التملك فكان ينهب ما يمتلكه الغير من القطعان وكان يسبي النساء بقطعانهن وأولادهن

ولما تحولت المرأة الى الزراعة التفت هو الى امتلاك الارض فصار يغير على جيرانه يقتطع ما يمتلكونه من الارضين والعبيد ليزيد ما يمتلكه تاركا فلاحة الارض للعبيد يسخرهم لخدمتها وخدمته .

فتحولت المرأة الى الصناعة وكانت منزلية فى بادىء الامر فاستبد الرجل بما كانت تصنعه واخذ يقوم هو بعملية المقايضة او البيع والشراء بما لم يكن يمتلكه وجره حب المغامرة الى ركوب البحار دون المرأة فاقتبس من البلدان الاخري بعض صناعات جديده ادخلها الى حيث يقطن من أجل الربح

فالرجل فى جميع هذه الاطوار كان يأخذ عن المرأة وكان يغامر وكان

يرمي الى التوسع والامتلاك وكان يترك العمل الجدي للنساء وكان يجبر من يستند له من الرجال على عمل ما كانت تعمله المرأة وهذا من باب الاذلال لهؤلاء العبيد

يجوز ان يكون متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة ولكن يجب ان لا يفهم من هذا ان امثل الرجال عقلا يفوق عن أكثر النساء عقلا اعنى انه اذا كانت درجة عقل الرجل تتفاوت بين ١٠ و ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ فان درجة عقل المرأة تتفاوت بين ٩ و ٨ و ٧ و ٦ و ٥ و ٤ و ٣ و ٢ و ١ وليس كما يظن البعض ان عقل الرجل يتفاوت ما بين ٦ و ١٠ فى حين ان عقل المرأة يتفاوت بين ١ و ٥ فما دام ما يراه البعض من ان عقل اسخف رجل يفوق عقل ارقى امرأة ليس معقولا بالمرة فاذن يجب أن نقول بان السواد الاعظم من النساء ومن الرجال — على فرض ان متوسط عقل الرجل أرقى من متوسط عقل المرأة تكاد عقليتهم تكون متشابهة

هنا يتحتم على مواجهة قول البعض من ان نسبة الافذاذ من النساء الى الرجال تكاد تكون معدومة وقائل هذا القول يتجاهل أولا ان مجال العمل المسموح للمرأة اظهار نفسها فيه ثانوي وبعيد عن الابتكار وثانيا ان الحجر على تفكير المرأة وعلي حريتها قد أثر فيها تأثيرا سيئا واننا لو دققنا فى النتائج التى توصل اليها بعض الشاذات من النساء لعلمنا انه لو اتيحت لهن فرصة لغمزه بنصيب كبير مما يقوم به الرجال فى الوقت الحاضر وثالثا اننا نحاول ابدا الاقلال من أهمية ماتوصل اليه المرأة بجهودها والاكبار مما يتوصل اليه الرجل أما لاننا لانتهم ماتفعله لانه خارج عن أعمالنا أو لاننا نتعمد ذلك

الرجل بطبيعته اناني ميال للاثرة وهو المسبب لكل الاضطرابات التى تضج منها البشرية فى حين ان المرأة بطبيعتها غيرية ميالة الى السلام . حقيقة قد نتج عن ميل الرجل الى المشاكسة والتعدى امتزاج الامم بعضها ببعض

وهــو الامر الذى لم يكن من المنتظر حدوثه فى حمى المرأة المسالمة الغير نزاعة الي المغامرة

ولـكن اليوم غير الامس والمستقبل غير اليوم أيضاً فان انتشار الآلات قد خفف من غلواء الرجل ذي العضلات الحديدية ولم يجعل قيمة للمجازفات فان المخترعات والاكتشافات اصبحت كافية لحماية اضعف مخلوق فى حله وترحاله فميزة الرجل الوحيدة على المرأة قد اصبحت بلا قيمة

كذلك جنوح المرأة الى الاستقلال الاقتصادى واندفاعها نحو الاخذ بالنظريات العلمية سيثبت للعالم انها ولا شك لاتقل فى قواها العقلية عن الرجل

والمرأة قد بدأت تعمل فهى لم تجهد قواها بعد ولم يتسلط عليها الملل ولم يركبها الغرور مثل الرجل فهى تشعر بانها فى أول مرحلة من تاريخها الطويل في حين أن الرجل يكاد يلقى بنفسه إلى الارض طلباً للراحة متذمراً لاعنا ساخطاً

فهل سيأتى الوقت الذى تتحكم فيه المرأة فى العالم وعندئذ نرى أن لافائدة لهـا من الرجل فتبقى منه الضروري لادامة النسل فقط . أظن أن مسألة ابقاء الرجل مستعبداً للمرأة تستثمره كما كان يستثمرها فى عهده الذهبي بعيدة عن العقل فان الآلات ستصبح للمرأة افضل وأطوع من الرجل المستعبد فاذن لن تجد المرأة بداً من محق الرجل بعد استثناء من هو اصلح من غيره للقاح ولاجل أن الخص ماسبق نقول

ان المرأة هى التى تسببت فى انتقال الانسانية من طور إلى طور ارقى وان عمل الرجل كان دائماً استخلاص ماتوصلت اليـه المرأة لذاته والاندفاع للاستزادة منه

وان معنى متوسط عقل الرجل ارقى من متوسط عقل المرأة لايعـنى أن أي رجل له عقل احسن من أذكى امرأة

ان استقلال المرأة الاقتصادى عن الرجل وفتح المجال امامها واسعاً للدرس وللعمل سيجعلها غير ما كانت

المرأة بدأت أن تخط اول سطر في تاريخها الحديث وهي ممتلئة املاوقوة في حين أن الرجل أخذ ينوء تحت تاريخه القديم مستسلماً لليأس والتبرم لم تعد هناك قيمة لقوة عضلات الرجل وميله الى المغامرة وهكذا أمكن للمرأة الضعيفة أن تصل الى ما تريده بواسطة المخترعات والاكتشافات

لا يمكن أن يمثل شيئان نفس الفراغ في ذات الوقت ومن المشكوك فيه أن يحافظ الرجل على سيادته ومن المستحيل أن يتقاسمها مع المرأة.

لم يعد لكثرة العدد قيمة كما كانت في الماضي واذا انهدت ارادة الرجل فلا شك في ان المرأة ستستغني عنه بالمرة الاهم الا بضع رجال تحتفظ بهم لمداومة النسل .

ع . ع

*

* *

عيناك

عيناك والسحر الذي فيهما صيرتاني شاعرا ساحرا
علمتني الحب وعلمته بدر الدجى والغصن والطائرا
ان غبت عن عيني وجن الدجى سألت عنك القمر الزاهرا
وأطرق الروضة عند الضحى كيما أناجي البلبل الشاعرا
وأنشق الوردة في كمها لان فيها أرجا عاطراً
يذكر الصب بذاك الشذى هل تذكرين العاشق الذاكرا
كم نائم في وكره هانيء نبهته من وكره باكرا
اصبح مثلي تائها حائراً لما رآني في الربى حائرا
وراح يشكو لي واشكوا له بطش الهوى والهجر والهاجرا
وكوكب اسمعته زفرتي فبات مثلي ساهيا ساهرا
زجرت حتى النوم عن مقلتي ولم أبال اللائم الزاجرا
ياليت اني مثل سائر كيما تقولي المثل السائرا

إيليا أبو ماضي

جوزف ارنست رينان

١٨٢٣ — ١٨٩٢

كان « الآنسة رينان » ، كما لقبه رفقاء الصبا ، كثير الحياء ، ميالا الى الانزواء ، ميالا الى الدرس . وكان رقيق الحال والجسم مسالما ، وكثير الايمان ايضا . ظل حتى آخر ايامه كابحا لجماح لسانه ، فلم يذكر عنه انه سب مناظرا او انه تزلف الى عظيم في عهدي الامبراطورية والجمهورية طلبا للمناصب . وحتى فرنسا التي كان يعبدها لم يسرف في مدحها كما لم يتطرف في انتقادها ، بل كان يزن دائما الفاظه ولا يلقي الكلام جذافا على عواهنه . لذلك حمل الفرنسيون وغيرهم انتقاداته على خير محمل وواروه التراب باحتفال فخم . وقد ذكر صديق له انه كان مخلوقا « بعقل رجل وعواطف امرأة وميول طفل » .

وقد يعترض على قارىء قائلا ومن هو هذا الذي تريد أن تكتب لنا ترجمة حياته ؟ فهل كان اكثر من قس تنازع الايمان والكفر قلبه ولم تكن له آراء مسلسلة ، كثير المناقضة لنفسه ، ينفي اليوم ماأثبته بالامس ويثبت يوما ماينفيه يوما آخر ؟ ومع اني اوافق على هذا الاعتراض الا أني اجد عبرة في حياة رجل اعده كامل الايمان بالرغم من اتفاق عامة المؤمنين في عصره على تكفيره . وليس هذا فقط بل وبالرغم أيضاً من أنه نفسه كان يشك فيما إذا كان هو مؤمناً أم لا ولم يدع رينان بان له فلسفة بل اعترف بانه ليس أكثر من ناقد . فاذا ماناقض نفسه بنفسه فذلك « لأن الفكرة الواحدة لاتملأ الا حيزاً محدوداً من لفائف الدماغ دون ان تتأثر بقية التلافيف بذلك » و « ان الواجب على المفكر ان يبحث عن الحقيقة متى وأين وجدها دون ان يخشى الوصول الى مايخالف اعتقاده »

نشأ رينان ليكون قسيساً وكان بالفعل الى آخر ايامه كذلك بالرغم من انه لم ينتم لسلك رهبنة مخصوصة اذ ابى ضميره عليه الاندماج في سلك الرهبان الكاثوليك

بعد ما حصل على اجازة فى اللاهوت . والدافع له على ذلك لم يكن غير شعوره بانه لم يعد مؤمنا . وقد اكتشف هذه الحقيقة بعد أمد طويل. وكم بكى عندما صارحه أحد مدرسيه بحقيقة الحال ولم يفده محاولة المدرس تخفيف وقع المسألة عليه بقوله ان للسن دخل في هذا الجموح وأنه سوف ينظم أفكاره ويهدأ الى الايمان عند ما يمسح قسا . ولكن لما لم يجد المترجم وسيلة للرجوع الى حظيرة الكنيسة الكاثوليكية قال « ليس الانسان مخيراً فى انتقاء الطريق الواجب عليه اتباعه فالله يمسك بيدنا يقودنا الى حيث قدر لنا ان نسير » وكم ود رينان لو ترك الله الانسان يختار ما يظنه لازم الاتباع والا فكان الاولى به أن يحرمه من الاختيار تماما فكان يخلقه لا يعقل كالشجرة مثلا ليكون عندئذ اقل تعاسة مما هو الآن. واقل احتياجا الي شفقة الغير. وينهى سلسلة أفكاره قائلا « الهي الهي لماذا عني تخليت هكذا ؟ » وفى مكان اخر يقول «لو كان الله يقضى على مابى من قوة التفكير لكنت أنذر نفسى لحياة بسيطة موحشة . وكم اود لو كنت املك القدرة على ان اعتقد اولا اعتقد شيئا مخصوصا بل كم ارغب في قتل رغبة البحث قصد استجلاء الحقيقة التى ملكت كل قلبي . . . آه ما أسعد الاطفال الذين لا يعرفون الا النوم والاحلام . بل لماذا لا اكون مثل اؤلئك المؤمنين البسطاء الذين اعيش بينهم . اؤلئك الذين افلحت المسيحية في سكب الطمأنينة فى قلوبهم »

وكانت أخته من أكبر المؤثرات عليه للابتعاد عن الايمان فهى التى عقدت صلة التعارف بينه وبين الفلسفة الالمانية . فلما ارتوى من آراء فلاسفة الالمان ود لو خلق المانيا بروتستانتيا حتى كان يمكنه أن يفكر بحرية دون أن يلحد فهو كافرنسى كاثوليكى مجبر على أن يسلم تسليما أعمى بصحة هذيان لايمكن أن يقبله العقل . وكانت أخته تمده بالكتب الفلسفية الالمانية كلما سمح لها مرتبها بذلك . في حين كانت أمه بالعكس تتألم جد الألم اذا بدرت منه أشياء تناقض تعاليم الكثلكة الحقة. فكانت أمه المحبوبة اذن سبباً قويا فى جريه وراء الايمان لرغبته في رضائها. وكانت أخته المحبوبة أكبر مشجع

له على الخروج من حظيرة الايمان.ولم يكن يرى في الفكر الالمانى الا « تتمة للفكرة المسيحية الحرة. . . إنك لاتجد أثراً للمسيح في فرنسا التى يستمد أبناءها روح المخلص من فلاسفة الالمان »

والذى اعتقده ان رينان لم يكن ولم يحاول أن يكون ملحداً أو غير مسيحى بالأقل،وكل مافي الأمر أنه انتقد المسيحية انتقاداً علميا بدأه عندما ألم بمبادىء العلوم الطبيعية . فمن الخطأ اذن المقارنة بينه و بين فولتير الذى كان كثير المطامع مقدما دنيويا محباً للشهرة ،لان رينان لم يكن غير زاهد متواضع لايميل الى الظهور،يبحث رغبة للوصول الى الحقيقة . وقد مات رينان متأثراً بالتعاليم النصرانية ولم يحاول قط أن يقول بانها لم تكن ذات مبادىء راقية،وانحصر همه فى اصلاح ماظنه خطأمنها، ذلك بعكس فولتير الذى أدار للمسيحية ظهره ولم تحرك تعاليمها عواطفه فكرهها واحتقرها وثار ضدها وأوسعها تهكماً مراً

قال أحد المتدينين المكبرين فولتير ان عدم انتقاده للمسيحية بهدوء نتج عن الاضطهاد الذى واجهه فقد شرد وسجن لانه قال بادىء الأمر مالا يعد شيئاً اذا قورن بما قاله رينان فنتج عن ذلك رد فعل أفقده رغبة النقد الصحيح، هـذا بعكس رينان الذى لم يواجه الا بعض حملات كتابية تسفه اراءه لاأكثر.ومن الغريب انه ظل صديقا لرجال الدين الى آخر أيامه

يقول رينان إنه تذوق لذة الايمان الخالص فى مقتبل عمره ولكن هذه اللذة لاتعد شيئاً مذكوراً اذا قورنت باللذة التى تذوقها وهو يبحث وراء الحقيقة

اشتغل رينان لغير الدين أيضا .وقد كون لنفسه رأيا أراه غريباً هو « ليست اللغات هبة من الله كما يزعمه البعض ولم تتطور عن اشارات وأصوات كما يزعم البعض الآخر لكنها وجدت منذ وجد البشر » وليس قصده أن يقول أن اللغات الحالية لم تتعرض للتطور بل قصده يقول إن البشر كانوا منذ البداية يتفاهمون بالفاظ وجمل . والاغرب من ذلك أننى قرأت لاحد

تقاده ما يأتي « أننا ما دمنا نجهل ما كان عليه الرجل البدائي لا يمكننا نقض أو تعزيز رأى رينان هذا »

حاز درجة الدكتوراه في الادب بعد ان قدم رسالتين أحدها لاتينية والأخرى فرنسية .وكان موضوع الثانية « ابن رشد ومدرسته » وابن رشد فى اعتقاده ليس أكثر من قنطرة انتقلت عليها تعاليم أرسطو من عصر الى عصر.وهو يرمى ابن رشد بتهمة زج آرائه الشخصية ضمن الآراء التى نقلها ، لكنه يعترف بالاثر المحسوس الذي كان لمدرسته فى انقلاب الفكر الاوربى وله رأي فذ عن امريكا اذ يقول انها تعيش متطفلة على أوروبا فتأخذ منها فنونها وعلومها دون أن تنتج بذاتها شيئاً من ذلك

يقرأ فى الشاهنامة حنين الفردوسى الى عهد الزرادشتية وأما الف ليلة فهي فكرة تقرب الى فكرك ما كان عليه عهد الرشيد من الميل الى الخلاعة

أما ابن بطوطة فلم يأت بشيء يستحق الذكر لان رحلته كان من السهل جداً القيام بها فى وقت كان التسول فيه من أسهل السبل، لتيسر مشقة الانتقال بين أمم لغتها العربية ودينها لا يفرق بين الاقوام الذين يعتنقونه . ولأجل أن تكتب مثل رحلة ابن بطوطة الآن ما عليك الا أن تسير فى مجاهل السودان الاسلامى ثم تقيد ما تراه

ظهر العنصر الآرى قبل ٤٠٠٠ عام فى أواسط أفغانستان والعنصر السامى فى أواسط بلاد العرب فكان لكل منهما لغة وعقلية مخصوصة .ومن مميزات الآريين الاشراك والساميين التوحيد ولم يتوصل الساميون الى التوحيد عن طريق العقل بل عن طريق الغريزة فقط،فالآري الاغريقى آله للبحر وآخر للحاصلات وآله للحرب. وأما السامى فجمع الاختصاصات كلها فى شخصية فردة أسماها «ايلوهيم » أو الآلهة ومفردها « ايلوه » اللهو بالتدريج تعود على أن ينطق الاسم المفرد ليدل على الجمع وليس معنى ايلوه غير الرب والسيد والملك وقالوا عنه أيضاً بعل ومولوخ وكل هذه المترادفات لها معنى واحد . رأى الآريون الله فى الطبيعة.وأما الساميون فقد فصلوه عنها وما

عليك الا قراءة أول سطر فى سفر التكوين لتتحقق من ذلك «فى البدء خلق الله السموات والارض» والساميون أبعد الناس عن وضع الاساطير. وان من لوازم عقلية الاساطير التفلسف وهذا ما نري له أثرا عند الهنود واليونان ولاليس عند الساميين. وللحياة البدوية المسيرة بزعامة واحدة، والغير قادرة على اشادة المعابد العاجزة عن القراءة والكتابة دخل فى ذلك. لان الاقتضاب كان لازما فى كل شىء ففكرة الله يجب أن تكون بسيطة والمبادىء الدينية كذلك أيضاً. فمال السامي المحب للبساطة ومال البحث وراء نظريات عويصة بل ماله ومال النقش والتصوير. فذاكرته لا تحتمل كل هذا. ألست تراه قد لخص أساطير بابل ليسهل عليه حفظها فى ذاكرته وهو ينتقل من مكان لآخر؟

***

الفلسفة تجبر محبها علي التسليم بعدم وجود ما يمكن تأكيده

والبحث عما وراء القبر هو بحث عما هو غير موجود (ولكن فى مكان آخر يقول) يجوز أن يكون وراء القبر جزاء للروح تناله بقدر التضحية التى تقدمها أرواحنا

أما مرمى الطبيعة فكان ظنه عنه أولا طيباً ولكنه لم يلبث حتى شك فيما إذا كان للطبيعة مرمى لان العالم رواية خص كل منا بدور يتقن تمثيله دون أن يشعر بانه يفعل ذلك (ثم يعود ويقول) ان هم الطبيعة هو ايجاد التناسق والتوحيد

ان من المستحيل علينا معرفة المسبب الأول ومعرفة نهاية الانسان. ومع ذلك لانتفأ نكلم عنهما كثيراً بسبب وبغير سبب

الحق والطبيعة والجمال ثالوث يستحق العبادة لانه يؤدي الى السعادة يجب ان نعمل الواجب دون ان ننتظر من وراء ذلك أى جزاء عليه يشكر الاب السماوى لانه لم يختر ان يجاوب جوابا شافياً على شكوكه حتى لا يكون الايمان الصحيح بالاجزاء ولا تصبح الفضيلة أمراً تخمينياً ولو كان الأمر الهاما فقط لامتلأت القلوب طاهرها ونجسها بالايمان على حد

سواء.ومعنى هذا انعدام حرية انتقاء الخير من الشر .فكيف اذن يبلو الله السرائر و يمتحن الانفس ؟

كان فى شبابه متفائلا ثم انتاب متشائما ومع ذلك تجده يحث « الاذكياء» على محاولة ان يكونوا متفائلين حتى يشاطروا بقية الناس ما يتنعمون به من السعادة

واليك مثل من نقده العالي

انجيل يوحنا يحوي حقائق تاريخية عن حياة المسيح . اما ما يعزى فيه الى المسيح من ألفاظ فيظن رينان انها لا تختلف كثيرا عما يعزونه لسقراط وافلاطون ومن رأيه ان يوحنا لم يكتب الانجيل المعزو اليه . وفى انجيل يوحنا اختلفت وجهة النظر الى المسيح تماما.فلم يظهره الكاتب بالصورة التي تحاول اظهاره بها الاناجيل الاخري، ففيه لم يصور المسيح بصورة انسان تعرض للتجربة والخطيئة بل كجوهر الهي حل جسم انسان ولم يمل نحو الخطيئة ابدا

كذلك لم يحاول كاتب انجيل يوحنا أن يثبت ان المسيح هو من كان ينتظره اليهود بل صوره كصاحب شريعة تناقض شريعة « ياهوا » اله اسرائيل . ولم يذكر فيه أيضاً ان المسيح ولد وان له شجرة نسب وانه تألم . أما الذى كتب سفر ايوب فلم يسلم بنظرية « القضاة » القائلين بان الفلاح الدنيوى يلازم السيرة الحسنة والعكس من ذلك عدم النجاح فى الدنيا فانه يلازم السيرة الفاسدة

يقول ان أسس المسيحية واليهودية وضعها الناس

ان هدم بيت المقدس من أقوى الأسباب التي أظهرت المسيحية كدين مستقل فبعد وقوعه انقطعت الصلة بينهم وبين اليهود فسنحت الفرصة بعدئذ لالقاء المسيحية بذاتها فى حضن الدولة الرومانية

كان ملوك مصر الرعاة ساميين فلما طردوا وجلس على العرش مصريون استعبدوا بقايا الساميين خصوصاً فى عهد رمسيس الثانى (لويس الرابع عشر

المصرى) ولكن لما ضعف خلفاؤه أفلح أولئك العبيد فى الخروج من مصر . ومع ان رينان لا يجزم بوجود شخص اسمه موسى الا أنه يفترض وجود من يشبه عبد القادر الجزائرلي على رأس أولئك القوم . واحتفظ الساميون مدة وجودهم فى مصر بصبغة معتقداتهم والصقوها بالعجل الذهبي والحية المقدسة وغيرهما من آلهة المصريين وكان لهم آلها أسموه «يهوا» وهنا لا يتمالك رينان من أظهار امتعاضه للدرك الذي هبط اليه اليهود عندما فكروا فى جعل يهوا آلها وطنيا لهم دون آلهة المصريين . ذلك لانهم صوروه شريراً وجعلوا تعاليمه تحث على الانانية الغدر والتوحش ثم يقول ولكن من حسن الحظ أنه لما استقر بهم النوي صرعت آلهة فلسطين الاخرى ذلك الآله السيء لحل مكانه « ايلوه » الواحد الأحد الذي اكتسب فيما بعد أحسن الصفات

انك تفهم حقيقة الملك سليمان عندما تقرأ أناشيده فمملكته نسخة قديمة لمملكة لويس الرابع عشر الفرنسى لاأكثر

كان أنبياء بنى اسرائيل أول من طالب المستبدين جهاراً بحقوق الناس

هذه نتف من آراء المترجم بسطتها وأنا أعتقد بأنني أعطى القارىء فكرة عامة عنه

مات رينان وهو يؤكد لمن حوله بأنه سيموت سعيداً وأن ليس في الموت ما يخافه وودع امرأته قائلا إنه لا مناص للاستسلام لحكم الطبيعة الذي يسري على كافة الموجودات

من «كتاب الثورة الفكرية — رجالها فى العصر الحديث» لعمر عنايت

تاملات فى الحياة والموت

تلخيص محاضرة الاستاذ دونان في المجمع البريطانى لترقية العلوم التى الاستاذ دونان خطابا عنوانه « سر الحياة الخفى » بدأه بالقول أن قدم للأرض تكوين قشرة صخرية منذ الف مليون سنة ونيف. ظهرت فيها كائنات حية من نباتات وحيوان تطورت بالرقى شيئاً فشيئاً عن أسلافها البسيطة الضئيلة. وان نتاج هذا الرقى هو عقل الانسان. وقدكانت الحياة حقا هى السر الخفى الاعظم ودراستها أكبر الدراسات جمعاء. وأن تفهم ظاهرة الحياة سيكون حتما الفخار الذي يتوج هامةالعلم وفى هذاالسبيل فكل دراستنا ومعارفناالكيمائية والطبيعيةما هى الا الخطوات التمهيدية فهل هذا الشىء الذي ننعته بالحياة طفيلى ساحر غريب منبع عمل منبعث بذاته وخارج عن حظيرة القانون أو ملاك هابط من كون مجهول لا سبيل لنا الى تفقه كنهه؟

وفى زماننا هذا أصبح علم الفسيولوجيا العام (علم وظائف الاعضاء) العلم الاساسى للحياة فى تطبيقاته لعلوم الطبيعة والكيمياءالبحتة والطبيعية واذا تتابعتنا أبحاثها ودراساتها وسعينا المتواصل واصلون شيئاً فشيئاً الى حل معقداتهذا السر الخفي.فأكبر علماء الفسيولوجيا العامة شأنا يحاولون بالتطبيق الدائب الدقيق الكمي الوصول تدريجاً الى تكوين عامل شامل لمجموع هذا العلم

ورغما من الاستكشافات الهائلة الخاصة بالمجموع العصبى وفائدة الغدد اللاقنوية(Ductless Glands)والهرمونات (Hormones)فتفهم العلاقة المتبادلة الديناميكية المتآلفة بين مختلف الاعضاء وأنسجة الكائنات الحية مازال يواجهنا ويعترضنا كأحدى أسرار الحياة الخفية.ففى نظام طبيعى كيميائى لايختص بالاحياء بلغ بنا التفكير أنه لو عرفنا طرق العمل والعلاقات المتبادلة بين الأجزاء

المكونة لمجموعها وأحوالها وصلنا الى تكوين كامل شامل لهذا المجموع فهل الوحدة المنظمة الديناميكية لكائن حي شيء مستحدث ومخالف لذلك اختلافا جوهريا؟ فربما لو استطعنا أن نشاهد مشاهدة حقيقية وتتابع الحركات المختلفة ووجوه نشاط ذرة كيمائية مفردة مركبة تعمل فى وسيط موجب قد يؤدى بنا البحث الى كشف شيء قد لا يكون مباينا تباينا كثيراً لذلك الكائن الحى. بيد أنه مهما كان الأمر لابد لنا من التأكد من هذا الشيء وهو أن الحقيقة متى تبينت لنا سوف تنحصر فى شيء قابل للقياس والتعبير الدقيق في قالب رياضى .ولو أنه لهذا الغرض الأخير قد يستلزم الأمر اختراع نوع جديد من الرياضيات الخلية الحية ما الذي يحويه غشاء خلية حية ؟

هذا مكنون هيكل سر الحياة الخفى . فلو اتيح لنا ان نحلل ذلك وتفقهه لأمكننا ان نحل المسألة الاولى الهامة (وهي المسألة الحقيقية الوحيدة) فى علم الفسيولوجيا العام.فدراسة طبيعة الخلية الحية ونشاطها والكائنات ذات الخلية الواحدة هو ميدان علم الحياة الحقيقى فى يومنا هذا.فالخلية الحية تحوى نظاما يعرف بالبروتوبلازما ولو انه لم يتوصل انسان الى تعريفها بعد.

فكل شكل من أشكال الخلايا فى أنواع الكائنات يحوى بروتينا واحدا او اثنين خاصين به.والعناصر المكونة الأخرى هى الماء والكلوريدات والبيكاربونات وفوسفات الصوديوم والبوتاس والكالسيوم بخلاف بعض المواد الأخري خصوصا تلك الاجسام الخفية المعروفة بالانزيمات التى تزيد التفاعلات الكيمائية داخل الخلايا نشاطا ومن الغريب أن التفاعلات الخلية الحية تحوى داخلها بذور الموت وهى هذه الانزيمات التى يقال عليها Autolytic (أو اللاقطة القادرة على تكسير المركبات البروتينية وتحليلها بواسطة الهدروجين فأشباح الموت كامنة فى كل وحدة من أجسامنا الحية بيد أنه ما دامت الحياة يقظة.فاجنحتها مشدود وثاقها وأفواهها الفاغرة المتاهمة مسدودة مغلقة

وهناك شيء على جانب عظيم من الاهمية والدلالة فى المحلول الذروى

(Colloid) للنظام البروتوبلازمى مما لم يصل أحد الى كشف حقيقته ولا مناص معه من وجود بناء داخلى تعطف فيه الذرات البروتينية كحلقات طويلة متحركة وجحافل مستعدة للعمل السريع المنظم .وفى حالة من النشاط المستمر وما زالت وظائف التأكد والتمثيل وطرد الفضلات قائمة بعملها بينما الخلية الحية تتبادل الجهود والمواد بينها وبين الوسط الذي تعيش فيه والتوازن الذى يظهر ثابتا لاحراك به هو فى الحقيقة توازن ديناميكى او نشيط عامل .

الا ان معضلة تواجهنا هنا وهو انه اذا نفذ البنزين فى سيارتك وقف محركها. بيد أن الآلة نفسها لم تمت ولم تتفكك اجزائها مباشرة . ولو حرمت الخلية الحية من الاوكسوجين او الطعام ماتت وتحللت اجزاؤها فما السر فى ذلك وما هو الموت الخلى به ؟فالذرات والجزئيات والايونات مازالت موجودة.وقد أبان لنا العالم«يرهوف»ان كمية الطاقة الموجودة فى البروتين الحي ليست بأكثر منها فى البروتين الميت.فهل تسرب دافع حى او قوة من قوى الاشباح وغاب عن أعيننا خفية

وهنا وفي هذه النقطة نفسها على الباب الذي يفصل مابين الحياة والموت كان الفزيولوجى الانجليزى الكبير الاستاذ«هل»على وشك اكتشاف ذي اهمية قصوى إذا لم يكن قد توصل اليه بعد بالفعل.فقد ظهر من ابحاثه فى الخلايا العصبية التى لاقاعدة لها وفى العضلات ان التركيب المنظم لهذه الخلايا هو تركيب يجمع بين الكيميائى والديناميكى يقوم بامداد هذه الخلايا بالاوكسيجين(أى بالاوكسيد) لحفظ كيانها.وهذا النظام أو التركيب الذرى من شأنه الميل الى التناقص والاقتراب من الفوضى الحيوية الكيميائية وانهيار النظام.ويتطلب الأمر تأكداً مستمراً لحفظ هذا النظام الخاص أو التركيب الذرى المنظم لحياة خلية حية.ولذا فالآلة الحيوية تخالف تماماً كل الآلات الميكانيكية العادية وكأنه قد يكون من التسرع القول الى أى مدى تسفر هذه النتائج عن أن تكون عامة بيد أن المحاضر يعتقد بعظيم

اهميتها وعموميتها. واننا قد بدءنا ندرك ولو ببعض الغموض لأول وهلة الفرق بين الحياة والموت. اى لب معنى الحياة نفسها وذلك لأول مرة فى تاريخ العلوم .

أصل الحياة : واختتم الاستاذ دونان محاضرته بالقول ان هناك مدرستان من التفكير فى أصل الحياة. احداهما تقول بأن الجراثيم الحية وصلت الي سيارتنا (الارض) بالصدفة تماما. والأخرى تعتقد أن الحياة نمت من مادة غير حية وذلك في ظروف وأحوال خاصة

وقد قام الاستاذ بالى من جامعة لفربول على سبيل المثال بتجاريب عدة وأنتج موادمركبة مصنوعة من عناصر. ولو توصلنا الى تواصل تام واستدامة فى الاحجام والنسب بين كل ما هو حي وما هو غير حى فهل هناك حقيقة نقطة يمكننا أن نقول عندها « هنا حياة » « وهناك لا حياة » بين أن ذلك سيكون من الاشياء التى ينطوى التصريح بها على الخطر والمجازفة فى الوقت الحاضر. الا انه متى توفر الأمل توفر مع احتمال البحث العلمى. ومن ذا الذى يحد من اتساع مدي الاكتشافات التى فى مقدور العلم الاتيان بها فى مستقبل الأيام !

م . ر .

لما قرأت نيتشة

للناقد الفرنسى : اميل فاجيه

من أعضاء الاكادمية الفرنسية

يتفق غالباً أن يشرح الفيلسوف خلقه حين يبسط آراءه . ويتفق أيضا أن يجعل الفيلسوف من عواطفه نقطة ارتكاز يستقى منها أفكاره . ولما كان موهوبا « بملكة تبديل تلك العواطف الى أفكار فهو يجعل من جماع تلك الافكار مذهباً » . وما المذهب الا الفكرة العامة للفيلسوف .

فاذا أحال الفيلسوف عواطفه الى فكرة عامة نظر الى ما حوله وتناول بالنقد كل ما يعترض تلك الفكرة . ويتناولها بالنقد الدقيق وبشدة لان مذهبه ليس فى الواقع سوى عاطفة مستبدة به . وهو فى غضون ذلك النقد يهتدى الى آراء مؤيدة لفكرته العامة

وتلك هى خطة السير التى اتبعها نيتشة فى تكوين مذهبه . وهي خطتنا أيضاً فى تعرفه ودراسته . وانما قرأت نيتشة بطريقة رسمتها لنفسى . وسواء أ كانت هذه الطريقة صالحة أو غير صالحة فلم يكن لى غنى عنها لقراءته حتى النهاية . وأريد أن أقول قراءته ودرسه .

أظهر صفات نيتشة الخلقية أنه كان مخلصاً ومتكبراً وشديد الوطأة على خصومه . كان مخلصاً صادقا يمقت الخبث وذلك الضمير غير المستقيم الذى هو ضرب من الخبث والمكر . كان مبتغاه أن ينظر في أعماق الآخرين بوضوح وبذلك الوضوح المطلق ينظر فى نفسه أيضاً وفى الفكرات والمذاهب . وهو ما حمله على السخر من المانيا التى تعد الغموض فضيلة . وكان من شأن هذه الصراحة الفكرية انها حضته على أن يرفع النقاب دائما عن كل شيء . وان يتسائل على الدوام « ماذا وراء هذه الفكرة ؟ وماذا يخفى ذلك المبدأ . »

ولم يكن لديه شيء اهم من كشف العاطفة الداخلية واظهارها مجردة .

ولقد افضت به صراحته الى ان يكتب ويقول اشياء مناقضة لفكرته العامة بل ان تلك الصراحة قد صبغت كل ما كتبه بصبغة الاعتراف والاقرار

كان متكبرا الى أقصى حدود الكبرياء مقتنعا كل الاقتناع بتفوقه الفكرى. وكان يعتقد انه اسمى تفكيرا من الجميع وتملكه هذا الاعتقاد الى حد انه كان يرى ان كل ما كتبه انما كتب للمرة الاولي وان سائر الافكار التى اخرجت للناس لا قيمة لها البتة . ولقد اعتقد ايضا ان الرأى المستغرب (المناقض للمألوف) سبيل الى الحقيقة .

وانما تأتى تعطشه الدائم الى الاستقلال من تلك الكبرياء . لم يكن يطيق اي نير او اي قيد لا من الناس ولا من الاشياء ولا من العادات المتبعة أيضا وقد اعترف بان طبيعته لم تخلق الا بحيث لا تطيق سوى العادات المتقلبة حتى فيما يختص بحاجات الصحة الطبيعية .

وأخيراً تولد من صراحته وكبريائه نوع من الجرأة المحمودة والحرية المقرونة بالشجاعة الادبية والاقدام على الجهر بالرأى جعله مشاكسا ميالا الى الى العراك والكفاح . كان الرجل الذي يقول لك « اخطأت » من قبل أن تحادثه . ويقول لك من بعد ان تحادثه « انا واثق من رأيي كل الثقة » . ومن هنا تأتت كل متناقضات « نيتشه » . كان يتصف بالكثير من خلق الفيلسوف « جوزيف دى ميتر »

كذلك كونت الطبيعة « نيتشه » فقد ولد المانيا دون ان يطلب ذلك وألقى به بادىء الامر فى أحضان الرومانتيسم ومدرسة التشاؤم وفي مذهب « فجنر » . وقد عبد كل ذلك من قبل ان يتنبه لنفسه . كان «جوته» « وشونبهور » و « فجنر » اساتذته الاول بل معبوداته . ولقد تأثر فى البداية كل التأثر من الروما نتيسم الالمانى الذي يختلف كل الاختلاف عن الرومانتيسم عامة ولا أقول خيراً ولا أسوأ منه. وانما أقول انه مزيج من الاحساس الرقيق والعاطفة الحارة ومن الحلم الحزين الحلو . ويغلب الشعور

على الخيال في الرومانتيسم الالماني . وانغمس نيتشة في التشاؤم الذى هو نتيجة طبيعية لذلك الرومانتيسم الذي طال مدى اعتناقه واستعماله والذى غمره ذلك الشعور ببؤس الاشياء الدوي .

وبقى فردريك نيتشة زمناً طويلا متحمساً لموسيقى « فجنر » التى هى في الحقيقة موسيقى حية تصور الحياة بما فيهامن تهيج وثورة وكلال . وتصورها على الأخص فى طموحها الى الراحة .

وبالاختصار كان نيتشة رومانتيكيا كملت فيه كل عناصر المذهب . وقد لايستطيع الفرنسى أن يتصور بوضوح معنى استكمال عناصر المذهب فى الفكر . ونحن كلما بعدنا عن الرومانتيسم الفرنسى كان أظهر وأوضح . وازداد اقتناعاً بتلك الحقيقة. وهي ان الرومانتيسم الفرنسى أشد وضوحاً ونظاماً وحياة وحرارة . وان اكبر ممثليه قد اشتركوا في تكوينه . وانه جد متفائل عند زعيميه الكبيرين اللذين رفعا رايته . ومتشائم من ناحية ثورته لا غير . ولم يكن هناك فلاسفة يعربون عن القليل من التشاؤم الذي انطوى عليه . وما كان « كونت » ولا « رنان » ولا « تين » متشائمين وأخيراً لم تكن ثمة موسيقى رومانتيكية فرنسية بالمعنى الصحيح . وعلى هذا الاعتبار اذا اتخذنا الرومانتيسم الفرنسى مثالا لوجب علينا أن نطلق على الرومانتيسم الالماني اسماً آخر. ولو انا اتخذنا الرومانتيسم فى القرن التاسع عشر مثالا للرومانتيسم الالماني لاحوجنا ذلك الى أن نطلق على الرومانتيسم الفرنسى اسما آخر .

وليست لدينا فى فرنسا فكرة عما كان عليه الشاب الالمانى الرومانتيكى حوالى سنة ١٨٧٠ ذلك الشاب الذى غمره الرومانتيسم من كل نواحيه وبكل تأثيراته يتلقاه فى الشعر وفى القصة والفلسفة وفى الموسيقى وفى الحديث والوطنية ويسره أن يرى الرومانتيسم شيئاً المانيا في جوهره وأنه جزء من الذخر الوطنى ومجد المانيا القومى . وكذلك كان فردريك نيتشة قبيل سنة ١٨٧٠ .

ولم يكن ذلك فى مزاجه . بل ربما كان ذلك فى مزاجه الي حد ما .

فقد كان ممراضاً سهل الانقياد الى الحزن كثير الغلو سريع التأثير بكل ماهو جليل وهائل . وهو الى ذلك مشتت لم يوفق الا بصعوبة الى ترتيب أفكاره ترتيباً مادياً . وهو ذاتي الى حد الشطط . شديد الميل الى الادب الذى يكون اقراراً واعترافاً .

على ان نيتشة لم يكن رومانتيكيا فى كل مافكر وكتب الا نسبياً . بل لقد كان في بعض أقواله مناقضاً للرومانتيكية . كان ذا فكر إيجازي . سيال الى القاعدة . وهو بكبريائه أريستوقراطى . واذا كان الفن مافتىء أريستوقراطيا فان الفن الرومانتيكى أكثر شيوعاً وهو يوجه الى العاطفة لاإلى الآراء . وقد كان نيتشة مستقلا ومهاجماً . وبينما كانت المانيا كلها رومانتيكية اتخذ ذلك حجة للتحول إلى مذهب آخر . فتحرر من التقيد بالجماعة . وقد ذكرنا انه يمقت كل قيد .

تحرر من تأثير فرنسا بادىء الأمر ثم تحرر من تأثير اليونان . أما من جهة التأثير الفرنسى فقد قاده اليه « جوته » الذى كان يحبه حباً جماً . وليس من الممكن مع ذلك المبالغة فى تأثير « جوته » على « نيتشة »

وانا لنتبين « جوته » فى كل مناحى « نيتشة » وفى أدوار تطوره الرئيسية . ونلمح شبح « جوته » المضيء يفيض دائما على الفيلسوف الحديث . ولقد كان نيتشه دائم التجوال فى افياء « جوته » محاولا بنجاح أحياناً الى تخطى تلك الافياء .

ومهما يكن من تحرره من التأثير الفرنسى فقد قرأ « مونتانى » الذى امتدح مزاياه وطريقته فى معالجة الشيء بعينه باسلوب جديد اكثر من مرة . وقرأ « باسكال » الذى استشهد به كثيراً و« لاروشفوكول » الذى تولى بنفسه طبع « عظاته » بتعليقات مستفيضة . وقرأ « كورنى » الذى تعمق فى فهمه كل التعمق . و« فولتير » و« فوفنارج » و« لابروبير » و« شالفور » و« فونتينل » و« ستندهال » . وقد فتنه أولئك المؤلفون وارشدوه الى طبيعة فكرته الحقيقية . ولذلك نستطيع أن نقول ان نيتشة كان كلاسيكيا.

فقد جرت يراعته بصيغ الفن الكلاسيكي فقال انه ليس ثمة أدب ذاتي وانه متى تكلم التأليف فما على المؤلف إلا أن يسكت. كان من انصار الحقيقي . ولكن ليس كل الحقيقي : فان الناثر المجيد لايستعمل الا ألفاظاً من لغة الحديث ولكنه يحاذر أن يستعمل كل الفاظ تلك اللغة، وكذلك يتألف الانشاء البليغ — ولعل شاعر المستقبل لاينشد الناس الا اشياء حقيقية ويهمل مادون ذلك من الاوهام واشباه الحقائق . وهو ماتجات فيه قوة الشعر القديم . والحقيقة المرغوب فيها انما هي الحقيقة المختارة . ولقد نعثر على نظرية كاملة للفن الكلاسيكي الفرنسي مبعثرة الاجزاء في تآليف نيتشة وهو منذ ان وثق من ان الوضوح والترتيب والاختيار — من قواعد الكلاسيك — قد كان شبه وحي انزل عليه ففتنه واستأثر بلبه فعبد طريقة القدماء . وآلى على نفسه ألا يحترم طريقة أخري .

ترى هل فرنسا هي التي قادته الى اليونان أو أن اليونان هي التي اعادته فيما بعد إلى فرنسا ؟ الظاهر أن نيتشة درس الاغريق والفرنسيين في وقت واحد . قال إننا حين نقرأ «مونتانية » و«لاروشفوكول »و«فونتينل » وعلى الاخص كتابه « محاورات الموتى » « وفوفنارج » « وشامفور » نصير اقرب الي التقدم منا لوأنا قرأنا ستة مؤلفين آخرين من شعب آخر » . فان أولئك الكتاب الفرنسيين قد أحيوا بتآليفهم روح القرون الاخيرة للعهد القديم .وان اجتماعهم ليؤلف حلقة هامة في سلسلة النهضة «رينسانس» العظيمة المتصلة . فقد ارتفعت تآليفهم فوق كل تغيير طرأ على الذوق الوطني وفوق الالوان الفلسفية . انها لتحتوي على أفكار حقيقية تفوق كل ما احتوته كتب الفلسفة الالمانية مجتمعة . . . . ولو اني أردت أن أصيغ لها مديحاً قريباً الى الفهم لقلت انها لو كتبت باليونانية لكانت مفهومة من اليونانيين .» وبمقدار ماأثنى « نيتشة » علي وضوح الفرنسيين انتقد بمرارة غموض المفكرين الالمان ومبالغتهم وخشونتهم . وخص بنقدة « جوته » و«شوبنهور» .

ويبدو من ذلك ان تأثر نيتشة بالفرنسيين نبا به عن الرومانتيسم الالماني بل لقد ابعده عن المانيا نفسها .

منذ ذلك الوقت جعل نيتشة يتساءل عما اذا كان لدى المانيا كتاب كلاسيك اعنى كتاباً عباقرة غير محدودي الفكر ذوى آراء عامة لاصلة لها بعصر ولا بمكان. وقدسيطروا على المستقبل بسمو افكارهم وقوة تعابيرهم لكى يبقوا على الدهر. ولكى يظلوا عظماء لا تختفي انوارهم من بعد خمسين سنة من موتهم . ومن الممكن ان يكون « نيتشة » قد ابتدأ ينكر وجود اولئك العباقرة . وفى رأى له جاء فى كتابه « انسانى جد انسانى » للآداب الالمانية ستة اجداد عظماء قد شاخ من بينهم خمسة حتى لا مرد لشبابهم . واستثنى منهم « جوته » . . . ولكن ماذا أقول عن الخمسة الآخرين ؟ لقد شاخ « كلوبستوك » فى حياته . ولم يعد احد يقدر اى قيمة جديدة لكتاب حياته التفكيرية « جمهورية العلماء » . وكان من سوء حظ « هردر » انه كتب تآليف جديدة لم تلبث ان طوتها الشيخوخة. واما « فيلاند » الذى بث الادب الالمانى بعثا جديداً فقد خبا تأثيره بموته . وما زال « ليسينج » حيا الى اليوم. ولكن بين شباب العلماء فحسب . وقد خرجت تآليف « شيلر » من ايدي الشباب لكى تسقط بين ايدى صغار الصبية الالمان الخ »

وكذلك كان يزداد نبو « نيتشة » عن المانيا بل عن الثقافة الجيرمانية وصار يشعر بالانقياد الى مواطن الوضوح واجواء الحرية . فى ذلك الوقت حوالى سنة ١٨٧٠ ـ اهتدى الى اليونان . ترى هل كان حدث لديه الميل الى الثقافة الاغريقية « الهلينيسم » وهو بعد طالب في الجامعة ؟ انه ليهمنا ان نقف على حقيقة ذلك . على ان التربية الفكرية الوحيدة ذات القيمة انما هي التربية الثانية التى يعطيها المفكر لنفسه . وان الميول الحقيقية فالميول العميقة التى تبقى مدى الحياة هى التى تتكون من سن العشرين الى الثلاثين وقد ذكر نيتشة فى مقدمة كتابه « اصول التراغوديا اليونانية » انه تعشق الثقافة الاغريقية حوالى سنة ١٨٧٠. وان تعشقه العميق لها بلغ حد العبادة وكان ذلك بالنسبة اليه مطلع فجر جديد . بل لقد كان اطلاعه على الادب الاغريقى بدؤ الازمة الفكرية والادبية العظيمة التى انتابته ،

ولقد أراد « نيتشة » ان يقف على الاصول العميقة لفن التراغوديا عند الآثينيين . الاصول السيكولوجية لذلك الفن والحالة النفسية التى يوجدها عند الذين يعالجونه مؤلفين كانوا أو ممثلين . فاستطاع أن يكون فكرة — غير صحيحة فى نظرى — ولكنها مبتدعة وهامة وغزيرة النتائج عن الروح الاغريقي . وعمل بهذه الفكرة وفتن بها وجعل منها مذهباً فلسفياً واجتماعياً وخلقياً . وفى الحقيقة ان « نيتشــة » كله فى كتابه « أصــول التراغوديا الاغريقية » .

أما الفــكرة التى كونها « نيتشة » بعــد محاولات وغموض غير قليل عن الفن التراجيقى الاغريقي والروح الاغريقي فانها تتلخص فيما يلى :

كان هناك عنصر بشري لم يحب غير الجمال والحياة . وقد أحب على الاخص الحياة . الحياة القوية المرحة المتجسمة المقرونة بالظفر والمجد . وهو مايطلق عليه اسم الروح الاغريقى . الا أن ذلك العنصر أحب ايضاً الجمال والبراءة ونبل الموقف والاباء والشمم وهدوء النظر . وهو مايطلق عليه اسم الروح الابولينية (نسبة إلى ابولو) . وتجتمع هاتان الحالتان في المخلوق الاوليمبى . والاوليمب هو مقر المخلوقات السامية . الاحياء الذين أوتوا غاية القوة ومنتهي الجمال . والذين اوتوا النعيم المقيم . خالدين مرفهين بكل ملاذ الحياة الابدية . فالاوليمبى هو المخلوق السامي الذي اجتمع له الجمال والنبل والعظمة والخلود . هو نموذج اليونانى وقد توخى اليونانى في حياته وفى فنه الاقتراب من ذلك المثل الاعلى . وعمل على ان تجتمع في الطراغوديا حالتا العنصر الوسط والعنصر الاوليمبى . وقد وضع الحالة الاولى فى الاناشيد والحــالة الاخري (الابولونية) فى الاشخاص . وعلى كل حال فقد توخى قالباً من قوالب الفن اجتمعت فيه الحياة والجمــال واتحدا اتحاداً عميقاً . وحيث تبدي الجمــال حياً متحركا عاملا وحيث تجلت الحياة فى الجمــال . وفى الجمال دائماً وفى كل ضروب الجمال . الموسيقى والشعر ونبل المواقف اتحاد صميم للحياة والجمــال فى التراغوديا اقترب به الاثينيون إلى المثل الاعلى الاوليمبى .

وحتى فى حياتهم بالذات سعى الاغريق فى تحقيق ذلك الاتحاد الذى كان امنيتهم . حققوه فى عملهم الحربى (الفتوحات) وعملهم السياسى والاستعماري وعملهم الادارى. وكانوا يحملون مع كل ذلك الفن دائماً . فن الشعراء . وفن الحفارين . والمهندسين . وفن المصورين . ولقد تمضت اليونان حياتها وفنها على العالم ، وكانت ترى العيش فى الجمال الغرض الاسمي . وأرادت ان يعيش العالم على مثالها . يعيش فى الجمال . ذلك كان شغلها وإرادتها الدائمة .

ومن الممكن ان نعد التراغوديا الاثينية الواسطة إلى ذلك . بل لقد كانت الصلة بين سماء اليونان وارضها . وكانت التراغوديا الاولمبية تقول للناس . كونوا اولمبيين . لتكن الحياة والجمال على الارض كما هما فى السماء (الاولمبى) . الحياة والجمال السماوى ترشد اليهما التراغوديا على الارض .

— ولكن ألم توضع فى التراغوديا اليونانية اشياء كثيرة . أولم يسع الاثينيون إلى شيء آخر فى التراغوديا غير استمطار الدموع الغزار كما قال « هوميروس » وارضاء حساسيتهم ؟

قال « نيتشة » : كلا . حسبك ان تقرأ « أفلاطون » و « ارسطو » لكى ترى كيف كان الاغريق يفهمون الطراغوديا في جوهرها حتى فى حالة عدم اتفاقهما فلقد نفى افلاطون الشعراء من جمهوريته خشية ان يعتري التخنث العنصر اليونانى القوى الممراح . خشى على اليونانيين من تأثير مبالغة الشعراء فى التباكي والعويل المصطنع . ولكن جاء ارسطو على نقيض أفلاطون دائماً ودافع عن التراغوديا مؤكداً أن التأثير فى الناس باشياء مصطنعة يطهرهم من تلك الحساسية الكاذبة التى يصطنعها الشعراء . ويرجعهم إلى الحياة القوية المرحة . ويتبين من هذين الرأيين أن الحكيمين انما ارادا عنصراً قوياً عاشقاً للحياة وكلاهما أراد أن لايكون للفن تأثير معاكس فيضعف ويخذله .

واضاف « نيتشة » إلى ماتقدم أن ذلك الذوق في العنصر اليونانى إلى الفن الابولينى انما هو ذوق مفعم بالتأثير الحزين المروع مظهر للبؤس

الانساني . دال علي أن لاخوف من وطأة ذلك البؤس والألم على العنصر اليوناني القوى .

وأنه لا يتطلب خواتيم مفرحة . ولا أكاذيب متفائلة . وانه عنصر واثق من نفسه كل الثقة بحيث يرى البؤس الانساني ويجد فيه مسرة تنطوى على الجمال الفنى لا تؤثر فيه اى تأثير موهن . وأنه من الممكن ان يسر برؤية البؤس الانساني سرورا يتفق مع رجولته وقوته . تأثير صحى يتخطى به « المقابر الي الامام » حسب تعبير « جوث » . ولم يكن العنصر اليوناني يتطلب من الفن عزاء ولا مخدر انما كان كسائر العناصر القوية يستسيغه على انه علاج مر ومطهر .

تلك هي الفكرة التى ظفر بها « نيتشة » عن الفن الاغريقى . وهى التى تأملها فزعزعت عقيدته فى كل ما حصل عليه من المعلومات . فلقد علموه الرومانتيسم الالمانى اى فن الاسى والعويل . فلما اهتدي الى التراغوديا اليونانية رأي عنصرا قويا وفنا للجمال بعيد الغور شديد الاتصال بالحياة القوية المنبعثة . وهو ما يناقض الرومانتيسم وقد علموه التشاؤم اي الاعتقاد بان الحياة شر . فلما اطلع على ثقافة الاغريق رأى فناً وعنصرا ثملا بحب الحياة .فنا وعنصرا متشبعين بالتفاؤل

علموه موسيقى فتن بها فى اول الامر ولكنه صار الآن يمجها لضعفها وانوثتها . وقد اطلع على فن وعنصر حيث يستشعر من الموسيقي روح الحياة المتحمسة الشديدة وحيث تقترن بضروب من الرقص الدالة على الرجولة والفرح والبطولة فاحس نيتشة بان عقيدته فى معلوماته الاولى قد تزعزعت وانهد ركنها .

ولم يكن ذلك بلا اسف احس به « نيتشة » حين ارجع البصر كرة الى الوراء . صار فى حالة ازمة . فانه برغم كبريائه ومزاجه المشاكس الميال الى العراك عهد الاسف الذى يحسه المرء حين ينفصل عن بلده او عن حزبه او ناديه . اسف لم يسلم من الشعور به اى انسان ذى شخصية . نقول انه برغم

كبريائه لم يكن يخلو من وداعة واحترام المعلم يتميز به كل تلميذ ألماني . ولم يلبث ان حدر نفسه من كل التأثيرات التى ثقلت وطأتها وتجرد بالشجاعة الاصلية فيه من كل سيطرة للافكار التى حصلها . واخذ يواصل طريقة بتفرده قال « ولما ابتدأت السير بتفردي جعلت انتفض . ولم يمض على وقت قصير حتى مرضت ومللت البقاء فى حالة الوهم الذى نكابده نحن معشر المعاصرين وسط كل ما يثير حماستنا .

مللت واشمأزت نفسى من التخنث والتمويه والحماسة الفارغة فى ذلك الرومانتيسم . وتلك الاكاذيب الايديالية واضعاف الضمير المتغلب على التأثيرات الشائعة في العصر الحاضر . واحسست انه قضى على أن اكون اكثر انفرادا من ذى قبل .



دعا نيتشة الناس جميعا الى حب الحياة . الحياة القوية الفعالة . وحب الجمال المنطوى على القوة . قال « ابذروا الحياة فى كل مكان . والى الحياة وجهوا جهودكم . ضعوا اكبر مقدار من الحياة فى هذا العالم » ولم يكن نيتشة سوى صورة مهتاجة من « جوث » وظل يعتقد انه اذا كان للعالم حاسة فانها حاسة الجمال ولا يمكن أن تدرك الا على أنها مظهر للرغبة فى الجميل . وليس هناك من يفهم الحياة غير الفنانين . ونحن اذا أردنا فى آخر الامر أن نفهم العالم على اعتبار أنه مظهر للعدالة أدركنا فى الحال عقم مجهودنا لانه من الثابت أنه ليس في العالم مظهر للعدل . واذا أردنا أن نفهم العالم على أنه مظهر للخلق الحسن لم نلبث أن نرى رجاءنا قد ضل لانه ينبغى لنا أن نتفق على أنه ليس فى العالم ظل للاخلاق . واذا أردنا أن نفهم العالم على أنه مظهر للصلاح والطيبة وان نقول مع افلاطون « ان الله خلق الدنيا طيبة منه وكرما » انحدرنا إلى مهاوى السخر لأن من المحال إدراك أن قوة عظيمة تخلق المخلوقات طيبة منها لكى يتألموا .

الا أن الاعتراضات تمحى ووجود المحال تلاشى حين ننظر الى العالم على اعتبار أنه مظهر للجمال. وأما مسألة الشر فى الارض فانها لا تكون متى قلنا ان الجمال سبب الوجود. والجمال وحده ينزه الخالق من كل شيء لانه فنان.

قال أنه لا يمكن ان يكون الوجود منزهاً إلا اذا اعتبرناه مظهراً للجمال وان العالم الذى لا يقبل الادراك على اعتبار أنه مظهر للعدالة وللصلاح وللخلق « موراليتى» يصير قابلا للادراك متى نظر اليه على أنه مظهر للجمال وهو الجمال فى اسمي مظاهره (وقد ناقض نيتشة هذا الرأى فيما بعد. على أن متناقضات نيتشة يمكن الفصل فيها) والاحساس بالعالم انما يكون فى تتبعه والاتجاه اليه. الاتجاه الى الحياة والى الجمال والى الفرح. وانه ليس أجل من الاتصال بالارض وعدم الاعراض عنها والاخلاص لها.

« استحلفكم أيها الاخوان أن تخلصوا للارض. ولا تصدقوا الذين يعدونكم بآمال فوق الارض انهم يدسون لكم السم من حيث لا تشعرون. انهم ممن تعبت منهم الأرض لانهم يعبثون بحياتهم وحياة الناس. اخوانى. كونوا مخلصين للارض بكل ما عندكم من فضيلة واحبسوا فضائلكم عن التحليق الى أسوار الابدية فكم من فضيلة ضالة بين الارض والسماء. فاعيدوا مثلي الفضيلة الضالة الى الارض.

وقد رأي نيتشة ان واجب الانسان ان يترقى الى ذاتيته ان يصل الى ما يحس أنه قد صار اليه. والغرض أن نجيب دائما نداء الوجود. وليس الغرض أن نقبله على علاته لان ذلك ضرب من احتماله. الغرض أن نحبه وان نعتنقه بشغف.

وفى الحقيقة أننا اذا فكرنا فى التشاؤم ومذهب المثل الاعلى «الايدياليسم» والمسيحية وسائر وجوه التجرد من العالم كما هو لما رأينا فيها غير صور الانتحار أنها على الاقل من عوامل التفرقة. ان الانسان لينتقل من الحقيقى الى الخيالى كما ينتقل الشعب من المدينة الى الجبل المقدس وهو انما يسميه مقدساً لمجرد انه يعتزل فيه. لانه ضريح.

وشأننا فى الوجود أن نقبله بسرور وان نذهب فى مذاهبه وان نساعد علي ترقيه ومجد حركته واتزانه وتناسبه . قال « إنى لارغب فى الدنيا كما هي . وأرغب فيها دائما . ولا أفتأ أقول » :

هات : ليس لى وحدى بل لجميع النظارة

علي أنه لا يكفى أن ترضى بالدنيا لـكى ترضى بك . يجب أن تكون مستعداً لحبها وكفاحها فى وقت معاً .

ولقد تنقلب هذه القاعدة للحياة ضدك . فانك حين تسعى للحياة القوية المتسعة المدي تلقى العناء والالم والجرح . ولـكن اليس التفاؤل التام الصحيح يحمل معه الشر ؟ اذن يلزم أن نعيش فى خطر . (وهى أجل عبارة نطق بها فم إنسانى) يلزم أن نعيش فى خطر لـكي تتذوق الحياة فى أ كمل صورها بل لـكى ندري ماهيتها .

« صدقونى ان السر فى أن تحصدوا من الحياة اكبر مقدار من السرور انما يكون فى التعرض للخطر . شيدوا مدائنكم على مقربة من « الفيزلاف » ارسلوا سفنكم الى البحار التي لم يجتزها أحد . عيشوا في حرب مع أمثالكم ومع أنفسكم . اغتصبوا بالقوة مالا تستطيعون امتلاكه أنتم يامن تنشدون المعرفة . وسرعان ما يمضى الزمن حيث تسرون بالحياة مختفين وسط الغابات مثل الخراتيت الشاردة »

اما الموت فلا مرية فيه . انه جزء من الحياة . وغايتها وجزائها . واذا كان هو آخر شعلة من الحياة فانه اسمى شعلة . قال « ان اجل حياة للبطل هي ان ينضج للموت فى ميدان الكفاح » ألا ايها الموت : اين مجدك ؟ لعمرى انى لااراه . انى لاانتصر واكون مجيدا بالموت .

ولقد خص نيتشة نصف كتاباته تقريبا بتمجيد الحياة وحبها . وهو ما لا يحتاج الى شرح . وهو جميل من وجهة الفن . حب الحياة فى الجمال والجمال فى الحياة .

* * *

والى هنا لا تزال فكرة « نيتشة » عند حدود العاطفة . ولقد سحره كفنان جمال الحياة الاغريقية كما فهمها فصار عاشقا للجمال والحياة الطايقة القوية . وتوصل من ذلك الى شعوره العام بالوجود . وانه لا بد للانسان من ان يعيش بكل قواه وان يخلق الجمال الحي فى شخصه وفيما حوله باستعمال قواه كلها استعمالا جريئا . وهو رأى صائب .

ولم يفت « نيتشة » ان يلاحظ جميع العوائق التى تحول دون الحياة فى القوة وفي الجمال . الحياة كما اطلع عليها فى تاريخ الانسانية الاغريقية. وقد تناولها بالهدم دفعة واحدة . ومعنى تناولها بالهدم انه برهن على استحالة أو سوء نتائج وظلم ماشتملت عليه النظم والآراء الانسانية من معارضة التفاؤل ومنع الانسان دون أن يعيش فى حرية وفرح وقوة وبطولة وجمال.

اما تلك العوائق فلا تكاد تحصى . أولا : احجام الانسان وتردده فى البحث عن الحقيقة . احجامه وتردده امام المعرفة . فلسنا لعمرى مفكرين صادقين صريحين . انا لنتخوف من الحقيقة . بل ربما كنا نمقتها كما قال « باسكال » . ويندر أن نتناول الحق بجرأة . ذلك لانا نعلم انه لايخلو من أخطار . واخطاره توازي مسرانه . وانه لمن الممكن أن نكتب تاريخاً لم يكتب وهو تاريخ « دون جوان المعرفة » . وليس هو تاريخ « مونتانية » ولا « سانت بيف » ولا « رنان » . إن التاريخ الكامل لدون جوان المعرفة انما ينحصر فيما يلي « لقد أخطأه حب الاشياء التى اطلع عليها ولكنه ذو عقل وشعور جم » فنعم بصيد المعرفة وطاردها إلى أقصى الكواكب واسماها (وهنا يقف تاريخ « مونتانية » و « سانت بيف » و « رنان ») وحتى لم يبق لديه فى آخر الامر شيئاً يصيده إلاماهو جد مؤلم فى المعرفة مثل المدمن الذى ينتهى الى شرب « الابسنت » ممزوجاً بالماء . وهو من أجل ذلك ينتهى به الامر إلي الرغبة فى الجحيم وتمنيه . وتلك لعمرى آخر معرفة تفتنه . وإذ ذاك لا بد له من الوقوف عند حدود الابد . إذ ذاك يصير نزيل الحجر . ويتمنى عشوة من ليل المعرفة . عشوة لن تهبط اليه قسمة ! لان دنيا الاشياء باسرها لن تجد بلغة تعطيها ذلك الجوعان المتعطش »

وانه لمن السهل أن ندرك ذلك التخوف من الخيبة التى توقف الانسان عند بداية البحث الشخصى عن الحق . ولقد نهتدى فى هذه الدائرة الى الجبن العام للانسان . إنه جبان أمام الحقيقة . ولكنه لاينبغي أن يكون الانسان جبانا لان خشية الهزيمة انما هي فى الواقع هزيمة قبل خوض المعركة . انما يتحتم البحث عن الحقيقة ببسالة وبحب جم لها . حب سابق للمعرفة يوازى حب ذلك الامير الذى تعشق أميرة بعيدة لم يرها . وليس للحياة معنى فى غير البحث عن الحق . وانا لن نظفر بالحياة صالحة طيبة الا منذ الوقت الذى تتذوقها فيه على هذا المعنى قال نيتشة « كلا » . ان الحياة لم تخيب رجائى : لقد وجدتها أغنى مما كنت أظن وأحب الى نفسى وأشد خفاء منذ اليوم الذى علمت فيه أن الحياة يمكن أن تكون تجربة لذلك الذى ينشد المعرفة . وتكون مجرد تجربة لا واجباً ولا قدراً محتوما ولا خديعة . وان المعرفة نفسها التى تكون للآخرين سريراً للراحة أو سبيلا الى الراحة واللهو انما هي عالم ملئ بالاخطار والانتصارات حيث يكون للعواطف الجريئة الباسلة مقامها في الرقص وفى اللعب : لعمري أن الحياة وسيلة للمعرفة وبهذا المبدأ حين نجعله في صميم القلب لا نستطيع أن نعيش ببسالة فحسب ولكننا نعيش أيضا فى فرح ومتاع . وكيف نريد أن نسر وأن نضحك ونبلغ الغاية فى الاستمتاع والفرح اذا لم نرد فى بادىء الامر الحرب والفوز ؟ .

انما يلزمنا أن نبحث عن الحق بصدق واخلاص وان نتعشق الحقيقة لذاتها مهما كانت . بل ينبغي أن نحبها لذاتها وانما لكي نعارضها ونعاديها . ولا بد للانسان من أن يناقض نفسه .

وحسب هذا الرأى أن يفسر متناقضات نيتشة — وهو انما يناقض نفسه عن صدق واخلاص . ويلزم ان يتقبل المرء نقيض رأيه وفحص ذلك النقيض وتقدير قيمته .

على أنه يندر أن يكون في الناس ذلك الاخلاص في البحث عن الحقيقة . وهم بوجه عام يريدون أن يخدعوا ويخدعوا . ولقد ضرب نيتشة المثل

بصـدقه وإخلاصـه فى البحث عن الحقيـقة . وفى رأيه ان الانسـان شقى وانه يحتاج الى ألايزيد فى شقائه بعدم اخلاصه للمعرفة . وان حب ماليس بالحق أو الجبن فى تمحيصه عائق ضد الحياة في القوة وفي الجمال . وأنه يتحتم القضاء على ذلك العائق .

ثم أشار نيتشة الى العادة فوصفها بانها تعترض الوصول الى الحق والى المعرفة بل الى الحياة القوية المميزة بالجمال . وقد أراد بالعادة مايسمونه بالتقليد « تراديسيون » . فان الانسانية تعيش فى ماضيها الذى تلقته بالعادة . وان ذلك الماضى ليس سوى خطأ محض . قال ان الانسان يربى باخطائه . وان تلك الاخطاء قد صارت أساساً لطبيعته لايستطيع ان يتجرد منها . وانها تدوم وتطول وتصادف حقائق تختلط بها وتختلف بذلك اخطاء جديدة أشد خطورة مثل كل خطأ يمتزج بالحقيقة ويحصل على شيء من التصديق . وان نشأة الانسان باخطائه يجعله يحيي حيـاة ناقصة مبتورة . ومن هنا كان ادراكه لقاعدة للحياة لاتقبل التطبيق أو تطبق تطبيقاً سيئاً وتساعد على أن تعطيه فكرة ناقصة عن نفسه . ويقال من جهة أخري انها تساعد على خلق الصفات الخيالية مثل المقدرة على النظر الى المستقبل او ادراك ما فوق الطبيعة . ومن شأن هذه الاخطاء ان تثمر قواعد للحياة تبقى مع الانسان وتعمل على خدعه وغشه .

ويشعر من جراء ذلك ايضا انه فى علاقة كاذبة بالطبيعة والحيوانات . ويحس بانه جد مختلف عنها . وان ثمة تباين عظيم بينه و بين سائر الطبيعة . هذا الخطأ او النظر الكليل يوجهه فى اتجاه غير صادق . اتجاه مضل .

و يكاد يكون الخطأ مهد للانسان. ومنشأه يرجع الى العادة التى تحفظ فى الانسان المهذب كل ما هو طبيعي ولازم للانسان الفطرى .

وليت الامر كان مقصوراً على العادة . فهناك ايضا اللغة . اللغة التى هي لسجن الفكر . اللغة التى تسجن فكر اناسى اليوم في فكر اناسى الماضى . اذ لا تبيح للمحدثين ان يعربوا عن آرائهم الا في الفاظ الماضين . انها لا تهب

فكرتي حين تصدر الا المنفذ الذي صدرت منه افكار اجدادي الغابرين :
لقد تضطرني الى اخذ رأى ديكارت للاعراب عن رأيي : فاللغة عامل محافظ على الاخطاء القديمة او الحقائق القديمة . انها لخطر عظيم على الحرية الفكرية

ولعل اهم عائق انتقده « نيتشة » واتهم من اجل ذلك بانه فوضوى انما هو المجتمع الحديث . ولم يكن « نيتشة » فوضوياً ولا عدوا للمجتمع . ولكنه رأى بحق ان كل المجتمعات الحديثة بل كل المجتمعات منذ زمن طويل تعترض مذهبه علي خط مستقيم : وتعترض مذهبه بطبيعة تكوينها ونظامها نفسه . فان المجتمعات الحاضرة ملكية كانت او ديموقراطية لا ترمي الى جعل الانسان يعيش في حرية وفي قوة وجمال . انما غرضها ان تساعد علي أن يعيش اكبر عدد ممكن من الناس : وهو ما يدرك من سيرها العام

ولا قدرة للمجتمعات الحديثة الا على تمكين جميع الناس من حياة بسيطة محدودة تعين على التوالد والتكاثر وأن يكون لكل مركزه الصغير وكوخه ودائرة تطوره المحدودة ولعل المثل الاعلى لكل مجتمع من تلك المجتمعات لايتعدى المثل الاعلى لمدير احدى المستشفيات الذى يقيس درجة الهواء الذى لاغنى عنه للمرضى .

وقلما تهتم المجتمعات الحديثة للنوع مقدار اهتمامها للكم . انها لا ترغب فى عمل شيء عظيم ولا جميل حتى ولا صالح انما ترغب فى اخراج كثرة عددية .

(للكلام بقية)

التفكير والاعتقاد

عن و ه. ولمسون

لا يجهل الناس حقيقة شيء أكثر مما يجهلون حقيقة دينهم فهم يقادون منذ طفولتهم قسراً لينهلوا التعاليم الدينية وسيف النقمة مسلط فوق رءوسهم يتحيلونه على وشك فصلها اذا هم لم يتظاهروا باستساغته ما يردونه من ماء القداسة . هكذا ينشأ الطفل واجفاواذا ما كبر غرس بذور الرهبة فى قلوب صغاره فيصبحوا مؤمنين ليس عن اقتناع نتج عن تفكير حر بل رهبة من نار السعير

واذا ما خالج انسان الشك قال المتدينون ان ابليس قد تقمص الشاك والويل لهذا التعيس اذا لم يخف شكه واصبح مرائياً يوهم الناس بانه قديس. اليس من أكبر المصائب أن يجبر الانسان على وأد إدراكه وهو الامر الوحيد الذى يتميز به عمن سواه من الحيوانات ؟ ان لرجال الكنيسة جواب واحد على أسئلة « لماذا وكيف » وهو ينحصر فى الحث على الصلاة وطلب المغفرة . والويل للانسانية اذا وقعت صريعة الايمان اذ تصبح ضحية الجهل والتعصب المخجلين كما كان الحال كذلك فى المبدأ وكما صارت اليه الانسانية في عصور أوروبا السوداء فان ما ارتكبته محاكم التفتيش من المخازى والفظائع ليس الا نموذجاً — مصغراً — لما كان يجرى فى العصور الدينية حين كان الجهل سائداً والاضطهاد حاكما

ان فى محاولة الضغط على التفكير الحر شل للتقدم والمدنية ان لم يعن ذلك دفع البشرية الى التقهقر وجعل البشر قطعانا كالماشية تتبع من يقودها الى لا قصد والى لا غاية وانه لمن المدهش أن نرى الناس فى هذا العصر الذى لم يعد (للخازوق) ولكسر العظام وللحرق سيطرة فيه متمسكين بمراسيم

الاديان ظاهراً ، ليس خوفا من رجال الدين فهم محتقرون وآراءهم سخيفة لاينازع فى سخافتها أحـد ، بل من باب العادة فقط وارضاء لغريزة القطعان المتسلطة على الضعفاء . اليس من الغريب أن نجد الاباء يحرضون أولادهم على المراءات وبمعنى آخر إلي عدم احترام النفس ؟ اليس من اكبر المصائب ان يخاف العـاقل من مواجهة الحقيقة وان يتظاهر بالغنى والجهل والسخف كي يرضى أمثاله من الجبناء الذين يخشون الظهور أمام بعضهم بحقيقة مايعتقدون.

هناك فرق بين « جرب وابحث » وهى صيحة العلم وبين « آمن وصلى » وهى صرخة الايمان وانك إذا شككـت فى قصة بقاء يونان فى بطن الحوت ثلاثة أيام اعتماداً على البراهين الحسية والاختبارية يحتقرك الناس لعدم تصديقك مايحويه كتابهم المقدس كلمة الله المنزلة من لدنه ويتساءلون مندهشين كيف يجرأ صعلوك مثلك على الشك فيما قاله الله واذا سألتهم كيف علموا ان هـذا الـكتاب منزل من عند الله غضبوا واستخفوك واذا تنازلوا أجابوك باحتقار قائلين انهم علموا ذلك من الـكتاب المقدس وعبثاً تحاول تفهيمهم بان الاستشهـاد ببعض مايطلب اثبات صحـة كله ليس الا لغوا قالوا إنه ليس بالمعقول أن يخطيء السلف وتكون أنت وحدك المصيب . ولكن لاينفي هذا ان المطلوب هو اثبات تنزيل الكتاب قبل أن تتهموا الناس بمخالفة مايقوله الله العليم (خففوا من حماسكم واعلموا ـ اذا كنتم تجهلون ـ ان الكتب مملوءة بخرافات ومتناقضات لا يستسيغها العقل) ألا خففوا من حماسكم ودعونا ننير الطريق أمام الافهام لتقوم بعملها أحسن قيـام .

وقد يسألني سائل للاتيان بانموذج من الخرافات والمتناقضات المماثلة بها الكتب المقدسة وأنا أرحب بهذا الطلب وأجيب

ذكر فى سفر التكوين (من التوراة) الذى تعزي كتابته لموسى ان العالم بدأ عام ٤٠٠٤ ق . م أى كاد ان يكون عمره ستين قرنا لا اكثر فى حين ان العلم يقدر عمر الارض بنحو ٢٠٠٠ مليون عام وتوصل العلماء الى

حكمهم هـذا من تقديرهم لعمر الصخور بحوالى ١٦٠٠ مليون عام وكانت الكرة الارضية قبل ذلك جسما ملتهبا أخـذ يبرد شيئاً فشيئا وبدأت فيه الصخور بالتصلب وفى هذا العهد لم تتواجد الحياة على ظهر البسيطة لأنهم لم يجـدوا أحافيرها فى الطبقات الدنيا من الصخور وعبثا يحاول العلماء الوصول الى معرفة وقت نشوء الحياة ولكنهم يظنون انها بدأت في الأنهار والمستنقعات بحالة غاية في البساطة

وقبل ان تكتشف فكرة التحول كان الدينيون يهيمون فى غياهب الجهل مدلين بآراء سقيمة عن التكوين فتصور هول الضربة التى واجههم بها أصحاب النظرية الجديدة خصوصاً وقد قالوا ان الحياة تتغلغل آلاف القرون فى التاريخ وأثبتوا قولهم بالمتحجرات التى عثروا عليها . حقيقة لايدعى العلماء انهم اكبر من ان يخطئوا ولكن ليس معنى هذا أنهم لاشك مخطئين واننا اذا قارنا بين هدف الدينيين وأقوال العلماء نجد تخبطات الاول قائمة على غير أساس فى حين نجد لاقوال الاخيرين براهين حسية يستسيغها الفكر دون أن يتعرض للخوف اذا لم يسـلم بصحتها هـذا فى حين أن الأولين ينسبون مايقولونه الى موجودلم يثبت وجوده بصرف النظر عن عدم وجود مايثبت صلته بهذه الآراء حتى اذا كان موجوداً

تدعى الكتب السماوية ان الله خلق العالم (وفيه آدم) فى ستة أيام ثم تعب فاستراح فى اليوم السابع ونشط بعد ذلك لخلق حواء ثم قال لآدم لاتأكل من ثمر هذه الشجرة فاغوت الحية حواء التى اقنعت آدم بوجوب الاكل منها ففعل ونتج عن ذلك هبوطهما من الجنة وانك لو اطلعت على سفر التكوين يكون من السهل عليك ملاحظة انه قد كتب باقلام ثلاثة أشخاص وليس بقلم الله وهذا اثبات كاف بانه ليس بالمنزل ولا بالموحي به فان كلام الله العليم القادر لا ينسخ بعضه ولا يحوي تكرارا ولا تنقيحا واليك مثل لما قلته لك فقد ذكر فى سفر التكوين

فى البدء خلق الله السموات والارض (فالسماء قد خلقت)

وفى اليوم الاول خلق الله النور (ثم خلق بعدذلك الشمس كماستري بعد)
وفى اليوم الثانى خلق الله السماء (التى سبق وخلقها فى البدء) وفى اليوم الثالث خلق الاعشاب (دون أن تكون هناك شمس) وفى اليوم الرابع خلق الشمس والقمر والنجوم (وذلك بعد أن خلق النور ، ومصدره الشمس ولا أريد أن أذكر هنا ان اعمار النجوم تتفاوت عن بعضها بملايين السنين بل اكتفى بما سبق وذكرته وأضيف مسائلا كيف نمت الاعشاب قبل ان تكون هناك شمس تسلط حرارتها على الارض) وفى اليوم السادس « خلق الله الانسان على صورته وعلى صورة الله قد خلقه ، ذكراً وانثى خلقهم هو » (فكيف خلق ذكراً وانثى فى حين أنه مذكور أن حواء قد خلقت بعد ماراح الله ذاته في اليوم السابع فهل معنى ماسبق ذكره ان الانسان الاول كان ذكراً وانثى معاً) ويجدر بى أن اذكر أن الكلمة التى ترجموها (الله) هي ايلوهيم (اللهم) وايلوهيم هذه هي جمع للفظة ايلوه ومعناها الآلهة ترجمت بصيغة المفرد قصد التمويه وليس هناك شك فى أن العبريين كانوا مشركين غير موحدين وذكر فى ٢ — ٥ « ولم يكن هناك رجل يزرع الارض » مع ان آدم كان موجوداً وذكر فى ٢ — ٧ « وجبل الرب السيد الانسان من تراب الارض » فهل هذا الانسان الطينى هو غير آدم أم المقصود من ذلك هو التكرار المناقض لما سبق قوله ؟

كذلك تجد وأنت تطالع ذكراً لشجرتين محرمتين شجرة الحياة وشجرة المعرفة — معرفة الخير والشر — وذكر أن الله قد خلق آدم « ليحفظ الجنة ويرعاها » أي ليعمل فيها فكيف دعا الله عليه بعد ما ارتكب الخطيئة بالهبوط » ليأكل بعرق جبينه » وهو أمر غير حادث لانه كان يعمل فى الجنة ؟
اسمع أيضاً : ولما خلقت حواء ورآها آدم قال « يترك الرجل أباه وأمه ليلتصق بامرأته » فكيف يجرؤون على اتهام آدم بهذا القول حين كان يجهل معنى الابوة والامومة والبنوة ولم يكن قد أكل من شجرة المعرفة حتى يعرف ويستنتج ماقاله لمجرد رؤيته انتهى

وتظهر بعد ذلك على المسرح حضرة الحية وتتكلم ، اجل ولتنطق بلغة آدم وحواء ، فتقول للمرأة « إنك لن تموتين » فى حين أن المفهوم من سياق القصة انها كانت تحرضها على اكل ثمر شجرة المعرفة وليس ثمر شجرة الحياة . كذلك مذكور ٢ — ١٧ بان الله هدد آدم بالموت إذا اكل من الثمرة (ومعنى هذا ثمرة شجرة الحياة) مع أن آدم أكل من شجرة المعرفة فقال الرب « اصبح الرجل كواحد منا يعرف الخير والشر وحتى لايتناول من شجرة الحياة ليحيا . . . . . » فيمكن لنا ان نستنتج من هذه الفقرة ان آدم اكل من شجرة المعرفة وليس من شجرة الحياة فخاف الرب ان يأكل آدم من شجرة الحياة ايضا فيصيرواحدا (منهم) فمن هم ؟ هل المقصود من هذه الفقرة انه سيصير واحدا من الآلهة؟ اليس من السهل استنتاج ان الشخص الذى كتب هذه الفقرةلم يكن موحدا ؟-

قلب معي سفر التكوين فانك تجد كل الاصحاح الاول مع ثلاث فقرات من اصحاحه الثانى تحوى لفظة يا هوا (ومعناها الله) وقد ذكرت ٣٥ مره لم تذكر بينها ولا مرة واحدة لفظه ايلوهيم (الآلهه) التى تترجم ايضا بمعنى الله ولكنك تجد ان ايلوهيم اخذت تظهر فى ٢ — ٤ ضمن الكلام ويصبح من السهل عليك بعد ذلك ملاحظة ان هناك فقرات ذكر فيها الله باسم يهوا فقط فى حين ان هناك فقرات ذكر فيها باسم ايلوهيم فقط ويقول النقاد ان ذلك من اقوى البراهين على وجود مدرستين احدهما تتبع الآله يهوا والاخرى تتبع الآله ايلوه مزجت اعتقاداتهما معا بعد ذلك فى سرد القصص ويقولون ان ياهواهو اسم اله المدرسة الاسبق من الاخرى — يقدرون وجودها فى القرن التاسع ق . م — وانه بمرور الزمن اصبح الاسمان مرادفان لبعضهما وعلى اساس هذه الفكرة وغيرها بنى القائلون بعدم كتابة التوراة فى عهد واحد رأيهم خصوصا وانهم يبينون ان الترادف حدث فى العهد بين اشعيا وارميا

والآن اريد ان الخص لك هذه القصة عساك تجد فيها شيئا ملفتا للانظار .

(١) خلق الله الانسان
(٢) اخطأ الانسان
(٣) فحكم الله عليه وعلى نسله بالتكفير عن الخطيئة
(٤) ولما ازدادت شرور النسل أسف الله على ذلك فارسل ابنه (الاله) ليقيم بين النسل
(٥) قتل نسل الانسان ابن الله

(٦) ولانهم اقترفوا هذه الجريمة عفي الله عن الجريمة التي اقترفها جداهما الاولان ولم يكن لهم صلة بها ومعنى هذا ان الله اراد ان يرتكب آدم الخطيئة واتهم نسله بارتكابها فجازاهم على ذلك وهم ضعفاء وابرياء ولم يفعل جدهم الاول الا ما اراد الله ان يفعلوه فالخطيئة موجودة اوجدها الله كما اوجد آدم وانه عرف ان آدم سيرتكبها وعلى فرض انه ارتكبها وانه مسئول عنها بالرغم من انه لم يكن مخيراً بل مسيرا فلم لعن الله ملايين الملايين من نسله ومع ان الله علم بان النسل سيقتلون ابنه ارسله اليهم ولما قتلوه لم يعاقبهم وهذا عدل بل بالعكس صفح عنهم لجرم لم يكن لهم يد فيه أليست هذه تصورات عقل وحشي غير منظم لم يلج شعاع العطف في قلبه ولم يعرف معنى للعدالة ؟ فهل من المعقول ان صاحب صنيعة يعذب كل اتباعه لان اثنين منهما خالفا ارادته ولم يقتل هؤلاء الاتباع ابنه يكون فعلهم هذا مبررا له كي يصفح عن جرم الشخصين اللذين خالفاه

ط . ه . حنين

ابراهيم باشا

شخصيته وأعماله

تكلم كثيرون عن ابراهيم باشا وكتبوا عن بطولته فصولا اضافية واسهبوا فى وصف مزاياه العسكرية ولكنهم لم يستطيعوا رسم صورة كاملة لهذه الشخصية العظيمة ومع أن تاريخ ابراهيم باشا مرتبط تمام الارتباط بتاريخ والده محمد على باشا لانه لا يمكن التكلم عن أحدهما بدون ذكر الآخر فلو قلنا عن محمد على انه القوة المدبرة فلنا الحق ان نقول عن ابراهيم انه القوة المنفذة ولو وصفنا محمد على بالسياسى القدير لقلنا عن ابراهيم إنه القائد الحكيم الا أن لكل منهما شخصية ممتازة وعمل خاص لا مندوحة عن اظهاره حتى يأخذ كلا الرجلين حقه ويرد الحق الى نصابه

ان تاريخا مفصلا لابراهيم يجب أن لا يقل عن عشرة مجلدات وان يشتمل على وصف تام للحروب التى اشترك فيها والمعارك التى ادار رحاها والخطط الحربية التى اتبعها والاعمال الادارية والسياسية التى باشرها وحياته الخاصة وأخلاقه وطباعه واطماعه وآماله لأن ابراهيم ليس من كبار القواد لاغير . بل هو من أفذاذ الرجال فى الحرب والادارة والاصلاح ولا أكون مبالغاً اذا قلت انه لولا حدة طبعه وشدة بطشه لفاق محمد على فى السياسة والدهاء . ومما يمتاز به على محمد على حبه لجنوده ومشاركته لهم فى السراء والضراء وسهره على مصالحهم واغداقه النعم على المخلصين من رجاله والعفو عن مسيئهم ومعاملته بالرأفة وكونه لا يميل الى التأنق فى المعيشة و التظاهر بالفخفخة والعظمة ولكنه مع ذلك عالى النفس ، كبير الهمة معجباً بنفسه فخور باعماله عظيم الآمال ، كبير المطامع . وسأمر فى هذه العجالة على تاريخ ابراهيم لعل فيما اكتبه ما يعزى كل مصرى على أن يطالب تاريخ هذا الرجل

العظيم كطلب التاريخ الكامل فى كتبه العربية والافرنجية وينقش أعماله على صفحات قلبه ويجعله نموذجا لجميع أعماله

ليس لدينا معلومات صحيحة عن طفولة ابراهيم وصبته . ولكننا نعلم يقيناً أنه وهو دون العشرين صدر فرمان سلطانى بتعيينه دفتردارا على مصر . وهذا المنصب من أهم مناصب الدولة بعد منصب الوالى ولمتوليه الاشراف العام على شئون البلاد المالية وجباية الضرائب والعشور وتسديد مطلوبات الدولة . ويجب أن يكون صاحب هذا المنصب متضلعاً في الحساب والادارة والكتابة والانشاء. فاختيار ابراهيم لهذا المنصب يدلناعلىأنه كان على علم كاف بما يجب معرفته فى ذاك الزمان.وفى أثناء وجوده فى هذا المنصب أوفده والده لمسح أراضى الصعيد وتقرير ضرائبها والقضاء على أسباب الثورة والفتن فى تلك البلاد . فقام بهذه المهمة خير قيام . وبعد وفاة أخيه طوسون باشا ، عين واليا على جدة مع قيادة الحملة ضد الوهابيين ومن يعلم شيئا عن نجد والحجاز وجوهما الملتهب وفيافيهما الشاسعة وجبالهما الوعرة وما عليه الوهابيون من فرط الشجاعة والاقدام واستماتتهم فى الدفاع عن عقيدتهم وحرصهم على بقاء الحرمين فى أيديهم يدرك عظيم التبعة التى ألقيت على عاتق ابراهيم. سافر ابراهيم الى الحجاز وهو يعلم انه ذاهب لقتال قوم صناعتهم الحرب لا يتركون سلاحهم ليلا ولا نهاراً صيفاً ولا شتاء سلما ولا حربا دأبهم الغزو وديدنهم شن الغارات وليسوا بجند منظم يمكن استطلاع خبره وحذر قوته ومعرفة وجهة سيره وهدف رميه . يختبئون فى الكهوف والجبال ويندسون فى الاوغال وبين الرمال حتى اذا ظننت الارض خالية منهم وتابعت سيرك مطمئناً اذا بالارض قد ملئت من فرسانهم ورجالهم . واذا أسلحتهم تعمل فى جنودك قبل ان تلقى اليهم أمراً أو تنحو بهم نحواً فلا تعلم امن السماء نزلوا أم من الارض قذفوا . لا يرهبون مدفعاً ولا يخشون بندقية ويرون الموت فى الحرب شرفا ومجدا وحتف الانف ذلة وعارا . يصيحون صيحات مرة ارهابا لاعدائهم وتشجيعاً لانفسهم . فلو أمكنك رغم هذه

المباغتة أن تلم شعث جندك وتهيئهم للقتال . وأدرك المغيرون انك ستنال منهم منالا أطارتهم الريح من أمامك وانشقت الارض فابتلعتهم فمضوا من من حيث أتوا تاركين ضحاياهم بين قتيل وجريح ذاهبين بما وصلت اليه أيديهم من خفيف المتاع .

فقل لى بربك أيمكن . والقوم كما ذكرت ، لقائد أن يظهر عليهم فى بلادهم ويركز الوية نصره على مشارف معاقلهم ؟ لم يذكر التاريخ قائداً غير ابراهيم نفذ فى قلب جزيرة العرب واضطر أهلها الى الخضوع والاستسلام وقد كانوا ينقضون انقضاض النسور على فرائسهم فيرتد عنهم أعداؤهم وفتحت لهم الجزيرة أبوابها وأوشك العراق والشام أن يقعا فريسة لهم وأحجم قواد الدولة العلية فى هذين البلدين عن لقائهم . كل هذا كان يعلمه ابراهيم تمام العلم بل أنه كان يعلم أن أخاه طوسون لاقى الاهوال فى حروب الوهابيين الاولى حتى كادوا يظفرون به . فبدلا من أن يثبط ذلك من عزمه ويفت فى عضده لم يزده الا شجاعة واقداما فاوغل فى قلب نجد ودك حصونها ومعاقلها حتى وصل الى الدرعية فلم تثبت أمامه إلا بضعة أشهر وفتحت له أبوابها وخضع له عبد الله بن سعود . وانتهت الحرب بما هو معلوم . ورجع بطلنا الى مصر بين حفاوة الشعب واعجاب العالم . فلم يكد ينفض عنه غبار السفر حتى أوفده والده الى السودان لمساعدة أخيه اسماعيل فى اخضاعها ولتنظيم حكومتها . وبينما هو قائم بما وكل اليه فاجأته الحمى فاضطر للعودة الى مصر ولكن اقامته لم تطل اذ دعى الى حرب المورة فذهب اليها وكان من طوله ما صير أوروبا وجعلها تحقد عليه وتتفق على اغراق أسطوله على ما هو مشهور . ولم تنقض سنتان على رجوعه من مورة حتى كلف بغزو الشام وكانت أكبر حرب باشرتها مصر في كل تاريخها دامت تسع سنين وحصل فيها كثير من المعارك الشهيرة وامتد سلطان مصر على فلسطين وسوريا والاناضول وشمال الجزيرة وأظهر ابراهيم فى هذه الحروب أنه لم يكن قائداً لا غير . بل كان مصلحا كبيراً واداريا حازما وسياسياً خطيراً وأسر ما يزيد عن عشرين باشا واستولى على

اكثر من ثلاثمائة مدفع وقد أثار اعجاب العالم ماقام به فى تلك السنين من الاصلاحات الادارية والزراعية والصناعية رغما عن انها كانت سنين ثورات وفتن وحروب ولولا ان تعداد ذلك يستغرق المجلدات لبينت طرفا منه. وقد كتب الأفرنج كثيرا من ذلك ولما وجدت الدول وخصوصا انجلتره ان ابراهيم سيركز رايته فى الاستانة وان جميع الممالك العثمانية ستصبح فى قبضة محمد على وابراهيم وان ذلك يقضى على أطماعها ويضعها أمام دولة اسلامية فتية قوية تألبن عليه وحاربنه واضطرنه الى الرجوع إلى مصر وترك البلاد التى ليس فيها موضع لقدم لم يرو بدم المصريين ورجع ابراهيم بعد ذلك حانقا غاضباً وكانت صدمة انهيار صرح آماله عظيمة أودت بصحته فلم يعش بعد ذلك الا سنوات قليلة قضاها فى التداوى. هذه لمحة من حياة هذا البطل التى لم تدرس حق الدرس كتبتها عنها تثير من حمية علماء التاريخ فى بلادنا فيوجهوا همتهم نحو هذه الشخصية العظيمة

مؤرخ

الرابطة الشرقية

كان الاحد ٢١ اكتوبر سنة ١٩٢٨ يوم احتفال جمعية الرابطة الشرقية بصدور اول عدد من مجلتها فدعت نخبة من انصارها وممثلى الصحف والمجلات لمشاركة اعضائها في هذا الاحتفال

بدئت الحفلة بكلمة افتتاحية ألقاها حضرة صاحب السعادة احمد شفيق باشا ثم عقبه الاستاذ على عبد الرازق رئيس التحرير بكلمة متواضعة ابان فيها آمال الجمعية وماترجوه من نشرها لمجلة « الرابطة الشرقية » لسان حالها. وهل لهذه الجمعية الاكبير الأمل فى عقد اوثق الصلات بين مختلف الامم الشرقية ؟ أليس هذا مبدأ سام يحبذه كل شرقى ؟

كنت اظن ان انتشار الرغبة في التفاهم بين ابناء هذه البلاد وضيوفها من الشرقيين قد حركتهم للانضمام إلى الرابطة الشرقية للتعاون على العمل المثمر ولكن خاب ظنى عند ماصرح الخطيب بان عدد من قاموا بهذا الواجب لايزال دون القليل . وكم سررت عند ماشاهدت بريق الرجاء متجلياً فى كلمة خطيب الجمعية وهو يقول « إن كل عمل كبير لابد وأن يبدأ صغيراً » . هذه هى صيحة الحرب التى اتخذتها الجمعية شعاراً لها وهو نعم الشعار

و « العصور » ترحب بشقيقتها « الرابطة الشرقية » وترجو لها تمام النجاح في نشر مبادىء هذه الجمعية بين أمم الشرق

وما كنا ننتظر مناشدة متكلم الجمعية لرجل الاقلام كي ينتقدوا المجلة بصراحة لنقول كلمتنا . لان مبدأ العصور دائماً هو افهام قارئيها حقيقة ماتحويه المطبوعات من مادة سواء كانت جيدة أو غير جيدة . وانا نلاحظ ان المجلة متنوعة المواضيع لدرجة لايمل معها القارىء وانها ترمى إلى تعضيد حركة التجديد في الشرق كما وان لها مراسلون فى بعض البلدان الشرقية وأملنا أن تعمم مراسليها شيئاً فشيئاً فى بقية الاقطار

وقد نصت الجمعية في قانونها على أن المجادلات الدينية والمنازعات السياسية خارجة عن حدود وظيفتها ولكن هناك شبه اصطباغ بالصبغة الاسلامية لا اعرف إذا كان قد نتج عفوا أو قصدا ولكنه يجدر بالجمعية محاولة أن تكون شرقية لا اكثر ولا أقل وأن تعمل على جذب عدد اكثر من المسيحيين و إن تعقد صلاتها مع اليهود والبوذيين وغيرهم لان الشرق يحوى جماعات متعددة الاديان

وانا نؤمل ان لاتجنح الجمعية لتعزيز رأى سياسي سواء أفي مصر أم في الخارج إذ يجب عليها ان تظل دائماً فوق التحزب وأن تجذب نحوها اتباع مختلف الاحزاب فانها تعمل للعموم وليس لفئات مخصوصة

ونحن ننتظر أن نرى في القريب العاجل عدة طبعات للرابطة الشرقية بلغات الشرق المختلفة وعندها يتيسر لهذه الجمعية المهمة تنفيذ برنامجها الواسع المملوء بالمشاريع المفيدة

الى الملاحدين

ايها الاخوان الافاضل

سلاما وتحية . وبعد فانى أرغب اليكم ان تقرؤا بتمعن مايأتى :

حدد النحويون وعلماء اللغة العربية الالحاد بانه الكفر بالله وعدم الاقرار بوجوده . وهكذا الفرنسيون فانهم قالوا ان معنى الالحاد —Atheisme— نفى وجود المبدع الاول لهذه الكائنات العجيبة فيتضح من هذا أن الحادكم الذى عنه تحامون منحصر في رأيكم عن وحدة الكون وانكم لاتؤمنون برب السماوات والارض من اتفقت الناس على عبادته . فادعاؤكم بانكم لاتقصدون معناه هذا فقط بل انكم ترغبون فى تنوير افكار الناس كما يتركوا ماهم عليه من الجهالة والغباوة فمردود من حيث ان الالحاد بمعناه المعروف لايعنى مثل هذا الاصلاح بل يعاكسه على خط مستقيم واليكم السبب —

ان العوامل التى قادتكم الى اعتناق الالحاد ليست هي عوامل إلحادية بالمعنى الظاهر اى صحة نفى الخالق لان الحد الذى وصلتم إليه فى رقيكم هوحد غريب عن هدف عوامل الالحاد ، بل لان هنالك في زوايا الكيان الاجتماعى مجموعة عوامل تكيف الافراد بصور تختلف عن الصور التى تكيفهم بها العوامل الاكثر شيوعاً وقوة . فهذه المجموعة العوامل فى زوايا الكيان الاجتماعى هي التى دفعت بكم الى الخروج عن حدود الاعتقادات العمومية فرأيتم مارأيتم من الخرافات والاوهام وكفرتم بآله الجماعة من الناس وقلتم ان مصدر هذه الشرور بقاء الحالة على ماهي فرحتم تنادون بغير ترو ببطلان الاديان رغبة منكم فى نفع الناس واعلاء مستواهم الادبى . فالالحاد هنا لادخل له برقيكم لانكم لو فتشتم فى نواحى حياتكم لرأيتم ان الفضل فى تحرركم لايرجع إليه لأنكم قد اعتنقتموه بعد خروجكم عن حد الحياة العمومية ونبذكم الخرافات والاوهام . فاذا رغبتم الى الناس ان يكونوا مثلكم

ا كثر حرية وجرأة وجب عليكم ان ترشدوهم الى تلك الناحية التى تكيفتم فيها وصرتم قادرين على طرح الاعتقادات العمومية جانبا اما انكم تهاجمونهم بهذا النوع من المبادىء وتريدون منهم ان يماشوكم في الطريق الذى تسلكون فعمل لايدل على التعقل و بعد النظر لان الناس لو ألحدوا لما قدروا على فهم ماتفهمون وعلى عمل ماتعملون حيث ان السر ليس فى المبادىء التى تعتنق بل فى العوامل التى تكيف الانسان وتتحكم فى مصيره ومنحاه . ولما كان الالحاد بمعناه المعروف صفة للرذائل والنقائص فان الدعوة اليه لا تفيد شيئا بل تنفر الناس من المبشرين به وان كانوا أحسن القوم لان الجماعات لا تفكر ولا تبحث والناس تسير حسب آراء الجماعات . هذا ما دعانى أن أرد على البعض منكم عند ما نادوا به على صفحات هذه المجلة لانى مع معرفتى ان الذى تعبده الناس هو من اختراعها فانى أعرف ان الانسان لايقدر أن يعيش بدون آلهة وأوهام وكلما تطور تطورت هذه الآلهة والاوهام معه حتى عند ما يخلع حياة الجماعات يخلع معها هذه السخافات ولا يعود يلتفت اليها .

ابراهيم حداد

بيروت ١٩ اكتوبر سنة ١٩٢٨

ابسمى

إبسمى للبدر فى طلعته   علّه يجذبنا نحو السماء
وابسمى للنجم فى حيرته   علّه يمنحنا نور الصفاء
وابسمى للزهر فى بهجته   نكتسب منه شذاه والرواء
وابسمى لليل فى ظلمته   وبلوج الصبح فالكل سواء

وابسمى لى يشرق النور بآفاق حياتى
ويغنى طير آمالى عذب النغمات
أبسمى ! أبسمى ! أبسمى !

***

قد رأيت الزهر يبدو   من   تلافيف الكمام
وسمعت الطير تشدو   فى   ترو وانسجام

من ثناياك رأيت النور فاجتزت الطريق
وشربت النور خمراً في كؤوس من عقيق
ودخلت المعبد القدسى، والكون غريق
فى الدجى . فتقدمت ، وصليت صلاتى
فابسمى لى يشرق النور بآفق حياتى
إبسمى ! إبسمى ! إبسمى !

***

قد رأيت البدر يعلو   فوق   هاتيك الربى
وجمال الليل يجلو   عن   فؤادى الكربا

فتخفيت عن النفس ، وجردت فؤادى
من ثياب للأمانى شابها بعض الفساد
فاذا بى أسمع الروح تناجى ، وتنادى
إصعد الآن الى عرش على الدرجات

فابسمى لى يشرق النور بآفاق حياتى

إبسمى ! إبسمى ! إبسمى

***

لم أكد أبلغ آفاق الجمال

وأرانى تحت ظل من كمال

راكعاً للحب . . . فياض الجلال

لم أكد أبلغها حتى احتوانى

مشرق الآمال، وضاح الأمانى

***

وإذا بى بين أنوار . وأنغام . وغيد

وإله الشعر يلقى بينها هذا النشيد

« أنظر الأنوار تبدو من نواحى العرش فجرا »

« فاجعل الآمال كأساً واشرب الأنوار خمرا »

« واملأ الآفاق شدواً وانشد الأفلاك شعرا »

« إنها تبسم لك إنها تبسم لك »

***

ورأيت الفجر يمشى فوق أشلاء الظلام

ورأيت النور يفشى سر هاتيك الأنام

ورأيت النوم يغرى الأنجما

وهى ترعى الأفق بالطرف الكليل

فابسمى للفجر أيضا مثلما

تبسمين الآن ، فالفجر جميل

إبسمى ! إبسمى ! إبسمى !

حسن كامل الصيرفى

تأملات في الأدب والحياة

لما فرغت من درس كتاب « أميل لود فيج » الذي سماه « بن الانسان » وخصه بالترجمة عن حياة عيسى بن مريم العظيم ، تابعت درس الموضوع من الوجهة التاريخية بشغف أحسسته وميل شديد الى الوقوف على تاريخ ذلك العصر ، عصر الانبياء وعصر المعجزات . ولا أنكر القارىء أني كنت أشعر بميل شديد إلى قراءة الحوادث المتتابعة في حياة عيسى وحياة الذين عاصروه ، وعلى الاخص عند ما كنت أقع على تحليل معجزة من المعجزات التي تنسب الى عيسى أو عمل من الاعمال العظيمة التي تروى عنه ، أو قول مأثور من أقواله التي قامت عليها النصرانية .

قرأت عن معجزات عيسي أنه أسكن الريح وانه شفي المرضى وانه أحيي الموتى . وقرأت أنه أعاد الحياة الى جثة رجل كانت قد بدأت فى التعفن بالفعل. ولكنى لا أكذب القارىء فى شيء . فانى اذ كنت أقرأ هذه الروايات كنت أشعر شعوراً خفياً يزيدنى اكبابا على درسها وطول التأمل منها . ولعل الانسان فيه بالفطرة نزعة ترغبه في الوقوف على المستحيلات وكيف انشأتها العقول البشرية غير انى مافطنت الى شيء من أسرار النصرانية بعد أن مررت على كل تلك الخوارق التي لا تصدقها عقول بشرية لم ينتكث فتلها ولم تغزوها التقاليد . بل فطنت الى سر أسرارها عندما قرأت رواية عيسى في ابراء نفس « مومس » انحطت الى الدرك الاسفل من الرذائل بأن تابت توبة صادقة حباها الغفران . ولا جرم أن ابراء الانفس معجزة أين منها إبراء الاجسام ورد الأرواح الى الأبدان

***

نريد أن يكون لنا لغة علمية بالمعنى الصحيح ونبحث فى كيفية الوصول الى هـذه الغاية السامية . ولا شبهة مطلقاً فى أن اللغة العربية قد سدت حاجات الأدب والعـلم والفن فى العصور الوسطى . ولا ريبة أيضاً في أنها كافية لسد حاجات هذه النزعات العقلية لو أن العقل البشرى قد وقف من التقدم عند الحد الذى بلغه العرب حتى أواخر القرن الثالث عشر الميلادى وهو القرن الذى شهد آخر من ظهر من كبار مؤلفى العرب فى أول انحلال المدنية الاسلامية. غير أن هذا العصر كما شهد بدأ انحلال المدنية الاسلامية شهد كذلك تكوين أول جرثومة فرخت فى جو أوروبا لتكون نواة المدنية الغربية . فقد انتقلت حينذاك إلى جامعات أوروبا مبادىء ارسطوطاليس منقولة عن كتاب العرب وأخصهم بن رشد بطريق طلاب الغرب الذين كانوا يفدون من أوروبا ليتلقوا العـلم فى المعاهد العربية الاسـلامية كما نفد نحن اليوم إلى أوروبا نتلقى العلم في جامعاتها الـكبرى .

على أننا إذا ذكرنا أن القرن الثالث عشر الميلادى هو بدء انحلال المدنية الاسلامية فانما نذكر هذا تجاوزاً لاننا نعتقد أن المدنية الاسلامية حملت فى تضاعيفها بزور الانحلال منذ أول تكوينها . غير أن الصبغة التى اصطبغت بها والصورة التى لابست المنشآت المـادية والادبية والعلمية فى مدنية الاسلام قد اخفت كثيراً من عوامل الانحلال التى ظلت تعمل على هدم كيانها منذ أول تكوينها

على أنى اعتقد أن نزعة العرب إلى « تعريب » كل ماوصلت إليه يدهم من المستحدثات المـادية والفنية ومجاراة الذين استعربوا من الفرس والروم وغيرهما من الامم لهم فى هذا المضمار كان أعظم ستر تسترت وراءه عوامل الانحلال التى بثت من تضاعيف تلك المدنية . وهذه الحقيقة تجعلنى اميل كل الميل إلى القول باننا إذا أردنا أن نكون لغة علمية صحيحة فالواجب علينا أن نجارى الاساليب التى اتبعها العرب في عصور نهضتهم الأولى . وهي ولاشك

أساليب ارضت نزعة العقول فى ذلك الزمان فلها عندى من هذه الوجهة اعظم المبررات .

على أن نهضة العرب العلمية الادبية كانت اذا قيست بنهضة النصرانية في اوروبا مصبوغة بالكثير من ضروب التسامح الدينى والعقلى . لهذا نجد أن العرب لم يتقوا من التعريب فى المفردات ، بل ضحوا كثيراً من أساليب اللغة في سبيل التعبير الحرفى عن المعانى التى نقلوها إلى لغتهم فى الفلسفة والعلوم . وهذا التطرف ان كان غير محمد الأثر ولم يفد العربية فائدة كبرى غير أنه يصح ان يتخذ دليلا على تحرر عقولهم وعلى استعدادهم لتضحية أساليب اللغة فى سبيل تنمية الفهم والمعرفة . والبرهان الاقوى على هذا تلك التراجم التى خرجت من يد حنين اسحاق واسحاق ابنه وحبيش الاعسم وغيرهم من المترجمين في العصر العباسي . تلك التراجم التى ضحيت فيها اللغة العربية وأساليبها أى تضحية ابتغاء النقل على أية صورة .

هـذا التسامح الكبير كان مضراً باللغة ولكنه كان مفيداً فى تربية نشء اصطبغ بالصبغة اليونانية السريانية واستطاع بعد قليل تكوين مدارس لها أثرها الخالد على تاريخ الفكر .

أما اليوم فلسنا فى حاجة الى تضحية كثير من أسلوب اللغة على ما اعتقد . والسبب فى هذا على مايخيل الى أننا أوقف على أسرار اللغات التى نترجم عنها من مترجمى العصر العباسى وغيره من العصور ، ولذا نلاحظ أن اللغة العربية بين أيدينا أطوع فى التعبير واسلس فى القياد ، لا لاننا أوقف منهم على أسرارها بل لاننا أوقف على أسرار اللغات التى ننقل منها .

غير أنه ينقصنا شيء واحد توافرت لدى العرب أسبابه . ينقصنا فى ناحية المراجع العليا التشجيع وينقصنا فى ناحية أنفسنا حبنا للعلم لذاته لا للنتائج المادية . أما اذا توافرت لدينا الاسباب فاننا نستطيع أن نكون لغة علمية عربية صحيحة تكفى حاجات العلم الحديث .

*

* *

يقولون بان الشرق تنقصه الاخلاق ويقولون بانه ينقصه الاتقان . كما يقولون بان الشرق فى حاجة الى اصلاح ذات النفوس على وجه عام . غير اني أرى أننا احوج ما نكون من هذه الاشياء الى تشرب روح الفن . وما اقصد بروح الفن دراسته ومعرفة تاريخه . ولا اقصد أن يكون الفن حرفة عند جميع الناس او مرتزقاً أو مهنة يمتهنونها . بل اقصد بتشرب روح الفن ان يصبح كل انسان فناناً بميوله المكتسبة .

يجب ان يتعود الشرقيون النظر الى اعمالهم نظر الفنان الى فنه . وبذلك يكتسبون روح الاتقان ويحبون العمل لا لاجل مزاياه المادية أو عوائده المالية ، بل يحبونه كفن يجب اتقانه اولا . ولا جرم أن ذلك يعود بكسب مادى مضعف ذلك لان الناس يحبون الفن ويحيون الجمال بغرائزهم . فاذا تسربت روح الفن وروح الجمال الى المنتوجات والمستحدثات عاش الفن وأزهر واصبح الفن قاعدة الحياة .

*

* *

الفرق بين الانسان فى عصوره الاولى والعصر الحاضر من حيث النزعات العقلية ، أنه في ازمانه الغابرة كان يحتاج الى الاعتقاد ، اما لآن فانه يحتاج الى الشك .

اكتفى الانسان في عصوره الاولى بان يعلل الاشياء تعليلات ظاهرية بما أوحى اليه تصوره . اما فى العصر الحاضر فان النقد قد استوى على عرش العقل البشرى حاكماً بامره . ولهذا فنحن احوج الآن الى الشك منا الى الاعتقاد

*

* *

بين النزعة الدينية وفكرة وجود الله رابطة عقلية قوية . فانه لا يمكن أن تعثر على دين من غير أن تقع فيه على فكرة وجود خالق . ولقد دارت المعركة قديماً بين العلم واللاهوت وما نقصد به سوى المذاهب الدينية التى أصبحت في

نظر اربابها مقدسة كمتون الدين الاصلية . اما اليوم فسوف تدور المعركة كما يقول الاستاذ جوليان هكسلي ، حول فكرة وجود خالق ، أو بالاحرى حول فكرة وجود الله . على انني لاادرى كيف تدور المعركة حول فكرة وجود الله وهو ليس في الاذهان أكثر من فرض ضرورى تقتضيه الكفايات العقلية فى الانسان ؟ فرض من تلك الفروض التى لايستطيع العقل أن يحتفظ بالفته وتماسك نواحيه من غير أن يعتقد بصحته اعتقاداً الزامياً لااعتقاداً اقناعياً . اذن يخلق بمن يقول إن المعركة القادمة ستدور بين العلم و بين فكرة وجود الله ، انه يقول بأن المعركة ستقوم بين صفتين عقليتين ، احداهما تكرهنا على أن نفرض وجود الله فرض ضرورة والاخرى تحاول التخلص من ذلك الفرض

***

إذا استطاع الذين يؤيدون الاديان أن يثبتوا صحة التنزيل انتهت المعركة القائمة بين الدين والعلم بانتصار الدين . على أننا لانقصد « بالاثبات » الاثبات النقلى ، بل الاثبات العقلى الذى يقره العلم . لانك لاتستطيع أن تقنع « العلم » الا ببرهان مستمد من اسلوبه وقائم على طريقته . اما صحة التنزيل فقائمة على قبول فكرة الوحى . وعندى أن الوحى والتنزيل لم يقم عليهما الى الآن دليل يصح أن يطمئن اليه العقل .

***

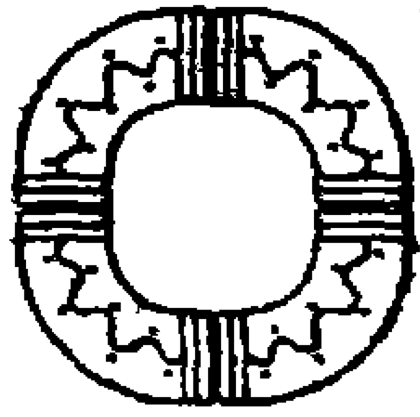
فى التاريخ امثال كثيرة تدلنا على أن امماً برمتها قد فسدت وفنت بموت زعمائها . كما انك تقع على امثال كان فساد الامم فيها عامل من اكبر العوامل على فساد الزعماء وموتهم ادبياً . ولا جرم أن المثل الثانى اكثر انطباقاً على امم الشرق فى حالتها الحاضرة من المثل الاول

***

اعتقد ان للفن طرفان احدهما بالغ منتهى الجمال والآخر بالغ منتهى القبح

فالفنان الذى يخرج لك من ريشته او ازميله صور او تمثالا يبهجك جماله او المغنى الذى يلقى على سمعك مقطوعة تطير بك الى عالم الأثير، لايفضل عندى فنان يخرج لك صورة تمثل منتهى البشاعة والقبح . اليست قدرة الاول على تصوير الجمال تناظرها قدرة الثانى على تصوير القبح؟ واذا كانت الملاحة محبوبة عند الناس والقبح مبغوض فذلك راجع الى الميول البشرية ، لا الى الفن من حيث هو قدرة على تصوير مختلف صور الحياة.

فيلو بونس



نظرية السبب الاول الشامل

أو

النسبية

للعلامة ا. انيشتين

النسبية هى الجمع بين عدة قواعد نظامات وبين مجموعة رحاب لمحسوسات طبيعية مشتركة في أية طبيعة يسمح بادراكها علم حساب هذه المحسوسات. هذه القاعدة للنظامات توجد نظرية حقيقية خارجة عن حدود كل تأويل. فاذا كانت الاختبارات التى تثبتها حقيقة هـذه النظرية صحيحة فيجب الاقرار بان هذه النظرية ستبقى صحيحة و نفس الشيء اذا كانت الملاحظات التى تبديها هي أيضاً معقولة عما خص الآراء الغير السديدة والغير الصحيحة ان كان كلها أو قسما منها. وهذا أيضاً ما اثبته «فرسنل Fresnel» فى عدة محسوسات بصرية وفى الاصل العنصرى الرتبى المعلن للنسبة التى تبقى خارجة عن حدود حقيقة النظريات المعلنة لتفسير الميكانيكيات أو المغناطيسية الكهربائية للنور :

العلامة « انيشتين » قد أوجد قوانين تبيح تأويل أو تفسير حركة عطارد، أقرب السيارات الى الشمس، وتنقلها الى ظاهر النجوم الثابتة والى الشمس وما جاورها نقلا يدرك بالبصر عندما تكون الشمس مكسوفة. وهذه القاعدة للقوانين تشمل أيضاً فى نفس الدرجة الحقيقة العلمية القائلة بأن قوانين «فرسنل» فى البصريات تبقى أبد الدهر فى نفس الوضعية. وان الملاحظات الجديدة لا تنفي صحة الملاحظات القديمة فى عطارد أو عندما كسفت الشمس سنة ١٩١٩ . فالحقيقة العلمية لقواعد القوانين هـذه هي خارجة عن حدود الظفر أو الخسارة في غير تجارب أو ملاحظات كما وقع فى آخر كتاب العلامة « انيشتين » عندما بحث عن نقل الخطوط . فاذا كانت هذه التجارب

والملاحظات لا تقود الى النتيجة المبتغاة فلا يعني ان النظرية العمومية للسبب الاول الشامل لا صحة لها لان قواعد القوانين التي طابقت الامتحانات التي تحققت بوجوه عديدة ستبقى حتى يوجد غير تفسيرها. فالقيمة العلمية لقوانين العلامة « انيشتين » كبيرة ولاجدال في ذلك فلنبتعد من الانتقادات الفلسفية المبنية على المبادىء والاقتراحات التي لا طائل تحتها .

اذا كانت القيمة العلمية والعملية لهذه القوانين لا جدال فيها فيجب المعرفة فيما اذا كان أصل تطبيقها الحقيقي محدودا . كل الحقائق تستوفي عامل حب الاطلاع ولكن ليست كلها مفيدة في كل الوجوه لانه يوجد نفس النسبة المعدية التي بين نظرية النسبية والميكانيكية الاعتيادية بين كروية الارض وفن المعماري ، والمعروف ان المهندسين ، وهم كبقية الناس المتمدنين ، يتعلمون في صغرهم ان الارض تشبه الكرة ولكن عندما يشبون ويتعلمون اصول مهنتهم ويرغبون في بناء بيت او مخزن لايهتمون الا بهذه الحقيقة وهي — ان الخطوط العمودية متوازية — فلا يجب ان يقال ان هذا غير صحيح او انه غير مدقق لان هذا التلفظ المضاد للشائع من الآراء يجعل صاحبه سخرية بين الناس ، ولكن لا يجب التوقف عن اثبات الحقيقة خوفا من الناس بل يجب الجهر بان الغلط لا يجب ان يوجد . واذا وجد فهو بكل معنى الكلمة باطل : يوجد نفس العلاقة التي بين اقيسة البيت وكروية الارض ، بين اقوى سرعة الميكانيكيات ، كسرعة القذائف او ذرات الغاز ، وبين سرعة النور ، فلا يجب التوقف عن التصريح بان المختصين بعلم سرعة المواد المقذوفة كبقية الناس عندهم كل المؤهلات لفهم نظرية السبب الاول الشامل . ولكن هذه المؤهلات ينقصها شيء مهم وهو المنفعة القريبة وحكمهم حكم كروية الارض والمهندسين الذين يرتكبون الخطأ بالتغافل عن حدود الميكانيكية المكملة لنظرية السبب الاول الشامل لان هذه الحدود هي التي تصل بين السبب الاول الناقص المحدود والسبب الاول الشامل الغير محدود ، فيجب القول ليس فقط بكروية الارض بل بتغير انحاء اهليليجيتها « Ellipsoide » ففي حال

معرفتهم هذه التغيرات وابتدائهم فى التحقيق العلمى سيكونون اكثر رفعة عند مايقولون ان الارض كروية وليست مسطحة :

في الميكانيكيات السماوية تقسهاحيث السرعات أعظم جداًمماهى عليه فى الميكانيكية الارضية لاتتحول أكثرية الحساب المطلقة « Calcules » الى لاشيء بتدخيل الازمنة المكملة التى ارتآها العلامة « انيشتين » هذا فقط في أقل عدد الحالات حيث هذه الأزمنة تكون حقيقية فالمختص بعلم الفلك يجب أن يعرف الواقع لكنه لايلتفت اليه عادة بل يتركه جانباً كأنه لاقيمة له . فالقيمة العملية التى لاجدال فيها والقيمة العملية المحدودة هما أول النتائج التى تبين الخلاصة النقية لكن هذه الخلاصة ليست قريبة من افهام الناس لأنها النقطة لمهمة فى النظرية والصورة المصغرة لها والمعينة الوحيدة لقيمتها ليس بالنتائج الملخصة من القوانين بل بالملاحظات الظاهرة الغريبة من حيث اعلانها لاول مرة . فهل نحن حقيقة تجاه نظرية جديدة عن العالم تقلب عدة أسس فى المعرفة ويجب أن نعدها أبدية ؟؟؟. يقول المسيو « اميل بورل Emil Borel» في المقدمة التى كتبها لكتاب العلامة « انيشتين » الترجمة الفرنسية أنه يسمح لنفسه برفض الجواب على عدة مسائل عمومية من حيث أسبقيتها المحدودة فى المسافة والزمان والتى تدعنا نتساءل عما اذا كانت النظرية الجديدة تشمل كل نواحى العالم التى ندركها وانها ستدوم أجيالا . ويقول أيضاً انه يعتقد انه اذا كان يوجد كائنات صغيرة فى المجرة بالنسبة الى نقط الماء التى تحددها فسيكون معجب بنفسه بطلبه حذف الملاحظات المعمولة عن باطن نقطة الماء الذى عليه يبنى أساس علم الكرة الارضية ومعادنها وحيوانها ونباتها وأيضاً انه ليس بمستحيل أن يكون اعجابه بالعلامة « انيشتين » مانع يمنعه عن تعليق الحواشى على فكرته في ان العالم يرى دفعة واحدة كما فى الفصل ٣٠ و ٣١ و ٣٢ وما قاله فى غير فصول مما هو ليس بجديد ولا بغريب . وقال أيضاً يجب على كل حال ان نعرف ان العلامة « انيشتين » هو العالم الوحيدالذى ترفع عن الميول السيئة وان فيه كل التواضع مادمنا نفتش

ونعمل قبل ان نفى ماعلينا له من دين . فآراب « لاجرانج Lagrange » و « لابلاس Laplace » قد اعتقدوا ان الميكانيكية التى قال بها « غاليليو Galileo » و « نيوتن Newton » هى أبدية . وهاهى الآن تنتض فى الدور الاول تقريباً فالنظريات الا كمل التى كانت وضعت ماكانت ترى إلا نظريات وقتية . وهاهى الآن وقد حفظتها لنا الاجيال تظهر كأنها ماورثناه عمن سبقنا ، وهذا الحفظ الذى يظهر مجرداً عمل دفعة واحدة . فالمسائل تساعد المعرفة على الظهور فيما إذا كانت قواعد نظرية السبب الأول عندها فى نفس لوقت نفس القيمة العلمية التى توجدها الخلاصة وفيما إذا وجب أن تعطى هذه الخلاصة اهمية فى العلوم كالاهمية التى كانت لقوانين « نيوتن » منذ قرنين خلت . وقد علمنا « بوانكاره Poincaré » أنه يوجد طريقة أخرى للحفظ وهى أن بعض قواعد الانظمة والاعداد التى لاتحصى للتعابير والانتخابات لهذه التعابير لاتبين طريقة واحدة معقولة مع أنها تسير معها جنباً الى جنب . ومع هذه كل فقد قال ان هذه الطريقة تدرك بسهولة وقد طبقها على حركة دروان الارض حول الشمس واطلقها اخيراً على التعبير عن افكاره الغير الصحيحة ولم يتوقف عن القول بان حركة دروان الارض حول الشمس فى حالة يمكننا تصورها فى كيان العالم الحسى — فاذا كان هذا فلا مانع يمنعنا عن استخدام لغة « بوانكاره » التى تساعد على التعبير من حيث وضوحها ودقتها والقول بان نظرية النسبية تظهر فى الوقت الحاضر سهلة للغاية :

فى القرن التاسع عشر كان اكثر العلماء رفعة يجمعون بين النظريات والافتراضات لتثبيت صحة ما كانوا يسمونه — حركات المادة والاثير — والتعبير عن عدة خواص المحسوسات النيرة . هذا اعتقاد باطل ومع أن لاصحة له البتة فقدبقى حتى قام « لورنتز فيتزاجرالد « L. Fitzgerald » وابصر النور الحقيقى لأول مرة فى ليل العلم المدلهم لكن كان مازال يوجد صعوبات جمة باقية من جهة المحسوسات واهميتها والجذب العمومى الشامل فيما اذا

كان سيبقى فى العلوم كشريعة خفية وغير مدركة أى بدون ارتباط حقيقى مع النظريات العلمية الطبيعية — فنظرية السبب الاول الشامل توضح هذا الامر من حيث انها تملك هذا السر وهى بكل معنى الكلمة اكثر قربا من الأفهام من بقية النظريات الطبيعية المعروفة ولهذا ستبقى الى أبد الدهر

وقال المسيو أميل بورل أنه يعرف أن أخصام العلامة انيشتين سيتساءلون عما اذا كان من اللازم اللازب قلب أحسن آرائنا وأصوبها لمعرفة هذه النظرية وعما اذا لم يكن بالامكان الجمع بينها وبين الآراء القديمة بواسطة تحوير قليل يلحق هذه الاخيرة وسيقولون أما علمنا بوانكاره ان كل قواعد النظامات تعبر دائماً عن لا نهاية القواعد فكيف بواسطة هذه القواعد النظامات تثبت أبدية هذه النظرية مع أن كل ظواهرها تدل على غرابتها وبعدها عن الحقيقة؟

هذه الاعتراضات لا يمكن أن يجاوب عليها من ناحية عسرة الفهم لأنها أصعب من قاعدة المساواة حيث ترمى النظرية العمومية للسبب الاول لزيادة معارفنا عن الوقت . ويمكن أن تكون أصعب من قاعدة المساواة الميكانيكية السماوية حيث تظهر الأرض كأنها ساكنة ولكن ربما ظهر التعبير النظرى كمقدمة واضحة لقضية صعبة الادراك وغريبة من حيث جدتها وأهميتها

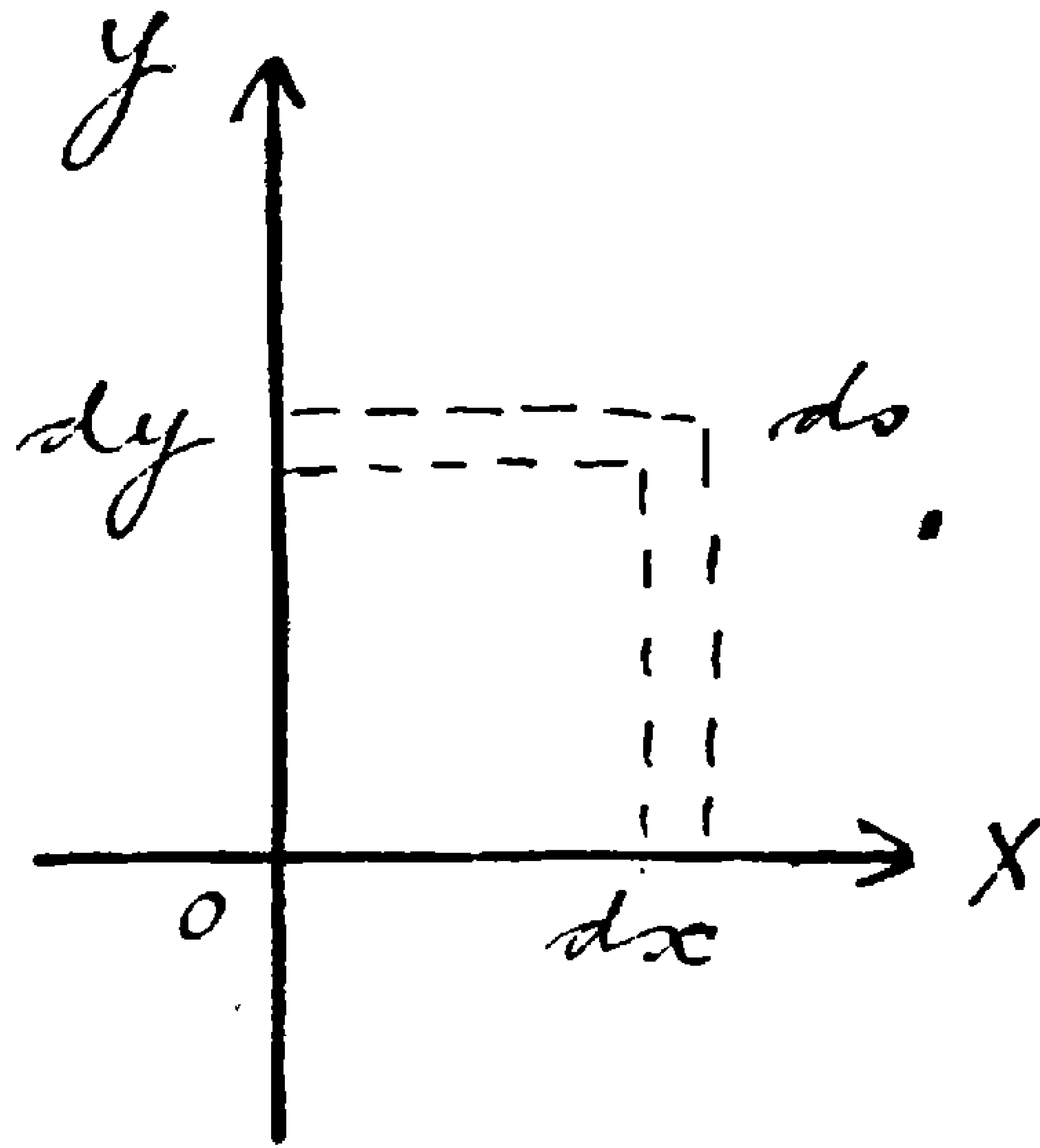
ما جرب انسان أن يفتش بدافع تشويق نظريات بوانكاره عن التغييرات يجب أن تعمل فى قانون الميكانيكية الذى تدرسه الجامعات وفى قانون نيوتن لكى تعبر الحركات الظاهرة في النظام الشمسى عن سكون الارض وأيضاً لم يدل واحد ممن درسوا علم المساواة بين الكميات « Equations » على وجود نظرية تعبر كل التعبير عن هذه المساواة الا العلامة انيشتين فى نظريته . فقارئو كتاب العلامة انيشتين سيقولون كيف يمكن أن تكون ملكة العقل التى تقودنا للتخيل باننا حائزون على معرفة الوقت من ذاتيتنا خارج حدود المكان حسنة باعتبارها بسيطة وقديمة وشاملة على عدم صحة ملاحظاتها السائرة المعمولة فى كل أدوار التطور البشرى ؟ لان هذه الملاحظات باطلة وقيمتها قيمة تلك التى تقول إن الارض مسطحة

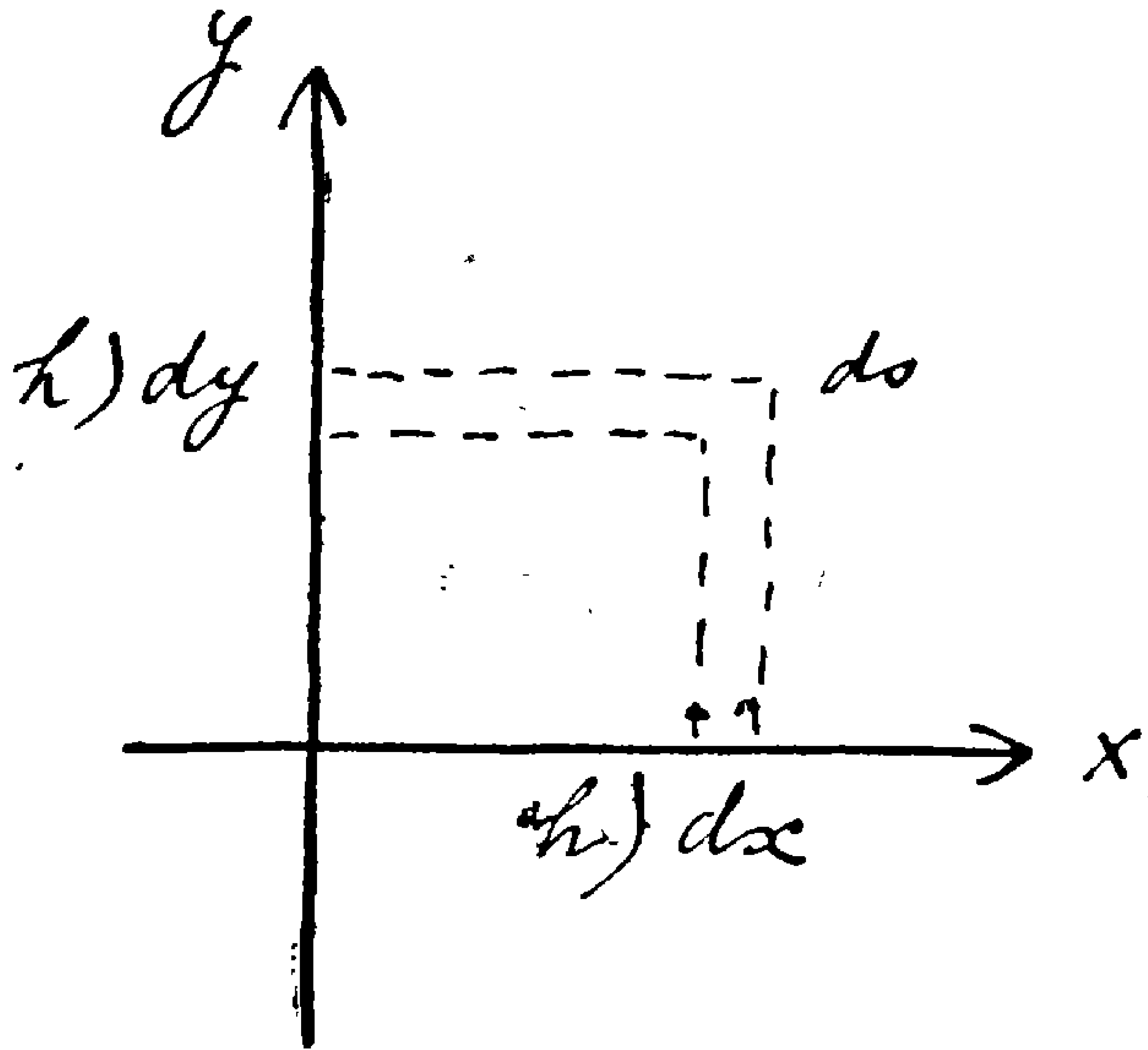
وترجح تشبيه الخطوط العمودية المكونة من نقط قريبة لبعضها بالخطوط المتوازية المعمولة من اتباع الرأى القائل بالتوازى فى الخطوط العمودية ولكن فالنتيجة النهائية لاتعرف إلا بواسطة تأمل صحيح فى مجموعة الموجودات وان كان هذا التأمل من ملكة العقل الضعيف لاننا نقدر بواسطة التأمل ان نعرف صدور الوقت العجيب .

ويقول أيضاً المسيو اميل بورل لنلاحظ مثلا رسما الاصول فيه عندها الشكل الاصلى — « ds 2 — d x 2 . d y 2 » فاذا افترضنا أن هذا الرسم محقق فى مادة لينة دقيقة جداً وحملت كل نقطة منه حالة طقس مختلفة فاصوله الخطوطية ستصير «(d s 2 — h 2(d x 2 . d y 2)» حيث «h» تبين رتبة مكونة من شيء من « x » وشيء من « y » والاصول الخطوطية حسب الشكل الثانى تطابق اى سطح كان :

(أنظر الشكلين فى صحيفة ٤٣٩)

فاذا أردنا ان نمسح (ارض أى سطح نريده تكون قد أخطأنا فيما لو استخدمنا اقيستة تكون الاعداد التى نضعها أمام الكمية المضروبة للتوسيع « Coefficient » هي نفسها التى للمادة التى توجد السطح لاننا لانرى شيئاً من تشويه صورة المادة فالنسبية لاتعمل الخطأ لانها تبين وجود مكان للتمييز فى نفس سطح الشكل الخطى « Lineaire » للملاحظ الاقدار الخارجية المرتب القواعد الغير الممكن تحويرها وللملاحظ الاقدار الداخلية الذي لايرتب الا القواعد الممكن تحويرها وفي البراهين التى تعمل حسب الشكل مرة واحدة والشكل مرة اثنين، لايبدل حالة الزوايا التشويه الحاصل فى كل نقطة بواسطة الامتداد الا انه يجب الالتفات الى غير محسوسات طبيعية يكون انكماشها كما قال «لوزنتز» يبدل الطول حسب سمته Azimut وتكون كفرع من المواد التى تبدل حالة الزوايا بكل الاوجه ـ أمّا اذا كانت الحالة الطبيعية تؤثر فى الشكل في الكميات المقدرة وفى الآلات التى تقدر فمن الواضح أن الملاحظ الموضعى لايراها كما هى دائماً . فبو نكاره اظهر هذا الامر في مواضع عديدة





وفى صور مختلفة وهو مطابق لروح نظرية النسبية حيث تقول إن شرائع الاكوان هى خارجة عن حدود الحركة أو ابدية القواعد ففى الاقيسة الداخلية نجد دائماً ان الفسحة التى نحددها عندها كل الاصول التى قال بها « اوكليد » فمقر الخطوط المختلفة لا يمكن ان يدرك ان من الملاحظ الخارجي الموجود في حالة

غير مقيدة وهذا الملاحظ الخارجي غير موجود . هذه هي الصعوبة التى تظهر للذى يقرأ اول مرة فى كتاب العلامة انيشتين فصل « المولينك » والجواب عليها سهل جدا . فالملاحظ الخارجي لا يمكن ان يوجد ابدا اذا لم نرتب الاقيسة الهندسية للاجسام الجامدة فيهدف نظرية النسبة هو الجمع مرة واحدة بين الهندسة « Geometrie »والقوى الحركة الميكانيكية« Mecanique » والكهربائية المغناطيسية « Electro-Magnetique »وعلم البصريات« Optique » وناموس الاثقال « Gravitation »وهذه الثلاث الاخيرة يعرفها العالم الطبيعي والفلكى لانها تتحقق بالتثبيت مرة بعد أخري . ويقول المسيو اميل بورل انه لا يشك بصحة الاساليب الغريبة لعلم الحساب المختلف التي قال بها« ريشى Ricci» ولا فيسيفيتا«Levicivita»والتى تؤدى الى أحسن وسيلة توضح خلاصة نظرية النسبية . وهذه الاساليب ليست شائعة ولكنها قريبة من الانهام من حيث ان « داربو Darboux » قال عنها انهـا احسن نموذج فى نظريتـه عن السطوح السطوح الظاهرة وانها ضرورية للوصول الى منتهي خلاصة التطبيق . فالبحث فى المسائل العملية الميكانيكية لايدل دائمـا على الخروج عن حـد المساواة القانونية وانه محصور فى الكهربائية الاصطلاحيـة « Electrotechnique » ولا يتعداها الي المساواة التى قالبهـا ماكسويل Maxwill » وهـذه التحقيقات تقال كثيراً من القيمة العمومية للمساواة القانونية والمساواة التى قال بها ماكسويل ولكنها لاتقال شيئاً من قيمة نظرية السبب الاول الشامل مما نرمى اليه من وجود حالات خصوصية وان كانت هذه الحالات تدرس فى الاساليب العمومية أحياناً بكل بساطة وبطرق أصلح مما فى الاساليب العمومية الشائعة . ويزيد المسيو اميل بورل على قوله بأنه يسر باعلانه وفاء النذر الذى نذره المتشوقون لرؤية تكميل البناء الجميل الذى اشتغل فيه بونكاره ولورنتز وكمله العلامة انيشتين .

بيروت ـ ١٦ اكتوبر سنة ١٩٢٨ ابراهيم حداد

الشاكية

هى آلام نفسية أبقيتها كما جاءت أمواجاً متلاحقة من غير تنسيق لانى أحسبها فى شكلها هذا أقرب الى اندفاعات التفكير وفورات النفس

بعد انى أردى فهبط رمسى　　يتساوى غدى ويومى وأمسى
جدث فيه كل دهرى ليل　　ما لاضواء فجره من بجس (١)
ظلمة فوق ظلمة أنا فيها　　أبداً مصبح كما أنا ممسى
أتأسى بفقدى الحس فى مو　　تى وفقدان الحس مالا يؤسى
تعترى جسمي هزة كلما فكـ　　ـرت اني يوماً سأفتقد حسى

فى الخضم الطامى ستنكس فلكى　　صخرة فى طريقها أى نكس
لا تلمنى اذا خشيت عليها　　غرقا فهى اليوم تحمل رأسى
أترى عن عقيدة أن جسمى　　سوف يخضر عوده بعد يبس
ولكل امرىء من الموت كأس　　وسأحسو عند النهاية كأسى
انها كأس ثرة كل حى　　إن أتى يومه لها متحسى

لم أزل بالحياة صباً وان نؤ　　ت بستين من سنى وخمس
اشمط الرأس مثلما سار ماش　　تحت شجراء بين ظل وشمس
أتملى الحياة فى كل يوم　　بين برء من السقام ونكس
تركتنى الايام أرعس حتى　　انكرت عين من يرانى رعسى (٢)

---

١ انفجار ٢ رعشى

وعلى الشيخ الصيف يعدو بحر   وعليه الشتاء يسطو بقرس [1]

قيل لي احمد على الشدائد والاو   صاب ربا يهدي الورى ويدسي [2]
يمنع الناس ما به يسعد النا   س ويعطي جماً ويعري ويكسي
قلت هذا ما لست أفعل شيئاً   منه حتى أردى فدعني وتعسي
انني إن حمدت ربي على ما   أتشكى منه أكذب نفسي

طالما كنت آسيا للرزايا   غير أن الايام المرء تنسي
فأرى ضاحكا بجانب باك   وأرى مأتماً بجانب عرس
كم على الارض قد خلت من قرون   وهي لا تشكو وحشة بعد أنس
رب قبر عليه أطلقت دمعي   بعد ان طال للمدامع حبسي
هو في زورتي سلامي عليه   وهو شعري الذي يشايع حسي
أيها الراحل الثوى سلام   قل اذا كنت اليوم تسمع جرسي [3]
هل الفت الردى وهل أنت في   الموت كما لست ميتا متأسي
انما النازلون حولك قوم   قد خلوا من حقد يعاب ودلس
أخرستهم عن الكلام المنايا   ولقد كانوا قبلها غير خرس
ابتغي في جوار رمسك رمسا   حبذا في جوار رمسك رمسي

ازفت ساعتي فاني سأردى   وسيردى معي رجائي ويأسي
يشترون الجنان بالدم والنا   ر واني لا أشتريها بفلس
انما الدنيا جنة لسعيد   وجحيم لذي شقاء وبؤس

---

١ برد   ٢ يغوى
٣ صوتي

ماك فيها الحياة ما طبت عيشا　　كل شيء فلا تبعها ببخس
ويح هذى الخراف ماذا تلاقى　　من ذئاب بين الحضيرة طلس
ولقد يأتى الرجس من لا يرى الر　　جس وان شنعوا عليه برجس
ارشدونى فقد ضللت سبيلى　　بين طرد للحادثات وعكس
ولقد أذكر الحوادث سوداً　　فى ربوع على الفراتين درس

أيها الحب أنت أول حسى　　فى حياتى وأنت آخر حسى
أيها الحب أنت خيرى وشرى　　أيها الحب أنت سعدى ونحسى
رب حب نزعته من فؤادى　　فكأنى اقتلعت باليد ضرسى
لى أحباب يهتفون بذكرى　　ثم أعداء يفرحون بتعسى
وأراد الحساد خفضى بأشيا　　ء عزوها الى ترفع رأسى
ساقونى بالسب حينا ومروا　　ثم كروا إلبأً يريدون نهسى

ولقد عاب الجهالة شعرى　　نفر هجسهم يخالف هجسى
انا لم انظم القصائد غرا　　لابن آوى يوما أو ابنة عرس
رب هاذ يظن الجهل منه　　انه جد نابه ، جد نطس [1]
وحسود يعيب شعرى باسم　　مستعار فعل الجبان الأخس
وحقود من الاسافل غر　　ولئيم من الاصاغر نكس
شغبوا حتى قال منتهر لا　　تشغبوا فالأمير تحت الدرفس
أى عار على ان قلت شعراً　　لست فيه مقلداً غير نفسى
لم أكن حتى اليوم أقرض إلا　　مابه ، كان قد تعلق حسى

---

١ عالم

قبسوه من قول من سبقوهم   ومن الشمس والكواكب قبسى

قد غرست التجديد فى النشء حتى   كاد لولا الجمود يثمر غرسى
فى الأولى يحتفون حولى قد يخطـ   ـىء فهمى وليس يخطىء حدسى
ومن الرزء ان أعاشر رهطا   لم يكن جنسهم يلائم جنسى
انا إما حضرت فالقوم خرس   واذا لم أحضر فهم غير خرس
لا تؤمل اذا حذقت بقاء   لبناء يعلى على غير أس
انما ترتقى الشعوب بارغا   م رجال أولى دهاء وبأس
ما أرى أن يطيب لى العيش إلا   بين جن يبدون فى زى انس

حبذا الليل والنهار وان كا   نا يجيئان بعد سعد بنحس
انما هذه الطبيعه سفر   لم تجد حروفها فوق طرس
هي سفر درسته وسأمضى   مرغما قبل أن أتم درسى
وستبقى نجومها بازغات   ثم تفنى بعد البزوغ بطمس
ثم تذكو مكانهن نجوم   تتراءى فى موكب متلبس
مرقت كالسهام تخرق أبعا   د فضاء حدوده فوق حدسى
انها لا تقر فى جبهة منه   كخيل فوق الصحاصح شمس
ركبت رأسها تجوب الموامى   أبها شىء من جنون ومس
يا لها من عوالم كسفين   قد جرت فى بحر ولما ترس

ولعل الوجود من بعد حين   ينجلى أمره لنا بعد لبس
ولقد كنت بالطبيعة أشدو   يوم ما كان ذكرها غير همس

تخذت من نسج الخمائل ستراً   إنه خير من ستور الدمقس
وتجلت لنا من الستر ترنو   بعيون فيهن ومضة قدس
يالها من حسناء أيقظت الحـ   ـب بما فى عيونها من نعس
أتغاضى عن وجهها ثم ألقى   من حذار عليه نظرة خلس
وإذا ما ابتسمت من جذل بى   فهي تجزى على ابتسامى بعبس
قدرى ياحسناء بالله حبى   أنه حب بالغ غير وكس (١)
واذا ما أردت حرباً وأزمعـ   ـت عداء رميت سيفى وترسى

ابن جلا

---

١ ناقص

ليس الضوء مادة

تحية واحتراما . لم يقل لنا الاستاذ النابه صاحب مجلة المصور في رده في عدد سبتمبر علي مقال الاستاذ سلامه موسى بعنوان « الحب والجمال » تحت أي فرع من فروع المادة الثلاثة يضع الضوء

ولست آمل فى هذه العجالة أن أشارك حضرة الاستاذ المفكر بحثه وتفكيره ولا أن أنوب عن الاستاذ سلامه موسى فى الرد عليه من جهة اثبات موضوعية المادة اثباتاً علمياً لا حواسياً . وغاية ما أطمع فيه من حضرته أن يدلنى على بحث علمي وتجارب عملية أجريت فى اثبات مادية الضوء . أما اذا كان برهانه الوحيد هو ما يستندعليه في تفسير قول سير جينز فانى لا أعده كافياً للحكم علي أن الضوء مادة — حتى سير جينز لم يقل صراحة أن الضوء مادة . ولعله حين يقول أن الحرارة والضوء يحملان ثقلا معيناً انما يقصد بذلك معنى مجازياً وبطريق غير مباشر . أعنى أن لنتائجهما تأثيراً لا يقل عن تأثر المادة بالجاذبية . ولا أظنه يعنى خلاف ما نقصد نحن عما نعبر عنه بتحول الطاقة Transformation of Eneergy إذ يمكننا بواسطة هذا التحول أن نستخدم كلا من الضوء أو الصوت كما نستخدم الحرارة سواء بسواء بواسطة تحويل الطاقة الحرارية الي طاقة ضوئية أو العكس بالعكس وأى من هذه الطاقات تعمل شغلا لا يقل عن عمل المادة (البخار مثلا) لهذا الشغل .

ولا أكون مخطئاً اذا ذكرت جملة في هذا الموضوع كان الدكتور جراى استاذ الكيميا بمدرستى الطب والصيدلة حتى انضمامهما للجامعة يلقيها علينا عند الكلام فى هذا الموضوع وهي :

One Must pay for energy as he pays for matter

أما من جهة قول سير جينز « أننا اذا حرقنا طناً من الفحم فانما نحصل علي جزء من مليون من الرطل ضوء أو حرارة » فهو قول يحتاج الاستاذ الى

اثباته أكثر مما يحتاج الاستاذ سلامه موسى الى اثبات وجود المادة علمياً .
لنفرض أنه يوجد ميزان كيماوى يزن هذا الطن ؟ (وهذا محال طبعاً) اذأن
الميزان الكيماوى اذااستعمل كثيراً فى وزن عشرات الجرامات لفقدتأكثر
حساسيته . ولعل الاستاذ يقول إنه يقصد بذلك النسبه فقط أى أن ثقل
الضوء أو الحرارة الناشئتين بالنسبه للجسم هو كنسبه جزء من مليون
جزء من الرطل الى طن . لنفرض أن هذا صحيح ، وأن الاستاذ جينز لم يعمل
على هذا الطن باجمعه تجاربه فى ثقل الضوء . ولنأت بدلا من هذا الطن بجرام
واحد من الفحم فنزنه وزناً فى غاية الدقه بواسطه ميزاننا الكيماوي ثم
نحرقه بعد ذلك . ولنفرض أننا تمكنا بعد الحيطه والاحتراس من جمع كل
ما ينتج بعد حرقه من الغازات والابخرة الناتجه من اتحاد مواده باوكسيجين
الهواء . ثم حسبنا بعد ذلك كميه الاوكسيجين وخصمنا ثقلها وأمكننا بعد
العناءمن معرفه المواد الرمادية الباقيه ومعرفه كميتي الكربون والهيدروجين
المتحدتين باوكسيجين الهواء، فكيف يمكننا أن نجمع الغازات الاخرى المتولدة
(فى درجات الحرارة المختلفه) التى مرت عليها هذه القطعه (أعنى بهذه
الغازات الميثان والايثان والبروبان و .. و .... الخ ثم الاسيتلين والاثيلين
والبروبلين و . . و .. الخ (يمكننا حقيقه أن نجمع كل هذه ولكن
بطريقه الـ Dry distillation ولكن الاستاذ جينز يريد اتحاده باوكسيجين الهواء
ليزن الضوء الناشيء ويأبى العلم أن يطاوعه على ذلك . ولكن لنذهب مع
الاستاذ ولنفرض وجود هذا الجهاز العجيب فتمكننا بعد اللتيا والتى من
جمع الطريقتين فى واحدة .وشاء القدر أن نزن كل متخلفات الجرام فأين هذا
الميزان الكيماوى الذى يمكننا أن نزن به ١ على ٢/٢٤٠/٠٠٠/٠٠٠ من
الجرام وكيف نضمن أن لا يكون هذا العدد هو فرق الخطأ فى دقه الميزان
بين الكفتين وقد يكون أضعاف هذا الخطأ فى أدق الموازين الكيماويه
فى العالم

أما من جهه ثقل السطح عند وقوع الضوء عليه فلا أظنه كذلك حقيقية

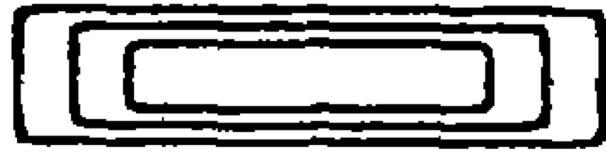
وان كان فقد يرجع تمايله الى ضغط الموجات الضوئية نفسها كما هو الحال في الصوت . ولو كان الضوء مادة لكان الصوت كذلك بل ومن باب أولى وليس الصمم الناشيء من قصف المدافع والانفجارات الهائلة إلا نتيجة موجات هذا الاخير. بل ليس تداعي المباني وانهيارها الا نتيجة تخلخل موجاته وتضاغطها

وأرجو أخيراً اذا كان لدي حضرة الاستاذ صاحب المصور من البراهين العلمية ما يثبت مادية الضوء أن يذكر في رده اذا كان يضع انعكاس الضوء من الاسطح اللامعة مع الضوء المنبعث من منبعه وأن يذكر كذلك عند انعكاس شعاع ضوئي من مرآة اذا كان هذا الشعاع يتأثر في سيره بجاذبية الارض كما هو الحال في القذيفة مثلا .

واختتم بتقديم اجلالي واحترامي .

بنها ٢٧ ــ ١٠ ــ ٢٨

جورجي اسكندر
دبلوم في الصيدلة والكيميا



هل العلم يحتضر

قد أصبح من الميسور على كل فرد الانتفاع بالاختراعات والاكتشافات العلمية فى كل ما يحتاج اليه من الضروريات والكماليات . وكذلك تقليد الموجود واستعماله استعمالا حسناً الامر الذى لم يكن متيسراً حتى نهاية القرن الثامن عشر أيام بدأت طرق التفكير العلمى تتسرب من الافذاذ الى العامة . واذا فرض أن الانسانية رجعت القهقرى فستبقى هذه الوسائل تحت أمر الناس لمدة أخرى غير قصيرة . ولكن لا يمكن القول بدوامها اذ قد يحدث ما يؤدى بالموجود منها فلا يمكن للخلف اعادة صنعها

ولا خلاف بين الناس فى أنه يوجد فرق بين « موجد العلم » وبين « المستفيد من العلم » ونلاحظ مع الاسف أنه كلما زادت المدنية انتشاراً تشتد مقاومة « المستفيدين » لكل تجديد يراد ادخاله على الموجود من النظريات العلميـة . وهكذا يمكننا القول بأن مدنيتنا بدأت تدخل فى دور التاريخ

صحيح أن الروسيين واليابانيين مع عامة الشعوب الاوروبية وغيرهم أخذ يقبلون على « العلم » بنفس الحماس التى قوبل بها فى القرن السابع عشر ولكن قد مل كهنة العلم متابعة البحوث التى كرسوا حياتهم لاجلها فبتنا نشـاهد النائين عن بيئة الثقافة الغربية يقدسون العلم أكثر مما يقدسه رجاله .

أصبحت « المادية العلمية » لدي الباشفيك صورة من البروتستانتية فى أوائل عهدها ، تقدس ويمنع الناس من التحول عنها وبات نيوتن فى نظر أولئك المتدينين « ملهما » بكل ما فى الكلمة من قوة وبذلك وضعت عثرة يعسر تخطيها فى طريق العلماء المشككين

ومن الاسباب التى صبغت العلم بصبغة الرجعية تشجيع الحكومات

له فانصرف هم أغلب العلماء عن متابعة البحوث الى الدفاع عن حالته الراهنة وأصبحوا لا يقدرون العلم قيمة أكثر من محاولة اثبات انه يفوق ماعداه من منافسيه

ويجب أن نعرف تماما أن العلم في ذاته لا يزال من أقوى المؤثرات في التغيرات العالية المتتابعة التي أثرت في أوروبا وافريقيا وآسيا وذلك بالرغم من جمود العلماء . اذن قد تسرب اليأس الى قلوب كهنة العلم العظام ولو كان العلم شيئاً قائماً بذاته لهان الامر ولكنه عرضة للهجوم في أى وقت ، فاذا لم يرجع الذين استكانوا وأدركهم السأم الى أنفسهم ويستعيدوا ثقتهم القديمة بالعلم لا بد لنا من مواجهة نهاية للمكتشفات والاختراعات العلمية وهذه النهاية لن تأتي دفعة واحدة لوجود شبه رغبة للعلم في الشرق في حين بدأ الغرب يفقدها بل سنحتاج الى قرن أو أكثر قليلا

وقد بدأت فكرة عدم الخطأ أو بمعنى آخر « الايمان العلمى » تتأصل في نفوس الناس ولكن هناك فرقا كبيراً بين هذا النوع من الايمان الجديد والايمان الاول الذى بنى عليه العلم قد سلم العلماء المتقدمون بصحة أشياء عدوها من البديهيات

« نظام الطبيعة » الامر الذي لو امتنعنا عن التسليم به لسقط العلم سقطة لا قيامة له بعدها وليس معنى هذا ان ايماننا اصبح كايمان الاغريق ، فهناك فرق بين علومهم التي اهتموا منها بالنهاية وبين علومنا التي اهتممنا بها بالبداءة ، هم الذين توصلوا الى ايجاد فكرة « بالتقدير » وهي اساس نظرية « ليست الحوادث الا نتائج لقوانين الطبيعة » التي لا نزال نتمسك بها . وكذلك اسس الرومان « للقوانين الوضعية » وقالت المسيحية بان « الله يعمل حسب قوانين معلومة » في حين انها ادعت بانه موجد تلك القوانين . فمن كل هذه الاراء انشأنا مانسميه « القانون الطبيعى » احد ضروريات العقلية العلمية

ويجب ان لا نكر أيضا ان الاوهام والخرافات قد لعبت ادوارا مهمة فى تاريخ نشأة العلوم فقد تسبب نجاح كبلر — الفلكى الالمانى الشهير — عن الهواجس التى تملكته وهو فى مقتبل العمر فمال الى عبادة الشمس على النسق الزرادشتي . وكذلك اتى وقت درس فيه الناس المذاهب الوثنية نكاية في المسيحية واحتجاجا على الفظائع التى ارتكبتها فى العصور المظلمة مما عاد على العلم بفوائد جمة . ويعود الفضل فيما اكتشفه « بيكون » الى ايمانه بخرافة حجر الفلاسفه الذى اهتم باكتشافه فعثر على منزلته فى العلم مصادفة واتفاقا

وكل هذه السوابق مهدت الطريق للبحث الجدي الذى اتى بعد ذلك. وكان العلماء في صدر عصر العرفان كلما احتاجوا الي برهان لا ثبات ايمانهم العلمى التفتوا الى الرياضيات المؤسسة على البديهيات . واذ كان الامر كذلك فهل سيتيسر للعلم الوقوف على قدميه لو جذب من تحتهما الاساس الذى قام عليه وبه تغذى ؟

نجح العلم فى هدم المعتقدات لانه زاد قوة الناس وهذا ماشجع العلماء على زيادة البحث بين تصفيق الناس وحماستهم . ولكن الان وقد كشر الناس عن انيابهم واصبحوا يعارضون كل جديد لانه يهز اقتصادياتهم ولانهم تدينوا بما عرفوه من النظريات العامية وقف مرتبكا لا يعرف ماذا يصنع خصوصا وان نظرية النسبيه اجبرته من جهة اخرى للبحث عن مواضيع طالما استخف بها وهز كتفيه لها احتقارا . ولكن يجب عليه الآن ان لا يفعل بل يبحث فى « الزمان والقضاء والحركة » وليس هذا فقط ، بل قد يحوي علم النفس كل من علمى الفسيولوجيا (علم الاعضاء) والاحياء — الكيمية وهكذا قد انكشف العلم ورأينا نظريات تنشىء فلسفة جديدة .

فبقاء العلم والفلسفة الجديدة بعد الآن في سلم مسلح لوقت طويل قد اصبح فى غير الامكان، اذ يجب أن يكونا اما صديقين او عدوين . وتتوقف صداقتهما على امكان نجاح العلم في الامتحانات التى تضعها له الفلسفة . واذا

لم ينجح العلم فلا بد لهما من الاقتتال حتى ينهزم احدهما فينفرد الآخر بالحكم في العالم

وكيف يتسنى للعلم التغلب وقد وصل الى ما هو عليه بفضل جمود العلماء من جهة وبفضل تقديس الناس لنظرياته وعدم رغبتهم فيما يستجد منها من جهة أخري

ملخصة عن الانكليزية

ط . ه . حنين

فصول في النقد والادب

— العقاد —

على أثر ظهور ديوانه حديثاً اقبل الأدباء على نقده فنهم من اعطاه حقه ، ومنهم من بخسه اياه . على ان الباخسين لم يكونوا بنظرنا باخسين الا لانهم ارتكبوا في المدح شططا ، فما كان نقدهم نقداً صحيحاً ، انما كان مدحاً وكفى . ولا نعنى ان مدحهم كان رهبة منه او تملقاً إليه ، مما قد ظن به البعض ، بل نعنى ان المعيار الصحيح فى النقد قد فاتهم ، وانهم قد اخذوا بشهرته ، فخيل إليهم ان صاحبهم قد بلغ من الأدب المثل الأعلى ، فكان فى نظرهم الأمام الأوحد فى عالم الأدب .

والحق ان صاحبهم قد ادرك شهرة لا يستهان بها ، ولقد بلغ في نظر الأكثرية مكاناً علياً ، على أن الشهرة ليست دليل قاطع على سمو منزلة المرء فى علم الأدب المجدى ، فكم من شهرة كانت واسعة فبددها نقاد مجيد ان عاجلا او آجلا ، والحق ان هذه النهضة الأدبية ان ظلت على حالتها الراهنة ، فلن تصيب نجاحا ، وستظل تتعثر فى سيرها ، وان اصابت ثمة نجاح فانما قد تصيبه عفواً واتفاقاً ، ذلك لان النهضات الأدبية ان كانت باحتياج لشيء فان احتياجها للنقاد المجيدين لشديد ، هم الذين باستطاعتهم ان يحسنوا القياد ، وهم الذين كلما اشرفوا على ذلل او مهوى حولوا النهضة عنه ، وساروا بها فى الصراط المستقيم ، لتأتى اكلها ، وتقطف ثمرها ، هم النقدة الذين بمقدورهم ان يميزوا بين الطيب والخبيث يميزون بينهما لينبذ الخبيث ، وليقبل على الطيب ، ولكن لا يخذل الحق ويعلو عليه الباطل ، هذه مهمة النقاد ، وهى مهمة لها مسؤليتها ، ولها سرها . فتش عن كل نهضة ادبية اثمرت تجد ان الفضل كل الفضل فيما اعطت من أكل للنقاد القديرين المخلصين عائد ، وهاهم فى بلاد الغرب ، يتصدرون للزعامة ،

ويسيرون بالنهضة الأدبية سيراً حثيثاً ، كتبهم محترمة ، وحكمهم مقبول ، يخلصون كل الاخلاص فى عملهم ، ويتفانون كل التفانى فى اعلاء شأن فنهم ، لايدعون للمدعين مجالا يستولون منه على عقول السذج لبناء شهرتهم ، بل ترى النقاد سرعان مايحيطون بهم ؟ وسلاحهم اقلامهم ، وذخرتهم عقولهم . فيبددون شملهم تبديداً ، ويحطمون ماشيدوا من عروش تحطيما .

فأن استطاع العقاد ان يبنى شهرته فانما هو مدين فى صون هذه الشهرة الى غياب النقاد الماهرين كما هو مدين أيضاً الى السذاجة البالغة التى لم ينج منه فى عصره الا من عصم ربك .

وكم صفقنا كثيراً ، وكم ابتهجنا ، وكم زال عنا من سجوف اليأس سجف ، عند ما وجدنا بين النقاد اقلية ، لم نسمع منها من قبل شيئا ، هذه الأقلية هى بحق مدركة ، فقد اسمعتنا اخيراً ، شيئاً طريفاً ، شيئاً ذا قيمة ، فى عالم النقد والأدب ، فدل ذلك على وجود نقاد عندنا لابأس بهم ، وانهم ان يلاموا على شىء فانما يلامون على سكوتهم الطويل وترك المدعين يصولون ويجولون وهم في غفلة عنهم .

ومن هذه الأقلية الأديب ذكريا ابراهيم فقد قرأنا له نقداً فى السياسة اليومية عدد ١٢ نيسان سنة ١٩٢٨ ، فكان فى نقده عن العقاد حصيناً ، وفي معياره صادقاً وفى تمحيصه جريئاً بريئاً . هذا الأديب وهذ اول نقد قرأناه له لم يكن فى نقده اقل براعة من نقاد الغرب ، ولادونهم جدارة وفهماً وادرا كا وجرأة هذا الأديب وليس له من الشهرة شىء ، قرأنا نقده فاجللناه ، ونال عندنا مكانة لم ينلها المكثرون من الأدباء المدعين الذين يجرون ورائهم من الشهرة الزائفة اذيالا طوالا . اغتبطنا بهذا الأديب ، وماكان اغتباطنا به الا عن تقدير لمعياره واقرار بنفاذ بصيرته وصدق حكمه . اغتبطنا به فعلمنا ان الربوع لم تبخل علينا بالنقاد المدركين بل هم تباخلوا علينا وعلى انفسهم فكانوا باللوم والتعنيف جديرين !

والآن لنعد الى العقاد ، وانا والله في حيرة كيف ادرك هذا « المعقد » فى الورى شهرته ، وما الذى بذله ثمنا لهذه الشهرة ، واى جديد مستطرف ابتكره ، واى مؤلف قد جاء به ، حتى نقول انه دفع في سبيل هذه الشهرة ثمنا باهظا او عملا خالداً . هل التحرير في الصحف اليومية والاسبوعية من وسائل ادراك الشهرة والخلود ، ان كان كذلك فما أكثر المشتهرين وما اكثر المخلدين ! ! !

ام جمع مانشر فى الصحف من مقالات متباينة فى مجلدات هو من السبل المؤدية الى الشهرة والخلود ، ام هو النقد الغير برىء والتهجم على كبار الكتاب والشعراء ، هذا النقد وهذا التهجم اللذان يقطران غيرة وحسداً ،

ام هو التعقيد ولوك ماتقوله الفلاسفة . وترديد اسماءهم . واثبات مصطلحاتهم والأتيان بأقول لهم دون هضم وفهم كقوله « ان الجمال هو الحرية » أو « هو تغلب الحرية على الضرورة » ومات كله ، كل ذلك من مميزات شهرته ووسائل خلوده . . . فان كان كذلك فيالها من شهرة زائلة ويله من خلود موقوت !!

والا اروني اين هى مؤلفاته الخالدة ، ومجلداته التى تفيض بخطراته ، وذات نفسه وروحه ، ورسالته ، وتصويره ، وادراكه للجمال وفنه الفذ الصحيح !!

اروني اين هى رواياته التي استطيع ان اجد فيها شيئاً من روعة الجمال ، وسحر الفن ، وسير الأبطال ، وما تسكنه النفس ، وما تجيش به الصدور .

اروني اين هى رواياته وكتاباته التى استطيع ان اجد فيها شيئاً من جمال النيل وارض الكنانة الناطق ربيعها بأبلغ فنون الكلام والتى يسير على « الموهوب » ان يستوحى سماءها الصافية ونيلها الرقراق .

دعوني المس في نثره روح الكاتب الحساس التى تتجلى في خطرات منصور فهمى او أروني فى شعره روح الشعر التى تقنصت بشوقى ، او وحى الشعر الذى أنطق حافظ ، اروني شيئاً من ذلك لأحسه وألمسه ، اما فصوله ومطالعاته ومراجعاته فنعرفها ، وان كانت هى من مميزات شهرته وخلوده ، فيالها من بضاعة لاتستحق

الخلود ، ويأله من بخس بذل في سبيل شهرة ! ؟

أليس من العيب على هذا الجيل ان جاء مؤرخ نقاد بعد سنين ليفحص آثار الذين نالوا درجة الخلود في هذا العصر الذي يتنحج انه عصر النهضة الأدبية ، فيجد أن في طليعتهم العقاد ، وان كل ماله من بضاعة لايؤهل درجة الخلود ألا يسخر من هذا العصر ومن أهله كيف يبيعون درجة الخلود السامية بثمن بخس ، ألا يشك في وجود جامعات راقية شيدت لنهضة الأدب واساتذة قديرين لاعلاء شأنه ، الا يشك في مقدرة رجاله كيف يسمو فرد من بينهم وهذه البضاعة بضاعته لزعامة الأدب فيطأطئون له الرءوس اكباراً ، ألا يحكم على هذا العصر انه عصر أقرب الى الرجعية منه الى النهضة الأدبية ، وان آفته القحط في الرجال والعبقرية ، ألا يحق له ان يسخر من فتنا وذوقنا ومعيارنا وسذاجتنا جميعاً ؟ ؟ ؟

والعظمة منزلة سامية حري بنا الا نجود بها الالمن يستحقها عن جدارة واستحقاق ليكون ذلك العظيم جديراً بالقدوة عند الناشئين والمتأدبين !

والعظمة ان جدنا بها على الدعى عن غير جدارة لانخون انفسنا والحق ، وروح العصر فحسب ، بل نجني على الناشئة التي ستتبعنا ونجني على انفسنا ايضاً منذ ما يقوم من بين تلك الناشئة حصيف يميز الغث من السمين فيهزأ بنا ويترك لأتباعه مجالا للهزؤ والسخرية بنا .

وها انا بعد اعلن للملأ رأيي واقول بصراحة ، دون حسد او رياء او انتقام او مجاملة او تهجم بل عن اخلاص وكفى : ان العقاد ليس « بالكاتب الموهوب» الذي يستحق ان يتنعم بدرجة العظمة وبنعمة الخلود .

ولكن ماهو ان لم يكن كاتباً ؟ ؟ أهو شاعر ؟ ؟ ؟ استغفر الله . . . كلا كلا وماهو بشاعر ، ومن يعلن انه شاعر لايجن على الشعر فقط بل على ذوقه وعذابه من آله الشعر يؤمئذ لشديد ! ! !

وهناك من يعيب العقاد في شعره غياب شيء سموه « العاطفة » وفاتهم أنهم

كانوا فى تسمية هذا الشيء مخطئين . . . هذا الشيء لو ادركوه لسموه « روح الشعر » وهو المفتقد فى « شعر العقاد » ـ واى شعر ؟ ؟ وماهو بالحرى الانظم والشعر لعمرك لايشترى بثمن بل يوهب. ومن هنا كان تطاول العقاد الى جملة وهو غير موهوب تطاولا ماباء من ورآءه الا بالفشل المهين ! !

ويعيب العقاد على الشعراء الذين بذوه فسخر منهم أنهم يتملقون فى مدحهم . وان انصف لعاب على نفسه ـ فى نظمه ـ التشبيب المزيف ، فهو لايتملق فى المدح بل يقترف شيئاً ادا ، ذلك لأنه يأتى الى الحب فيتملق إليه ليوهمك انه احب وان ماتقرأ من « نظم » ومن « وحى الحب » ، والله يعلم انه لم يحب او ان أحب فانما قد اصطدم الحب عنده بصخرة صماء محرومة من الشعور والعواطف ! !

ولو كان العقاد كما يقول اصحابه موهوباً لكان حصد من حبه شيئاً معجزا وجاد بالشيء الثمين . . . فالحب وحى ينطق الجماد فحرى به اذن ان ينطق من احترف الكتابة ولـكن شاء ربك ان يكشف الوعاء . . .

ولو كان العقاد شاعراً ينطق عن وحى لقرأت كثيرا من شعره ؛ على الأقل فى الاسبوع مرة على صفحات تلك الصحف التى يحرر فيها ، لأن الشاعر الملهم لايجد من بد من نشر شعره وتقديمه على نثره . . . ولـكن الآية فى العقاد معكوسة وعكسها دليل على انه في ذات نفسه يعتقد انه ليس بالشاعر !

فهذا الـكاتب قد برع بشيء وهو التدليس والأبهام والغموض . . . أما التدليس فانه ماهر فيه ؛ فتراه يشترك فى أسمى المجلات الغربية لا لينتفع من موادها او لينشر من مستطرفاتها كلا ؛ بل يستهدى على اسم العظيم الذى نال عند بنى قومه اجلالهم وتقديرهم ليروح يستوعب ماقيل فى ذاك العظيم من مدح وماسرد فيه من أقوال وماترجم عنه من اعمال وما قيل فى كتبه و . و . و . . . اجل . يستوعب هذا كله لالشيء الا ليتخذه عند بنى قومه آلة للتدليس ليوهمهم انه ذو اطلاع واسع ، فيدس اسم هذا العظيم فى كلماته ماشاء له التدليس ، ويلوك فى آرائه

دون استيعاب او هضم ، ويردد فى ذكر مؤلفاته دون مطالعة او فهم، ويخلط فى اصطلاحاته او ينقل هذا كله نقلا عما ترجم لذاك العظيم فى تلك المجلات الأجنبية التى يكون مشتركا بها ؛ هذه المجلات كم يحرص على اخفائها عن صحبها وهيهات ان تظفر منه بذكر اسمها ، انه لايفعل كيلا يفتضح امره ! !

اما ابهامه وغموضه فقد اشكل امرهما على الأدباء وحيرهم ، فمنهم من اتخذ ذاك المثل القائل « والخفى اعظم » لهم شعاراً ، فقالوا ان لابد ان وراء هذا الغموض وهذا الأبهام عظمة لم تستوعبها مداركنا وعليه مادمنا قاصرين عن ادراكها فالقصور هو منا وليس منه . . . هؤلاء السذج ظنوا بانفسهم سوءا ، و بغموضه خيراً ، فمنحوه العظمة بلاهة . ومن هنا ترى ان العقاد كان مديناً لشىء فهو لهذا الغموض ولهذا التدليس جد مدين . . .

وانى لأذكر انى قرأت للسيد مصطفى صادق الرافعى جملة هى بحق مضحكة لما فيها من مهارة فى التشبيه والتصوير ، فقد قال « وقد حيره غموض العقاد » شيئاً استطيع ان انقل فحواه دون نصه وهو : « ان القدر كان جد منصفاً باعطائه اسم « العقاد » اذ علم ان « التعقيد » لابد ان يكون يوماً ما من صفاته ومميزاته » — وما هو بحق اقل منه تعقيداً ولكن السر فى الشهادة انها شهادة تعقيد صادرة بشأن معقد من أمام المعقدين — تلك الجملة قرأتها للرافعى وقتئذ ولا ازال اذكرها مستغرقاً بالضحك كلما ذكر لى اسم العقاد ، ولعمرك ان كان « أمام المعقدين » يشكو من « تعقيد العقاد » فماذا بقى للبسيط الغير معقد ان يقوله ؟ ؟

وهناك فئة اخرى تنعت العقاد بالكاتب لالشىء الا لأن اسلوبه — فى نظرهم — يحكي اسلوب المقفع وابن العميد ، والجاحظ و . و . و . من القدماء الذين يجلون ، هؤلاء لايجلون العقاد الا لأسلوبه . . . وجدير بك بعد ان تهزأ بهم و بمعيارهم و بأسلوب صاحبهم ايضاً .

اما وان العقاد ليس بكاتب ولا بشاعر موهوب فماهو اذن ؟ ؟ اللهم انى

لادرى وانى لجد محتار فى شأنه . . . ولعله يكون « محدثاً » بتشديد الدال ، بالأدب او « راوية » . . . . وايجازاً ان هو الا محرر صحيفة ذو شخصية معقدة لا أكثر ولا أقل ، ولعل القدر الذى ساقه للتحرير فى الصحف اليومية لم يبخسه حقه . . . فالعظمة الحقيقية لاتستقر الا بالعظيم الحقيقى وان استقرت بغيره بنظر البسطاء فما هى بعظمة ان هى فى نظر المدركين الا بهرج زائل ! !

وما انس لا انس سخريتى من العقاد عند احتكاكه بعلامة العراق الزهاوى فهو قد التمس فرصة من اقرار طه حسين وهيكل فى بحوثهما عن النثر والشعر تلك البحوث التى ادلينا بما عندنا من رأى بشأنها — من انه هو الشاعر الذى يمتاز شعره بالفلسفة وان بين الشعراء المعاصرين ليس هناك من شاعر فى شعره فلسفة الا « العقاد » فى مصر « والزهاوى » فى العراق . . . التمس صاحبنا هذه الفرصة وراح معجباً من جهة لتفرده بالفلسفة وحانقاً من جهة لان له فى هذه الميزة شريكا . . . اذن فما عليه الا أن ينزع هذه الشراكة من شريكه ليتفرد بالعظمة التى ليس لها من شريك ، انظر ماذا فعل : انه نشر استفتاء من أحدهم يسأله فيه ان يعطى عن شعر الزهاوى وفلسفة رأيه : أهو بحق ممتاز ام هو لايستحق ثمة شهرة . . . فاعجب كيف اتى هذا الاستفتاء من بعضهم في وقت بلغ فيه مرجل حقد العقاد حده ، لأن كان هذا الاستفتاء مزيفاً فليس بغريب صدوره من العقاد أو بدافع منه ، وان كانت الظروف هى التى ساقته فليست هذه أول صنيعة لها عنده . . . اذ ذاك سعى العقاد ، وكيف لايسعى الى الحط من شأن الزهاوى لأخراجه من حلية الشعر والفلسفه معاً صفر اليدين . . . ولكن اتظن ان الزهاوى استاذ الفلسفة ، قبل ان يخلق العقاد وينتحلها لنفسه ، سكت له عن تهجمه . . . لاوربك . . لقد أعطاه درساً مفيداً . . . اذ ذاك ظهر العقاد امام الزهاوى كالممسوخ الذى يبارز عملاقاً أو كالتلميذ الذى يحاج أستاذاً أو كالقزم الذى يتحدى جباراً ، ولقد كانت مساجلتهما لعمرك مساجلة مضحكة تبيانها ولما حوت من حكمة الحكيم وخلط المهزار ورفق الفيلسوف ومشاكسة المغرور .

والغريب فى العقاد انه لايقر بعظمة فرد مبرز فى الأدب من بنى قومه المعاصرين. ذلك لانه يحرص على ان تكون الشهرة مقرونة باسمه لايزاحمه فيها مزاحم ، وما دأبه الا ان يتهجم على البارزين فيزدرى بهم . . . فأدب المرحوم المنفلوطى فى نظره أدب ضعيف ، كأن شدة الأحساس عنده من وسائل الضعف كما فهم خطاء عن نيتشه ، وشعر شوقى ركيك ، والزهاوى ليس بفيلسوف . اما المدح فانما يكيله لادباء الغرب وفلاسفة لاعن فهم وتذوق بل لانه يعلم انه كاسب من وراء مدحهم وذكر اسمائهم ربحاً لنفسه ، وانهم لن يقاسموه العظمة فى محيطه ولعل طاغور لم ينل عنده مكانة الا لأنه بعيد عنه او لأن عظمته آخر بها عظماء الغرب فكان حقاً عليه ان لايتبجح بالانكار لكي لايسقط فيه . . . فهل رأيت أنانية أبلغ من هذه الأنانية . . . ولعمرك انها لانانية مرذولة قد بلغت حدها وليس وراءها من مزيد ! !

ولعله لم يكل المدح جزافا لصاحبه المازنى الا بعد ان اخذ منه عهداً ان يكيل له الكيل كيلين والصاع صاعين وهكذا فلتكن المتاجرة والا فلا . .

والعقاد هو جد متكالب على هذه الشهرة التى احرزها فهو يعض عليها بنواجذه ويسعى لاستبقائها ماشاء له الغرور والباطل والويل لمن ينازعه عليها او لمن يكشف عن ستاره ليظهر للناس حقيقة امره ؛ اذ ذاك يكيل له من بضاعته السب والشتم والسخرية بالكيل الوافر . . .

ولكن نسى موقفه مع العلامة الكرملى الذى بين عن الكثير من مغالطاته وكشف عن عجزه عند نقده لديوانه . . .

ألم يكن موقف العقاد موقفاً معيباً لايقره نقد ولايقره ادب ، انه لم يخرج من آداب النقد والمناظرة فحسب ، بل قد تسفل الى درجة لم يحترم عندها شيخوخة ذلك العلامة الجليل بما كاله له من سب وشتم وقدح ، وماذا يفعل العاجز غير هذا يلتجىء إليه استبقاء على شهرة اصابته عفواً وماهو بأهل لها . . . أليس النقاد قليلين فى هذا المحيط واقل منهم اولئك الذين يقولون الحق وان استهدفوا لخطر السب والشتم . فاذن هين على العقاد محاربة اولئك مادداموا متحفظين ، يفضلون

السكوت على الاستهداف للنقد القاذع الذى قد يصيب اشخاصهم ، وما على العقاد كلما نهض منهم ناهض الا ان ينهال عليه سباً وشتماً حتى يسد عليه منافذ الطرق باساليب من شتمه وقدحه ، ليكون لغيره عبرة كي لاينسج على منواله ؛ وهكذا فعل مع الكرملي ولكنه فى هذه المرة لم يحصد الا فشلا وعاراً في نظر المدركين ، وإن اصاب فى بعض مواضع الدفاع ! !

ولقد تنبه لهذا الأمر الفيلسوف الزهاوى فى رده على العقاد حيث قال . لا اعلم لماذا يهاب الكتاب الاحتكاك بهذا الكاتب ولماذا يتحاشون التحرش به ، فان كان تطاوله هو المهاب فانى ارضى بما يصيبنى منه فى سبيل اعلاء الحق وازهاق الباطل ! !

ولقد تراءى لاحدهم من المعجبين به ان ينقده على اثر ديوانه نحط حديثاً نشره بالسياسة الاسبوعية رقم ١١٠ تاريخ ١٤ نيسان سنة ١٩٢٨ واتخذ له فى حديثه قريباً وهمياً وكأنى به قد ادرك ان هناك نواقص فى شعر صاحبه ليس بالمستملح ذكرها عند مدحه فذكرها على لسان قريبه الوهمى وراح من حسن ظنه يخلق لها الأعذار والأسباب الواهية ، ولكن اتظن انه ارضي صاحبه العقاد مع ما كان فى مقاله . من مدح لامبرر له ؟ كلا ، فالعقاد على اثر قراءة حديثه ونقد ذاك النقاد المستتر في المقتطف راح يعيب عليهما عدم الأدراك وراح يعطيهما فى « الحقائق الشعرية وكيف يجب ان تفهم » درساً على زعمه ! ! ! فهل لقيت ابلغ وقاحة وغروراً من هذا كله ؟ ؟ ؟ فهو لايرضى عن احد الا ان يقول له انك امام الكتاب ومعجزة الشعراء بلا مدافع ولا مزاحم ! ! ! ويا ليت غروره وقف عند هذا الحد بل راح - في درسه - يقيس شعره بابلغ شعر ، وشخصه بأعظم شاعر عرفته اللغة العربية من قديم الازمان للآن ، وديوانه بأعظم ديوان ، وشيطانه بأمكر شيطان « ايضاً » ، ويتحدى من يكذبه ونحن اولاء نكتفى بهذا وبما املاه علينا الحق ، ونترك العقاد ، مادح نفسه ، يقرىء القراء السلام

عكا « ابو النجا »

أفظع جرائم القرن التاسع عشر

(وقعت في يدنا مجموعة تشتمل على بيان واف لتسع جرائم ارتكبت في أوروبا في القرن التاسع عشر واعتبرت بحق أفظع جرائم ذلك القرن. فرأينا ان نقدمها للقراء في قالب قصصي يعنى بالتفاصيل دون اطالة ولا تقصير)

---

١ — الولع بالجريمة

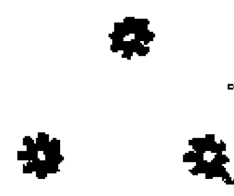
فى صباح اليوم الثانى عشر من شهر اكتوبر عام ١٨٦١ وجدت فتاة — موصوفة في سجلات بوليس باريس أنها من الساقطات (ونترك للقراء تفسير ذلك لانفسهم) — ومقتولة في غرفتها . وعنقها مقطوع من تحت احدى أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى. وقد قرر الطبيب الشرعى أن الوفاة حدثت على أثر خنق . وعلى ذلك فان الجروح التى أنزلت بجان هريس يصح أن تعتبر اغراقا فى الجريمة . اذا كان الباعث على ارتكابها هو السرقة فحسب.

والحق أن الطبقات الدنيا فى فرنسا — وهي التى تنتمى جان هريس اليها — قد اعتاد أهلوها فى الادخار والاقتصاد مما يثير طمع الاشرار فيهن . كما سيرى القارىء الكريم فيما يلى.

ولم يعرف من التحقيق الذى جرى فى هذه الجريمة أن القاتل سرق شيئاً ، على أن ما ثبت قطعياً هو أنه كان لديه الوقت الكافى للسرقة دون أن يخشى من ازعاج المقتولة اياه حيث انها قد ماتت بسبب الخنق . ومادام تقطيع الجثة لم يكن له لزوم فان الجريمة قد اتخذت صفة خاصة — وحار البوليس في تكييفها . ومع ذلك فقد نغالى اذا قلنا ان باريس اهتمت بهذه الجريمة لأول وهلة

* * *

بل إن ارتكاب جريمة أخرى مماثلة بعد أحد عشر شهراً من وقوع الأولى لم يثر رعبا كثيراً . وكانت الضحية الثانية «مرغريت لافى» تنتمى الى طبقة المنبوذات كذلك. ولاقت حتفها بنفس الطريقة مثل جان هريس . وأسقط فى يد البوليس فى هذه الحادثة كما غلب على أمره فى الأولى . وهو لم ينكر هذه الحقيقة بل اعترف فى صراحة انه ليس لديه أثر يستدل منه على المجرم . و ربما كان قصده أن لا يجعل الجمهور يتلظى بنار الانتظار .



ومضت ثمانية عشر شهراً أخرى. ونسى الجمهور بتاتا جان هريس ومرغريت لافى . وحتى البوليس لم يعد يذكر عنهما الا القليل . الى أن كان اليوم الرابع من شهر فبراير سنة ١٨٦٤ اذ وجدت فيه ساقطة ثالثة اسمها لينو يل مقطعة تقطيعاً فظيعاً فى الغرفة التى كانت تسكنها فى ربع متخرب تقررت ازالته لتوسيع الشارع المعروف الآن باسم شارع الأوبرا

وهذه المرة نشطت العاصمة الفرنسية نشاطاً حاداً . وعندما أعلن البوليس ـ مثلما حدث فى الجريمتين السابقتين ـ عجزه عن اقتفاء أثر المجرم . ضج الجمهور وطلب برفت رجال البوليس جملة واحدة. و بديهى ان هذا الطلب لم يكن يقل عن طلب اسقاط نابليون الثالث عن العرش . بل قد يكون الامر الثانى أقرب منالا من الأول . وانما لسنا نغمط هذا الامبراطور فضله . فنقرر هنا انه اشترك قلبياً فى الاسى والمطالبة بدم الضحايا فى هذه الحوادث

واستدعى المسيو كلود ـ رئيس قوة البوليس السرى ـ الى التويلرى (١) و بالرغم من كفاءته المشهودة فانه قد اعترف بعدم مقدرته على حل معميات هذه الجرائم . وكل ما استطاع أن يزعمه فى شىء من الثقة هو أن الجرائم الثلاث قد

(١) مقر الامبراطور الرسمى

اقترفتها يد واحدة . بنفس الجرأة . مصحوبة بنفس الاحتياطات من عدم وجود أى أثر يدل على الفاعل . وقال « اذا كنا حاصلين على أدق الاوصاف للقاتل ،واذا كانت هذه الاوصاف تشير الى أقبح الوجوه وأ كثر الجسوم تشوبها وأشدها مسخاً فاننا لن نستطيع بواسطتها معرفة المجرم من بين المليون ونصف المليون نسمة من سكان باريس . اللهم الا اذا كان ينتمى الى فئة المجرمين معتادى الاجرام . وأنا شخصياً واثق أنه لاينتمى الى هؤلاء . وإنما هو شخص مصاب بجنة في عقله . وفى الاوقات العادية يكون عاقلا كبقية الناس . فالصدفة . . الصدفة وحدها هى التى ستوقعه في أيدينا » ـ وقد برهنت الحوادث التالية على صدق وجهة نظر المسيو كلود . فان الصدفة . والصدفة وحدها هى التى أوقعت جوزيف فيليب في يد العدالة

وقد كانت هناك ثلاث نسوة على الأقل فى موقف يستطعن معه إعطاء وصف للقاتل . غير أن خوفهن من انتقامه كان يمنعهن عن ذلك . فلما انقضى ذلك الخوف .واصبح القاتل غير قادر على ضررهن . أدين شهادتهن ضده كما سيجىء . على أنه قد اشتهر عن الفرنسيين أنهم لايميلون كثيراً إلى مساعدة رجال البوليس . وقد نشرح لك أسباب ذلك فى فرصة أخرى

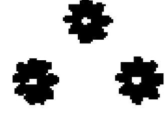
فانه فى أول مارس من العام نفسه رافق فيليب الفتاة [1] هيلين ميراند حيث رضيت أن يذهب معها الى منزلها . على أنه لم يكد يطأ أرض غرفتها حتى ندمت على ذلك أشد الندم . ثم تركت الرجل الغريب فى غرفتها ونزلت الدرج واستودعت احدى صويحباتها الساكنة معها فى المنزل مدخراتها البالغة ثلاثين فرنكا . قائلة لها انها لاتشعر بالارتياح لهيئة زائرها . ولقد صدقت نبوءتها اذ حاول الخبيث خنقها . ولم ينجها من شر الخاتمة التى لحقت من تقدمنها الا مقاومتها الشديدة اليائسة . لأنها كانت طوال الوقت محاذرة منه . فما كادت

---

(١) يطلق لفظ فتاة عند الافرنج على كل آنسة او سيدة لم تتزوج

تبدو منه أول بادرة منبئة عن نواياه الحقيقية حتى صرخت بأعلى صوتها . فغادر الشرير الغرفة بهدوء . وحينئذ ، بدلا من أن تذهب هيلين إلى البوليس لتبلغه الحادثة ، اكتفت بتحذير فتاة أخرى تحترف نفس المهنة !!

ومهما يكن فى الأمر من غرابة فان الحقيقة هى أن أغلب هاته النسوة التعسات اللأتى يدرن حول الحى المعروف — شارعى دوميل وسانجوزيف — يظهر أنهن كن يدركن أن الرجل الذى يبحث عنه البوليس بشأن مقتل جان هريس ومرغريت لافيولينويل هو ذلك الذى يحوم حولهن اثناء الليل. فيمنعهن الخوف عن قبول أى مبلغ منه مهما كان جسيما ومقدما — ومع ذلك فلم تكلف واحدة منهن نفسها مؤونة ابلاغ أمره الى البوليس



ولم تقف الحوادث عند هذا الحد . فقد ظهر فى الخامس عشر من شهر ابريل التالى أن قائمة الضحايا زادت واحدة . وذلك على الرغم من أن احدى صديقات جولى روبرت — الضحية الرابعة — وهى الفتاة مورجاند كانت قد رفضت قبل يومين من مصرع صديقتها قبول دعوة فيليب لمرافقتها . على انها — كما قدمنا — لم تخبر أحداً بذلك الا بعد أن قبض عليه . وأمنت شره

وجولى روبرت ، ولو أنها لم تكن من طبقة أرقى من الطبقة التى اختيرت منها الضحايا الثلاث السابقة ، كانت تمتاز على زميلاتها من بعض الوجوه ، فقد كانت تقيم في منزل مؤسس تأسيساً حسنا ، فضلا عما كان عندها من الفساتين الغالية ، وخمسين جنيها من ورق البنكنوت — وهذا يؤيد نظريتنا السابقة من أن أفراد الطبقة السفلى فى فرنسا يميلون الى الاقتصاد والادخار

والظاهر أن المجرم فتش دولاب الملابس تفتيشاً بسيطاً فحسب . لأنه لم يعثر على النقود التى كانت قد نقلت الى مكان آخر . وربما أنه لم يشأ الاقامة طويلا . وقد كان يستطيع أن يفعل ذلك دون : خوف . فأن الجثة لم تكتشف

إلا بعد ستين ساعة من وقت الوفاة . وقد كان حتى هذا بمجرد صدفة . إذ كانت جولى روبرت قد اعدت العدة للانتقال من منزلها فى يوم اكتشاف جثتها. ولذلك فان سائق العربة الذى حضر لنقل الاثاث هو الذى أبلغ الحادثة إلى رجال البوليس . ولولاه لبقيت الجثة فى مكانها أسبوعاً أو شهراً دون أن يعلم أحد عنها شيئاً

ثم يقول الفرنسيون ان نظام وضع البواب على المساكن هو الحماية لارواح السكان وامتعتهم . فانظر إلى ماقاله لى صديق مغرم إلى حد ما بالمتناقضات ، وقد أقام ردحاً من الزمن ليس بالقصير فى باريس : « إن خير وسيلة تضمن بها سهر البواب على حياتك وامتعتك هى ان تبقى دائماً مديناً بأجر ثلاثة شهور لصاحب الملك الذى تسكنه »

ولكن جولى روبرت كانت فتاة تدفع المستحق عليها فى حينه . وعلى ذلك فان البواب « لم ير شيئاً . لم يسمع شيئاً . لايعرف شيئاً »

وفشل البوليس كالمعتاد . وبلغ من حضور ذهن المجرم واحتياطه أن غسل يديه فى صحن قبل ان يفتح ادراج الدولاب حتى لا يترك عليها أثراً من أصابعه الملوثة بالدماء

واجتمع رؤساء الشرطة فى مكتب كبيرهم المسيو كلود . وجعل كل منهم يقترح تدبيرا . والمسيو كلود صامت يصغى . وأخيرا هز رأسه فى كآبة قائلا : « إننا لو رصدنا له مائة سواء من البوليس السرى الرسمى أو المتطوع . فى مائة موضع . لما استطاعوا القاء القبض عليه . وها أنذا أخبركم ماذا يحدث لو فعلنا ذلك . إنه سيعلم بامركم فيترككم وشأنكم فى الحى الذى تتربصون له فيه . ويذهب للعمل فى حى آخر . ومن يدريكم متى يكون ذلك ؟ فقد تمضى شهور قبل أن تعاوده النوبة . والحق أنه لاأمل لنا في القبض عليه مادمنا لم نعثر على أى أثر له من سكين أو منديل أو قبعة . كما أنه ليس له شريك يغدر به ويسلمه »

وكان المسيو كلود صادقاً فى استنتاجاته هذه أيضاً . فقد انقضت أربعة أشهرعلى الحادثة الرابعة . ونقل القاتل ميدان أعماله من قلب باريس الى حدودها الشمالية الشرقية . ووجدت مارى هيلى فى الحادى عشر من شهر أغسطس من نفس السنة فىحالة مماثلة لاحوال الضحايا التى تقدمتها . على عنقها نفس الآثار . ونفس الجرح المخيف من تحت إحدى أذنيها الى ماتحت الاذن الاخرى ... الخ ... الخ . و بالاختصار يظهر ان القاتل قد وطن نفسه على الاستخفاف بالبوليس . وكأنما كان يلقى قفازه فى وجهه

***

وانتشر الرعب فى كافة انحاء المدينة العظيمة . وجعلت الطبقة الدنيا من المنبوذات تزاول تجارتها بفرائص مرتعدة

وقد أدى هذا الرعب الى الحصول على وصف للقاتل . ولكنه لم يؤدى الى القبض عليه . إلا أنه كان على كل حال أول بصيص من نور تفتحت عليه أعين رجال البوليس

فقد حدث بين الساعتين السادسة والسابعة من صباح اليوم السادس من شهر نوفمبر من السنة ذاتها ؛ ان سمع سكان شارع سان مرغريت ـ الواقع فى حى سان انطوان ـ صراخا عاليا مرعبا صادرا من احدى غرف الطابق الثانى

وشارع سان مرغريت هذا . والأزقة والحوارى المجاورة له . كانت ولاتزال تقطنه جماعات ملتقطى الخرق والاشياء الرثة البالية . وهذه الجماعات لم تتعود على حسم مايقوم بينها، من نزاع أو خلاف عائلى بالطرق الودية . ولذلك فان الصراخ مهما تعالى وتكرر . ومهما اقترن بفرقعة كسر الأوانى والصحون . فانه قلما يسترعى أى التفات من الجيران . ولا يجلب تدخلا من أحد منهم بأى حال

وهم بالطبع لم يخرجو على المألوف فى الحادثة التى نحن بصددها . بالرغم من رنين صيحات طفل عالية صادرة من أعماق قلبه فيكاد يغطى على صراخ امرأة ممتزج به

وبعد عشر دقائق مر جماعة من العمال . وشاهدوا خيال امرأة في النافذة المفتوحة ممسكة بضلفتها . تتفرج شفتاها ببطء ويقتلع حلقها عن أصوات هائلة . و بينما كان العمال ينظرون الى فوق اذ بندوف ساخنة تتساقط على وجوههم . فيمسحونها و يتبين لهم انها حمراء . فيقولون « لقد بكرت اللعينة بالشراب » . وهكذا يحسبونها خمرا . فينهبون الى حال سبيلهم

و بعد برهة . بينما كانت البوابة تكنس الدرج اذا بها وجدت مفتاحا في كومة الزبالة عند نهايته . فلقطته وسلمته الى حبيب مدام مادج ـ الذي يتفق حضوره في هذه اللحظة ـ وقالت له انظر ! هكذا تضيع المفاتيح » . ولا تشير بحرف واحد الى الصيحات التى سمعتها هى وجميع أهل المنزل في مخدع مدام مادج . فلم يحفل بها واحد منهم

ولسنا نصف المنظر الذي وقعت عليه عينا الحبيب عند ما دخل الى مخدع حبيبته . فقد جاء وصف هذا المنظر فى صحف باريس مفصلا . ويتبين منه ان المعركة التى قامت بين المرأة وقاتلها كانت هائلة . لان قطة اتفق وجودها على الفراش وقتئذ قد سحقت سحقا . وقطعت الام وطفلها أربا أربا . وقال شاهد عيان ان « الدم انشأ بركا حقيقية » . وظهر ان القاتل فتش دولاب الملابس كالمعتاد . وحمل ما خف حمله وغلا ثمنه . وكذلك النقود . على أنه لم يترك وراءه أثرا يستدل منه عليه

وقد كان عقب وقوع هذه الجريمة بثمان واربعين ساعة ان وصل الى البوليس بيان مسهب به وصف للقاتل بتوقيع جوز فين فوش التى كانت قاب قوسين أو أدنى من الوقوع بين مخالب فيليب في مساء السبت الذى قضت مدام مادج نحبها فى الصباح التالى له . وها هو نص بلاغ الفتاة فوش بحذافيره . وهو مؤرخ فى ٨ نوفمبر سنة ١٨٦٤ :

« فى مساء السبت الماضى حوالى الساعة الحادية عشرة تقدم منى رجل

مرتد جلبابا في شارع سان مرغريت . قريبا من مسكنى . وطلب منى ان آخذه الى غرفتى . وما أن دخلنا الغرفة حتى عرض على ساعته الفضية وسلسلة وقطعة ذهبية بعشرين فرنكا . واخبرنى انه ليس لديه نقود صغيرة سوى فرنكين وطلب منى ان أصرف القطعة الذهبية . فلم اشأ ان اتركه فى الغرفة وحده لاسيما أنه ذهب الى السرير توا وتمدد فوقه . فتركت المفتاح خارج الباب وقلت له انى اشعر بتعب وظمأ شديدين . والحق انى كنت ارتعد من قمة رأسى الى اخمصى من الخوف . وكان هو يرتعد كذلك و يبدو عليه القلق والتردد . وخيل ألى أنه يهم بالاقدام على عمل . فلما ادركت هذا زاد خوفى وبالاخص ان صحتى ليست جيدة مطلقا . كما انى لست على شيء من القوة . و يحتمل ان يكون هذا ما اطمعه فى عندما وقع نظره على وهو يحادث مدام مادج . فتركها وجاء ليحادثنى . وقد لاحظت وقتئذ انه أخفى شيئا صلبا طويلا في أحد جيوبه . ولما نزلت معه الى حانوت الخمارة لصاحبة المنزل الذى اسكنه صممت على انتهاز الفرصة للهرب منه وأشرت للسيدة بذلك ففهمت أنى خائفة . وحينئذ أعطتنى شمعة . وأفسحت لى طريق بابها الخاص وراء خوان الخمر الكبير وانتهرتنى بصوت أجش « هيا اذهبى الى غرفتك ونامى » كأنها ارادت أن تفهمه أننى أقيم معها . فدخلت وما زلت خائفة اتمثل عينيه الواسعتين . ووجهه القاتم المتجهم الذى عليه قليل من آثار الجدرى . وأثر طويل لجرح قديم بعرض جبهته . وشعر مجدع وشارب منفوش — كل ذلك جعلنى أرتعد كالريشة فى مهب الريح عندما دخلت الى غرفة صاحبة المنزل . على أن ما أفزعنى اكثر من هذا وذاك هو الوشم الذى على ذراعه اليسرى . وهو عبارة عن زهرة تحتها هذه الكلمات « ولد فى ساعة منحوسه »

الى هنا انتهى البيان الاول لجوزفين فوش على أنها — بعد حين — عندما قبض على جوزيف فيليب كانت طريحة الفراش فى مستشفى تعالج مرضا خبيثا أصاب عينيها . ومع ذلك فانها عرفته لاول وهلة عندما ووجهت به . ولم

تزد كثيرا على ماجاء في بلاغها الا ما كان من أجابتها على اسئلة المحقق الذي ذهب لتلقي شهادتها. فقالت عن أسباب خوفها انها ليست واثقة تماما متى بدأ يساورها هذا الخوف الذي بلغ اقصاه عندما استلقى فيليب على الفراش فاتخذ وجهه صورة جهنمية . وانها في الوقت ذاته وقع نظرها على الوشم الذي على ذراعه فظنته احد المساجين خارجا حديثا بعد وفاء المدة المحكوم عليه بها وبالطبع «أنفت من ملامسة مثل هذا الرجل» واختتمت شهادتها بالعبارة الآتية : « وذلك هو السبب في أني تجنبت هذا الوحش الضاري الذي قضي على صديقتي وطفلها. لقد بكيت بكاء مرا على أختي وابنها . فكم ا كون مسرورة حين أرى رأس هذا الوغد تسقط في صندوق الزبالة » . وصندوق الزبالة هذا هو السلة الموضوعة بجانب المقصلة

وكانت جوزفين فوش تعتقد انها اذا لم تكن قد رفضت ماعرضه عليها فيليب فأن صديقتها مادج ما كانت تلاقي حتفها على هذه الصورة . فهي (جوزفين) قد رأته يحادث صديقتها اولا . ثم تحول اليها . وبعد حادث حانوت الخمارة صعدت جوزفين الى غرفتها ونظرت من خلال النافذة المطلة على الشارع تراقبه . فرأته يعود الى مدام مادج

بيد أن استنتاجات جوزفين قد نقضتها شهادات الخبراء اثناء المحاكمة . اذ قال هؤلاء ان فيليب قصد في تلك الليلة ان يقتل امرأتين : اذ كانت النوبات التي تعتريه فتجعله يتشوق الى القتل قد نمت وكبرت فاصبحت ضحية واحدة لاتشبع نهمته

وكان ضروريا ان تنقضي بضعة أشهر قبل ان تسقط رأس فيليب في صندوق الزبالة . فلقد قال المسيو كلود من قبل إن مجرد معرفة اوصاف القاتل ليست كافية للاستدلال والقبض عليه . وكان يشاركه في هذا الرأي قاض من اقدر قضاة التحقيق الذين انجبتهم دوائر التحقيق الجنائي الفرنسي على مدى الزمن هو المسيو دو جونيه . وهو لايزال يشار اليه بالبنان الى وقتنا هذا

فلما اشتد هياج الجمهور عقب نشر التفاصيل التي وردت في بيان جوزفين فوش دون ان يقبض على القاتل • وجعلت الصحف تنادى بلسان الشعب طالبة الاسراع فى وضع العدالة يدها عليه زاعمة ان مهمة البوليس اصبحت سهلة جدا بعد علم البوليس بوصف القاتل — لما حدث ذلك وضع المسيو كلود ـ ومعاونه المسيو «دوجونيه» — ردا جديرا بأن يحفظه رجال البوليس في العالم اجمع ليجيبوا به على نقادهم الذين لا يبنون نقدهم لعجز البوليس على اساسات فنية او منطقية . فقالا « انتم تقولون ان مهمتنا اصبحت سهلة جدا بعد نشر اوصاف القاتل . ونحن نعترف بذلك ولكن على شرط ان تعدونا بألا تغضبوا ولا تسيئوا فهم غايتنا اذا كنا نلجأ — لارضاء عواطفكم الى القبض على كل شخص واسع العينين . قاتم اللون متجهم الوجه الذى عليه قليل من آثار الجدرى وأثر طويل لجرح قديم بعرض الجبهة . وشعر مجعد وشارب منفوش . و بالطبع يسمح لنا الى جانب هذا بدخول المراقص الخاصة والمحافل العامة وأى مكان نرى ان نطرقه للبحث عن شخص بهذه الاوصاف . لأن هذه الجرائم ولو انه ظهر ان أغلبها كان مصحوبا بالسرقة فأننا نعتقد ان الدافع الرئيسي لارتكابها هو شيء آخر غير السرقة . حيث قد ثبت من الكشوف الطبية على الضحايا فيها ان الموت يقع اولا على أثر الخنق ، ثم يعمد القاتل الى قطع رقبة ضحيته وهى ميتة . وهذا يدل بوضوح على ولع بالجريمة . على ان هناك طريقة أخرى لتسهيل مهمة البوليس أيضا . هى ان يصدر مرسوم ملكي بقانون يحتم على افراد الشعب من الذكور لبس اكمام لا يزيد طولها على خمس سنتيمترات الى سبعة من الكتف . حتى بذلك يمكننا بنظرة واحدة أن نرى اذا كانت ذراع الرجل موشومة . تخول لنا السلطات الى جانب هذا دخول البيوت وتفتيشها ، اذ المنتظر ان يختفى المجرم المطلوب داخلها اذا ما علم بالغرض من هذا القانون »



فهذا الرد ليس بارعا فحسب . بل أنه منطقى كذلك . بيد أن اتساع نطاق

نشره — مع احتوائه على استنتاجات البوليس وقاضي التحقيق بشأن المجرم — قد يكون ذا أثر في التقليل من قيمة جهود البوليس التي يبذلها عادة في طي الكتمان على ضوء مثل هذه المعلومات

وفي الحق ان البوليس الفرنسي قد درج على خطة في مباحثه الجنائية قلما وجد لها نظير في الممالك الأخرى . فهو لا يضع العقبات ولا يقيم العراقيل في طريق الصحفي النشيط الذي لا يألو جهدا في اطلاع قرائه على أقصى التفاصيل واحدث الانباء . حتى انه (اى البوليس) يطلب في بعض الاحيان مساعدة الصحافة له في حل معميات الجرائم العويصة واماطة اللثام عن اسرارها . وقد حدث فعلا في عهد كانلر — سلف المسيو كلود — أنه كان الفضل لصحفي في اكتشاف جريمة من أفظع الجرائم واعقدها (١) . وبالطبع فأن البوليس الفرنسي لم يضع هذه الخطة اعتباطا . فأن المعروف هو انه ليس هناك من هو اكثر اهتماما من المجرم نفسه بمتابعة قراءة تفاصيل جريمته كما تنشرها الصحف . وكثير من المجرمين قد دفعهم الاهتمام بما يدور حول جرائمهم — لاسيما إذا كان في هذه الكتابات أثر يشير اليهم — الى الكتابة للصحف بعبارات يحاولون بها تضليل البوليس والمحقق وتحويل نظرهما عن الطريق الصحيح المشار اليه . ويلزم في مثل هذه الأحوال ان يكون محرر الجريدة نفسه ذكيا . يدرك ما بين السطور بلمحة . وحينئذ يكون المجرم كمن يسلم نفسه بنفسه

على أن فيليب قد علم بنشر تفاصيل اوصافه في طول البلاد وعرضها . وان جمهور باريس فضلا عن بوليسها قائم قاعد في طلبه . فلم يحرك ساكنا . ولم يكتب حرفا للصحف . وإنما غير ميدان العمل ومديده الأثيمة للغرب في مواطن أخرى . وقضى أكثر من أربعة عشر شهرا أخر يرتكب جريمته مرارا وتكرارا بشجاعة أحرزت اعجابا بقدر ما أثارت من فزع

---

(١) وسننشر هذه القصة في حينها

كان حي سنت أونور أيام صولة الامبراطورية الثانية (١) أكثر ارستوقراطية مما هو الآن . وشارع فيل لافيك معتبر من أحسن شوارعه . ولكن القارىء الذى لايعرف القليل عن الحياة الباريسية ولو من الأوصاف التى يطالعها عنها في الصحف والقصص يستطيع أن يخبرك كيف يجاور الفقراء الأغنياء . والادنياء النبلاء فى مساكنهم . والحق أنه ليس فى العالم مدينة اكثر خلطاً بين طبقات ساكنيها من باريس وعلى الأخص احياءها الممتازة الوجاهة

أذن فلا غرابة أن تجد المنزل رقم ٥٤ مندسا بين قصور شارع فيل لافيك هذا. مع أنه ليس منها في شيء . ولكنه على كل حال بناية معتدلة . يسكنها فريق من أهل الطبقة الأقل من المتوسطة . وعدد من صغار مستخدمى الحكومة فى وزارة الداخلية التى يفتح بابها الخلفى فى نفس هذا الشارع . وبعض ذوى المرتبات السنوية الضئيلة .. الخ .. الخ . وفى نهاية فناء وزارة الداخلية الخلفى يوجد مكتب يقيم فيه ضابط نقطة البوليس . والديدبان الذى يقف على بابه يستطيع أن يرى الداخل الى العمارة رقم ٥٤ والخارج منها .

وكانت فيكتوار مارى بودو تقيم فى مسكن صغير يحتوى على عدة غرف فى الطابق الثانى من العمارة . وفيكتوار هذه ربما تكون أحسن حالا من معظم أفراد طبقتها على أنها لا تمتاز عليهن سواء فى مظهرها أو فى أخلاقها .

وفى الطابق الثالث منها في مسكن صغير مماثل لمسكن فيكتوار يقيم تاجر متقاعد . ناهز السبعين من العمر . اسمه ما لوازى . ويرجع تاريخ علاقاته بفيكتوار بودو الى عشرين عاما خلت . والظاهر أنه كان يحبها كثيراً . ولكنه مع ذلك كان يسمح لها بالاستمرار فى مزاولة مهنتها المخجلة .

وللحياة سبل ووجوه متعددة في العواصم والبلاد الكبرى فى مختلف الممالك

---

(١) اول امبراطورية فرنسية هي التى اقامها نابليون بونابرت . والثانية هذه هى التى اعلنها حفيده نابليون الثالث فى ٢ ديسمبر عام ١٨٥٢ الى ان سقطت اثناء الحرب السبعينية المشهورة فى ٤ سبتمبر عام ١٨٧٠

لا سيما باريس التي اذا لم يكن المرء يكتب عنها فى رسالة غرضها استعراض الفضائل على ضوء ضدها لتندى جبينه عرقا اذ يصفها و يخطها قلمه

وفي مساء اليوم الثامن من شهر ينايرسنة ١٨٦٥ حوالى الساعة الحادى عشرة منه يظهر أن فيكتوار التقت بقاتلها فى شارع فيل لافيك ذاته . فقد قال الديدبان الذى كان واقفاً ساعتها على باب وزارة الداخلية الخلفى أنه رآهما يدخلان المنزل سويا . و زاد على ذلك قوله : والظاهر أن الرجل يعرف المنزل جيداً لأنه سبقها فى الدخول اليه » وبعد ساعة ونصف ساعة كان مالوازى ينقر على باب ضابط نقطة البوليس . ومن ثم أخبره أن فيكتوار بودو قد قتلت في مسكنها وكان منظر الغرفة عندما دخل اليها الضابط رفقة ما لوازى مفزعا للغاية . فقد كان الجسم لا يزال حاراً وهو ملقى على أرض الغرفة الثانية من المدخل . وكان ظاهراً أن فيكتوار خنقت أولا لأن لون وجهها كان قاتماً . ثم جزت رقبتها من تحت إحدى أذنيها الى الأخرى . وكانت السجاجيد غارقة بالدماء . واختفت أغطية الفراش البيضاء و أكياس المساند الملطخة بآثار الدم . وقلب دولاب الملابس رأساً على عقب . وبالجملة فقد كان كل شيء في الغرفة دليلا محسوساً على شدة الكفاح بين الضحية وقاتلها . الذى لم ينس حيطته المعتادة من غسل يديه قبل أن يعمد الى تفتيش انحاء المكان . وقد ثبت هذا من عدم وجود أثر لأصابعه حيث فتش ونقب . و بينما وجد صحن كبير مملوء ماء و رديا فى ركن من الغرفة . على أن القاتل في هذه المرة قد فاته ما لم يفته فى المرات السابقة من حيطته تلك هى أنه نسى الموسى التى قطع بها أوصال ضحيته

و وقعت الشبهة أولا على مالوازى ولكن ما عرف عن قوة فيكتوار وشدة ساعدها . فضلا عن أنها لم تتجاوز الثامنة والثلاثين من عمرها . بينما حبيبها القديم كان على العكس من ذلك تماما . يضاف الى ذلك ما عرضه ما لوازى نفسه في سبيل التدليل على حزنه الشديد على فقد حبيبته فضلا عن براءته ــ كل

ذلك قد أقنع الضابط المحقق ببراءته وتصديق البيانات التي القاها متطوعاً وهاكها:

قضى مالوازى ذلك المساء مع جماعة من أصدقائه — ذكر أسماءهم ووصل إلى المنزل قبل الساعة الثانية عشرة عند منتصف الليل ببضع دقائق. فقرع فى طريقه إلى مسكنه على باب فيكتورا بودو. فلما لم ترد شعر في نفسه بدافع حرك يده فأدارت أكرة الباب الذى يفتح رأساً على غرفة الاستقبال السابقة لغرفة النوم. ولم يكن الباب مغلقاً بالمفتاح. فانفتح بأدارة الاكرة. وحينئذ نظر مالوازى فرأى رجلا أجنبياً واقفاً أمام المرآة يصلح رابطة رقبته. فانسحب مالوازى بفطنة عازماً على العودة بعد فترة قصيرة. وعندما عاد كسابق عزمه وجد المنظر الموصوف قبلا

ولم يكن البوليس بحاجة الى الحدس والتخمين لمعرفة القاتل لفيكتورا. فقد كانت جميع الدلائل تشير إلى أن هذه الجريمة قد اقترفتها اليد التي ذبحت المنبوذات السابقة لها. ولم تساعد موسى الحلاقة التي ذبحت بها فيكتورا وعثر عليها البوليس على الاستدلال على أثر. لأنها كانت من تلك الأمواس العادية التي تباع فى كل مكان. ولم يكن عليها من علامة سوى وشم المصنع الذى اخرجها. ولم يفده شيئاً ان كيس نقودها سرق وبه مائة فرنك ذهباً. فقد كان الكيس هدية من مالوازى. ومن الجائز ان يتخذ قرينة اذا وجد — ولكنه يجب أن يوجد أولا

*

* *

وسلم البوليس بعجزه فى هذه الحادثة كالمعتاد. إلى أن كان اليوم الحادى عشر من شهر يناير — أى بعد ثلاثة أيام من الحادثة السابقة — حيث قبض فى ضوء نهار ذلك اليوم على رجل فى حى سنت جرمين. وقد ضبط بينما كان يجرى وو راءه مطاردوه. فاعترض طريقه شرطى الدورية فى ركن شارع جاكوب. والقى القبض عليه. ولما سيق إلى مركز البوليس وفتشت جيوبه وجدت معه

سكينة طويلة حادة من النوع الذى يستعمل فى الموائد الكبيرة .

و وجد معه كذلك كيس مسند صغير من قماش كثيف رمادى اللون .

وهو رجل معتدل القامة له مشية عسكرية ولا يبدو عليه انه جاوز الخامسة والثلاثين.

والتهمة التى قبض عليه حينئذ من أجلها هى الشروع فى قتل وسرقة مدام ميدى . وهى رسامة تقيم في شارع أرفور

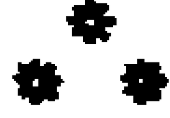
وكان المتهم مستخدما عند تاجر أطارات ومذهباتى يدعى دانجلتير . حانوته فى شارع السين . والمجنى عليها فى هذه الحادثة — مدام ميدى كانت ولا تزال من عملاء هذا التاجر . وقد عرفها المتهم وعرف مسكنها — وهو محل عملها في الوقت ذاته — من تلك الطريق

و بعد ظهر ذلك اليوم الحادى عشر من شهر يناير عام ١٨٦٥ ذهب المتهم إلى دار مدام ميدى وقرع على بابها . ففتحته له السيدة بنفسها .وحينئذ اعتذر لها عن زيارته زاعماً أنه في مرة سابقة نسي — لايدرى إذا كان عندها أو عند سواها — بعض الأدوات . وطلب اليها أن تسمح له بالبحث في مكتبها. ودخل ودار قليلا فى الغرفة وحينئذ أخرج كيس المسند من جيبه — وهى تراقبه من طرف خفى — ثم تقدم منها وسألها عما إذا كان هذا الكيس لها . فظنت السيدة أنه انما يريد مداعبتها على أساس هذا الادعاء الواهى. فأشاحت عنه بوجهها . وانكبت على عملها . فلم يضع الرجل الوقت . وانقض عليها . ورمى كيس المسند فوق رأسها . واضعا احدى يديه على فمها . ومحاولا خنقها بالأخرى . فسقطت مدام ميدى على الأرض ولكنها كافحت كفاح المستيئس لتخلص نفسها من بين يدى المعتدى عليها فكزت بأسنانها على أصابعه بآخر قوتها حتى كادت تقطعها

وكان رسام زميل لها . يفصل مكتبه عن مكتبها حائط رفيعة. قد سمع صيحات الاستغاثة . وحاول ان يدخل لنجدة زميلته . على أنه وجد باب مكتبها مغلقاً

بمفتاح من الداخل . فقرع جرس مكتبه وواصل قرعه فلما لم يفتح له أحد ذهب فأطل من النافذة مناديا البواب ، ثم عاد الى الباب زميلته يقرعه قرعا متواصلا . ففتح هذه المرة من الداخل . وبدا منه رجل هادىء . منتظم الهيئة . وتقدم الى الرسام المضطرب قائلا : « لا تتعب نفسك أيها الصديق . فهى مريضة وأنا ذاهب لاستدعاء الطبيب » . قال ذلك ونزل الدرج بهدوء تام .

على أنه ما كاد يبلغ أسفله حتى كانت مدام ميدى قد أفاقت قليلا من اغمائها وجعلت تصيح فى صوت متهدج « قفوه . . . قفوه . . . اقبضوا عليه ! » فطار عدد من جيرانها الذين كان صراخ جارتهم قد أزعجهم ـ طاروا جريا وراءه وأخيرا قبض على جوزيف فيليب في زاوية شارع جاكوب



وانقضت عدة ساعات عليه فى السجن ولم يخطر ببال أحد مطلقا أنه هو نفس الرجل الذى أوقع الرعب والفزع فى باريس أربع سنوات متوالية أو يزيد . فلم يعرف ذلك حتى فتشت غرفته وشاورت المسيو كلود الشكوك فى أمره . وقد قال رئيس البوليس بعد ذلك فى هذا العدد : « من تلك اللحظة . ومن تلك اللحظة فقط أصبحت مهمتنا سهلة »

وبالرغم من أن تحضير القضية قد استغرق خمسة أشهر . فانه لم يبق ثمت أدنى شك فى أن جوزيف فيليب هو مرتكب جميع تلك الجرائم

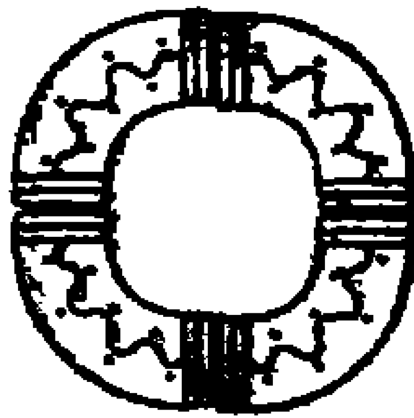
وكانت أكبر الأدلة على أدانته في الجرائم السابقة على مصرع فيكتوار بودو وهى شهادات الفتاة فوش وكواءة . وخياطة . وشهادة الاولى قد اثبتناها بنصها فى أثر سردنا قصة الضحية السادسة من ضحايا هذا الشرير . وتتلخص شهادة الثانية في أنها نظفت لجوزيف فيليب ثيابا ملطخة بالدماء فى تاريخ يتفق مع تاريخ ارتكاب احدى الجرائم . وشهدت الثالثة بانها ثنت حرف منشفة لجولى روبرت . وقد ضبطت هذه المنشفة عند جوزيف في مسكنه. وقد أصر فيليب

على انكار معظم التهم التى وجهت اليه . ومع ذلك فان سلوكه فى السجن كان داعيا الى الاحترام . وشهد كثيرون من رؤسائه السابقين أنه كان خادما أمينا نشيطا مثابرا على عمله . وأن الخمر هى التى بدأت بتقويض حياته الهادئة الوادعة . وأصابته بتلك النوبة والولع بالقتل وسفك الدماء

وكان منظره وهو واقف فى القفص يوم المحاكمة يطابق تماما الوصف الذى أعطته عنه جوزفين فوش . وقد حكم عليه بالاعدام في الثامن والعشرين من شهر يونيو عام ١٨٦٦ ونفذ فيه فى منتصف شهر يوليو التالى

وقد لقى حتفه برباطة جأش وفى الحق أن المسيو كلود وكثيرين غيره من الاخصائيين الثقات ممن أقبلوا على دراسة نفسيته دراسة متينة اثناء سجنه . أعربوا عن رأيهم فى صراحة « أنه كان مسروراً بموته » لان حياته دون أشباع نهمته وارضاء ولعه تكون متعبة له ومضنية

احمد مختار



فهرست الموضوعات

تابع الفهرست

فهرست الصور

ANCORA IMPARO



العصور

٢٨-٩-٣٨

ديسمبر ١٩٢٨ اعرف نفسك بنفسك : فيثاغورس العدد ١٦ مجلد ٣

أثر المناخ

فى مستقبل الامم

مترجمة عن مقال بقلم الزوورث هونتنجتون

— ١ —

يتوقف تكون الامم وانحلالها على خمسة مؤثرات اساسية . اولها المؤثر الجغرافي وثانيها البيولوجى أو الحيوى وثالثها الانثرو بولوجى أى الانسانى ورابعها الاجتماعى وخامسها البسيكولوجى او النفسى . وقد يباين بعض هذه المؤثرات بعضاً ويختلف تأثيراً فى طبائع الامم . ولكن كلا منها لابد من ان تؤثر فيه بقية المؤثرات الاخرى تأثيراً ما . غير انى ارى ان المؤثر الجغرافى يكاد يكون اكثرها استقلالا واقلها اتصالا ببقية المؤثرات التى عددناها . وعلى الرغم من ان الانسان يتأثر جد التأثر بتغايرات الطقس على اختلاف درجاتها ، من زمهرير العصور

الجليدية الى رمضاء هذا العصر ورياحه السموُمية ، فانه لا يستطيع أن يغير من الطقس فيجعله أكثر ملاءمة لرغباته ، واشد موافقة لحاجاته ، او يمنع تأثيراته الجلي فى حالاته . غير انه بجانب هذا يستطيع ان يقطع الغابات ويجلوها عن سطح الأرض ، ويقدر على أن يقتل الحيوانات ، وان يضعف عناصر الارض ، وان يحتكم فى العضويات التى تنشر الأمراض ، فيحد من توزعها الجغرافي بالوسائل العملية .

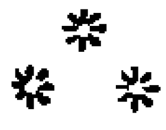
اما المؤثر البيولوجى او الحيوى فيختص بكل العوامل التى تهذب ضروب الوراثات الانسانية ، كالتغاير الفجائى والانتخاب بصوره العديدة ، طبيعى وغير طبيعى ، والزواج وتلاقح السلالات البشرية . وجماع هذه العوامل الطبيعية وغيرها ، هى العدة التى يعتمدها المؤثر البيولوجى لتظهر آثاره فى حياة الانسان وكذلك المؤثر الانثروبولوجى أى الانسانى ، فانه يتضمن كل العدد التى يتسلح بها الانسان ازاء القواسر الطبيعية المباشرة كالطعام والكساء والمسكن والأدوات والفنون والاختراعات الميكانيكية

أما المؤثر الاجتماعى ، وهو ذلك المؤثر الذى يتناول كل النظامات الانسانية والعلاقات التى تقع بين الافراد الذين هم تابعين لجمعية بعينها ، فذا آصرة قريبة بالمؤثر الانثروبولوجى ، بل يكاد يكون مندمجاً فيه : أما أوجه النشاط الاخرى التى تبدو فى أفق الاعمال الانسانية فيتضمنها المؤثر النفسى أو البسكيولوجى . ومن هذا المؤثر يتكون ما نسميه «روح العصر» Spirit of the age تلك الروح التى تظل متراوحة غير مستقرة على الرغم من كل المؤثرات الأخر .

ويصعب عليك أن تعين فى كثير من الحالات الى أى مؤثر من هذه المؤثرات يعود حدوث ظاهرة ما من الظاهرات الانسانية لان هذه المؤثرات قد تشترك فى احداث كثير من الحالات التى نشاهدها . والواقع ان السبب فى اخفاق الكثيرين من الفلاسفة فى وضع مذاهب ثابتة في فلسفة التاريخ راجع

الى أنهم لا يجعلون لهـذه المؤثرات في مذاهبهم قيمة متسلسلة متكافئة . فهم لايسوون بين تأثيراتها و بذلك يخفقون فى إدراك قيمة نتائجها . ونجد أن كثيراً من المؤرخين والفلاسفة يذهبون الى أن المؤثر البسكيولوجي هو أعظم المؤثرات فعلا واثبتها نتائجاً ، واليه يعزون الجزء الاكبر من الظاهرات التي يقعون عليها فى نظام الاشياء الانسانية . بينما هم يعزون الجزء الآخر الى عامل إقتصادى يرون أنه نتاج لمزيج من الفواعل الجزئيـة التى تعود الى المؤثرات الانثروبولوجية والاجتماعية والجغرافية . وموقفهم هذا أشبه بموقف عالم فزيولوجي يعمد قائماً إلى مناقشة يتناول فيها بحث الجهاز العصبي ونظام الدورة الدموية والتنفس على اعتبار ان هذه الاشياء وحدة كاملة ، ثم يهمل الكلام في نظام التغذية والاجهزة التناسلية وما الى ذلك من نظامات الجسم الانسانى .

أما الغرض من مقالنا هـذا فمحاولة نرمى بها الى القول بأن الاكباب على كتابة التاريخ من تلك الوجهة النظرية التى توحى الينا بها تلك المؤثرات الكبرى التى أهمل شأنها المؤرخون والفلاسفة ، قد يمكن أن يزودنا بما نستطيع به الافصاح عن كثير من مشكلات العصر الحاضر .



أن من اكبر مستكشفات العصر الحاضر أثراً الوقوف على تلك السنن البيولوجية الخاصة بالحدود المناخية وفعل المناخات المختلفة في الاحياء . ولقد عرف الباحثون أنه خضوعاً لقانون « الحدود المناخية » وخضوعاً للمؤثرات المحيطية أو بالاحرى مؤثرات البيئة بالتبعية لذلك القانون ، قد يحدث أن يصبح تأثير المناخ ذريعاً ، حتى لقد يتعذر معه أن تحتفظ الحياة بكيانها وقوامها ، فإن قليلا من الحيوانات والنباتات ما يستطيع أن يقاوم حرارة تبلغ درجة ١٠٠ بميزان فارنهيت ، وأن أكثر الاحياء تموت سريعاً من تأثير البرودة الشديدة أو الجوع إذا ظل الاحترار — Temprature — على الدوام تحت درجة الجليد .

كذلك تمم في المستكشفات الحديثة على مايدعوه الباحثون « قانون الحد المناخي الافضل » — Law ofclimatic Optima — ويقصدون به أن المؤثر المناخي له حد أفضل يتراوح بين درجتين احترار يتين معينتين . أما الاغلبية الكبرى من الاحياء فيوافقها « حد مناخي أفضل » يقع بين درجتى ٤٠ و٩٠ بميزان فارنهيت . أما النباتات فالحد المناخي الملائم لها لا يتعدى ارتفاعاً عن ٨٠-٨٥ درجة بميزان فارنهيت . في حين أن دببة القطب وغيرها من الحيوانات التى تأهل بها المحيطات فلا يتعدى درجة ٤٠ هبوطاً . على أن « الحد المناخي الأفضل » الملائم للنماء او للنشاط الطبيعي أو للتأمل العقلي قد يختلف اختلافاً يسيراً واقعاً بين إحدى هاتين الدرجتين . غير أن هذا لا يؤثر في القانون العام ولا يخل بقاعدته الاساسية . ولا يغيب عنا بعد هذا ان البعد عن طرفى « الحد المناخي الأفضل » تكون نتيجته انحاطاً في القوى الحيوية . وكلما ازداد البعد عن هذا « الحد » كلما قلت الحيوية . فلانسان قد يشعر أولا اذا مابلغ أحد طرفى هذا « الحد المناخي الأفضل » بان عيشه غير هنى لان المناخ شديد البرودة أو شديد الحرارة . فاذا أخذ يبتعد عن أحد الطرفين فانه يكون اكثر تعرضاً لعدوى الأمراض، وأقل قدرة على العمل . ثم يتبع هذا اختلال في الوظائف الفزيولوجية ، لانه اذ ذاك يضطر الى الافراط في اجهاد عضلاته بالنشاط المستمر ليدفأ في البرد ، أو يجبر على ان ينهك رئتيه وقلبه و بشرته ليمنع الحرارة الداخلية من ان ترتفع ارتفاعا كبيراً في مناخ حار . وأول مايحدث لدى الابتعاد عن احد طرفى « الحد المناخي الأفضل » ان تزداد نسبة الوفيات بين الاطفال ، ممايستدعي ان تزداد نسبة المواليد ايضا بنسبة الوفيات ليمكن الاحتفاظ بنسبة غير زائدة ولا منقوصة من النوع . وجماع هذه العوامل لها نتائجها الكبيرة ولو ان الناس قليلا مايفطنون اليها . اما نتيجة بلوغ احد طرفى « الحد المناخي الأفضل » فاما الموت واما العجز عن التناسل .

هذه القوانين البيولوجية هي احدى القواعد الاساسية التي يقوم عليها توزع المدنية وقيام الامم وسقوطها فوق الارض . وقد يكون الانسان شيئا اكثر من حيوان . ذلك محتمل . اما الامر الذي لايحتمل شكا فكون الانسان شيئا اقل من حيوان . فان أوجه نشاطه الفزيولوجي تخضع لذات القوانين الطبيعية التي تحتكم في بقية الكائنات العضوية التي تعمر هذه الدنيا . اما البرهان الاقوى على هذا القول ، فتلك الاختبارات الاحصائية العديدة التي تناولت الانسان في علاقته بقانون « الحد المناخي الأفضل » . فقد دلت هذه الاختبارات على أن انسب احترار يمكن أن يتحمله البيض في شمال الولايات المتحدة اذ يكتسون بكساء خفيف واذ يكونون ساكنين في مناخ لايتحرك هواؤه ، لايمكن أن يزيد على درجة ٦٦ بميزان فارنهيت . فاذا كان الهواء اكثر جفافا أو اذا كان متحركا ، فان ارتفاعا قليلا في الاحترار يجعلهم يشعرون باقصى حالات الهناء . فاذا اكتسوا بكساء صفيق او كانوا مكبين على العمل ، فان هبوطا قليلا في الاحترار يكون اكثر ملاءمة لهم .

ودلت الاحصاءات العديدة اوضح دلالة على ان الصحة العامة تكون على أتمها اذا كان متوسط الاحترار خارج المنزل حوالى ٦٤ درجة بميزان فارنهيت ليلا ونهارا . اما داخل المنازل فان احترارا يبلغ ٦٠ درجة يكون باعثا لهم على النشاط في العمل وكثرة الانتاج . أما الاطفال ، سواء أفي باريس أم نيويورك ، فانهم يكونون اكثر من الحياة نصيباً اذا كان الاحترار حوالى درجة ٥٦ اما للاعبي كرة القدم والذين يضطرون إلى استخدام مواهبهم العقلية فان هبوط الاحترار قليلا عن هذا الحد يكون باعثاً لهم على اشد الاغتباط . فان القوى العقلية قد لاتنشط نشاطها اللازم عندما يشعر الانسان بانه ينتفض برداً وهو يتفرج على لاعبي الكرة في أحد الملاعب . غير أن طلاب العلم والمفكرين قد يجدون في

عقولهم من النشاط وفى نفوسهم فى الهمة قدراً كبيراً اذا بلغ الاحترار درجة ٤٠ خارج المنازل .فاذا اعتبرنا المعدات الحديثة فى الملبس والمسكن وجدنا أن الحد المناخى الافضل في الولايات المتحدة يتراوح بين درجتى ٦٦ و٤٠ بميزان فرنهيت تبعاً لطبيعة الأعمال . على ان هذين الحدين أبعث على العمل منهما على الكسل ، وأكثر ملاءمة للتناسل منهما للصحة ، وأشد موافقة للنشاط العقلى منهما للنشاط الجسمى .

إن الوجود الفردى والتناسل والمدنية ، ثلاث حالات من اخص حالات الحدود المناخية التى يقوم عليها بحثنا هـذا . فاذا نظرنا في الانسان المتمدين فى العصر الحاضر وأمعنا النظر فى حالاته المحيطة به حكمنا ان الحدود المناخية التى ينتهى عندها انتشاره لم توجد بعد في سطح الكرة الارضية . فانك لاتستطيع مثلا ان تعين مكاناً بلغ من البرودة أو الحرارة ، أو الجفاف أو الرطوبة ، أو هبوب الرياح أو سكونها ، أو التواتر او التغاير ، حداً لا يستطيع معه افراد من النوع البشرى أن يعيشوا تحت قواسره الشديدة . ففى الأزمان الأولى وفى العصر الجليدى على الأخص ، كان نصف الكرة الأرضية فى درجة من البرودة يتعذر معها على الرجل الهمجى الذى لم يتسلح بمعدات المدنية أن يعيش فيها ، وان لايتجمد دمه فى عروقه فيصل به الى الموت . وحتى عصرنا هذا نجد بقاعاً كغرنيلاندا والاقطار المتجمدة الجنوبية ، قد لاينجو من صقيعها رجل متمدين فى البيض هيء بكل معدات المدنية من الموت برداً إلا ويكون قد اجتاز عقبة كان فيها بين الموت والحياة ، اذا هو حاول ان يعيش فى تلك الاقطار سنة بعد اخرى . ففى امثال هذه البقاع يتعذر على اسر برمتها ان تعيش فيها . وانه ليكون بمثابة حكم بالانتحار اختياراً أن نحاول أن نعضد أسرة برمتها فى بقعة من بقاع الجمد الجنوبى ، مالم نستقوى على تأثير البرودة فيه بميئات مادية غير متيسرة لنا فى العصر الحاضر. ولايقل عن هذه المحاولة نزقاً ولا ينزل عنها حمقاً أن نجرب حياة اسرة في « وادى

الموت » حيث يرتفع ميزان الحرارة غالباً الى درجة ١٣٥ فارنهيت ، وحيث يكون فصل الصيف عبارة عن عذاب مستمر لان الأنسجة الحيوية تشعر على الدوام بتعطش إلى الماء مهما قبع الانسان منه ومهما جرع من كمياته . فى مثل هذه الاقطار يستطيع رجال من اكتملت مهيآتهم الجسمية أن يعيشوا وأن يقاوموا افعال المحيط . اما الامهات والاطفال فذلك عليهم من اعسر الاشياء . فان الحدود المناخية التى يستطاع معها التناسل والانتاج أضيق كثيراً من الحدود المناخية التى تتيسر فيها الحياة الفردية .

على أنك كلما اقتربت من تلك الحدود المناخية التى تتيسر عندها وجود الحياة الفردية أو استطاعة التناسل ، ازداد الاستعداد للامراض وتضاعفت بنسبة الوفيات وقل متوسط العمر . وفى هـذا دليل قاطع على أن النوع الانسانى ليس فيه من مخزون القوة الحيوية قدراً زائداً عن الحاجة بمقتضى البيئة التى ينشأ فيها افراده . ففى البقاع المتاخمة للجمد والجليد تستنزف قوى النوع فى سبيل المحافظة على الذات ازاء البرد القارس القتال ، وفى الصراع الذى يلجأ اليه الافراد إذ يغتذون بغـذاء غير كاف وعلى قدر مايسمح لهم به المحيط . أما فى البقاع التى تشتد فيها الحرارة فان النشاط الطبيعى للاجسام يسبب إرتفاعاً سريعاً فى درجة الحرارة يحدث شعوراً مستعصياً بالتعب والانهاك ، أو على الاقل زهد فى الميل إلى أى عمل من الاعمال أزيد مما تتطلبه الحاجة فى القيام بما يحفظ الحياة أو بعضد الاسرة . فى حين أن ازدياد مخزون القوة الحيوية ، و ازدياد المخزون من الثروة بالتبعية لذلك ، من الاشياء الاولية التى تقوم عليها المدنية . ولا جرم أن استنزافهما ، على مايظهر ، يؤدى إلى أضعاف القدرة على التقدم والارتقاء مادياً وروحياً ؛ بل إنه قد يفنى هـذه القدرة فناءاً تاماً . وهذا على أكبر المرجحات هو السبب الذى يعرفنا لماذا تكون الحدود المناخية التى تحد من انتشار المدنية اشد حدة وأبعـد أثراً من تلك الحدود المناخية التى تؤثر فى التناسل أو فى الحياة الفردية .

وعلى الضد من هـذا تجد الحال إذا نظرت فى الحدود المناخية الملائمة للحياة إذ تجد انها عامل من العوامل الكبيرة المؤهلة لازدياد مخزون القوة الحيوية. فان نظام الحياة العليا يمكن أن تنال ويمكن أن يتمتع بها الانسان، ومع ذلك تترك من وراءما تحتاجه من جهد قدر من النشاط كاف للاختراع ووضع الفكرات الجديدة والقيام بأعوص الاختبارات العلمية، وما الى ذلك من الأشياء. فكل شخص لا يعمل عملا يدويا لتأدية واجب الانتاج في الاغذية أو الاكسية أو المأوى؛ يعتبر قوة حيوية مخزونة فى جوف المجتمع.

اننا أحرار في أن نقوم بأعباء الدور الذى نريد القيام به فى سبيل الاخذ بناصر المدنية وترقية شؤونها ونظاماتها. أما هذه الحرية فنستمدها لدى الواقع من وجود عدد عديد من طبقات المجتمع الدنيا فيها من النشاط قدر يكفى لتزويدنا بما نحتاج اليه من طعام وغيره من الحاجيات المادية التى تزيد عن حاجة عائلاتهم فننتفع بما يزيد عن حاجياتها، عائلات أخر. على أنهم لم يستطيعوا هذا الانتاج الزائد عن حاجتهم الا لانهم يعيشون فى بيئة مناخها أكثر قربا فى المتوسط المرغوب فيه، وأشد بعداً عن الحدود المناخية التى تستنزف قوى الحياة.

ان السنن الطبيعية التى تصدق على الحرارة تصدق أيضاً على نسبة الرطوبة والاستعداد للتغايرات المناخية. فاذا أردنا أن نختبر حقيقة هذا القول بطريق عملى استبان لنا بالاحصاء الحسابى الذى يتناول العلاقة بين الصحة ومتوسط الرطوبة، أن الهواء المشبع بنسبة معتدلة من الرطوبة هو الانسب لمطاليب الحياة ما لم ترتفع درجة الحرارة. وكذلك نجد أن البقاع ذوات المناخ الجاف هى في الغالب أمكنة تسترد فيها الصحة ويتمتع فيها بالعافية؛ لا لأن الجفاف فى ذاته مفيد بل لأنه يجعل الحياة خارج المنازل مستطاعة محبوبة. فان المتوسط المرغوب فيه من الرطوبة فى مناخ لا يزداد احترار عن درجة ٧٠ لا يمكن أن يزيد عن ٨٠ الى ٩٠ فى المائة. وعلى هذا نجد أن أكثر الايام ملاءمة يوم تناد أثناء الليل

واحترار لا يزيد عن ٦٠ درجة ، ولا يزداد احتراره في النهار ولدى الظهيرة عن ٧٠ درجة أو أزيد قليلا مع نسبة ملائمة من الرطوبة لا تزيد على ٦٠ في المائة. على أنه يمكنك أن تلاحظ سير الايام حتى يمر بك يوم من هذا النوع وأنت تشعر بمقدار ما يتمشى في جسمك من صحة وما يسرى فى روحك من فرح وابتهاج .

وان مناخاً تقل فيه التغايرات لمناخ يكاد يكون أقصى ما يتطلبه المسنون والضعفاء . أما ماتتطلبه الصحة على وجه عام ، وما يلائم العمل المنتج المستمر والانتاج المفرط ، فمناخ مختلف عن هـذا تماماً . فقد يلاحظ دائماً ان العمال الذين يشتغلون « بالقطعة » فى المعامل ينتجون قطعاً أزيد فى يوم ينزل احتراره عما ينتجون فى يوم يظل احترارد مطرداً على وتيرة واحدة أو يرتفع قليلا . أما الدليل الاكبر على صحة هذه النظرية فنستمده من احصاء الوفيات اليومية في مدينة نيويورك . فان الاحترار اذا قلت تغايرات درجاته من يوم لآخر خلال فترة مقدارها عشرة أيام مثلا ، فان نسبة الوفيات تميل الى الصعود ، بصرف النظر عن الفصل السنوى نفسه . فاذا ازدادت تغايرات الاحترار وأمعنت فى الحدة فان نسبة الوفيات كذلك تكون مرتفعة ، ولكنها لا تبلغ نسبة الحالة الأولى . و بين هذين الحدين المفرطين ، من ضعف التغاير الاحترارى الى المبالغة فيه ، يكون الحد الافضل ، أو كما يقولون « النسبة الذهبية » . ففى خلال فصول الربيع والصيف والخريف تكون نسبة الوفيات فى مدينة نيويورك عند أقلها عند ما يكون معدل اختلاف الاحترار من يوم لآخر لا يتجاوز ثلاث درجات فقط . أما في الشتاء حيث تضطرد التغايرات الاحترارية المفرطة الناس الى المحافظة على أنفسهم والمبالغة في التدثر ، تكون نسبة الوفيات على أقلها عندما يكون معدل اختلاف الاحترار لا يتجاوز أربع درجات إلى خمس . ومن هنا نرى أن قابلية المناخ للتغاير السريع ، مثلها كمثل الاحترار والرطوبة ، لكل منها حد أفضل ، تضمحل الصحة الانسانية اذا بلغت احدى حديه المفرطين قلة وكثرة على مقتضى الحالات .

أما وقد وقفنا على طبيعة الحدود المناخية القصوى وحدودها الفضلى ، وجب علينا أن نبحث تغايراتها التي تختلف باختلاف الاماكن واختلاف السلالات البشرية. فان مثل هذه الاختلافات لجلية الظهور ، ولكنها لا تبلغ من الاثر ذلك القدر الذى ينسبه اليها الناس عادة . فالذين يعيشون فى فنلاندا مثلا يتمتعون بحد أفضل متشابه للحد الذى يتمتع به سكان صقلية مثلا . ومع كل هذا لا يشعر الفنلانديون أبدا أنهم على ما يرغبون من دفء ، لان احترار المناخ فى بلادهم لا يبلغ الحد الافضل حتى فى شهر يوليه . فى حين أن فصول الصيف فى صقلية تكون على الدوام دافئة جافة منزهة عن العواصف . وتجد فى مقاطعة فلوريدا بأمريكا ان لفافى التبغ الذين هم من أصل « كوبى » — نسبة الى جزيرة كوبا — يكونون اقدر على العمل اذا كان احترار المناخ أزيد خمس درجات عن الحد الذى يرغب فيه عمال نيو انجلند . اما الحالة في اليابان فتدل ، على قدر ما بين أيدينا من الاحصاءات ان الحد الأفضل بالنسبة اليهم يكون أقل مواقعة لامزجتهم ، عندما يكون احتراره أزيد قليلا عن الحد الملائم لامزجة الاوروبيين . وكذلك تجد بين زنوج الولايات المتحدة الامريكية أنهم لا يتمتعون باحسن صحة الا اذا كان متوسط الاحترار بنسبة خمس درجات أزيد عن الحد الاوسط الملائم للبيض .

فهل هذا الفرق الضئيل معناه أن الزنوج قد تطبعوا بالمناخ (تأقلموا تجاوزا) فى امريكا ؟ اذا كنت تعتقد بهذا فانظر فى حالات جزيرة جاوه . ففى هذه الجزيرة سلالة عاشت منذ أبعد العصور التى لا تعرف لها حدا تحت تأثير مناخ رطب وفى بقعة تلى خط الاستواء مباشرة . ولا شبهة مطلقا فى أن اسلافهم قد عاشوا مئات من الاجيال في مناخ لم ينزل متوسط احتراره عن ٨٠ درجة على مدار السنة . ومع كل هذا نجد أن نسبة الوفيات بين الجاويين الذين هاجروا إلى مرتفعات باردة من الارض تقل عن نسبة الوفيات بين أهلهم

الذين خلفوهم من ورائهم في مآهلهم الاصلية !! والحد الافضل فى الاحترار المناخى بالنسبة لهؤلاء الاستوائيين والزنوج أيضاً لا يبعد كثيراً عن درجة ٧٠ بميزان فارنهيت . ومع كل هذا فان المشاهدات التى بين يدينا ، على وهنها وضعفها وقلتها، توحى الينا بانه حتى السلالات الاستوائية قد تنتفع بارتفاع قليل ، لاارتفاع كبير، فى درجة الرطوبة و بمعدل وسط من التغاير المناخى . ومن هنا نجد أن الحد الاوسط فى المناخ إن اختلف بين سلالة وأخرى ، فان هذه التغايرات لاتعد شيئاً إذا قيست بالتغايرات المناخية التى عاشت فى ظلالها كل سلالة منها خلال أجيال غير معدودة من الزمان .

جماع هذا الاعتبارات تدفعنا الى التأمل من عدة احتمالات ممكنة . واحدى هذه الاحتمالات واكثرها خطورة أن سلالة من المخلوقات الانثروبودية كانت تعيش فى بيئة يلائمها مناخها ملاءمة جعلتها على اتم الكفاءة لتحمل اعاصيرها وحالاتها . ولما بدأ عصر دارت فيه عجلة النشوء دورة سريعة ، اخذت صفات هذه السلالة من الارتقاء فبلغت الأفق الانسانى . ومن ثم تكاثرت وانقسمت الى عدة سلالات اخرى ، لايزال بعضها موجوداً على سطح الأرض حتى هذا العصر . اما المناخ الذى نشأت فيه هذه السلالة الأولى فلابد من أن يكون مشابهاً للحد الاوسط لمناخ العصر الحاضر . اى أن متوسط الاحترار فيه كان على الغالب مقارباً درجة ٧٠ وان اشد شهور السنة حرارة كانت تبلغ ٧٥ او ٨٠ درجة واشدها برداً كانت تبلغ درجة ٦٠ لاغير . وكانت الرطوبة مرتفعة ارتفاعاً ما ، كما كانت العواصف كثيرة الهبوب إلى درجة يحدث معها كثير من التغاير المناخى من غير ان يصل هذا التغاير الى حد الافراط . اما هذه الحالات فان فلوريدا الوسطى فى العصر الحاضر احسن مثال لها . فمن نحو ثلاثة ملايين من السنين ، عند ماكان اجداد النوع البشرى الاقدمين على وشك الاندماج فى الصورة الانسانية المعروفة لنا ، وعند ما كانت تخترق قارة آسيا خلجان عميقة

من البحر تمتد كأذرع فوق سطحها مسافات كبيرة ، كانت الحالات المناخية ، على اقوى الاحتمالات ، مشابهة للحالات التى أتينا على وصفها فى بقاع مثل « إيران » ومقاطعات « التبت » التى كانت اذ ذاك من الاراضى المنخفضة .

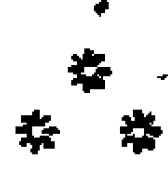
ولدينا رأى يغلب أن يكون صحيحاً ، وان لم تثبت صحته على صورة قطعة ، هو إن ارتفاع المنخفضات الاسيوية خلال العصر الجيولوجى الاخير وارتفاع احترار مناخها ، كانا سببين من اكبر الاسباب التى ساقت الى الاسراع فى ترقى السلالات البشرية التى قطنت تلك البقاع ، وساعدت اصول الانسانية على أن تنقسم الى قبائل وأن تأخذ فى الهجرة من مكان إلى مكان. ومنذ ذلك الحين ساقت الهجرات المتوالية النوع الانسانى الى الضرب فى بقاع لم يكن له عهد بمناخها وحالاتها الطبيعية . ولكن نتساءل هل تكفى عشرات الالوف من السنين لان تحدث فى الانسان قدرة على التطبع المناخ (التأقلم تجاوزاً) تطبعاً تاماً . الحقيقة أنها لم تكن كافية ، حتى ولا بعض الشيء . فان قوة المكافأة التى حازها الانسان والقدرة التى نالها على تحمل المناخات المختلفة لاتزال آخذة من التكوين حتى اليوم ، وأن الانسان اليوم لذو قدرة على أن يتقى تأثير المناخ ، حتى ليلوح لنا أنه لا يوجد على ظهر الكرة الارضية من سلالة حية تختلف حد المناخ الأفضل بالنسبة اليها بقدر اختلافه بالنسبة لاجداد الانسان الأولين . وبعبارة أخرى نقول إن الانسان ، على العكس من بقية الحيوانات ، يستطيع أن يكافىء بين حاجات حياته وبين قواسر المناخ بالطرق الصناعية فى أكثر الأمر ، وبتغاير ضئيل يطرأ على استعداده الجسمانى . غير أنه لا يجب أن نغفل عن أن المكافأة الصناعية على أشد ما تكون من النقص حتى أنه ليتعذر على النوع الانسانى أن يعيش فى مناخ تنزل حالاته عن الحد الافضل طبيعياً أو صناعياً . إن جنوب انجلترا الشرقى واحترار المناخى فى الصيف لا يتجاوز ٦٤ ولا ينزل عن اربعين فى الشتاء ، والرطوبة فيه على ارتفاع كاف وتغايراته الجوية كثيرة وان كانت غير هوجاء ، يعتبر مكانا تصل

حالات الحياة فيه الى الحد المثالى عند المتمدينين . وفي الغالب أيضا ان قبائل فطرية من أصول الانسان الاول كانت قد نالت درجة من المكافأة شبيهة بتلك التى حازها سكان جنوب انجلترا الشرقى عند ما كانت تقطن فى اما كن من الكرة الارضية يسامت ارتفاعها منطقة فلوريدا . غير أن اكثر النوع البشرى يعيش فى بقاع تشتد فيها الحرارة أو يقرس البرد أو تطرد فيها الحالات اطردا يبعدها عن الحد المناخى الافضل المرغوب فيه ، بل ان هذه الحالات قد تبلغ فى بعض البقاع الحدود القصوى من الافراط والاسراف .

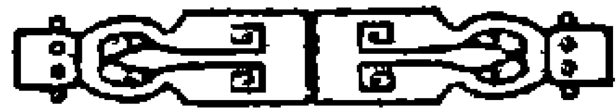
هذه الاعتبارات تزودنا بمنطوق جديد من الفهم نستقوى به على درس طبيعة المشكلات الاجتماعية والمناخية . لاننا اذا عرفنا الحقائق المتعلقة بالحد المناخى الأفضل وبالحدود القصوى ، لا يصعب علينا بعد ذلك أن نضع خرائط تظهر عليها الى أى حد يفترق مناخ البقاع الارضية المختلفة عن الحد المناخى الاوسط ولا جرم أن هذه الخرائط تكون مشابهة للخرائط التى وضعت بالفعل والتى أظهر بها مقدار اعتدال الصحة ومقدار الارتقاء الانسانى من طريق الاحصاءآت الدقيقة . أما التوافق بين الحالات التى تدل عليها هذه الخرائط فلا يمكن أن يكون قد أتى اتفاقا ومن طريق المصادفة. وهذا يدل على أن المناخ مؤثر جوهرى فى توزيع درجة الصحة التى يتمتع بها النوع البشرى توزيعاً جغرافياً ، وان الصحة والنشاط الجسمى واستعداد الناس لان يتمتعوا بقدر من الثروة أزيد من الحد الوسط ، ومقدرتهم على أن يقوموا باعمال وأن يؤسسوا منشآت أرقى من تلك التى يحتاج اليها مجرد الاحتفاظ بالذات ، انما هى من العوامل الكبرى التى تساعد على الارتقاء الانسانى

هذه اعتبارات تنطق حقائقها بانها أكثر انطباقاً على قياس المنطق من أية اعتبارات أخر . ولكن ماذا نعرف عن الماضى ؟ أليس نشوء المدنيات

القديمة فى مناطق تقرب من حدودها خطوط العرض السفلى دليلا قويا ينقض النظرية المناخية من أساسها ؟



نقف من البحث عن هذا الحد . وموعدنا ببقيته العدد التالى . وسيدور البحث حول هذا السؤال العلمى الخطير الذى اختتمنا به هذه العجالة .



وحى الطبيعة

جلا الصبح لعينيا جمالا يملأ الدنيا
ملأت به فؤادى علـ ـه يبرأ أو يحيا
اذا ما كنت بالأمس عن الغادات محميا
اذا شمن من بعد لوين الكشح لى ليا
وخلن «عمامتى» شيبا بناصيتى وفوديا !
فقد اصبح منى الحسـ ـن ماء الشعر والرؤيا
وقد اصبحت اهزأ منـ ـك ياليلى ويا ريا . . !
قصدى كلما شئت جمالك غاب واستحيا !

« الحاجرى »

علم النفس

وكيفية تطبيقه في التجارة

اظن لاحد الا بعض الذين درسوا العلوم التجارية العالية يشعر أن في مقدوره تفهم المقصود من عنوان هذا المقال. وكذلك أعتقد أن جهل الكثيرين بهذا الموضوع هو السبب فى انفاقهم لمبالغ عظيمة في شراء احتياجات من الممكن الحصول عليها باسعار اقل كثيراً

كثيرون هم الذين يقصدون المحال التجارية دون أن يكون لهم طلب معين فالبعض يريد أن يشتري له ثيابا دون تحديد مايريد شراءه ، وهؤلاء يتسببون فى انهاك قوى موظفي المحل ، دون داع : الأمر الذى يلجيء أولئك المساكين إلى النكاية بالزبون والعمل على توريطه ، هؤلاء هم صغار الباعة . أما الواقفون منهم على سر الصنعة فهم الذين يقتطعون منه أجراً على الوقت الذى يجبرهم على اضاعته في تقليب البضاعة له سدى . فالشخص الذى يقضى حاجته في ساعة من الزمن ملزم فى العرف التجارى ان يدفع أجر من يخدمه ستة أضعاف ما يدفعه ذاك الذى ينهى عملية شرائه فى عشر دقائق فقط . فالذى يلج محلا لكى يشتري شيئاً غير معين سينتقل بالطبع من مكان إلى آخر الى أن يقع فى قبضة عامل يفهمه . أما اذا كان غرض الشاري ان يأخذ صنفاً دون أن يحدد بالضبط مايريده منه فهو أيضاً يأخذ وقتاً غير قصير ، ولو كان يشغل من وقت التاجر اقل من سابقه . فالأول يتنقل بين فرع الجزم وفرع البياضات وفرع الخردوات وفرع الاقمشة. بينما يجوب الثانى منطقة الاقمشة فقط وهي اضيق . انى قد وجدت بالاختبار ان أحسن مايجب اتباعه هو أعمال الفكرة على شيء معين . مثلا (جزمه كشف اسود لماع بقيمة لاتزيد كثيراً عن جنيه مصرى) فانا دائماً أعين للعامل مااريده ولا اذكر الا الحد الأدنى للسعر ، أو

بمعنى آخر أضيف على أوصاف الجزمة « وان تكون بثمانين قرشاً تقريباً » مع انى مستعد لدفع جنيه

هنا يأتيك البائع بما عنده لتختار ما تريده. وفى الغالب يحاول أن يعطيك نوعا جيداً لينتهي منك بسرعة، وذلك كي يلتفت الي غيرك . هذا من جهة ، ومن جهة اخري لكى يكسبك لان من صالحه أن تكثر زبائنه الهينون الذين هم من شاكلتك . وبالطبع سيحاول أن يبيعك زوجا أغلى من الثمن الذى تعينه ولكنه حتى فى هذه الحالة يحاول التوفيق بين صالحه أولا وصالحك ثانيا . وقد يكون قصده الوحيد من ذلك ترويج صنف يعود عليه بربح أكثر كنتيجة لارتفاع نسبة العمولة او الربح العائد عليه من بيع هذا الصنف

وليفهم القارىء انى أعنى بالتاجر ذلك الذى يصح تلقيبه بذلك ولا أقصد قصيرى النظر من الذين يزجوا بأنفسهم فى الحرفة فيمعنون فى النهب والسرقة واخرتهم الافلاس لاشك

ولكن حذارى من ان تحاول الدخول فى الفن مع التاجر لانه حتى اذا كان يجهل الصنف الذي يبيعه فبالاقل وقوفه على المواصفات التى ترسلها اليه المصانع تجعله اعلم منك بالصنف المتخصص هو لبيعه مدة من الزمن قد تكون طويلة

وانك عند ما تدخل دكانا للاقمشة مثلا يكون القميص الذي تلبسه هو المقياس الذي يضعه التاجر نصب عينيه وهو يعرض عليك بضاعته . فلو كان قميصك بثلاثين قرشا يعرض عليك اصنافا بسعر مماثل او تزيد قليلا عن سعر ما يراه عليك . فاياك ان تقول له « ما هذه البضاعة السيئة ائتنى بمثل هذه » (وتشير الى قميصك) لانه يقدرك فى هذه الحالة حق قدرك فيأتى لك (بفورمة) أخري من نفس البضاعة المعروضة عليك و يقول مثلا « لدى نصف دسته فقط من هذا النوع وقد بعنا منها مائة دستة خلال هذا الشهر وسأقدمها لك هدية لاسمك . اما ثمن القميص الواحد فخمسون قرشا لا اكثر وقد كنا نبيعه بخمسة وسبعين » فاذا رآك متردداً اضاف وهو يعرض عليك

(فورمة) أخرى من نفس الصنف او ربما أعلى قليلا « او اذا شئت جرب هذا الصنف فهو جيد جدا ولكن ثمنه مرتفع قليلا وصدقنى ان فلان باشا واظنك تعرفه أخذ منه دستين » بالطبع ستجد نفسك بين امرين : اما ان تشتري ذي الخمسين قرشا تهربا من دفع نقود كثيرة او اذا كان معك مالا وفيرا تسأله ان يخبرك عن ثمن الصنف الاخير . وسيحاول التأثير عليك فيسألك عما اذا كنت عازما على شراء كمية كبيرة حتى يحاسبك على سعر الدستة ٧٫٥٠٠ جنيه ثم يزيد قائلا « ان ثمن القطعة الواحدة سبعين قرشا » وهنا تتجلى درجة غباوة المشترى فقد يندفع لشراء كمية لايحتاج اليها بسعر منخفض حسب ظنه وقد يحاول أن يبلغ البائع فيؤكد أنه عازم على شراء كمية ولكن يجب عليه أن يجرب الصنف أولا . وفي كلا الحالتين يقع الشارى فى الفخ نتيجة لادعائه

ومن عادة البيوت التجارية أنها تقسم كل صنف الى ١ ـ ١ و ١ ـ ب و ١ ـ حـ الخ أو ١ و ٢ و ٣ مع تقسيم الصنف الآخر ١١ و ١٢ و ١٣ و ١٤ وغيره ٢١ و ٢٢ و ٢٣ فاذا فرض أنك من لابس الصنف الثانى فهو يعرض عليك ١١ فاذا وجدك مدعيا أو جاهلا عرض عليك ١٢ أو ١٣ من نفس الصنف ولكن بسعر أعلا لينال أجرة وقته المضيع سدى

لننتقل الآن الى الموده في تجارة الجورابات مثلا يحوى كل صندوق ست جورابات كل زوجين منها أو كل زوج يكون بلون واحد . فاذا كان سعر الصندوق ثلاثين قرشا فان بيعه بسعر الزوج ثمانية قروش فيه ربح للتاجر

ولكن ما الذى يمكنه أن يصنع وكل الناس يتهافتون على « لحم الهوانم » فاذن لامفر له من جمع هذا اللحم من كافة الصناديق وحشره فى صندوق واحد . وكذلك يفعل بالالوان الاخرى فيضع كل لون منها على حدة ثم يعين بعد ذلك للحم الهوانم ١٣ قرشاً ويعين للسماوى الفاتح ، وهو اقرب الالوان اليه : ١١ قرشاً والابيض ٩ قروش والبنفسجي ٧ قروش

والاسود ٥ غروش وذلك كي يعوض من جهة خسارته لعدم الاقبال على الالوان المغضوب عليها ولكى يحفظ خط الرجعة لنفسه إذا انقلبت الموضه من جهة أخرى

وأتعس ضحايا الموضة هم تجار الجزم لان (بوز) الجزمة دائم التغير وبرقشتها كذلك لاتدوم على حال ، هذا بصرف النظر عن لونها و(فورمتها) وكعبها الخ . ولسوء الحظ تتعنت المصانع فى موضوع النمر فهي لاتبيع نمرا دون أخرى بل تبيع (بالسيرى) بالمجموعة وهى تتكون من مقاسات متنوعة والنمر العادية هى أكثر ماتحويه المجموعة كما وانها أكثر الاصناف رواجا واكثرها موضة أيضاً وأما لابسو النمر الكبيرة فحظهم هو العامل الأول فى رفع أو تخفيض الثمن . فلولا ان عدد هذه النمر الكبيرة قليل فاذا كان هناك زوجان (١١ في ٦) مثلا وسبقك رجل كبير القدم لا بد وان تدفع سعراً عالياً للزوج الباقى ، بعكس ما اذا كانت نمر البرتيتة (الطلبية) الماضية لا تزال مخزونة جنباً لجنب مع نمر الطلبية الجديدة في حين أن هناك طلبية فى الطريق ففى هذة الحالة يباع لك الزوج برخص وربما بأقل من سعره الاصلي . هذا هو السبب فى أنك تقرأ فى كتالوجات المصانع أن ثمن الزوج يساوى ٨٠ قرشاً بينا تأخذه من التاجر بمبلغ ١٥٠ قرشاً . ويعود ذلك بالاكثر الى الموده ودلالها. نصيحتى لك أيها القاريء ان

(١) تحدد مطلوبك بالضبط وتقدر القيمة التى تود أن تدفعها وذلك قبل أن تدخل المحل

(٢) لا تتفلسف لئلا تثبت للتاجر جهلك

(٣) لا تتبع الموده بل سر على عكسها تماماً

(٤) اشتر ما تحتاجه من محل واحد دائما كي تعرف فيه

(٥) ومن شخص واحد لكى يفهمك

(٦) عامل هذا الشخص دائما . واجتهد ان تكون ظريفاً معه واره أنك تثق به

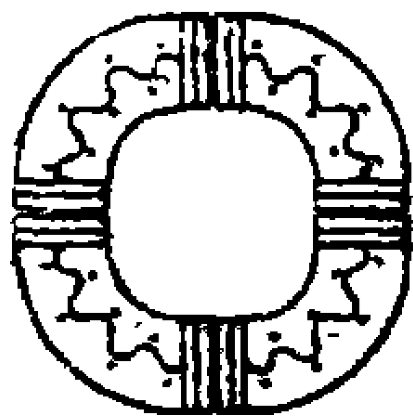
(٧) اذا فعلت ذلك والتقيا بعضكما البعض ، سيأتى وقت غير بعيد يبثك فيه أسرار السوق فمثلا يسر اليك « لدى جورابات لقطة » أو « فيه بضاعة مكن ورخيصة » فاقدم على الشراء عندئذ حسب نصيحته واعطه كم قرش اذا كلفته بتسديد ثمن البضاعة عنك أو اذا سارع وقدم لك الربطة باحترام. ولكن احذر أن يرى البخشيش أحد من رفاقه

ويمكنك من ثم أن تمر على المحل كلما ثقل جيبك واجتهد أن تبسم للعامل فابتسامتك سؤال ، له جواب ان وجد . واذا لم يوجد فلا بأس من أن تشترى قطعة صابون بقرش أو بكرة خيط ثم ارجع من نفس الطريق ...

وانى أنصحك أن لا تنتظر حتى تصير فلاتك مثل الغربال. فربما تكون السوق عندئذ سيئة أولا تكون هناك فرص لينبهك كى تنتهزها وذلك عند ما تكون في حاجة ماسة الى شىء معين

صدقنى أن صداقتك للبائع تعود عليك بخصم قدره ٢٥ في المائة على الاقل وذلك على أحسن بضاعة يعرضها المحل

حسين محمود



لكم عقلكم

ولى عقلى

ليسمح لى قارئى المحترم ببضع دقائق أحتكم فيها اليه . . أين الجمال فيما يأتى ؟ بل ما هو معنى ما يأتى ؟

« كل يوم أعوم قواربى الورقية على الجدول الفياض واحداً أثر واحد . وأكتب عليها اسمى واسم قريتى بأحرف غلاظ سود وأرجو أن يعثر عليها انسان في أرض أجنبية فيعرف من أنا . وأشحن قواربى الصغيرة مما ينميه بستاننا من زهر الشيولى وآمل أن تصل أزهار الفجر الى البر أثناء الليل سالمة. انى أحمل قواربى الورقية على ظهر الماء ثم انظر الى السماء فأرى السحب الصغيرة تنشر شرعها المستفيضة الناصعة ولا أعلم أى صاحب من صحابى يرسل تلك السحب من السماء لتبارى قواربى في حلبة السباق . واذا جن الليل خبأت وجهى بين ذراعى وطفقت أحلم أن قواربى الورقية تسبح طافحة تحت كواكب الظلماء . وعلى قواربى هذه تسبح جنة الكرى وما بضاعتها الا حقائبها المملوءة بالاحلام »

فاذا وجد القارىء الفاضل في ما سبق روحاً شعرية أو اذا استنتج منها أى معنى — ولا أصر على أن يكون معنى سامياً — فليطو الصحيفة لان قراءة ما سيأتى ليس فيها فائدة له.

أما الذى يوافقنى على ان هذا الكلام المرصوص ليس غير هراء دبجته أنامل شخص سخيف، فاتقدم الى هذا الشخص الموزون سائلا ماذا يكون جزائى بحضرته اذا فرض — فرض فقط — وكنت أنا الذى كتبته ؟ وانى أقسم بكل

إيماني بانني أعقل من أن أخط حتى ماهو أقل سخافة مما كتبته نقلا عن غيرى فى هذا . ومن المضحك ان هذه السخافات قد ترجمت (مع ٢٥ قطعة مثلها) بقلم أحــد ادبائنا المشهورين ونشرت كلهـا تحت عنوان « قطع مختارة فى الفن والأدب »

وانى أراهن بشأن واحد فقط على انى إذا ذكرت اسم الكاتب الاصلى لما لولى شغاب تصرانى ظهورهم لى قائلين ومن أنت أيها الغبى حتى تنتقد شكسبير أو هيجو أو ذلك الفندى أو هــذا الايطالى أو ذلك الالمانى الشاعر الفيلسوف المفكر العالم الخ . الخ . الخ . وإذا فرض ووقف الى جنبى ولو فرد واحد فقط بعد ظهور اسم الكاتب أؤكد لك أنه يفعل ذلك على الحساب الجارى لنظرية « خالف تعرف »

ولولا الخوف من محرر المصور لذكرت اسم هذا السخيف الذى أخــذت ألفاظه الجوفاء تكتسح العقل والرزانة . وبالله عليكم أليس هذا الكلام نوع من « الجز بند » فى فن الكتابة هجم عليه الناس لانهم احد إثنين . أما متعب من التفكير الجدى يقرؤه لاجل اضاعة الوقت فقط وأما مقلد يتحرك حسب ما يتحرك غيره ليثبت أنه سليم الذوق مثقف ؟

وبهذه المناسبة أذكر انى دعيت ذات مرة لحضور حفلة موسيقية وكانت الظروف تضطرنى إلى حضورها رغم انى كى أمثل طائفة مخصوصة . ويشهد الله أننى لا افهم من هذه التنتنات شيئاً بالمرة ، هذا مع وجوب الاعتراف بانى فى بعض الأحوال فقط أنام وأنا جالس بدون أن أشخر

ضربت الاوتار دوراً طويلا جداً للغاية فشاهدت علامات الاهتمام متجلية على وجوه الجالسين حولى فجلست أنا أتثاءب وأنا ابذل الجهد العظيم كى لا يلاحظ النـاس جهلى « بالفنون الجميلة » ولـكن لسوء الحظ امسكتنى سيدة عجوز متلبساً بالجريمة فلمـا انتهى الدور وارتفعت الجلبة طالبة « لانكور »

قالت لى السيدة باشفاق . . . أظن ليس للسيد اذناً موسيقية ؟

قلت . . . ربما . . . نعم . . . قليلا

قالت أن هذه القطعة لموزارت اسمها — هنا ذكرت الاسم ولكنى نسيته فلنفرض انها قالت (البحر يضحك لى)

قلت نعم . . . أجل تذكرت فقد سمعته ذات مرة في الاوبرا المصرية . حقيقة جميل جداً . وهنا شرع الموسيقيون يوقعون « الانكور » فانسحبت إلى بيئة ظننتها أقل ميلا إلى الفن ولكن هالنى تحرك الرؤوس وتوقيع الارجل متابعة للنغمات فلما انتهى الدور علت الصيحات مطالبه « بالبيس » تخوفاً من أن اهاجم هذه المرة أيضاً ملت نحو احد المتحمسين وقلت له حقيقة ان هذا الدور جميل . فاظهر اندهاشاً عظيما وجاوبنى بفتور قائلا جميل !! وماذا تنتظرمن بتهوفن ان ينتج ؟ اظن ان حضرتك لست ملما بالفن فهذا هو دور « الكمال في الملاح صدف (مثلا يعنى) . فكدت اسقط على الارض من الدهشة وظننت ان صاحبنا (غاباوى) قد حضر حديثا فلم يسمع الناس وهم يطالبون دور « انكور » فوليت له ظهرى هذه المرة وانا اشعر بانتصارى عليه وكانت الموسيقى قد بدأت تعزف الدور الثالث ولما انتهت سارع الناس الى مستر كلارك رئيس الفرقة يهنئونه . فلم اجد بدا من الاقتداء بهم وكنت اعرفه معرفة جيدة فتعمدت ان اهنئه اخر الكل . فمددت له كلتا يدى و رغبة فى التهويش ابتسمت ثم قلت . حقيقة قد احسنتم وخصوصاً توقيع القطعة الثانية

قال . القطعة الثانية ؟ ! اى قطعة

قلت . التى عنوانها « انكور »

قال . انكور ! ! اتمزح ؟

قلت . (مرتبكا) لا لا ابدا اقصد القطعة التى ضربتموها قبل قطعة بيس

قال . (ضاحكا) ولكن يا عزيزى ليس معنى انكوروبيس الا طلب الاعادة فنحن لم نوقع الا قطعة واحدة

قلت . (مراوغا) ها ها . انما قصدت ممازحتك فقط وذلك لأننى سمعتها في الاوبرا المصرية قبل عامين فوجدت كم توقعونها احسن مما وقعتها فرقة الاوبرا

قال (مندهشا) الاوبرا ؟ مستحيل ياسيدى لا يمكن أن تكون قد سمعتها هناك

قلت (مسيئا الفهم) ولماذا ؟ أو تظن ان قطع بيتهوفن اعظم من ان توقعها فرقة الاوبرا ؟

قال بيتهوفن ! ؟ ماذا جرى لك ياسيدى هذه ليست له

قلت (معتذرا) اوه قصدى موزار . . .

قال ولكنها ليست لاحد غيرى فانا الذى الفتها منذ شهرين وقد دربت عليها الفرقة وعزفت امامكم لاول مرة . فلم يسعنى والحالة هذه الا ان اكون صريحا فافهمته اننى لم أتشرف بمعرفة الاوبرا المحترمة الا من خارجها . وقصصت بعد ذلك عليه قصتى من اولها . فضحك ملء شدقيه وقال لى لست الوحيد الذى تجهل الموسيقى فكل الحاضرين اجهل منك ولكنهم مراؤون . ان اسم هذه القطعة « تعالى لى يابطه » (مثلا)

وصدقنى ياحضرة القارىء اننى حاولت كثيراً ان اقلد حركات قردة البشر في الاستحسان والاستهجان فاخفقت

فهل من مرشد ومعلم لوجه الله ؟ حسين محمود



لما قرأت نيتشة

للناقد الفرنسي : أميل فاجيه

أعضاء الاكادمية الفرنسية

— ٢ —

ولعل هذا يرجع إلى تكوينها بالذات خارج كل نظام سياسي . وهي تشعر أو تحسب انها تشعر بأن الناس يجتمعون لكي يحموا انفسهم من العدو المحتمل . ولكي يعيشوا فى أمن وسعادة . لا لكي يعيشوا معرضين للخطر فالمجتمع الحديث لايتجاوز فى مهمته دعوة اكبر عدد ممكن من المخلوقات إلى الحياة . وهذا من شأنه ان يضيق المكان ويؤلف عائقا ضد الحياة فى الجمال وفى القوة والخطر . (لابد من ملاحظة مذهب نيتشة فى أن يعيش الانسان فى خطر) قال « عديد لايحصى من الناس يأتى العالم وقد خلقت الدولة للمطحيين من بينهم . انها تجتذبهم وتستخدمهم وتمضغهم ثم تمضغهم وتجمل من فضائلهم زينة لها » .

اذن فالمجتمعات الحديثة — وهي حديثة منذ أقدم ازمنة التاريخ — مناقضة لمذهب « نيتشة » . وهو من أجل ذلك لم يحجم عن أن يكون من بعض نواحيه عدواً للمجتمع وعلى الاخص ظهر بمظهر العداء للمجتمع . فقد صادف لحظات اضطرته الى أن يجابه المجتمع بالعداء ويقول « إن الحياة كما أدركها يمكن أن تكون هي الحياة الفطرية . وانه ليس من الميسور ان تتوفر وتتحقق في صورتها الكاملة الباهرة الا في الحالة الطبيعية . او فى الفطرية للجمعيات غير المنظمة التي يطلق عليها اسم الحالة الطبيعية . وفى الحقيقة ان النظام الاجتماعى نفسه هو الذى يعادى مذهبي » . ولا اشك فى أن نيتشة قد استطاع أن يحدث نفسه بذلك وان لم يكن قد كتبه فى أحد تآليفه وهو

المفكر الذى لم يبال أن يقيد أفكاره بجرأة وبسالة لا نظير لها. ومن الممكن ان يكون قد اقتنع — وربما عن خطأ — أن هناك عنصر هو العنصر اليونانى مثلا قد نظم جمعيته وخلق الحياة الحرة الجميلة القوية. فلم يقف عند حدود الفكرة المعادية للمجتمع.

ويتضح مما تقدم ان نيتشة لم ينتقد اى عائق لمذهبه باشد ما انتقد المجتمع الحديث. المجتمع النفعى. المجتمع الذى لاتتجاوز أقصى غايته ان يوفر لاكبر عدد ممكن من المخلوقات البشرية سعادة جزئية شنيعة تشمئز منها النفس. تلك الجمعية هى الوحش الاسود او اذا شئت ذوى القطيع الاسود (كما سمي نيتشة عامة الشعب) وهو ماسخر منه نيتشة سخراً ناريا تتجلى فيه آيات بلاغته. أما مايبغيه ذلك المجتمع الحديث فلا يتعدى شيئين متناقضين فى طبيعتهما: العدالة والمساواة. على أن مانسميه عدالة انما نردده بينما الدنيا قد خيمت علينا عواصف انتقامنا. العدل فينا هو التعطش الى القصاص والاخذ بالثأر. اما الارادة فى المساواة فذلك مانسميه فضيلة ونريد أن نصعد صيحاتنا ضد كل ماهو قوى. لعمرى ان اقبح عنصر لهو ذلك العنصر الذى يتحدث دائماً عن العدل. انه ليبدو على وجهه سمات الجلادين. فالحذر كل الحذر من جميع أولئك الذين يتحدثون كثيراً عن عدالتهم كلا. لست أريد أن اختلط بدعاة العدالة والمساواة. ولقد حدثتنى العدالة فيما تحدث ان الناس غير متساوين ».

ولقد ظل نيتشة يعد الاشتراكيين مثال العنصر المتصف بالفضيلة المحدود الرأى المسىء الى الجماعة. عنصر عاشق للمساواة والسخف والقبح وكل ماهو مستغرب فى الحياة ومعادلها بل كل مايهدم الحياة ويقضى باضمحلالها. أما الديموقراطيون فقد عدهم من أنصار الظلمات الباردة. واعتقد أن الاشتراكي هو الديموقراطى المتبع للمنطق. مخلوق يعيش في الظلمة أهم مايشغله أن يخمد كل ماينير فى الشمس.

وأسوأ ما فى الحياة ان الاقوياء فيها. أولئك الذين أوتوا موهبة التدبير والادارة يرتضون التضامن مع السطحيين ويرون ضرورية وجودهم

ومشروعية رغباتهم وأخيراً الاشتراك معهم . قال : « ان الحياة ينبوع فرح. ولكن فى كل مكان يستقى منه السفهاء يستحيل الينبوع الى سم زعاف ... على انى أتساءل عما اذا كانت الحياة فى احتياج الي السفهاء ؟ » وكان نيتشة من أشد المفكرين احتقاراً للقطيع المنظم (الشعب) . كان من عباد القوة .

وبالتضامن مع السفهاء السطحيين تألفت الدولة الحديثة . الدولة التى تعول على السطحيين . وهى الدولة المناقضة للطبيعة ولكل جمال فنى . وتحسب انها معبودة . وتؤكد انها معبود جديد .

على انها تعيش بأكذوبة . انها تزعم انها الشعب . وهي أكذوبة لاتطاق . أن لدولة حيوان مفترس من شرالحيوانات المفترسة . ان الخالقين الذين يعبدون هم الذين يخلقون الشعوب ويشهرون فوقها إيماناً وحباً . وكذلك يخدمون . انما الهداموں هم أولئك الذين ينصبون الشراك للاغلبية ويدعون ذلك دولة . ويشهرون على ذلك سيفاً ومائة لهوة . »

وتلك لعمرى هى الدولة الحديثة . انها تقنع الشعب بانها منه وأنها ممثلته . وبهذه الذريعة تهبط به دون ان ترفعه . وتنيمه دون أن توقظه وتبعثه . وتتركه فى خموله وفطرته دون تعوده النظام . وتفعل ذلك وتريد معه أن تكون معبوده . وتزعم أنه ليس فى الارض من هو أعظم منها وأنها أصبع الله الآمر !

أن المجتمعات الحديثة بذوقها فى خلق الكثرة العددية من المخلوقات والسفه والسخف والدولة المعبودة بميلها إلى المساواة وكرهها الطبيعى لكل سمو شخصى ليس أكثر من انتحار بطيء للانسانية . ولا تكون الدولة الا حيث يكون الصالح والطالح يسقى السم وحيث يضل كل منهما عن نفسه وحيث يدعى انتحار الجميع البطيء حياة ! »

« ولطالما مررت وسط ذلك الشعب فاحس بأن نظري يقصر ويظل يقصر بسبب مذهبه فى السعادة وفى الفضيلة . انه يسير ببطء فيعوق من يمشي على عجل فى الزحام . . . والحصول ببساطة على سعادة جزئية هو ما

يسمونه الرضى والقناعة . وليس للشعب فى الواقع غير رغبةواحدة هي ألا يسيء اليه أحد . وهذاما يسمى فضيلة . على انه فى الواقع جبن . . . انهم ليجعلون من الانسان الحيوان المنزلي للانسان . ويعدون السخف اعتدالا .
وبالاختصار انتهى نيتشة من النظر الى المجتمع عند اعتباره عائقا لمذهبه . عائقا للحياة فى الجمال وفى النور . عد المجتمع هبوطا الى معالم الظلمة .

* * *

قال الناقد اميل فاجية فى خلاصة موجزة ان نيتشة لم يكن فيلسوفا خالقا . وانه لمن الممكن ان نجمع أفكاره كلها من « جوته » و « لاروشفوكول » و« رينان » . واما ناحية الابتكار والخلق فيه فقد تستملح وتعد فى منتهى الجمال . ولكنه من جهة اخرى عامى يحمل على كراهته بالنظر الى تهجمه وعدم مبالاته . وتطرفه احيانا فى الرأي نظير قوله ان في كل عمل عظيم جريمة عظيمه . وسمو « بيرون » الروحى على الانجيل (!) ولو ان « رينان » وصل الى هذا الحد من الغلو فى الرأى لصار ممقوتا .

لم يكن « نيتشة » خالقا ولكنه كان فى منتهى الذكاء . الذكاء الحديد المتفوق . وهو مع ذكائه جريء عنيف فى الحق . فياض بالفكر . كثير المتناقضات ولكنها جميعا قابلة للحل والتأويل

ولقدقال انه ليس ثمة شيء بلا قيمة وتوصل الى احراز شبه سيطرة فكرية . وقال انه ليس للاشياء نهاية ولا معنى وقد اراد ان السبرمان هو الغرض المراد من الحياة . وقال انه ليس شيء حقيقى ، وانه يلزم خلق تقديرات حقيقية . وجوهر فلسفته ان الحق هو ما نهتدى اليه عن طريق القاعدة التى نخلقها للحياة . وان المفكر لا ينبغى ان يتحدث الا عن تربية نفسه لا تربية الآخرين وأن تربية النشء انما تكون تجربة تباشر فى غير المعلوم . وان من واجب الانسان ان يؤلف افكارا شخصية لانها وحدها تدوم وتثبت .

على ان نيتشة استطاع ان يعطى بكتاباته درسا للعالم . درسا يشمل حقائق جديدة استكشفها بالبحث . وكان فى بحثه « دون جوان المعرفة » ومخاطرا فى سبيل اصطياد الفكرات

وبالرغم من أن أفكاره الادبية والفنية غير ذات اتصال متين بفلسفته فاننا نري ضرورة النظر الى آراء الفيلسوف الحرة المستقلة في الأدب والفن انما ينبغى أن نذكر قبل كل شيء ان نيتشة «كلاسيكى» من أنصار الثقافة الاغريقية . وهنا يتجلى لنا تأثير « جوته » و «رينان » فى صاحب كتاب « زاراتوسترا » . وقد سبق لنا القول بأن من الممكن الاطلاع على جوهر فلسفته فى « جوته » و «رينان » و « شوبنهور » . ولقد نشأ « نيتشة » اغريقياً منذ الصبا . تعشق الثقافة اليونانية من سن العشرين . وهى أساس تعليمه .

وكان من نتائج ذلك أنه شغف بدرامات « فجنر » التى اعتقد ــ عن صواب ــ أنه استكشف فيها التراغوديا الاغريقية . على أن ذلك لم يمنعه فيما بعد من نقد درامات « فجنر » التى وصفها بأنها كزهرة الخريف بين بدائع الرومانتيسم .

وأفضى به ولوعه بالثقافة الاغريقية الى حب الادب الفرنسى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . وعلى الاخص « مونتانى » الذى رأى فيه خلفاً للاغريق أكثر منه خلفاً للرومانيين . ومن هنا أيضاً كان مذهبه فى القوة المقرونة بالبساطة .

ولقد بلغ من عبادته للقوة أنه كان يصف « الفنان » بالمريض . ولكنه مريض ممتلىء قوة فعالة وفيض خالق يهب الجمال أصدق قوالبه وأبدعها . وبعد فان « الفنان » انسان شاذ ذو حالة خاصة يمكن أن نسميها حالة تهيج فوق الطبيعة « انما يخلق الفنان الاحوال الاستثنائية الشاذة . الحالات المرتبطة أشد الارتباط بالظاهرات المرضية الى حد أنه يظهر أنه ليس من الميسور ان يكون الانسان فناناً « أرتيست » دون أن يكون مريضاً . تلك الحالات الفزيولوجية في الفنان تكاد تكون شخصية ثانية . وهى أولا : الادمان على المسكر أى زيادة الشعور بالمقدرة والضرورة الكمينة الى أن يجعل الفنان من الاشياء وسيلة لاتساعه وكماله الذاتى . ثانياً : الاحتداد المتناهي . أى احتياج الفنان الى التخلى عن شيء من ذاته باشارات وحركات

تنم عن حالة ثورية شديدة . ولا بد لنا من تصور هذه الحالة على أنها رغبة قوية تدفعنا الى التخلص من ذلك التوتر الخارجي بحركات عضوية عنيفة. ثم هي في الوقت ذاته اتصال غير اختيارى لتلك الحركات بالظاهرات الداخلية (التصورات والافكار والرغبات) ثالثاً . المحاكاة الارغامية التى هي ألا يقر للفنان قرار حتى يرسل الي الملأ ما يتصوره وما يدور فى خلده . كأن تكون صوره تولدت فى الخاطر تعمل على ازعاج الفنان وتوقف ارادته وتجعله في عمى وصمم عن كل ما يدور فى الخارج . هذه الحالة الشاذة من فرط القلق والتهيج . هذه الحمي الخاصة هي ما يتميز به الفنان عن الرجل الدنيوى العادي . فان الاول يخمد تهيجه بان يولد ويعطي . أما الثاني فيخمده بأن يتلقي ويأخذ. وليس التباين بينهما لاغير بل هو أيضاً مستحب ومرغوب فيه . ولكل منهما نظر خاص. فانت اذا طالبت الفنان بأن يكون عند نظر المتفرج والناقد انما تطالبه بهدم قوته فى الخلق والابتداع . ولقد يشبه ذلك ما بين الجنسين (النساء والرجال) من التباين . فانه لا يجوز أن تطالب الفنان الذى يعطي أن يكون امرأة تتلقي وتأخذ . وما يزال الجمال الفني عندنا الى الآن فنا نسوياً لان الرجال الذين يتلقون نسبياً فى دائرة الفن هم الذين صاغوا للناس تجاريبهم بشأن ما هو جميل . على أن الفنان الخالق هو من لا ينظر الى الخلف بل لا ينظر الى شيء قط . انما ينبغي له أن يعطي . وهذا لفخر الفنان العاجز عن النقد .

وحين يكون الفنان قديراً على النقد لايكون لحما ولا دما انما يكون... « محدثاً ! »(مودرن) . ويتصف الفنان أيضاً بانه إلى حد كبير غير شخصي. وفيما عدا الفن الشخصي وغير الشخصي الفن الصادق الصحيح . وعلى هذا الاعتبار يكون غير الشخصي « امبرسونيل » لان شخصيته الاختيارية لاتدخل ولا ينبغي أن تدخل فى عمله او كما قال نيتشة « يجب على المؤلف ان يسكت حين يتكلم عمله » . والفنان من جهة أخرى شخصي لان شخصيته الحساسة ومزاجه وذوقه يشيع دائماً فيما يخرج للناس من بدائع .

وتناول نيتشة بالنظر الفنون المختلطة فقال انها دليل على عجز الفنان وانها تشهد على عدم ثقة الفنان بمقدرته فاستعان بتحالف الفنون وتمازجها كما يفعل الشاعر حين يستعين بالفلسفة والموسيقى حين يستعين بالدرامة (يشير إلى فجنر) والمفكر حين يستعين بالبيان (ولعله فى هذا يشير إلى نفسه) وكذلك الاسلوب المثقل بالبلاغة أو بالحشو انما يعد ضعفاً فى الكاتب أو الفنان فى أى مدرسة وفي أي عصر وفى أى حضارة . فان فى أوجه الاسمى هو الفن فى بساطته . والفن الكلاسيكى أبداً بسيط . ولا يمكن أن يولد الفن الكلاسيكى الذى هو فن الجمال والبساطة والنظام لاول محاولة . وما الفن الا استعمال للذكاء وتجربة له . بل هو ثمرة الذكاء المتحد بالعاطفة .

*
* *

وانتقد « نيتشة » الرومانتيسم الالمانى من الانتقاد فوصفه بانه فن متعطش الى المجموع قال « إن الالمان حين أرادوا أن يجلبوا اليهم اهتمام شعوب أوروبا الاخري خلعوا عنهم ثقافة ليس لهم نظيرها اليوم ولم يجيئوا بمثلها سوي ماأثمره الجنون السياسى والوطنى فى عقولهم . واؤكد أن الثقافة الالمانية قد خدعت الأوروبيين وانها ليس جديرة لابالتقليد ولا بالاهمية التى يعلقها عليها بعض الامم الاخري .

ونعتقد مع ذلك أن نيتشة لايخلو من شيء من المغالاة فى حكمه على الثقافة الالمانية .

وعجيب أن ينوه « نيتشة » بالنقد على الثقافة فى حين يرفع الى المقام الأسمى كاتباً من الدرجة الثانية مثل « سترن » ويفضله على « ديدرو » لمجرد ان « جوته » شهد بانه أشد كتاب عصره حرية . ولكنه اتهمه فى آخر الامر بانه استاذ الابهام والغموض .

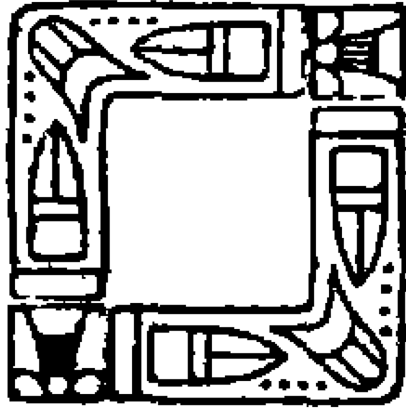
واشد ماامتدحه « نيتشة » فى الفن الوضوح . وهو كما علمنا قد تعشق منذ صباه البيان الاغريقى والوضوح الفرنسى . ولقد يعد هو نفسه مثلا أعلى فى الوضوح . وان نيتشة لخير بلغاء عصره ، انه فنان فى أسلوبه . بسط

فلسفته ببلاغة الكلاسيك . ولقد أعرب عن تأززه من أسلوب « شوبنهور »

*
* *

الى هنا ننتهي من المقال الأول في فلسفة نيتشة ملخصاً من كتاب « اميل فاجيه » وهو من خير ما كتب فى هذا الموضوع وسنشفعه بمقالين آخرين بتلخص فيهما بقية الكتاب . ثم نبدأ بتلخيص كتاب الاستاذ « هنرى ليختنبرجيه » في الموضوع نفسه لكي تجتمع لدي قراء « العصور » فكرة عامة كاملة عن مذهب فردريك نيتشة . وهو المذهب الفلسفي الذى لا ينبغي ان يجهله أحد في عصرنا . وما عرف عنه حتى الآن قليل لا ينقع غلة

عبد الحميد سالم



عاصفة فكرية

يعتقد أكثر الناس أن النظامات الاجتماعية الحاضرة . كنظام الزواج والعائلة البيتية والقرابة الخ . انما هي نظامات مقدسة وأبدية . لان الله هو الموصى بها ولكن هذا الاعتقاد باطل كغيره من الاعتقادات التى لم يقم الدليل على صحتها . وسأبين في بحثي هذا قيمتها من حيث ظواهرها الواضحة

ان النظامات الاجتماعية أو التقاليد الاجتماعية عوامل متحكمة في منح الناس ومصيرهم وأصل كل المدنيات وما تحت ستار هذه المدنيات من فظائع تقشعر لهولها الابدان . ولما كانت الانقلابات تبدل فى وضعية هذه النظامات أو التقاليد فان نسبتها عند الامم تقاس بنسبة ما انتاب هذه الامم من الانقلابات . وقد تتوحد فى نظر الباحث من الربع الاول في القرون الوسطى وما بعد هذا الربع بزمن وجيز لأنها كانت وقتذاك فى أول عهد تطورها وفى فجر حياتها الذي أضاء أمم الغرب بشعاع من نور السعادة ضئيل . فقبل ذاك التاريخ لم يكن من نظامات متباينة في الغاية والواسطة كما يرى الآن بل لم يكن من اختلاف بين تقاليد الشرق وتقاليد الغرب الا القليل الذي لا أهمية له . وقد بقيت وحدة بعض التقاليد الى الآن وبقاؤها كان من ارتباطها بالدين . ولكن التى لم تكن مرتبطة بالدين أو مرتبطة به وصلها الناس فقد تطورت وتفرعت حتى انها طمت على غيرها ووسمت الامم الغربية بفوارق بين بعضها وبينها والامم الشرقية

هذا أصل الاختلاف فى التقاليد الحاضرة ومنه يتضح أنها ليست مقدسة ولا أبدية كما يعتقد أكثر الناس . أما أصلها وتقديسها والظن بأنها أبدية فيرجع الى أقدميتها وكونها أول أعمال الانسان الاجتماعية التى عليها بنيت هذه المدنية .

كلما افتكرت فى حالتنا الحاضرة أقف حزينا مضطربا . فكيف أعمل كيما أعرف الناس فساد نظام العائلة البيتية ؟ . وماذا أصنع لكى أبين لاخوانى فى البشرية التعاسة المتأتية من نظام الزواج الحاضر ؟ بل ما العمل

لهدم هذا البناء المشيد على أكتافنا لا لشيء سوى لسكنى البعض وهذا البناء هو نظام القرابة ؟—

نظام العائلة البيتية فاسد : نعم فاسد وفساده أصل كل تعاستنا . هذا ولد صحيح البنية — قوى العضلات . مات والداه وتركاه بلا معين . فتش عن طعامه فلم يجده . فتش عن لباسه فلم يجد اللباس . مرض . مات . ما سأل عنه أحد . وهذا ولد . مريض الجسم . لا حول له . أبواه من الاغنياء . رباه ثم علماه . ولكن ؟ . هو ضعيف الجسم وضعيف العقل . لم يستفد من الفرصة التي سنحت له . ذهب والتجأ الى المحيط الذي يضم أمثاله . وهذا المحيط علة علل الاجتماع . هناك في ذلك المحيط صرف القوى . قوي الماديات . التي ورثها عن والديه . فقواه من حيث يجب أن يهدمه . ويجعله يفوز في ميدان تنازع البقاء على غيره الاصلح منه

ونظام الزواج . هذا النظام الاجوف . لم لا يصلح بقطع صلته من تلك الزمرة التي ادعت ملكيته ؟ وربطه في قانون سام شريف . قانون الشرف والوجدان وعزة النفس .. والقرابة . لماذا تبقى على صورتها الحاضرة ؟ . كل الناس أقرباء واخوان . وكل الناس هم الغير ولهم مني واجب واحد هو ما قال فيه شوبنهور . « الواجب تجاه الآخرين » . لافرق بين أخي و ابن عمي والصيني والهندي والاوروبي . الكل عندي أعزاء وأحباء ولهم المقام الرفيع أما — أنا — فلا يوجد في الكون من يشاركني عواطفي وميولي واحساساتي به ونحوه — هو أنا — وأنا ليس الا واحداً وقيمته قيمة كل هذه العوالم التي لا تحصى وهذه الاكوان وما يرى وما لا يرى — أنا — كلمة تهزني فرحاً وسروراً وتملأ قلبي قوة وترفعني الى حيث لا يدرى أحد من البشر — الى قمة نظريتي في الحياة وأصلها ونشوئها ومصدر هذه المحسوسات ونهايتها.

تبا لهذه النظم التي تقيد البشر وتجعل بينهم الفوارق وتملأ قلوبهم حقداً على بعضهم . وهي ما ان دامت تدوم العوامل التي تصير الناس في مثل حالتهم الحاضرة التعسة .. أنا لا أرضى نظاما من كل هذه النظامات ولا أقبل تقليداً من جميع هذه التقاليد . وانما أعمل على هدم الاثنين كيما يتحرر الناس ويعرفون معنى الحياة وقيمتها وأهميتها .

بيروت — ابراهيم حداد

حول المبدأ البهائي

سؤال وجواب

أتيت اليكم كسائل ومستفسر ولست منتقداً أو مدافعاً لأني لست ممن يعتقدون بالاديان

ولذا أود أن تجيبوني على الاسئلة الآتية توصلا للحقائق لا غير. اذ أنني ممن يعرفون جيداً أن الاديان قد جلبت للعالم الانساني ويلات ، وحطمت مدنيات عظيمة . وكتاب المؤلف الافرنسي «فولني» أكبر شاهد على هذا

كل ذلك درس كاف لنا لكي نكب على الاديان لما كان شأننا أولا ومع هذا كله أود الحصول على ما يقنع العالم عند ظهور أي مبدإ كان. هل هو نافع للعالم أم هو ضار. أم هو لا هذا ولا ذاك ، لئلا يقع الانسان في مثل الشباك التي وقع فيها من قبل

قرأت العصور العدد ١٠ مجلد ٢ فوجدت مقالات بهذا الصدد ولكن كلها لم تشف غليلي . فمن هذه المقالات مقالة تبحث عن تاريخ أصحاب المبدإ البهائي ، وبما اني لا أعرف عن هذا التاريخ ليس شيئاً سوي أن البهاء وعائلته كانوا قد نفوا من ايران الى بغداد . وسجلات الحكومتين الايرانية والعثمانية (الساقطة) تثبت ذلك. وكذلك سجلات سفارة روسيا تثبته. حيث أن هذه الحكومة أخذت على عهدتها أن توصله سالمًا الي العراق .

وعليه قد رافقه العسكر القوزاقي الروسي حتى حدود العراق.

أما غاية هذا المذهب فلم أعرف عنه شيئاً بل اني أكرهت علي أن أترجم بعض المدونات عن هذا المبدأ من العربية الي اللغة التركية . وبهذه المناسبة وقفت على شيء منه وهو الذي أريد ان اسميه مبدأ التحابب والتجدد .

أني وجدت الكتاب الاقدس والالواح التي كتبت وسجات بجينها

ونشرت بوقتها بين أتباع المذهب متشابهة لافرق بين نسخة وأخرى . فعليه اذا اعتمدنا وقبلنا صحة هـذه المدونات نجد تعاليمها كما يأتى :

أول درس أعطاه يختص بالسلم والصالح العام . وتشكيل محكمة دولية تفصل فى الخلافات الواقعة بين الدول.

والدرس الثانى ان يكون التحصيل الابتدأى اجبارياً . ومن لم يمكنه ذلك فتقوم بتحصيله محافل هـذا المذهب

والدرس الثالث هو أن المعلم له أن يأخذ إرثا من تلميذه. وهذا الحال يشوق المعلم ان يدرس للتلاميذ بكل نشاط .

والدرس الرابع هو دعوة العالم إلى مساواة المرأة والرجل وتعليمها لان المتعلمات سوف يكن أمهات للجيل المستقبل .

والدرس الخامس دعوة العالم أجمع إلى تأسيس لغة عامة سهلة التحصيل للتفاهم بسهولة حيث كل أحد يتمكن من تعلمها مع لغته الاصلية ولا يضيع أوقاتاً ثمينة لتحصيل لغات متعددة .

والدرس السادس دعوة العالم إلى الوحدة من دون نظر إلى اللون والملل والوطن لتستفاد (الاخوة) وتزيد .

والدرس السابع يدعو العالم فيه ان تكون القارات الارضية وطناً عمومياً للعالم أجمع .

والدرس الثامن يدعو العالم فيه ان لايكون الفقر مدقعاً حيث ان صاحب المعمل يمكنه ان يعطى حصة ما من ملكية المعمل للعامل؛ وبهذه الصورة يكون قد استفاد الطرفان. فالعامل يشتغل ليستفيد من الربح وصاحب المعمل يستفيد من عمل العامل .

والدرس التاسع منع الحروب

وأمثال هذه الدروس موجودة فى كتب المبدإ البهائى .

ولم توجد الصحف والمجلات الا لمنفعة العالم الانسانى بكل معنى الكلمة فانى أرجوكم أن تحكموا فى كل درس أعطاه بهاء الله . هل هو أول واحد

تكلم به أو أخذه من الاديان السابقة ؟ فاذا كان الثانى فلماذا ؟ ومن أى دين أخذه، وكيف كانت العبارة بنصها الاصلى. وهل هذه الدروس تفيد العالم اليوم أم لا ؟ وكيف تفيد او كيف لا تفيد

وبهذه الصورة تكونون قد خدمتم الانسانية خدمة تذكر فتشكر . لأن من يقرأ أو يسمع عن هذا المبدأ فيري ما يخلب لبه يقبله فوراً . فلكى لا يقع من هذا القبيل شيء ؛ فعلى المجلات أن تتدبر الامر وتفسح مجالا لمن يمدح المبدأ ولمن يذمه بشرط أن يكون المدح أو الذم موافقاً للعقل وانى لاشكركم سلفاً

بغداد العراق بهنام سلمان

العصور — لا نرى فى المبدإ البهائى شيئاً جديداً ، بل هو خليط من المبادىء الدينية والانسانية، أراد واضعوه ان يكونوا من مجموعها ديناً جديداً . على أننا لا نستطيع أن نعرف كيف أن دينا يمكن أن يكون له أثر الاديان الاخري ؛ ونقصد بها الاديان العظمى ، كالنصرانية واليهودية والاسلام والبوذية وغيرها ؛ من غير أن يقوم على ذات الاسس التى قامت عليها تلك الاديان . وما نقصد بالاسس الا القواعد الاولية . أي أصول الاديان ؛ وهي لدى الواقع قائمة على أشياء مما فوق العقل . أما كل المبادىء التى ذكرت فى هذا السؤال ؛ فهي من أقدم الاشياء التى تطلع اليها الباحثون والفلاسفة والمصلحون منذ أقدم الازمان، ومن قبل أن يعرف الانسان للاديان المنزلة أقل أثر . وعلى هذا نجد ان البهائية عبارة عن فكرة مرنة كل المرونة تحاول أن تجمع كل جديد وكل قديم تحت الشمس لتكون دينا . فهي فى الواقع (انسيكلوبيدية أديان) لا دين واحد .



الفلسفة

ما الذى نستفيده من الفلسفة ، وهل هى اكثر من تخبطات يقصد من لوكها إضاعة الوقت ؟ وكيف لا تكون مجموعة من التخبطات ما دامت تدور حول مواضيع لا يمكن حلها ؟

خفض قليلا من حدتك يا صديقي واعلم بأن للعقل عليك حقوقاً يجب الاعتراف بها مثل الحقوق التى للجسد . الا تسلم بأن للعقل حقا كالجسد ؟ ان محاولة الفلسفة متجهة صوب المعرفة التى ترمى الى الجمع بين نتائج ابحاث العلوم المختلفة . ولكن لا يشعر بهذه الحقيقة غير القليلين ، فى حين يشعر الناس بحقيقة العلوم لانها تنتج لهم فائدة محسوسة سواء وقفوا على نظرياتها ام لم يقفوا ، بعكس الفلسفة التى لها فوائد غير مكشوفة .

يقول « العمليون » ان الناس فى حاجة الى الغذاء والملبس فاتركونا ايها الخياليون ووفروا علينا الوقت الذى ننفقه فى الاصغاء الى هذركم . ونحن نستسمح حضرات « العمليين » فى بضع دقائق لنقول يجب ان لا تنسوا ان « علم » الفلك كان يوما ما فلسفة وان « علم » النفس كان ايضاً كذلك ولا اريد ان ازيد علي ما قلت . فالفلسفة المسكينة تناضل جهدها فى جمع الحقائق الى ان تتوفر لديها اصول كافية ثم تجمع هذه الاصول لتكون علما قائما بذاته . فهل بعد ذلك تجرأون علي مداومة نكران فائدة الفلسفة؟

حقيقة هناك وجه من الفلسفة يرمى الى ترويض العقول البشرية لا اكثر ، وهذا الوجه يرمى الى حل معضلات ليس فى حيز الامكان حلها ، وعلي فرض انه تيسر حلها يكون ذلك ضد سلام البشرية وراحتهم . فمثلا

١ ــ هل الخير والشر يهمان الكون ام يهمان البشر وحدهم

٢ ــ هل يوجد آله ؟

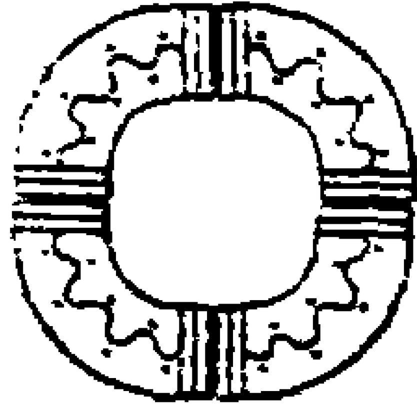
٣ ـ هل الوجدان من لزوميات الكون ام انه قد انبثق صدفه على سيار صغير منه فقط؟

٤ ـ هل للكون مرمى وخطة متوحدين ام ان الكل ذرة منه مرمى وخطة مستقلة

فمن يشعر ان في امكانه الاجابة على امثال هذه الاسئلة اجوبة قاطعة ؟ وهل يا ترى من صالح العالم الوصول الى نتيجة حاسمة في مثل هذه المواضيع ؟ أم هل يكون من صالح العالم اهمال بحث هذه المسائل بينا نحن نكتشف في طريقنا مواداً لبناء علوم جديدة؟

ولماذا نضيع اوقاتنا في لعب الشطرنج مثلا ولا نضيعه في البحث المنتج ؟ اليست مناقشاتنا الفلسفية مفيدة بالاقل في تذكيرنا بأن هناك من يعتقد بشيء اسمه الخير او الشر او الله او الوجدان او شيء من هذا القبيل؟

حبيب الياس



بين الصحف والمجلات

١ — السياسة الاسبوعية : مات البطل العظيم ثروت

تخبط كاتب هذا المقال (محمد أفندى ثروت بكالوريوس آداب من امريكا) أى تخبط فى الصفحة التى حاول فيها اظهار ألمه لوفاة الزعيم المرحوم ثروت باشا قال « وها أبناء هـذا الجيل يتخذون من موتك نظرية جديدة .

« قال العلماء قديماً ان أراء الرجال تتوسع بعمليات السنين أى أنه كلما دار الفلك دورته وكلما نهض عام على انقاض عام اتسعت دائرة المعرفة الانسانية ولكنى أخالفهم فى هذا الرأي وأقول أن الموتى ما برحوا يحكموننا حتى اليوم على حين أنهم بين طيات أكفانهم مدرجون »

فالذي يقرأ الفقرة الاولى لاشك يتلهف للوقوف على النظرية الجديدة وبمتابعة القراءة يعثر على نقطتين الاولي « تتسع دائرة المعرفة الانسانية بمرور الزمن » والثانية (وهي التى يدعي حضرة البكالوريوس أنه قائلها) « ان الموتى يحكموننا حتى اليوم » ولكنى لا أرى تناقضا بين النقطتين مطلقا الان الذى ولد بعد افلاطون بقرن من الزمن كان يعرف بالطبع ما عرفه افلاطون وزيادة على ذلك عرف أيضاً ما عرفه مفكرى المائة سنة التى تخللت العهدين هذا أولا وثانياً نظرية (البكالوريوس من امريكا) ومعناها أن بعض آراء افلاطون لا تزال متبعة منا حتى اليوم . فاين هو التناقض بين النقطـة الاولى وبين الا كتشاف المدهش ؟ !

وهل هذا الا كتشاف هو النظرية الجديدة التي يتخذها أبناء هذا الجيل من موته ؟

ثم قارن ثروت بكافور ولكن بدلا من الدخول فى الموضوع رأساً أخذ يندب .... أجل يندب بحقيقة معنى اللفظة .... فاسمع ما يقول « ابكوا

حتى تبللوا ثرى مصر بدموعكم يا سكان هذا الوادى ، ابكوا فقد اختفى بالامس نجم كنتم في حاجة الى نوره الفياض ، وانتحبوا فقد كان القدر قاسياً عليكم عندما طعنكم فى سويدائكم تلك الطعنة النجلاء ، أو بعد اختطاف السماء لتلك الروح السامية وذلك العقل الجبار فى تلك الآونة الحرجة ضربا من الفتك أشد وانكى من طعنات الخديعة والغدر ! رحماك يا قدر ! »

فالرغم من وجود استعارات وكنايات وغير ذلك من مواضيع البلاغة والبديع والبيان جديدة على الملمين باللغة العربية ظن أن هذا كلام (معدد) وليس كلام رجل يخطب فى جيش بعد ان سقط قائده فى ساحة النضال ومثل هذا القول ننتظره من رجل خالى الوفاض من الدرجات العامية ، اذا أراد أن يتكلم عجز عن ضرب الامثال وعن استنتاج العظات وعن الحث على الاقتداء بالراحل العظيم .

وبعد أن استمر يؤبن الفقيد على النسق السابق نقل شيئاً عن تاريخ استقلال ايطاليا انهاه بتلخيص ما فعله كافور وهو

١ . أرسل جنوداً من سردينيا ليشتركوا فى حرب القرم وبذلك استطاع أن يشتري عطف فرنسا الخ .

٢ . انضمت فرنسا الى سردنيا في حرب ضد النمسا سنة ١٨٥٩ وأضيفت لومباردى الي المملكة السردينية في نظير سافوي ونيس التي ردت الى فرنسا (كلام مفهوم)

٣ . انضمت ايتاليا مع بروسيا ضد النمسا وأخذت البندقية .

٤ . انضمت نابولى الى الحرب وصارت سردينيا مملكة ايطاليا

٥ . سحبت الحامية الفرنسية من روميا .

ثم أردف حضرة البكلوريوس قائلا « هذه لمحة من تاريخ ايطاليا تعرف منها ماذا فعل كافور لامته ولو أننا راجعنا تاريخنا القريب لاستطعنا أن نتبين وجه الشبه بين البطلين العظيمين كافور وثروت »

اليس هذا تخبط استدلالى واستقرائى كما يقول المنطقيون ؟ وهل يا ترى كان الحزن سبباً فى هذا اللغو فانه كثيراً ما يعقل الالسنة العذبة ويلجم الاقلام الفياضة ولله فى خلقه شؤون ح . م

٢ — السياسة الاسبوعية : شاعر النيل

القى السيد محمد كرد علي رئيس المجمع العلمي العربي ووزير معارف دولة سورية « قراءات » من ديوان حافظ ابراهيم واسمى ما فعله « محاضرة » فاذا كان ما تقدم وتكرم به حضرة صاحب المعالي يسمى محاضرة فى عرف المجمع العلمى العربى فانا سيد المحاضرين كيف لا وفى امكانى القاء محاضرة عن بيرون وعلم الجمال وهيجو والتاريخ وسبنسر وعلم الاجنة ومكدوجال والعقل الباطن والبوذية واللغة الارامية والنشوء والارتقاء والاقتصاد وشوقي وعن كل مالم أحط به من علوم الاولين والآخرين وذلك على نسق حضرة صاحب المعالى وزير المعارف ورئيس المجمع العلمي السووى . وانى لاأزال أتساءل اذا كان معاليه قد أجهد نفسه بنقل ديوان حافظ أو أنه استصحب الديوان ذاته على المنضدة وأخذ يقرأ محتوياته على الحاضرين . فانا امام أحد امرين لا ثالث لهما ، أولهما أن يكون الحاضرون غير ملمين بالقراءة والكتابة ، أو انهم أصغوا لمعالى الوزير ورئيس المجمع العلمى من أجل سماع ماكان يمكنهم مطالعته وهم مستلقين في فراشهم يستزيدون مما يريدونه ويضربون صفحاً عما لا يستسيغونه . أما الحكم عليهم بالجلوس أكثر من ساعتين لسماع أقوال يمكنهم قراءتها وهم متكئين على الارائك ، ففى نظري جزاء صارم غير عادل واستهتار عظيم واشعر أن من واجبي شكر السياسة الاسبوعية لانها وفرت على جيبي الفقير أكثر من نصف ريال بتيسيرها لى امتلاك نسخة من ديوان حافظ بقرشين اثنين لا أكثر . فبالله ماذا لم يحتج حافظ على هذه المزاحمة غير المشروعة؟

ان الذي أفهمه من المحاضرة عبارة عن درس المحاضر لشخص المحاضر عنه و تقديم ما انتجته قريحته مع المقابلة بين أقواله وأقوال معاصريه لاخراج سمينه من غثه وأما عملية « السكر » هذه فتقرب مما يسميه الانجليز « قراءة نبذ » وفوق كل ذي علم عليم

٣ — السياسة الاسبوعية . كيف كنت عفريتاً

أظن المازنى يريد أن ينشيء نسقاً جديداً فى الادب العربى ولكنى أحذره ملفتاً نظره الى انه قد وجد شخص اسمه سليم سركيس كان يتبع هذا النسق « البارد » فهل يا ترى لم يمتليء دماغ المازنى بشيء جديد ليعكسه الى القراء فأخذ يهرف هذا الهرف ؟

ان ايا من الذين لهم صلة بالمازنى يلاحظ ان حضرته متشائم او بالأقل سوداوى لا يستطيب السامع نكتته وحتى لا ينجذب الى حديثه فماله ومال الخوض فى مواضيع جوفاء رغبة فى اثبات أنه خفيف الدم حاضر النكتة سريع البداهة ؟ ولِمَ لا يتابع نسقه العادى فى مخاطبته السحالى والثعابين ؟ بل لِمَ لا يقدم على حصد الهشيم وتقليع حطب القطن فقد يجد عندئذ من يستلذ النسق الذى يتبعه منذ مدة غير قليلة من الزمن ؟

أرجو من المازنى عدم المؤاخذة لو قلت أن صنعة المهرج (البلياتشو) من أصعب المهن ؛ فهى في حاجة ، مثل أي مهنة أخرى ، لاستعداد طبيعي لا يتصف هو به . وبالطبع ليس الذنب بذنبي اذا انا قمت بمظاهرة أطالبه فيها بالسكوت. ولكن يظهر أنه لن يسكت لانه لا يقرأ ؛ ولانه أيضاً قد تعب من الانسحاب الى صحراء ليبيا أو صحراء العرب (لست أعرف أيها التى يقصد) ليقدح زند أفكاره النيرة . ومن يدرى ربما تكون زحافات الصحراء قد جفته الآن . فاللهم اجمع شمل المتنافرين رحمة بعبادك التعساء .

٤ — ثروت باشا

أولا ــ المقتطف عدد نوفمبر سنة ١٩٢٨ ــ بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي تلميذ ثروت باشا الروحى وكاتب سره

ثانيا ــ الهلال عدد نوفمبر سنة ١٩٢٨ ــ بقلم الدكتور أحمد فريد رفاعي

وأخيراً خدع الصديقان زميلى محرر المقتطف وزميلى محرر الهلال. نعم

خدعهما الدكتور أحمد فريد رفاعى خدعة لو أنها جازت عليهما في مجال حرب، والحرب خدعة ، اذن لوقعا أسيرين ، ولطلب الدكتور رفاعى عنهما فدية كبيرة لو اتبع قانون الحرب فى العصور القديمة ، أو ترك لهما سيفيهما لو اتبع قانون الحرب فى العصر الحديث :

نعم خدعهما شر خديعة ونشر فى المقتطف مقالة عن ثروت باشا خفية وعلى غرة من محرر الهلال ، ونشر فى الهلال مقالا عن فقيدنا الكبير قيل لمحرر الهلال على الأقل إنه لم يخص بغيره من الصحف والمجلات . وكم من خدعة لفارس هذا الميدان ، فخدعته فى كتابه عصر المأمون معروفة مشهورة ، وخدعته في الانتساب الى الجامعة دون أن يحضر فيها الا بضع ساعات غير منكورة ، وخدعته للاموات من المؤلفين وعلى رأسهم مؤلف نهاية الارب رحمه الله ، وخدعته لكل أدباء العصر أشياء قد تخفى على الكثيرين ولكنها على كل حال أشياء غير مبررة ولا مبرورة .

على أنى أعتقد أن صديقى محرر المقتطف قد جازت عليه الخدعة بما لم تجز به علي زميلي محرر الهلال . فقد ذكر الزميل عن الكاتب أنه تلميذ الفقيد الروحي أولا ، وانه كاتب سره ثانياً . على انى لا أدرى ما هي التلمذة بالروح ؟ على أنها ولا شك احدى خدعات الدكتور فريد رفاعي وكم له من خدعة وكم له من مخاديع. اما اذا جاز لكل انسان أن يدعي التلمذة الروحية لميت مات فلا شك فى أن من حق أن ادعي انى تلميذ افلاطون أو ارسطو بالروح ، ما دامت الارواح لا تحد بزمان ولا مكان . على انى اتساءل فوق هذا هل كان يقبل ثروت باشا رحمه الله أن يرمى بمثل هذا حيا ليجوز أن يرميه انسان من (قطر الكاتب وحجمه) بمثل هذه الفرية ميتاً ؟ انى على يقين من أن فقيدنا كان يرفض هذا كل رفض بدليل أن الدكتور أحمد فريد رفاعى لم ينتحل لنفسه هذا اللقب أو هذه الصفة في اعلان واحد من الاعلانات الكبيرة التى أعلن بها عن كتابه عصر المأمون بعد أن (رصعها) بمختلف النعوت والصفات . هذا عندى دليل لا ينقض على أن هذا اللقب

متنحل لان الدكتور لم يستطع ان ينعت به نفسه الا بعد ان مات ثروت باشا وأصبح غيرقادرعلىأن يدفع عن نفسه فرية أو يرد مكيدة أو يحبطمؤامرة يراد بها التجارة على حسابه

أما القذيفة الثانية فنعت الكاتب « نفسه » بانه كاتب سر ثروت باشا. رحماك الله رحماك .

الدكتور أحمد فريد رفاعى « كاتب سر ثروت باشا » . نعم كاتب سره لا أقل ولا أكثر. « كاتب سرفقط » . على أن فى هذا افتياتاً على حق طبيعى لرجل كبير . فاذا كان فريد رفاعي هو كاتب سر ثروت باشا ، اذن فما هي المكانة الخليقة بان يكون فيها عبد الحميد بدوى باشا اذا احتل فريد رفاعي هذه المنزلة ؟ نعم يحتلها فريد رفاعي رغم أنف عبد الحميد بدوى باشا ورغم أنف الحقيقة ورغم أنف الناس ، ولكن . . . . بعد أن لجمنا فى ثروت باشا وأصبح عاجزاً عن أن يلجم فريد رفاعي ولاحول ولاقوة الا بالله

أتدرى الىأى شيء يرمى الدكتور فريدرفاعي اذ يقول بأنه كاتب سرثروت باشا ؟ يريد أن يقول إنه موضع ثقته ومستقر أمله وانه كان يغذي ثروت باشا بالفكرات الصائبة وانه كان يعرف سر المفاوضات السياسية عند ما كان ثروت باشا يضن بكلمة بها حتى على أخص خواصه ، وانه كتبها وانه ترجم التلغرافات ورد عليها ، وانه علم من أسرار سياسة ثروت ما لم يعلم غيره وأنه تغلغل الى صميم خلايا مخ ثروت باشا واغترف من هنالك قدرا كبيراً نقله الىخلايا مخه، فنقل مخ ثروت الى مخه، فلما مات ثروت ترك هذا الميراث الحي، لا لأحدمن أولاده الذين هم من صلبه ، ولا لاحد من الذين عاونهم وعاونوه طوال حياته بحق ، بل لفريد رفاعي لانه استطاع ان ينقل بطريقة سحرية خلايا مخ ثروت الى خلايا مخه ، وانه اقتطع من اعصاب ثروت اجزاء وصلها فى اعصابه ، فكان له من ذلك كل مزايا ثروت العقلية والخلقية

واي شيء يترتب على هذا؟ يترتب عليه ان يكون الدكتور فريد رفاعى أو الدكتور احمد بك فريد رفاعي اعرف الناس بدقائق القضية المصرية وأوقفهم على اسرارها الخفية

وأقـدرهم من ثم على معالجتها ، وأوضحهم حجة فيهـا ، وأدمغهم برهاناً ، وأثبتهم جناناً . وأنه الذى يفاوض الانجليز وعلى رأسهم شمبرلين وبولدوين وأنه على ذلك وجب أن تحتفظ به الوزارات على اختلاف نحلها السياسية زخراً وان تستبقيه كنزاً . ليكون لها كما كان ثروت المفزع والمآب ، كلما ادلهمت الحوادث وظل الجو من أكدار السياسة سحاب . ثم الخطوة الاخيرة من بعد ذلك ، أن يكون وزيراً ، ثم مفاوضاً خطيراً !!!

على انى استغفر الله فقد اكون ظالمـاً لصديقى الاستاذ صروف فانه كان فى انجلترا فى الوقت الذى طبع فيه المقتطف ، ولعل خدعة الدكتور قد جازت على غـيره وفى حـين غيابه وفى عزلته التى اعتزلهـا بعيداً عن هموم الأدب ومصارع الأدب .

*
* *

ولكن استغفر الله ثانية . كيف لايكون الدكتور فريد رفاعى كاتب سر ثروت باشا وقد أرسـل اليه كتاباً يسأله فيـه أن يعرف كيف حال الحمـير والابقار فى مزارعه !!! ولكن لاعجب أن يصبح السؤال عن الحمـير عند الدكتور كتابة سر ، وأن يكون البحث وراء صحة الابقار فخراً وأى فخر . على انى أظن ، وبعض الظن إثم ، أن فقيدنا الكبير لم يكتب للدكتور غـير هذا الكتاب الذي كلفه فيه أن يسأل عن صحة المواشى والاقطان فى مزارعه ، والا لـكان من حسن الذوق أن ينشر فقرات من كتاب غيره ليستدل بها على شيء يريد أن يجيء به ذكر أستاذ روحه الكبير . غير أننا لانعجب من أن ينتقل الدكتور من هـذه المنزلة الى منزلة كاتب سر بالطفرة فقـد رأينا كيف يريد أن يتدرج من « تلميذ روحى » الى أن يكون « روح ثروت » قد تقمصت جسد فريد رفاعى . على أن هـذا جائز عنـد أهـل الكشف والصوفيين . فقد روى الكثير منهم ان النبى — زوراً وافكاً — قـد تقمص أجسام شيوخهم ، حتى روى بعضهم أنه خاطب النبى روحاً متقمصة جسد أستاذه . كذلك يجوز التناسخ عنـد أهل الهند وكذلك جاز عند رهاب

الاديرة فى القـرون الوسطى فسموه Metempsychosis فاذا جاز عنـد كل هؤلاء افلا يجوز أن يتم هذا بالفعل فى هذا العصر فيصبح فريد رفاعى ثروت باشا بالروح ويبقى فريداً بالصورة !!! كل شيء جائز وفي مصر على الأخص

ان لنا بابن الدكتور البكر (عصر المأمون) دليلا قاطعاً على هذا . فكم تقمص هـذا الكتاب من أرواح كتاب كثرت عدتهم أحياء وأمواتاً . أما دليلنا على هـذا الامر فرواية نرويها عن ثقة يعرف الحقيقة كما خفيت على الناس ، لا الحقيقة كما اذيعت على ألسنة الذين هم يعرفون كيف يستغلون كل موقف ويتجرون بكل حادث حتى ولو كان ظهور كتاب مدشوت مجموع جمعاً ككتاب عصر المأمون

ذهب الدكتور فريد رفاعى الى دار الكتب وفى يده رزمة صغيرة من الاوراق لايتجاوزعددها السبعين من الصفحات مكتوبة على وجه واحد واراد ان يطبع هذه الصفحات السبعين فى رسالة صغيرة كانت فى الواقع كل ما كتب فى « عصر المأمون » وهى رسالته المدرسية التى سوف يمتحن فيها . وهناك كبرت الفكرة وتجسم الوهم تحت تأثير بعض الذين لايزالون احياء يرزقون فاخذت الرسالة تتضخم وتكبر فصارت كتاباً ثم مجلداً ثم مجلدين ثم ثلاثة . ولقد تمت هـذه المعجزة على حساب كتاب لايزال اكثره مخطوطاً وما طبع منه في دار الكتب لايتجاوز جزءضئيلا من الاصل. ذلك هو كتاب نهاية الارب. وسنرى الأدباء كيف نقل كتاب نهاية الأرب الى رسالة الدكتور فريد بك رفاعي ، وبذلك تمت المعجزة الكبري اذ تقمص مؤلف كتاب نهاية الأرب مؤلفاً لفريد رفاعي ، فكانت الروح للمؤلف القديم والصورة والهيكل للدكتور الجديد . وبجانب هذه الروح أرواح تطير بين صفحات الكتاب رواحاً وجيئة لايصعب على الخبير أن يميز آثارها وأن يتبين ديباجتها .

لقـد تمت هـذه المعجزة بالفعل فأى شيء يقوم مانعـاً عن أن تتم المعجزة الاخري ؟ لاشيء لدى الواقع . وسنرى .

٥ — ملوك العالم من سلالة الفراعنة

الهلال عدد نوفمبر سنة ١٩٢٨ من مقال بهذا العنوان تمقيق بحرف س . م .

فى المثال الذى ضربه الكاتب تمهيداً للكلام فى هذا المقال خطآن.

أولهما قوله :

(١) فقد قضى داروين على الرأى القائل بأن الاحياء قد خلقت مستقلة ؛ وأقام البرهان على أن المخلوقات جميعها متصلة النسب ترجع في النهاية إلى أصل واحد قد تفرع الى الانواع العديدة التي نراها الآن بحكم التطور .

وفى هذا القول أشياء قد لاتتفق حقيقتها مع الامانة العلمية . ذلك لأن داروين ان كان قد أقام البرهان على أن المخلوقات جميعها متصلة النسب فانه لم يرجعها فى النهاية الى أصل واحد بصورة قاطعة بل قال فى آخر الفصل الخامس عشر من كتابه أصل الانواع

« ان فى النظر الى الحياة بما يحوطها من مختلف المؤثرات والقوى نظرة الاعتقاد بأن الله قد نفخها فى بضعة صورة ؛ أو صورة واحدة ، بداءة ذى بدء لعظمة وجلالا . وأن هذا السيار اذ ظل مدفوعاً بالجاذبية دائراً حول فلكه المرسوم ، قد هيىء بقوى أنشأت ،ولا تزال مجدة في انشاء تلك الصور غير المتناهية بما فيها من مواضع الجمال و بواعث الروعة والاعجاب » .

ثم يقول فى ص ٦٦٨ ف ١٥ من أصل الانواع

« هنالك مؤلفون من ذوى الشهرة و بعد الصيت مقتنعون بالرأى القائل بأن الانواع قد خلقت مستقلة . أما عقليتى فأكثر التئاماً والمضى مع مانعرف من القوانين والسنن التى بثها الخالق فى المادة والاعتقاد بأن نشوء سكان هذه الأرض وانقراضهم فى الحاضر والماضى ؛ راجع الى نواميس جزئية ؛ مثل النواميس التى تحكم في توليد الافراد وموتهم . وانى كلما نظرت فى الاحياء نظرة القانع بأنها أعقاب متسلسلة عن بضعة عضويات عاشت قبل ترسب أول طبقة

من الطبقات الكمبرية ؛ شعرت بأن نظرتى هذه أكثر اجلالا ؛ وأبعث على التأمل ، وأدل على العظمة ».

هذا كل ماقال داروين فى كتابه أصل الانواع فهو اذن لم يبرهن على أن الاحياء أصلها واحد بل قال بأنه يجوز أن يكون أصلها واحداً أو عدة أصول عاشت قبل ترسب أول طبقة من الطبقات الكمبرية . وملاحظة مثل هذه الدقائق العلمية ذات شأن كبير جداً عند العلماء .

وأما الخطأ الثانى فقوله

« وقد كانت هذه النظرية محركا قويا دفع بالبيولوجية الى الامام ».

وهذا القول خطأ محض من الوجهتين التاريخية والاستنتاجية . فالتاريخ يدلنا على أن ارتقاء علم البيولوجيا وتقدمه على يد الالمان وعلى الاخص من طريق علم الانقلاب الجنينى — الامبريولوجيا — كان أكبر الخطا التى مهدت السبيل لنشوء الفكرة العلمية فى أصل الانواع . فالمعروف أن الرأى العامى فى الامبريولوجيا كان قائما فى القرن الثامن عشر على نظرية « التكوين » — Preformation Theory — وينحصر الرأى فيها فى أمرين :

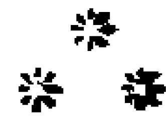
أولا — أن البويضة الاولى لايحدث فيها أى تطور جديد كنشوء أعضاء لم تكن حائزة لها من قبل . وبذلك تكون كل بويضة حائزة لكل أعضاء الصورة البالغة حيوانا كانت أم نباتا .

ثانيا — أن النماء هو الظاهرة الوحيدة التى تتميز بها أعضاء الجنين خلال نشوئه وانقلابه ، وأن السبب فى اختفاء هذه الاعضاء التى يظهرها النماء راجع الى ضؤولة البويضة وصغر حجمها .

وبذلك ذاع الرأى بأن كل جرثومة حية لابد من أن تكون حائزة لكل الاعضاء والصفات التى تمتاز بها الصورة حال بلوغها ، وبالاحرى لابد من أن تكون حائزة لكل صفات نوعها ، مستقلة عن بقية أنواع الاحياء .

وظل العلماء يأخذون بهذا الرأى الذى كان يعتبر أساسا لعلم البيولوجيا حتى قام العلامة الكبير كاسبار فردريك وولف ونشر رسالته المعروفة بنظرية التوالد Theorea generationis سنة ١٧٥٩ فقضى بها على مذهب التكوين ومهد السبيل للقول بنشوء بعض الانواع من بعض اذ أبان أن البويضة لاتكون حائزة لاية صفة من صفات الفرد البالغ ، بل تنشأ فيها الصفات وتتولد بالتتابع من طريق الدور فى عدة انقلابات طبيعية لايمكن تعليل سببها بأيةطريقة كيمائية أوطبيعية. وتتالت من بعد ذلك المستكشفات العلمية بظهور سلسلة طويلة من عظماء الالمان وعلى رأسهم العلامة الكبير « كارل أرنست فون باير » فكان من نتيجة ابحاثهم أن مهدت السبيل لظهور الرأى فى أصل الانواع بالنشوء

وعلى هذا يتضح أن عكس ماذهب اليه الكاتب هو الصحيح لان تقدم علم البيولوجيا كان سببا فى تطور الفكرة فى أصل الانواع وأن عكس هذا غير صحيح على اطلاق القول .



اما النظرية الأصلية التى دار حولها الجدال وهى القول بان ملوك العالم من سلالة الفراعنة، لان الفراعنة كانوا أول من اسس الملوكية فى الارض فمثابة القول بأن هذا النظام على فرض ان المصريين كانوا اول من وضع قواعده ، لم ينتحله قوم غير المصريين . فظل المصريون ملوكا وبقية شعوب الدنيا القديمة عبيدا الى ما شاء الله . على اننا نجد ان نظام القبيلة فى أحط صلاتها كان قائما على نظام اشبه بنظام الملوكية منه بأى نظام اخر . وطبيعة التسلط والسيطرة ليست بفكرة ولا نظام ، بل هى فى اصلها نظرة تقتضيها طبيعة الاشياء الانسانية من غير احتياج الى لقاح . فقطيع الغنم الذى يستقوى فيه كبش على بقية الكباش ويستأثر من ثم بالعدد الاكبر من النعاج هو ملك القطيع غير المتوج بالفطرة لا

باللقاح . وهذه الظاهرة تكون اشد ظهورا فى الحيوانات التى تعيش في قطعان منها فى الحيوانات التى تتزاوج وتعيش على انفراد .

واذا فرضنا أن المصريين كانوا أول من اخترع فكرة الملوكية فهل يعقل انهم ظلوا ملوكا حتى وزعوا على الارض كل ملوكها ولم يستقو على أحدهم فرد واحد من أفراد الامم القديمة، واتخذ الملوكية صناعة كما كانوا يتخذونها وبذلك تكون قد ظهرت ملوك من غير سلالة الفراعنة ؟

نحن نجل الاستاذين اليوت سميث وبرى عن أن يكون هذا الرأى، وفساده ظاهر، رأيهما وهو بعيد عن كل الحقائق الاثنولوجية والانثروبولوجية المعروفة . بل نظن ان كاتب المقال قد أساء الفهم وقلب الفكرة ليظهر على صفحات الهلال برأى غريب يستلفت نظر العوام من غير أن يأبه لشىء من الحقائق التى تقوم عليها العلوم . وهى كما يعرف أغلب الناس الآن شبكة متصلة الاطراف يجب ان توافق النظرية المقول بها أكبر عدد ممكن من حلقاتها قبل ان يصح القول بانها نظرية يصح ان تبحث على القواعد العلمية .



الانشاء اللاسلكى

سبق لرصيف اكتشاف ما أسموه « الاسلوب التلغرافي » فظن أنه فتح باسلوبه هذا فتحاً مبيناً . ولكن لم يلبث الزمن أن دار دورته حتى رأينا شابا آخر من حملة الابتدائية يكتشف شيئاً جديداً هو «الانشاء اللاسلكى» ويدعي أن مثل اللاسلكى للتلغراف كمثل الطيارة للعربة « الكرو » وبالطبع لا أريد أن أتداخل بين مكتشفي وسيلتى النقل، انما أقصد اظهار ضعفهما

المقصود من وجود مجلة متنوعة الابواب، هو ايقاف القراء على زبد الموضوعات التى ليست من اختصاصهم . فمن عمل المجلة مثلا اعطاء المهندس والمحامى فكرة عن علم الصحة بفرض انهما لا يعرفان شيئاً عنها ، وأن تعطى التاجر والطبيب فكرة عن ماهية القانون الدولى مثلا ليقفا على المقصود منه وهكذا

فالنسق التلغرافى أو الانشاء اللاسلكى ليسا غير محاولتين يراد بهما التهويش على القراء واقناعهم بأن الكاتب يتكلم فى موضوع عويص لا يمكن لغير العلماء والفلاسفة والادباء المبتكرين فهمه

فقد تعذر أحد المتبحرين فى العلم اذا تبع ذلك الاسلوب أوهذه الانشاء عند الكتابة في مجلة علمية فنية صرفة . مفترضين أنه يمر على الحوادث مرا اعتقاداً منه بأنها بديهيات لايحتاج رصفاؤه العلماء الى تفهم شرحها . أما هنا فى مصر مباءة الادعياء الجهلاء من الكتاب، فلاشك فى أن هذين، الاسلوب والنسق، هما نتيجة لجهل الكاتب بالعلم أو باللغة التى ينقل عنها. ولذلك نجده يمضغ الالفاظ مضغاً لانه يجهل كيف يعبر عن الفكرة التى استقاها وربما ـ وهو الغالب ـ لانه لم يفهم ما قرأه.

ومن الغريب أن بسطاء القراء يعتقدون أن الكلام غير المفهوم لاشك حاو لمادة عويصة لا يتيسر فهمها الا للادباء أصحاب النعوت الفخمة الطويلة ولو عرف القراء أن هؤلاء الكتاب لم يقفوا حتى ولا علي مبادىء علم من

العلوم التي يحاولون تفهيم « اسرارها » لغيرهم لدهشوا وحق لهم أن يفعلوا

ان مجرد الالمام باللغة الانكليزية مثلا يجعل الانسان اديباً فى هذه البلد وما عليه الا أن يشترى كتابايبحث فى مبادىء أحد هذه العلوم التى يجهلها مواطنونا ـ بفضل الازهر وعلومه ـ ويشترى ايضاً قاموساًليستعين به فى الترجمة ثم يمسك بقرطاس وقلم ويأخذ فى تسويد عدة صفحات يدعى انها من تآليفه ، وهو محق فى ادعائه لدرجة كبيرة لأن ما تحويه كتابته من النظريات العلمية تكاد لا تذكر من عظم التشويه الذى انتابها الكاتب الواقف تمام الوقوف على مبادىء علم من العلوم فى امكانه الاسهاب، وتفهيم القارىء مايريد ان يقوله . فالقدرة على الاسهاب هى البرهان الوحيد على ان الكاتب يفهم ما يريد الادلاء به. لذلك تراه يجرب تجاربا عديدة ليتمثل ما عاق بذهنه لذهن قارئه وذلك بطريقة لا تحتاج الي اجهاد عنيف

ليس فى امكان كاتب ان يكتب فى علم النفس مثلا الا اذا درس هذا العلم على مدرس لانه احد العلوم الصعبة المملوءة بالاصطلاحات الفنية. فتصور سيدى القارىء رجلا من الطريق ملما بالقراءة والكتابة بلغتين، يهجم على مثل هذا الموضوع لكى « يؤلف » فيه . اليس هذا ضرب من الغرور الاعمى ؟ يجب على من يريد البحث فى علم من العلوم ان يقف ايضاً على شيء غير قليل من اصول العلوم المتصلة به. فالذى يكتب فى الاقتصاد يجب ان يقف على اصول المنطق والاجتماع وبعض العلوم التجارية على الاقل

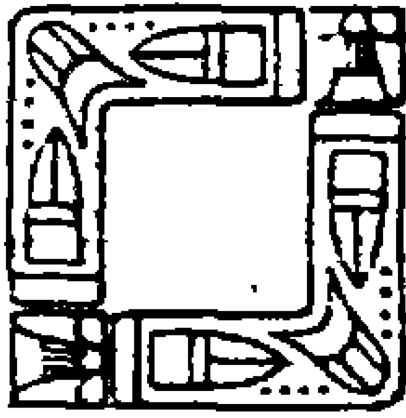
يمكننى انا أيها القارىء ان احاول نقل اى كتاب تريده ولكنى لا اضمن انك تفهم ما انقله اذا كان عن موضوع لا افهمه انا كذلك. انت ايضاً يمكنك ان تفعل ذلك ولكن تيقن من ان مقدرتك تظهر اذا تيسر لك تفهيم اقل قرائك ادراكا ما تكتبه له وذلك دون ان تهوشه

كذلك لفظة « التأليف » قد اصبحت حقاً لكل من يفك الخط . فالسارق فى هذا البلد يسمونه مؤلفاً. وكل من سود صفحات كتاب بهراء يسمونه كذلك. ولست اعرف ما هو عيب الذى يلخص او يترجم عن غيره؟!

أليس هذا الشخص أصدق وأشجع من حضرات « المؤلفين » لانه يريك الكتاب الذى أخذ منه ليمكنك من مراجعة ماتقله على الاقل لتعرف غثه من سمينه فى حين أن الآخر ـ لانه واثق تماما من أنه سارق ـ لا يقول لك من أين سرق حتى لا تقتف أثره فتعرف أنه جاهل أيضاً ومدع .

أود لو أمكن لعلمائنا الفلاسفة الادباء المبتكرين نقل أسماء المراجع التى نقلوا عنها حتى نعرف اذا كانوا « مؤلفين » للخزعبلات التى يسودون بها صفحات كتبهم او انهم نقلوا شيئاً على علاته عن سخفاء آخرين

ع . . . . .



الاقتصاد المنزلى

يجب ان لا يعزب عن بالنا ان السبب فى افلاس الاشخاص امران . عدم تنظيم ماليتهم ، وجريهم وراء التظاهر . ان الافلاس يسبب خراب العائلة وعداوة الاصدقاء ، وان الذى ابتلى به يجد صعوبات جمة لا تعد صعوبات الفقر شيئا اذا قورنت بها

وأساس الافلاس هو الدين ، الشيء الذى لا يمكن تحاشيه الا بتنظيم الدخل والخرج . فالذى لا يوزع ايراده توزيعا جيدا يضطر الى مد يده لاستجلاب المال لشراء ما هو ضرورى جدا له ، الامر الذى لم يحسب حسابا حين كان المال متوفرا لديه

حقيقة ان الكثيرين من الناس ليسوا بالقانعين بنصيبهم من الثروة ولكن حتى هؤلاء قد تنصلح احوالهم ولو بعض الشيء لو نظموا عملية الانفاق بنسبة الايراد . وعلى المرأة يقع اكبر نصيب من مسئولية انهيار نظام العائلة وذهاب اثر السعادة منها ، فعليها والحالة هذه ان تعمل جهدها لملافاة ما من شأنه ان يثقل كاهل رب العائلة بالدين

انه لمن الصعب وضع قاعدة يمكن تطبيقها على مختلف الناس غنيهم ومتوسطهم وفقيرهم ولكن لا شك ان لابواب الانفاق ثلاث حالات . يسهل الاشارة اليها

الضروريات . وهى لا تتفاوت كثيرا فكلنا يحتاج الى مأوى والى مأكل والى ملبس ويجب ان تكون صحية ومريحة والى تربية أطفالنا والى حفظ جزء من المال استعدادا للطوارىء فالشخص منا ، سواء كان فاحش الغنى او فقيرا ، لا يحتاج الى اكثر من فراش واحد نظيف مريح تحفظه الحيطان من لفحات البرد والحر . ومعدة كل منا تحتاج الى كمية تكاد تكون واحدة من الطعام المغذى النظيف وكلنا يحتاج الى ثياب نظيفة مهما كان شكلها لحفظ اجسادنا من المؤثرات الطبيعية

واما معنى تربية الاطفال فينحصر فى تدريبهم للتمكن من الاندماج فى البيئة وتسليحهم للمناضلة وللتنعم باقصى ما يمكنهم من لذائذ الحياة والمقصود من الاستعداد للطوارىء هو ايجاد ما يمكننا انفاقه عند وقوع ما لم نكن مستعدين لحدوثه كالمرض والوفاة والسرقة والحريق وخلافه . الاحتياجات وهى الاشياء التى الفنا وجودها ولكن لا يتسبب لنا عن فقدها اى ضرر فمثلا ليس هناك ضرر من ان نقطن غرفة بدلا من غرفتين او ثلاثة او شقة او دور او منزل او سراى وليس هناك ضرر من استعمالنا لثوب واحد بدلا من ثوبين اوعدة أثواب وليس هناك من ضرر اذا ا كلنا صنفا واحدا بدلا من عدة اصناف وان نقوم نحن او بعضنا بخدمة المنزل بدلا من تخصيص شخص مأجور للقيام بهذه الخدمة هذه امثلة للحاجيات التى الفناها ولكنا لا نعرض انفسنا للتلف اذا اقللنا منها او أودينا بها تماما

الكماليات : والمقصود منها العمل للاستحواذ على ما نظنه الاحسن رغبة فى الظهور بمظهر يبهر غيرنا من الناس ويجعلهم يتحدثون عنا . مثل النوم على سرير أعمدته من المعدن ولبس الثياب الحريرية والاكل فى صحائف من الصينى السكسونى عدة أنواع من الطعام وامتطاء السيارات الفاخرة بدلا من الترام . فالانقطاع تماما عن هذه المظاهر لا يعود علينا باى ضرر فهى مثل الاحتياجات فى هذا الصدد مع فارق هو اننا نجد فى الاحتياجات بعض الراحة واللذة الواجب تمتعنا بهما جريا وراء البحث عن نعيم الحياة حتى لا تكون عيشتنا مملة تورث السأم. وذلك بعكس نقص بعض الضروريات ففيه ضرر علينا كما سبق وبينت

بعد ان ذكرت ما ذكرته يمكننى الان الدخول الى موضوع تنظيم مالية المنزل. فاولا يجب ان نقدر ايرادنا السنوى بالضبط قدر الامكان بعد حذف المنتظر وروده خلال السنة لو كان فيه شيء من الشك. ثانيا نسطر على ورقة ما ينتظر شراءه مع ثمن كل نوع على حدته فاذا زاد مجموع هذه المشتروات المنتظرة عن

الدخل او ساواه نحذف الكماليات حتى يصبح المجموع (اقل) من الدخل والا فنبتدىء فى الحذف من بند الاحتياجات بطريقة نسبية ومعنى هذا اننا لا نحذف تماما بعض الاحتياجات بل فقط نخفض ارقامها، والا اذا كان الفرق كبيرا لا مانع حتى من حذفها برمتها. اما اذا اضطرتنا الحال الى مس الضروريات فهذه نتيجة سيئة. ويشترط بذل الجهد فى عدم شراء حوائج اكثر من التى قررناها أول السنة.

ومن الغريب ان الضرورى لا يختلف باختلاف الغنى. فاننا لو جردنا اغنى الاغنياء من المظاهر التى يعيش بينها لما وجدناه يتغذى ويلبس ويحتل كمية او مقياسا أو مساحة تزيد عما هو لازم لافقر الفقراء والتفاوت بين الحاجيات ظاهر وأما الكماليات فتتفاوت بنسبة الثروة تفاوتا لا حد له

فاذا قسمنا الناس الى فقراء وميسورين واواسط وأغنياء ومترفهين وقدرنا ان حد دخل الاولين ٦٠ جنيها سنويا، والاخرين ١٥٠ جنيها، والاواسط ٢٤٠ جنيها، والاغنياء ٥٠٠ جنيها، والمترفهين ١٠٠٠ جنيها صرنا في اعتبار رقم من الارقام كنموذج متخذة أساسا لتنظيم مالية العائلة ولكنى أظن انى عثرت على رقم بين الميسورين والاواسط هو ٢٠٠ جنيه سنويا أقدمه كمثال . —

رجل متزوج وله طفل ايراده ١٥ جنيها فى الشهر اى ١٨٠ جنيها فى السنة وللزوجة ٢٠ جنيها ايرادا سنويا فتكون الجملة ٠٠ جنيه

جنيه		
٢٠٠		جملة الايراد
	٣٠	تخصص سنويا للكساء
	١٠	« « لمدرسة الطفل
	١٢	تحفظ جانبا للطوارىء
٦٠	٨	تخصص لتجديد الاثاث ولمصاريف الانتقال من منزل لآخر
١٤٠		الباقى

لو قسم مبلغ ١٤٠ جنيه الباقية على اثنى عشر شهرا لخص الشهر الواحد ٦٥٠ و١١ مليما ويضع ٦٥٠ و ١١ مليما توزع بالطريقة الاتية

مليم	جنيه	
٥٠٠	٣	اجرة المنزل والنور (والمياه)
—	١	خزين المنزل
٥٠٠	ـ	مرتب خادم
٥٠٠	٤	مصاريف الاكل بواقع ١٥٠ مليما يوميا
٥٠٠	ـ	خدمة اضافية (غسيل ومكوه) ١٥٠ م ـ للطفل
٦٥٠	١	٥٠٠ م مصاريف خصوصية للزوجة و١ج للوالد
٦٥٠	١١	المجموع

فلو ورد الشخص ٣ جنيه و ٣٥٠ مليم كل شهر من مرتبه البالغ — ١٥ جنيها الى البنك او الى صندوق التوفير وضبط حساب منزله بتنظيم دفتر كالصورة المرفقة امكنه التوفير أيضا ويلاحظ ان مبلغ ٥٠٠و٣ جنيه يمكن انقاصه مثلا الى ثلاثة جنيهات وخزين المنزل الى ٧٥٠ مليم . وحذف مرتب الخادم واقلال مصاريف الاكل الى ٦٠٠و٣ او— ٣ فقط وكذلك المخصص للخدمة الاضافية وللمصاريف النثرية كلها يمكن تخفيضها دون ان يخل الشخص باساس الضروريات فغرفة نظيفة على سطح احدى العمارات بايجار ٢٠٠ قرش مثلا تكون اوفق من منزل ايجاره ٢٥٠ قرش فى حارة غير صحيـة وقد يعترض على ذلك بان سكنى غرفة فى سطح عمارة ليست مناسبة. واما الرد على ذلك فهو الفات النظر الى ان الاصل الضرورى هو وجود مكان ملائم نظيف مريح صحى. واما مسألة موضوع المناسبة فهو امر كمالى يراد به حب الظهور

فبهذا التوزيع يمكن والحالة هذه ادارة مخصصاته واتاجها وفقا للدخل ولعدد افراد الاسرة مع العمل دائما على التوفير فمثلا اذا كان الطفل لايذهب الى المدرسة

وجب ان يحتفظ بالمبلغ الى الوقت الذى يحتاج الامر الى ارساله اليها . واذا فرض ان مصاريف المدرسة تكلف اقل من العشرة جنيهات المخصصة يجب الاحتفاظ بالباقى على اساس انه سيحتاج الى مبلغ اكبر للمدرسة فى المستقبل . واذا زاد عدد الاطفال يصح ان يتلافى الوالد فرق المصاريف من الابواب الاخرى بشرط ملاحظة الصحة والتغذية والدفء والنظافة واليك الآن صورة من الدفتر الواجب التقييد به وهو مقسم الى حساب شهرى وآخر سنوى .

حساب البنك

« صندوق التوفير »

١٨٠ ر ٤ الباقى من سنة ١٩٢٧

١٤٥ فوائد السنة المذكورة فى ١٠ / ١ / ١٩٢٨

٣٢٥ ر ٤

٣٥٠ ر ٣ تورد فى ١٥ — ١ — ٩٢٨ لوجود الدفتر بالمصلحة

٦٧٥ ر ٧

٣٥٠ ر ٣ تورد فى أول فبراير

٠٢٥ ر ١١

— ر ٤ توردت فى اول مارس

٥٢٠ ر ١٥

— ر ٥ سحبت فى ١٣ مارس لشراء بدلة وجورابات وخلافه

٠٥٠ ر ١٠

١٨٠ ر ٢٤ الباقى اخر السنة منها — ر ٢٠ من وفر السنة الحالية

٤٨٠ أرباح سنة ١٩٢٨ . الخ

شهر يناير ١٩٢٠

التاريخ	الجملة	مصاريف نثرية	خدمة اضافية	خادم	أكل	خزين	منزل ونور	ملحوظات
	١١ر٦٥٠	١ر٦٥٠	٥٠٠ ر	٥٠٠ ر	٤ ر ٥٠٠	١ ر —	٣ر٥٠٠	
السبت ١ منه	١ر١٢٠			٥٠٠ر	١٢٠ر			(١) مصاريف ترمواى الوالد
الاحد ٢ منه	٣ر٦٧٠	٥٠٠ر(١)	١٠٠ر(٢)		١٤٠ر	٤٣٠ر(٣)	—ر٣(٤)	(٢) غسيل ثياب (٣) سكروصابون وخلافه بفاتورة
٧ منه	٤٨٠ر				٥ر٢٧٠		٢١٠ر(٦)	(٤) اجرة المنزل
								(٥) مأدبة لفلان
								(٦) نور بالعداد
								(٧) صابون بفاتورة
٣١ منه	٤٥٠ ر	١٥٠ر(٨)			١٥٠ر	١٥٠ر(٧)		(٨) نزهة بحديقة الحيوانات
	١١ر٤٦٠	١ر٤٠٠	٣٥٠ر	٥٠٠ر	٥ر٢٠٠	٨٩٠ر	٣ر١٢٠	جملة
		٢٥٠ر	١٥٠ر	—	٧٠٠	١١٠ر	٣٨٠	وفورات ٨٩٠ ر
	١٩٠ر	١ر١٥٠	٥٠٠ر	٥٠٠ر	٤ر٥٠٠	١ر—	٣ر٥٠٠	عجز ٧٠٠ ر
	١١ر٦٥٠							وفورات الشهر ١٩٠ر

حساب سنة ١٩٢٨

التاريخ	جملة	كساء	تجديد	مدرسة	توفير	نتيجة شهرية		بيانات
	٦٠ ر —	٣٠ ر —	٨ ر —	١٠ ر —	١٢ ر —	زيادة	عجز	
٧ يناير	ر ١٦٠	ر ١٦٠						قماش للوالدة
٨ »				٣ ر —				قسط مدرسة بايصال
						ر ١٩٠		وفر شهر يناير
١ فبراير	٤ ر ٥٠٠	٤ ر ٥٠٠						بدلة للوالد
						ر ٥١٠		وفر شهر مارس
							١ ر —	عجز شهر مايو
			١ ر —					حاجز قماش وخشب للصالون
	٣٨ ر ٧٠٠	٢٦ ر ٥٠٠	٦ ر ٢٠٠	٦ ر —		٣ ر ١٥٥	٢ ر ٨٩٠	
						٢٦٥		وفر شهرى ر ٢٦٥
						٢ ر ٨٩٠	٢ ر ٨٩٠	
	٢١ ر ٣٠٠	٣ ر ٥٠٠	١ ر ٨٠٠	٤ ر —	١٢ ر —			وفر سنوى ٢١ ر ٣٠٠
	٦٠ ر —	٣٠ ر —	٨ ر —	١٠ ر —	١٢ ر —			٢١ ر ٥٦٥
								موجوده بالبنك ٢٠ ر —
								اودعت فى ١/١/٩٢٩ـ١ ر ٥٦٥

ثروت باشا

نشعر بأن من واجب كل مصرى أن يقوم بأداء الواجب الأخير للفقيد العظيم عبد الخالق ثروت باشا . وان هذا الشعور ليزداد فى النفس أثره كلما عادت بنا الذاكرة الى تلك الايام التى كنا نفزع فيها فلا نجد غير ثروت موئلا فى حل المشكلات ومعالجة الكوارث ، كلما عبست لنا الايام وفغرت لنا صروف الزمان فاها.

وكنا نود أن نكتب في الفقيد كلمة نوفيه فيها بعض حقه الذى طوق به عنق كل مصرى ، فلما ان القى صاحب المعالى وزير المعارف كلمته في حفلة التأبين اكتفينا بنشرها . والحق أن ليس وراءها زيادة لمستزيد في بيان المكانة العليا التى يشغلها ثروت باشا في تاريخ مصر الحديث . وهى فضلا عن ذلك تكاد تكون من الاسانيد السياسية الرسمية فى هذا العصر .

على أن لايفوتنا أن نقول بان المدرسة السياسية التى كونها ثروت باشا رحمه الله. هى المدرسة الوحيدة التى ستخلد على مر الايام ويبقى أثرها بالغاً فى الحياة المصرية . فهى أشبه بالمدرسة التى كونها كبار السياسيين الاوروبيين فى كثير من الدول . مدرسة تقوم على فهم الواقع كما هو واقع ومعالجة الامور من طريق السياسة والحجة. لامن طريق العنف والشدة . فهى بحق أول مدرسة قامت فى الشرق على أسس ديبلوماسية ثابتة



(صاحب الدولة المرحوم عبد الخالق باشا ثروت)

خطبة صاحب المعالى

احمد بك لطفى السيد

وزير المعارف

أصحاب السمو

أيها السادة

مات ثروت باشا فبكاه الوطن أسفا على مافاته من المنافع التى كان ينتظرها من ابنه البار بعد ان بلغ مبلغه من الرشد السياسى ، ثم بكاه تقديرا لخدمته الصادقة فى منصة القضاء ومناصب الادارة وميدان السياسة وفى كل مناحى النشاط العقلى فى البلاد . بكاه بكاء الوالد الرحيم ابنه البار . بكاه الوطن وتقبل عنه عزاء الاوطان العظيمة التى كناه كتابها بابى الدستور وبابى الاستقلال

مصر متى جد الجد تتطلع يمنة ويسرة تتخير من ابنائها رجل الموقف تلقى اليه قيادها . تتفقد أبناءها فلا تجد ذلك الرجل الفذ الذى لايملأ خلوه غيره . فقدته فى شبابه السياسي وهى لاتزال تنتظر منه كثيرا . فقدته فجزعت لمصابه جزع العارف بجميله فيما مضى والذى خاب رجاؤه منه فيما يستقبل . ولقد يموت من أبنائها كثيرون لايحس موتهم الا فى دورهم . ذلك بان التفاوت بعيد المدى بين أبناء الوطن الواحد أعزهم عليه أنفعهم له « وخير الناس أنفعهم للناس »

بعد ان مات ثروت وعدمنا تلك الشخصية القوية فى ذاتها المتشبعة فيما حواليها الى مدى بعيد ، المتعددة آثارها في كل جهات الاعمال العامة فى مصر ، لم يبق لنا من ثروت الا آثاره ، والا ذكراه التى نحتفل بها اليوم وهو غاية ما نستطيع

وانى لا أدرى أأهل الآخرة كأهل هذه الدنيا تسعدهم نباهة الذكر فترضيهم محيات الاحياء و يغتبطون بنشر آيات مجدهم و بقاء ذكراهم . أم هم فيما هم فيه من رضي الله لا يشتغلون بشيء مما نحن فيه . ان كانت الاولى فارجو ان نكون قد أدينا شيئاً من الاعتراف بالجميل لفقيدنا العظيم . واذا كانت الثانية فان فى درس هذه الشخصية المصرية الكبرى وثيقة للتاريخ وقدوة حسنة لمن تسمو بهم همتهم من شبابنا أن يكونوا كثروت باشا فى نشاطه الجم ، وخدمته الجليلة الاثر فى نهضتنا الحاضرة

نبت ثروت باشا من منبت قوى الحيوية، طيب الاعراق ، نابه الذكر . منبت جمع الى قوة الطبائع التركية ذكاء البيئة المصرية ومدنيتها . فان أباه المرحوم اسماعيل عبد الخالق باشا ابن المرحوم عبد الخالق افندى أحد كبار الحكام فى أوائل عهد محمد على الكبير هو فى الطبقة الثالثة من احفاد رأس عائلتهم فى مصر . وهو السيد يوسف الكرانى الذى نزح الى مصر من كران ببلاد الاناضول . وأما والدته رحمها الله.فهى حفيدة اغا مستحفظان مصر في عهد محمد على

ولد محمد عبد الخالق ثروت فى بيت أبيه اسماعيل باشا بدرب الجماميز يوم الثلاثاء أول صفر سنة ١٢٩٠ . فلما كان فى الثامنة من عمره أدخل مدرسة عابدين ثم مدرسة النورمال (المعلمين) ومنها دخل امتحان البكالوريا العام سنة ١٨٨٨ فكان أول الناجحين في البكالوريا . ثم دخل مدرسة الحقوق . وكانت مدة الدراسة فيها خمس سنين . وكان فى كل دراسته أول فرقته . وبالنتيجة كان أول الناجحين في الليسانس سنة ١٨٩٣

أقف قليلا عند آخر هذا الطور الاول طور التحصيل ، لا سجل شيئا مما أعلم عن الحياة الدراسية لذلك الشاب الذى ظهر نبوغه على وجه التمام في هذا الطور بل استتم فيه مقومات شخصيته الممتازة. أو بعبارة أخرى استتم مقومات عظمته التى عرفتها له البلاد

كان ثروت الطالب شابا حسن الطلعة تعلوه هيبة يجد في غير عبوس مترفعا في غير كبر . سهل الاخلاق دون فناء في الاغيار . بل كان في جده ومزحه معتدلا محتفظا على كل حال بكرامته . نافذ الرأي في بيئته ودودا من غير الحاح . ومتحفظا من غير انقباض . محبب العشرة في رقته . وكان له في دار أبيه الفسيحة في باب اللوق قاعة استقبال واسعة يدعو اليها زملاءه الوقت غير الوقت يذاكرون أو يسمرون وكان هو مركز دائرتهم . اذ كان في جاذبيته وحلاوة حديثه متفوقا كما كان في ذكائه واجتهاده . نعم كان ذكيا حاد الذكاء مواتي البديهة كثير الاشتغال فوق درس الحقوق بمناحي الثقافة يلتمسها في الآداب الفرنسية والعربية . وأكثر ميله في هذا الباب الى التاريخ على العموم والتراجم على الخصوص . ميل كبر معه حتى صار في السنين الاخيرة نوعا من الشغف : لقد رأيته في الاعوام العشرة الاخيرة — وكنت أظن شغله فيها قاصرا على تطورات القانون الدولي والتاريخ السياسي — يبحث أيضا في أصول قرطجنة ، وفي تخطيط القاهرة وفي مقابلة أقوال المستشرقين في السيرة النبوية . بل في أصول الفن البيزنطي بحث أهل التنقيب لامطالعة الهواة المتسلين .

لقد صدقت ثروت باشا أربع سنين في طلب الحقوق ، وخمس وثلاثين سنة في الحياة العملية بعد ذلك . ويقيني أنه منذ خرج من المدرسة الى آخر حياته لم يتغير في شيء من أخلاقه ، بل من ميوله بل من فضائله العقلية الا مازادت عليها التجربة والدرس المستمر . كل مافي ثروت من الخصائص العقلية أو الكيوف الاخلاقية جاءه مبكراً وثبت له حتى التدبر لم تخلقه له مقتضيات المسؤلية في الوظائف التي شغلها ولا الملابسات السياسية التي دخل فيها بل خلقه له طبعه الخصيب

تلك شخصية مستقلة بذاتها لم تطبع على شخصية أخرى . بل كان ثروت فيها نسيج وحده ، وفي ظني ان الحرية التي كان يتمتع بها في صغره دخلا مهماً في حفظ

شخصيته ، من أن تؤثر فيها فتغيرها شخصيات الاغيار . ان حب أبيه اياه واعتداده به واطمئنانه على ان ثروت سوف يشغل من قومه مكانا علياً ، كل هذا جعل ذلك الشيخ الصالح لايضيق على ابنه فى شىء من حريته ، ولا يحاول أن يطبعه على مثال يتخيله كما يفعل بعض الآباء . وعلى الخصوص المعتدين بعريض جاههم أو المكثرين فى أموالهم . لذلك أخذت ملكات ذلك الشاب تنمو نموها من غير عائق وتقتضي من الطبع الطيب كما لها الخاص . كما أخذت نفسه وهى حرة سيدة تهذب من ميوله ماشاء له طمعه في الفضيلة على ضوء معرفته لمعنى الحياة وتقديره لحدود الواجب . تلك نفس زكية أتمت تهذيبها باكرا واستقلت بشخصيتها قبل الاوان . فكنت لاتجد بثروت تغيرا حتى فيما لا بد ان يغيره الزمان . بشاشته الشابة ، وابتساماته البيانية . وعلى الخصوص نظراته التى كانت تؤدى كثيرا مما يتورع أن يؤديه باللسان . كل ذلك بقى فى ثروت الوزير كما كان فى ثروت منذ خرج من الدرس الى الحياة العملية

واكثر ظنى ان ماحفظ على ثروت رواءه وشمائله . وبالجملة كل مقومات شخصيته الفتية أنه نشىء فى سعة وعاش وعاش فى سعة. فلم يعرف بؤس العيش ولا ذل الحاجة ولم تود برواء شبابه تلك المصائب التى كثيرا ماأصابت العظماء أمثاله فهو في كل شىء مسيح وحده حتى فى عظمته

دخل ثروت فى وظائف الحكومة أو بعبارة أدق سكرتيرا فى لجنة المراقبة القضائية فى وزارة الحقانية. وكان الموظف المصرى وقتئذ مأمورا ليس له من الوظيفة الا راتبه ، وعليه أن يعمل مايؤمر به .أما الاخذ باسباب الابتكار فى الاعمال والتفكير فى المشاريع فذلك لايعنيه . وأما المسؤلية عن الاعمال فهى على الآمر اذ كانت الوزارة المصرية مبطنة بوزاة من المستشارين لها الفعل وللاولى الاسم فى هذا الجو المعطل للمكات المصرية ان تظهر. والمبعد لشخصية الموظف المصرى عن ان تستوفى كمالها الخاص في هـذا الجو . دخل ثروت فى وزارة الحقانية يحمل

لوظيفته مهما قوة عقلية، وكفاءة علمية، ورفعة اخلاقية، ويحمل فوق ذلك عقيدة هي أخص ماينفع الموظف في عمله، واجدى مايكون عليه في باب الاستقلال بالواجب، واحتمال المسئولية عنه. تلك العقيدة هي ان الوظيفة ضريبة على الكفء وان الذي يرى نفسه في حاجة لوظيفة قمن ان لاتكون وظيفته في حاجة اليه. بهذه الكفاءة وعلى هذه العقيدة تبوأ ثروت مكان الثقة من السير جون سكوت مستشار الحقانية المنفرد بالاثر فيها. فلم يلبث ذلك الشاب النابغة ان صار في وزارة الحقانية الكل في الكل. واحتمل مسئولية هذه الوزارة الضخمة سواء أكان ذلك في التشريع أم في مراقبة أحكام المحاكم الابتدائية أم انتقاء القضاة الخ. الخ. يدلك على احتماله المسئولية ما كان له من السلطان، وآية السلطان انك كنت ترى ثروت هو وحده المقصود في وزارة الحقانية دون سواه. بقي ثروت بك على ذلك في وزارة الحقانية الى ان عين مستشارا في محكمة الاستئناف. ثم مديرا لاسيوط. ثم نائبا عاما الى سنة ١٩١٤ اذ اختير وزيراً للحقانية. نقول ان ثروت باشا وهو نائب عام. كان ملء كرسيه وملء وسادة. دلت تصرفاته ووقوفه للحق في وجه أهل السلطان وقفات متعددات على أنه صاحب الدعوة العمومية. وأنه المسئول عنها في البلاد دون سواه. وهولا يفهم المسئولية الا مقترنة بما يعد لها من السلطان وحرية العمل فانتهى الامر به الى ان كان صاحب الكلمة في الدعوة العمومية، صانها عن المداخلات السياسية وقصرها على أن يكون الفصل في أمرها للعدل دون السياسة فكانت النيابة في أيامه مغرسا صالحا ربي فيه من الشبب رجالا أكفاء كانوا بيده من خير نوابغ المصريين. تعددت فيهم صورته المعنوية. كذلك الرئيس متى كان قوى الشخصية تستعر في قلبه نار الواجب المقدسة. كان المثال الصالح تنطبع عليه شخصيات مساعديه من الموظفين

على هذه المرحلة الثانية من حياته نقف قليلا بقليل. ان واجبات الوظائف التي تقلب فيها وعنايته بانتقاء الشبان المستعدين وتشجيعهم ليصطنع منهم رجال

الغد . واشتغاله بمراجعة المطولات فى الحقوق وغير الحقوق. كل ذلك لم يكن ليشبع قوة نشاطه ولا ليستغرق كل جهوده التى صرف كثيرا منها في أعمال الخير

اهتم بالجمعية الخيرية الاسلامية فكان مديرا للتعليم فيها منذ عشرون عاما الى وفاته

اهتم بالجامعة المصرية فكان أحد أعضاء ادارتها منذ عشرين عاما الى وفاته

اهتم بانشاء النادى الاهلى ونادى الطلبة. وبالجملة لانعرف عملا عاما دعى اليه ثروت الا كان من أول المجيبين

كل ميسر لما خلق له . وقد يظهر لكم من ميزات ثروت التى حياه ايها طبعه والتى جئت على مجمل وصفها آنفا ان ثروت كان مخلوقا للسياسة مطبوعا عليها وميسرا لها . ذكاء ملتهب و بديهة مواتية. وضبط لاحساسات النفس ولطف لقاء ، و روعة فى الحديث ، وصدق نظر ، ثم علم جم بما له اتصال بسياسة الامم . وبالجملة ثقافة سياسية ثم تجربة طويلة المدى كسبها في معالجة الجزئيات ازمان الحكومة المزدوجة على ذلك جعل من ثروت رجل سياسة بكل معنى الكلمة . فلما دخل الوزارة في ربيع سنة ١٩١٤ كان المنتظر ان يقوم بما أهل له من خدمة سياسية يفيد بها وطنه ، كما أفاده فى القضاء على ضيق ميدان السياسة التى كانت تحدده ظروف الاحتلال ، غير ان نشوب الحرب الكبرى بعد قليل من ولاية وزارة رشدى باشا جعل مصر فى وضع غريب ومركز قلق وجعل بناء الآمال المصرية متوقفا على نتيجة الحرب . ومثل ذلك الوضع من شأنه ان يجرد الرجل السياسى مهما كانت كفاءته من الظرف المناسب لاظهار مقدرته. فانحصر هم وزارة رشدى باشا في محاولة توقى الاضرار بقدر المستطاع .ولم يكن مستطاعا فى تلك الظروف الا الشيء القليل . من أجل ذلك لم يظهر من ثروت فى السياسة ما يتفق مع استعداده الخلقى للسياسة

فلما وضعت الحرب اوزارها وظهرت نتيجتها واخذت آمال المصريين فى الاستقلال صبغة نهائية وتألف الوفد. كان ثروت باشا محبذا لهذه الحركة القومية المباركة

ولما استقالت وزارة رشدى باشا احتجاجا على منع الوفد وبعض الوزراء من السفر . رفض ثروت باشا تأليف وزارة جديدة واعلن انه متضامن مع زملائه بالامس فى الاستقالة وفى سببها وفى وجهة نظرها . وترتب على هذا الرفض الشريف الحقيق فى تلك الظروف بتقدير الوطن — ان سعى الوفد بكامل هيئته وعلى رأسه المغفور له سعد زغلول باشا الى بيت ثروت باشا ليقدموا اليه التهنئة على ابائه الوطنى وآيات الشكر على تضامنه مع الوفد فى حركته القومية . وكانت كلمات سعد باشا له : ان تضامنه مع الحركة القومية "مدة" يكسب الوفد قوة والبلاد أملا فى النجاح . وتعلمون ان هذه الزيارة قد ترتب عليها ان استحضرت السلطة العسكرية مع رئيس الوفد واعضاءه وانذرتهم بانهم بحركاتهم يعرقلون سير الحكومة

ولما جاءت لجنة ملنر الى مصر كان رشدى وعدلى وثروت هم الممثلين الحقيقيين للوفد ولآمال البلاد امام تلك اللجنة. ففاوضوها مفاوضات طويلة أدت الى اقتناع اللجنة بوجهة النظر المصرية . وكفتهم بخبرة الوفد فى ذلك فارسلوا اليه تقرير عن الخطة . هى من قلم احدهم ثروت باشا

لم تنجح المفاوضات مع لجنة ملنر . ثم لم تنجح المفاوضات الرسمية فى سنة ١٩٢١ وحددت بريطانيا العظمى مركزها فى مصر بالمذكرة التفسيرية التى أعقبت قطع المفاوضات . وكان جواب المصريين ان اعلنوا الاضراب عن تأليف الوزارة والاشتراك مع الانجليز فى حكم البلاد واشتد الانكليز فى تنفيذ سياستهم واتسعت هوة الخلف بين الفريقين . وفيما بين ذلك القت الظروف عبء الموقف على عاتق ثروت باشا . فكان مركزه فى غاية الحرج . هنا ظهرت مواهبه السياسية باجلى مظهر . استجمع قدامه وقصد الى ان يحول هذا الظرف السيء الى مصلحة بلاده واخذ يفاوض اللورد اللنبي حتى اقنعه بانه لا ينقذ الموقف الا إرضاء المصريين وان لا مناص من حل موقت تلغى به الحماية على مصر ، ويعترف لها بالاستقلال حتى يجيء الوقت المناسب لاتفاق الطرفين على مبلغ الضمانات التى تريدها

بريطانيا العظمى . وما زال باللورد اللنبى حتى شاطره وجهة النظر هذه وهو رجل عظيم اقتنع فعمل لدى دولته ما اعتقده لخير الامتين

أجل . هنا ظهرت عبقرية ثروت باشا السياسية وهنا امكن القول انه رجل سياسة حقا لا يقل عن عظماء السياسة فى علو الهمة ولا فى لطف المداخلة وحسبان وسائل الخروج من المازق . والنتيجة ان ثروت استطاع بالواسطة ان يحمل الحكومة البريطانية على أن تصدر من جانبها تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٨ القاضى بالغاء الحماية والاعتراف باستقلال مصر وسيادتها وحفظ النقط الاربع لمفاضات حرة من الجانبين من غير أن يقيد البلاد بشيء . على ذلك قبل ثروت باشا تاليف الوزارة واعلن حضرة صاحب الجلالة الملك للعالم استقلال مصر . واخذ ثروت باشا فى تنفيذ مقتضيات الاستقلال داخل حدوده . فقضى على عهد الحكومة المزدوجة واستبدلها بحكومة مصرية . واستقل مجلس الوزراء بالمسئولية عن الحكم ووضع مشروع الدستور بواسطة لجنة اختارها من رجال القانون والاعيان وضعا تاما لا ينقصه الا تصديق جلالة الملك . ثم استقال . ومنذ اعلان الاستقلال اعلن ثروت ان الحكومة فى انتظار ترتيب الحياة النيابية معتزمة ان تتمشى فى كل اعمالها على المبادىء الدستورية . وسارت حكومته بالفعل على تلك المبادىء الى ان استقال بعد ان خطا بمصر هذه الخطوة الواسعة فى سبيل العظمة والاستقلال

حتى انه انما استغل حركة مصر للاستقلال وغضبتها من مذكرة كرزون واستثمر جهود من تقدمه من رجال مصر . ولكن الرجل السياسى لا يخلق من لاشيء شيئا . انما هو يستثمر المواقف والظروف ليحقق بها الطاعة القومية . وكذلك فعل ثروت الذى أفاد حجة من أبناء الامة فاخذ ولم يعط . وقيد ولم يتقيد . وكذلك يفعل رجال السياسة

لم يقنع ثروت باشا بهذه النتيجة الباهرة . بل اضمر ان لا يستريح قبل أن يكمل استقلال بلاده على يديه . وقد تهيأت له الظروف فى وزارته الثانية سنة

١٩٢٧ فى صيف ذلك العام . سافر مع حضرة صاحب الجلالة الى لندره. فعمد بعد اتفاق سابق بينه و بين المغفور له سعد زغلول باشا ان ينتهز هذه الفرصة ليتصل مباشرة برجال السياسة من الانجليز . على الخصوص وزراء الحكومة ليزيل بادىء ذى بدء ما علق باذهانهم من الاثر الذى خلفته حادثة شهر يونيه . بشأن الجيش فاستغل كذلك الحفاوة التى قوبل بها جلالة الملك. فاجتمع بالسير أوستين شمبرلين وزير الخارجية البريطانية . و بعد ان أعرب له عن الاثر الجميل الذى تركته تلك الحفاوة الباهرة فى نفوس الشعب المصرى أخذ يشرح له تفاصيل حادث شهر يونيه . وبراءة الشعور المصرى من كل ما يكدر صفاء العلاقات بين الامتين . و بعد ذلك دخل وإياه فى أمر محادثات بشأن الاتفاق بين بريطانيا العظمى ومصر استغرقت وقتا غير قصير. ثم استمرت المفاوضات في هذا الموضوع فى القاهرة . وكان ثروت باشا قد أخذ على نفسه بادىء ذى بدء بان تظل هذه المحادثات مكتومة حتى يصل بها الى نتيجة مرضية . فن وصل الى هذه النتيجة أفضى بالتفاصيل الى زملائه والى زعماء البرلمان . وعندئذ يكن الدخول فى مفاوضات رسمية، والا أهمل أمر هذه المفاوضات اذا كان مصيرها الرفض توقيا للاثر السيء الذى يترتب على قطع مفاوضات رسمية بين أمتين يجب أن يسود بينهما حسن التفاهم و يبنى علاقاتهما على الصداقة .

أصاب ثروت باشا ولكن الظروف الخارجة عن ارادته لم تمكنه من تحقيق ما أخذ نفسه به واودت بجهوده قبل ان يصل بها الى الغاية . فستقال من الوزارة موفور الكرامة مشهودا له على رغم عدم النجح بصحة النظر وعلاج المسائل السياسية بما تقتضيه من الحزم والدهاء جميعا . وفى الحق انه كان رجلا عظيما

خرج ثروت باشا من هذه المعركة منهوك القوة اراد ان يجددها بازاحة وتغيير الهواء الى حين . ثم يعود ليعمل فى السياسة مع اصدقائه الذين قد تضامن معهم قبل سفره على الاستمرار فى تهيئة الوسائل الى استكمال الاستقلال

في صدد الالماع بمذهب ثروت باشا السياسي. أيجب على للحق والتاريخ أن اصرح ان ثروت كان ممالئا للحكومة الحاضرة متضامنا معها في الخطة التي جرت عليها في اجمالها وفي تفصيلها جميعا. ولم يسافر الا بعد ان اطمأن على ان الامور تجرى في مجراها الطبيعي

سافر الى اوروبا بعد ان وعدنا الا تطول غيبته. ولا نعلم ما يكنه القضاء فكانت الغيبة الابدية. اى ثروت ايها الصديق الكريم والوطني الكبير

تحية وسلاما من اصدقاء ما كان اسعدهم بك حيا. فاصبحوا وما اشقاهم بك ميتا

تحية وسلاما من وطن كنت لمجده بناء عرفت له واجبه فعرف لك حقك. نصرته فجزاك عطفه حياً. وحزن عليك ميتاً. عظم الله أجره فيك.

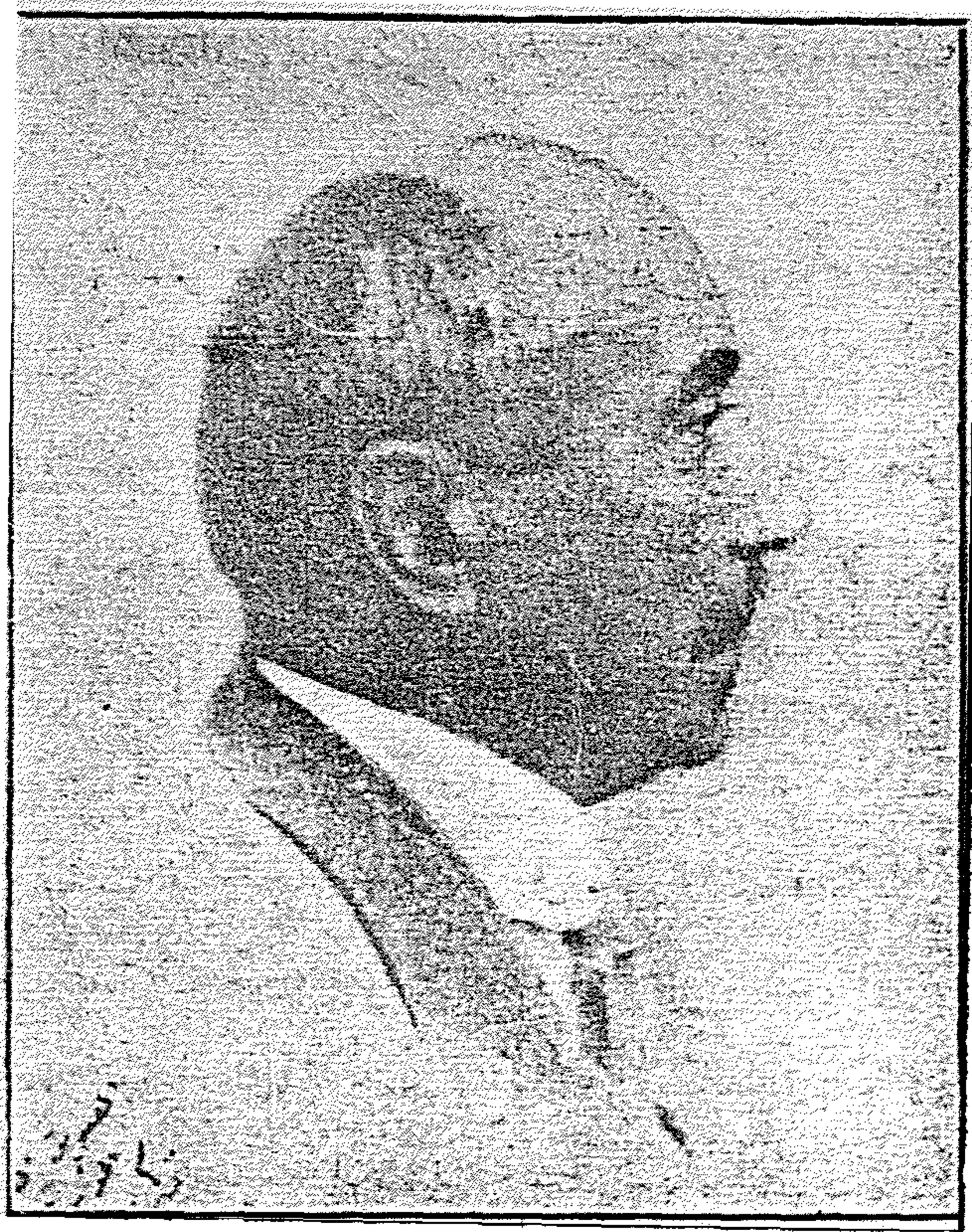
قصيدة

شوقي بك

يموت في الغاب أو في غيره الأسد   كل البلاد وساد حين تتسد
قد غيب الغرب شمساً لاسقام بها   كانت على جنبات الشرق تتقد
حدا بها الأجل المحتوم فاغتربت   ان النفوس الى آجالها تفد
كل اغتراب متاع في الحياة سوى   يوم يفرق فيه المهجة الجسد

***

نعى الغمام الى الوادي وساكنه   برق تمايل منه السهل والجلد
برق الفجيعة لما ثار ثائره   كادت كأمس له الاحزاب تتحد
قام الرجال حيارى منصتين له   حتى اذا هد من آمالهم قعدوا
علا الصعيد نهار كله شجن   وجلل الريف ليل كله سهد
لم يبق للضاحكين الموت ماوجدوا   ولم يرد على الباكين ما فقدوا



(أمير الشعراء شوقى بك)

وراء ريب الليالى أو فجاءتها   دمع لكل شمات ضاحك رصد

* * *

باتت على الفلك في التابوت جوهرة   تكاد بالليل فى ظل البلى تقد

يفاخر النيل أصداف الخليج بها   وما يدب الى البحرين أو يرد

ان الجواهر أسناها وأكرمها   مايقذف المهد لامايقذف الزبد

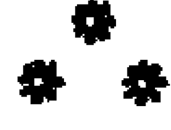
حتى اذا بلغ الفلك المدى انحدرت   كأنها فى الأكف الصارم الفرد

تلك البقية من سيف الحمى كسر   على السرير ومن رمح الحمى قصد

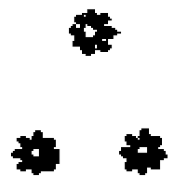
قد ضمها فزكا نعش يطاف به   مقدم كلواء الحق منفرد

مشت على جانبيه مصر تنشده   كما تدلهت الثكلى وتفتقد

وقد يموت كثير لاتحسبهمو كأنهم من هوان الخطب ماوجدوا
شكل البلاد له عقل ، ونابتها هي النجابة في الاولاد لا العدد



مكانك الهام بالتصريح ليس له عود من الهام يحويه ولا نضد
وصاحب الفضل في الاعناق ليس له من الصنائع أو أعناقهم سند
خلا من المدفع الجبار مركبه وحل فيه الهدى والرفق والرشد
ان المدافع لم يخلق لصحبتها جند السلام ولا قواده النجد



ياباني الصرح لم يشغله ممتدح عن البناء ، ولم يصرفه منتقد
أصم عن غضب من حوله ورضى في ثورة تلد الابطال أو تئد
تصريحك الخطوة الكبرى ، ومرحلة يدنو على مثلها أو يبعد الأمد
الحق والقوة ارتدا الى حكم من الفياصل ، ما في دينه أود
لولا سفارتك المهدية اختصما ومل طول النضال الذئب والنقد
مازلت تطرق باب الصلح بينهما حتى تفتحت الابواب والسدد
وجدتها فرصة تلقى الحبال لها إن السياسة فيها الصيد والطرد
طلبتها عند هوج الحادثات كما يمشي الى الصيد تحت العاصف الاسد
لما وجدت معدات البناء ، بنت يداك للقوم ماذموا وما حمدوا
بنيت صرحك من جهد البلاد كما تبنى من الصخر الآساس والعمد
فيه ضحايا من الابناء قيمة وفيه سعى من الآباء مطرد
وفي أواسيه أقلام مجاهدة على أسنتها الاحسان والسدد
وفيه ألوية عز الجهاد بهم لولا المنية ماماتوا ولا رقدوا
رميت في وتد الذل القديم به حتى تزعزع من أسبابه الوتد
طوى حمايته المحتل وانبسطت حماية الله ، فاستذرى بها البلد

ثم غير باك على ماشدت من كرم ماشيد للحق فهو السرمد الابد
ياثروة الوطن الغالى ؛ كفى عظة للناس أنك كنز فى الثرى بدد
لم يطغك الحكم فى شتى مظاهره ولا استخفتك لين العيش والرغد
تغدو على الله والتاريخ فى ثقة ترجو فتقدم ؛ أو تخشى فتتئد
نشأت فى جبهة الدنيا وفى فمها يدور حيث تدور المجد والحسد
لكل يوم غد يمضى بروعته وما ليومك ياخير اللدات غد
رمتك فى قنوات القلب فانصدعت منية ماأبها قلب ولا كبد
لما أناخت على تامورك انفجرت أزكى من الورد أو من مائه الورد
ما كل قلب غدا أوراح فى دمه فيه الصديق وفيه الاهل والولد
ولم تطاولك خوفاً أن يناضلها منك الدهاء ورأى منقذ نجد
فهل رئى الموت للبر الذبيح وهل شجاه ذاك الحنان الساكن الهمد ؟
هيهات ! لو وجدت للموت عاطفة لم يبك من آدم أحبابه أحد
مشت تذود المنايا عن وديعتها مدينة النور فارتدت بها رمد
لو يدفع الموت ردت عنك عاديه للعلم حونك عين ثم ويد

***

« أبا عزيز » : سلام الله ، لارسل اليك تحمل تسليمى ولا برد
ونفحة من قوافى الشعر كنت لها فى مجلس الراح والريحان تحتشد
أرسلتها وبعثت الدمع يكنفها كما تحدر حول السوسن البرد
عطفت فيك الى الماضى وراجعنى ود من الصغر المعسول منعقد
صاف على الدهر لم تقذر خليته ولا تغير فى أثنائها الشهد
حتى لحقتك مرموق الهلال على حداثة تعد الاوطان ماتعد
والشعر دمع ووجدان وعاطفة ياليت شعرى . هل قلت الذى أجد ؟

شوقى



(شاعر النيل حافظ بك ابراهيم)

قصيدة شاعر النيل

فى تأبين فقيد الوطن ثروت باشا

ننشرهنا قصيدة شاعر النيل . وهي أدق وصف وأبدعه للفقيد العظيم في حياته السياسية

لعب البلى بملاعب الألباب ومحا بشاشة ذلك الخلاب
وطوى الردى (عمرو الكنانة) غافلا ورمى شهاب دهائه بشهاب

من كان يدري يوم سافر أنه سفر من الدنيا بغير إياب
حزنت عليه عقولنا وقلوبنا وبكت ، وحزن العقل شر مصاب
القلب ينسيه الغياب أنيغه والعقل لاينسيه طول غياب
بالامس مات أجلنا وأعزنا جاها وأبقدنا على الأحقاب
واليوم قد غال الحمام أسدنا رأيا فطاح بحكمة وصواب

***

رأس يدبر في الخفاء كأنه قد يدبر من وراء حجاب
حتى أذا أرضى النهى وتناسقت آياته راع الورى بعجاب
يمشي على سنن الحجا متمهلا بين العداة الكثر والاحباب
تتناثر الاقوال عن جنباته من شانىء ومناصر ومحابي
لا المدح يغريه ولا يلوى به عن مجده المرسوم ، وقع سباب
حلو التواضع لم يخالط نفسه زهو المدل يحاط بالاعجاب
حلو الاناة اذا يسوس . وعنده أن التعجل آفة الاقطاب
حلو السكوت ككوكب متألق والليل ساج أسود الجلباب
يهدى السبيل السالكيه ولم يرد شكراً ولم يعمل لنيل ثواب

***

متمكن من نفسه لم يعره قلق الضعيف وحيرة المرتاب
يزن الامور كأنما هو صيرف يزن النضار بدقة وحساب
فيحل غامضها بثاقب ذهنه حل الطبيب عناصر الاعشاب
ويقيس شقتها بمقياس النهى فترى صحيح قياس الاسطرلاب
متبسم وعلى معارف وجهه آيات مايلتقى من الاوصاب
شيم ترد الناقمين لوده وشمائل تستل حقد الناب
يرضى المرتل في الكنيسة صنعه كيسا ويرضى ساكن المحراب

يرتاح للمعروف لا متربحا فيه ولا هو فى الجميل مرابى
يروى الصديق من الوفاء ولم يكن بالحاسد النعمى ولا المغتاب
لم يبد فينا جازعا أو غاضبا لهم الا غضبة النواب
وبكاؤه فى يوم سعد زادنى علما بأن اليوم يوم تباب
قامت صعاب فى مسالك سعيه من بعد سعد دعمت بصعاب
فظهيره عند النضال وركنه أمسى حديث جنادل وتراب

***

لله سر فى بناءة ثروت سبحان بانى هذه الاعصاب
انى سألت العارفين فلم أفز منهم على عرفانهم بجواب
هو مستقيم ملتو ، هو لين صلب ، هو الواعى ، هو المتغابى
هو حول ، هو قلب ، هو واضح هو غامض ، هو قاطع ، هو نابى
هو ذلك الطلسم من أعى الحجا حلا ومات ولم تفز بطلاب
أو ماتراه مفاوضا كيف انبرى لكبيرهم بذكائه الوثاب
لم يأت من باب لصيد دهائه الا نجا بدهائه من باب
ويظل يرقيه ويغزو كبره بليونة ولباقة وخلاب
ويروضه حتى يرى أسطوله خشبا تناثر فوق ظهر عباب
ويرى صفوفا من ذكاء صففت دون الحمى تعيى أسود الغاب

***

وافى باقصى ماينال مفاوض يسعى بغير كتائب وحراب
واستل من اشداق آساد الشرى علما عضضن عليه بالانياب
خافق خبا ضوء الهلال لطيه جم التوجع دامى الاهداب
فخفق فوق ربوع مصر عوده فى منبت خصب ورحب جناب
ان فاته بعض الامانى فاذكروا انا امام محنكين صلاب

قد جاز تيهاء الامور ولم يكن　　في وعرها وكئودها بالـكابي.
رجل يفاوض وحده عن أمـة　　ان لم يفز فوزا فليس بعاب.
رفع الحماية بعد مابسطت على　　أنحاء مصر وأيدت بكتاب
وأتى لمصر واهلها بسـيادة　　مرفوعة الاعلام والاطناب.

***

عذرا فلست ببالغ فيك المدى　　أنى غززت الى مداك ركابي.
كم موقف لك في الجهاد مسجل　　بشهادة الاعداء والاصحاب.
في خطب مصر (لبطرس) أحمدتها　　مشبوبة كنت على الابواب
الفت بين العنصرين فأصبحا　　رتقا وكنت موفق الاسباب
خالفت فيك الجازعين فلم أنح　　حزنا عليك وأنت من اترابي.
النوح في الجلى اجتهاد مقصر　　النى دعاء الصبر غير مجاب
فأنا الذى يبكي بشعر خالد　　يبقى على الاجيال للاعقاب.
قد كنت تحسن بي وترقب جولتي　　في حلبة الشعراء والكتاب
وتهش ان لاقيتني وتخصني　　بالبشر في ناديك والترحاب
فاذهب كما ذهب الربيع بنوره　　تأسى الرياض عليه غب ذهاب.

حافظ ابراهيم



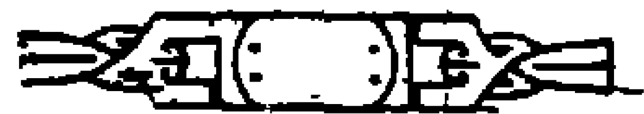
أخشى عليك

أخشى عليك تناول الايدى يا زهرتى ، وتكالب الورد
وأخاف أن تمتد فى جشع أيد تريدك ، لمسها يردى !
قولى لرب الروض لا أمل فى أن تساوم بى ذوى النقد
أنا للذى روت مدامعه غصنى ، وحافظ لى على عهدى !
فاذا أبيت ثمرتنى بددا وجعلت روضى بعد ذا لحدى

***

يا زهرتى هل تقسمين بما أخلصت من حب ومن ود ؟
أن لا يمتع بالشذا أحد يا زهرتى إلا أنا وحدى

حسن كامل الصيرفى



رباعيات الخيام

مترجمة بقلم فيلسوف العراق

السيد جميل صدقي الزهاوي

— ٤ —

في العشق (١)

— ١١٣ —

انما العشق في الشباب جلاء   لحياة الفتيان والفتيات
أيها الغافل البعيد عن العشق — تعشق فالعشق كل الحياة

— ١١٤ —

انما التوبة التي جاء عنها   سببها حبيبتي بالتمام
والقميص الذي له خاط صبري   مزقته حوادث الأيام

— ١١٥ —

انني الطائر الذي كل يوم   يهوى من أحب قلبي أشدو.
فمع العشق في تراب سأخفى   ومع العشق منه أظهر بعد

فيما خاطب به الله

— ١١٦ —

انا في حرب مرة مع نفسي   انا مما قدمته ندمان
هبك يوما عفوت عني ولكن   انا مما أتيته خجلان

— ١١٧ —

قلت اني معذب لك فاهرب   ليت شعري أين العذاب يكون

(١) ظهرت الاجزاء الاولى من هذه الترجمة في الاعداد ١٣، ١٤، ١٥ من العصور

منك لا يخلو فى الوجود مكان وانا حيثما تكون مصون

— ١١٨ —

أنا عاص فاين منك الرضاء أنا راج فاين منك الضياء
إنما وقفك الجنان على الطا عة بيع فأين منك العطاء؟

— ١١٩ —

أنت أنشأتنا وشئت لنا عصياناً ما قد أمرتنا فعصينا
كل ما نأتيه من الخير والشر فانت الذى كتبت علينا

— ١٢٠ —

أي انسان لم يجىء قط ذنباً كيف عاش الذى زكا وتوقى
انتكافيء سوئى بسوء فقل لى أين فرق بينى وبينك يبقى؟

— ١٢١ —

فى طريقى وضعت الفخ من الاشرا ر. وحتى استحال منها مناصى
ان عصيانى كان منك بجبر فماذا سميتنى بالعاصى

— ١٢٢ —

ان عقلى لا يستطيع وان حا ول عمراً فى نفسه اثباتك
أنا مالى بكنه ذاتك علم انما الذات منك تعرف ذاتك

— ١٢٣ —

أنا يا ربى الرحيم وان كنت لجهلى مقدما كل شين
ليس بى يأس منك اذ لم أقل للواحد الفرد فى حياتى اثنين

— ١٢٤ —

أيها الرب آثم انا فارحم لى قلبا من خفقه ما استراحا
ثم رجلا كانت الى الحان تمشى ويدا كانت تمسك الاقداحا

— ١٢٥ —

رجع العقل القهقرى واعيا ء. وقد سار فى جميع المناهج

انما هذه العوالم طراً منك ملآى وأنت منهن خارج

— ١٢٦ —

بك قد نلت يا إلهي وجودي وأنا اليوم في نعيمك أرتع
سأزيدن من ذنوبي لا أدري اذنوبي أم عفوك الجم أوسع

في مطالب شتى

— ١٢٧ —

لا تظنن بي المخافة من أن يدهم الموت نازلا بي ويغشى
أنا لا أخشى الموت فالموت حق غير أني من سوء عيشي أخشى

— ١٢٨ —

قال شيخ لمومس أنت سكرى كل يوم مربوطة بخدين
فأجابت اني كذاك فهل أنـ ـت كما انت ظاهر للعيون

— ١٢٩ —

أنظروا في صداقة الكأس والا بريق مرفوعة فوق اليدين
فشفاه حتى شفاه تلاقى ودم قانىء من الجانبين

— ١٣٠ —

الجحيم الذي بها أوعدونا ليس الا اتعابنا أوانا
والنعيم الذي وصفوه ليس الا ارتياحنا أحيانا

بغداد في ٢٥ كانون الثاني ١٩٢٥



تقسيم الحيوانات

« تفضل حضرة ابراهيم أفندى حداد بأن أرسل الينا بهذا الجدول المفصل الذى ترجم فيه أسماء الفصائل الحيوانية حسب الترتيب الحديث وأشفعه بالجدول المفصل الملحق به . ونحن ننشر هذه الترجمة مع الجدول ولو أننا لانوافقه على ترجمة كثير من المصطلحات. وسنعود الى الكلام فى هذا فى فرصة أقرب . غير أننا نود من الناقدين أن لا يضنوا على هذا العمل العلمي بآرائهم وتقدهم والمصور ترحب بكل ما يصلها من رأى أو نقد إزاء هذا العمل العلمى »

١	أصل الحياة	L'origine
٢	حيوانات تالية	Metazoaires
٣	حيوانات ابتدائية	Protozoaires
٤	ذات الارجل الجذرية	Rhizopodes
٥	سبورية	Sporozoaires
٦	نقيعية	Infusoires
٧	مفصصة	Lobés
٨	آميبية	Amiboides
٩	شمسية	Heliozoairés
١٠	شبكية	Reticulés
١١	ذات الثقبات	Faraminiféres
١٢	شعاعية	Radiolairés
١٣	قافلوية المعيشة	Gregariniens
١٤	بذورية	Caccidiens

١٥ وحيدة الكيس	Monocystidés
١٦ كثيرة الاكياس	Polycystidés
١٧ بذورية دموية	Hemococcidiens
١٨ ذات اللواحق	Flagellés
١٩ ذات اللواحق الجذرية	Rhizoflagellés
٢٠ ذات اللواحق الحقيقية	Euflagellés
٢١ ذات اللواحق المكممة	Choanoflagellés
٢٢ ذات اللواحق المكيسة	Cytoflagellés
٢٣ ذات الاهداب	Ciliés
٢٤ متجانسة الاهداب	Holotriches
٢٥ غير متجانسة الاهداب	Heterotriches
٢٦ عديمة الجوف الحشوى	Sans Cavité Générale
٢٧ مزدوجة الوريقات	Coélentérés
٢٨ هيدروميدوزية	Hydroméduses
٢٩ بوليبية	Hydroïdes
٣٠ ميدوز مشبك	Trachyméduses
٣١ حاملة المص	Siphonophore
٣٢ ذات القرص المزهر	Disconanthes
٣٣ ذات المص المزهر	Siphonanthes
٣٤ مرجانية	Corallières
٣٥ ذات الثمانية اللوامس	Alchyonaires
٣٦ ذات الستة اللوامس	Zoanthaires
٣٧ شقائقية	Aciniaires
٣٨ ذات الثقبات الغير مشعرة	Madreporaires
٣٩ أكاليف	Acalèphes
٤٠ حاملة المشط	Ctenophores

٤١	اسفنجية	Spongiaires
٤٢	اسفنجية كلسية	Calcisponges
٤٣	اسفنجية سيليسية	Silicosponges
٤٤	اسفنجية قرنية	Ceratosponges
٤٥	قربوية الشكل	Ascons
٤٦	تينية الشكل	Sycons
٤٧	بيضوية الشكل	Leucons
٤٨	ذات الستة الفروع	Hexactineilidés
٤٩	ذات الاربعة الفروع	Tetractinellidés
٥٠	ذات الفرع الواحد	Monoctinellidés
٥١	ذات الجوف الحشوي	Avec Cavrité Générale
٥٢	مقنفذة الجلد	Echinodermes
٥٣	ذات الاذرع	Ayant des bras
٥٤	الشبه النجمية	Stelleridés
٥٥	ذات المحجمين	Bisériés
٥٦	ذات الاربعة المحاجم	Quadrisériès
٥٧	الشبه الجنسية	Ophiuridès
٥٨	عديمة الاذرع	Sans bras
٥٩	قنفذية	Echinides
٦٠	غير المنتظمة	Irréguliers
٦١	.....	Clypeastroides
٦٢	.....	Spatangoids
٦٣	منتظمة	Reguliers
٦٤	حيوانات نباتية	Holothurides
٦٥	ذات الارجل	Eupodes
٦٦	عديمة الارجل	Apodes

٦٧	ديدان	Vers
٦٨	حلقية	Annelés
٦٩	ذات الارجل الشعرية	Chetopodes
٧٠	كثيرة الشعر	Polychètes
٧١	سيارة	Eerrants
٧٢	مستقرة	Sedentaires
٧٣	قليلةالشعر	Oligochètes
٧٤	مائية	Limicoles
٧٥	ترابية	Terricoles
٧٦	مالسة	Gephyniens
٧٧	مسلحة	Armés
٧٨	الغيرمسلحة	Inermés
٧٩	علقية	Hirudinées
٨٠	عديمة الفكوك	Rhynchobdéllidès
٨١	ذات الفكوك المسننة	Gnathobdellidès
٨٣	عريضة الجسم	Phathelminthes
٨٣	مسطحة	Turbellaires
٨٤	ذات الامعاء المتشعبة	Dendrocelles
٨٥	ذات الامعاء الغير متشعبة	Rhabdocelles
٨٦	الديدان العريضة	Ternatodes
٨٧	ذات المحجمين	Distomiens
٨٨	كثيرة المحاجم	Polystomiens
٨٩	الديدان الشريطية	Cestodes
٩٠	متقطعة	Teniadès
٩١	شقوقية	Bathriades
٩٢	الديدان الخيطية	Memathelminthes

٩٣	خيطية	Nematodes
٩٤	مشوكة الرأس	Acanthocéphales
٩٥	ناعمة	Mollusques
٩٦	ذات الارجل القاربية	Scaphophodes
٩٧	ذات الاعصاب الممتدة	Amphineurs
٩٨	ذات الالوح	Placophores
٩٩	عديمة الالواح	Aplascophores
١٠٠	ذات الارجل البطنية	Gasteropodes
١٠١	ذات الفروع الامامية	Prosobranches
١٠٢	ذات الاذنين	Diatocardes
١٠٣	ذات الاذن الواحدة	Monotocardes
١٠٤	رئوية	Pulmonés
١٠٥	ذات العيون النافرة	Stylommatophores
١٠٦	ذات العيون القائصة	Basommatophares
١٠٧	ذات الفروع الخلفية	Opisthopranches
١٠٨	سقفية الفروع	Tectibranches
١٠٩	ذات الفروع العارية	Nudibranches
١١٠	ذات الارجل الجنبية	Pteropodes
١١١	ذات الفروع المصفحة	Lamellibranches
١١٢	جوفية ابتدائية	Protoconques
١١٣	الغير متجانسة العضلات	Heteromyaires
١١٤	وحيدة العضلة	Monomyaires
١١٥	ذات العضلتين	Dimyaires
١١٦	عديمة المدص	Asiphonés
١١٧	ذات المدص	Siphonés
١١٨	ذات الارجل الرأسية	Cephalopodes

Tetrabranchiaux	١١٩ ذات الاربعة الفروع
Dibranchiaux	١٢٠ ذات الفرعين
Decopodes	١٢١ ذات الارجل العشرة
Octopodes	١٢٢ ذات الارجل الثمانية
Chardata	١٧٣ حبلية
Protocodes	١٢٤ حبلية ابتدائية
Vertebrés	١٢٥ فقارية
Acraniens	١٢٦ عديمة القحف
Tunicieres	١٢٧ قميصيه
Ascidies	١٢٨ ثاوية
Vertebres Superieurs	١٢٩ فقارية عليا
Mamelles	١٣٠ ذات الثدى
Vivipares	١٣١ ذات التناسل التولدي
Placentaires	١٣٢ ذات المشيمة
Terrestres	١٣٣ ترابية
Hommiens	١٣٤ الانسان
Voiliers	١٣٥ ذات الاجنحة
Cheidopteres	١٣٦ خفاشية
Aquatiques	١٣٧ مائية
Avec membres post	١٣٨ ذات الاطراف الخلفية
Prinnipedes	١٣٩ مسبحية الارجل
Pas des membres post	١٤٠ عديمة الاطراف الخلفية
Sireniens	١٤١ ذات الثدي الصدرية
Cetaçes	١٤٢ قيطسية
Denticetes	١٤٣ ذات الاسنان
Mysticetes	١٤٤ عديمة الاسنان

Aplacentaires	١٤٥ عديمة المشيمة
Marsupiaux	١٤٦ ذات الاكياس
Carrassiéres	١٤٧ آكلة اللحوم
Herbivores	١٤٨ آكلة الحشائش
Ovipares	١٤٩ ذات التناسل التبيضي
Monotremes	١٥٠ وحيدة الثقبة
Eedentés	١٥١ عديمة الاسنان
Insectivores	١٥٢ آكلة الحشرات
Rongeurs	١٥٣ القاضمة
Proboscidiens	١٥٤ الخرطومية
Carnivores	١٥٥ المفترسة
Felides	١٥٦ الاسدية
Ursides	١٥٧ الدبية
Viverides	١٥٨ ....
Canides	١٥٩ الكلبية
Mustelides	١٦٠ ....
Ongulés	١٦١ المظلفة
Perisodactyles	١٦٢ وحيدة الاصبع
Artiodactyles	١٦٣ مزدوجة الاصابع
Siudes	١٦٤ الخنزيرية
Ruminantes	١٦٥ المجترة
Primates	١٦٦ القردة
Lemuriens	١٦٧ خيالية
Simiens	١٦٨ قردة
Anthropoides	١٦٩ شبه الانسان
Vertebrés inferieurs	١٧٠ الفقارية الدنيا

Batracieus	١٧١ الضفدعية
Sans membres	١٧٢ عديمة الاطراف
Ayant quatre mambres	١٧٣ ذات الاطراف الاربعة
Anoures	١٧٤ عديمة الذنب
Urodes	١٧٥ ذات الذنب
Perennibranches	١٧٦ ذات الاطراف الدائمة
Cryptobranches	١٧٧ ذات الاطراف المختفية
Salamandriens	١٧٨ ذات الاطراف المختفية الخالات
Poissons	١٧٩ الاسماك
Cartilagineux	١٨٠ الغضروفيه
Cyclostomes	١٨١ مستديرة الفم
En partie osseux	١٨٢ ذات الغضاريف والعظام
Selaciens	١٨٣ ذات الافواه الجنبية
Requins	١٨٤
Raies	١٨٥
Holocephales	١٨٦ ذات الرأس التام
Ganoides	١٨٧ ذات الحراشيف المشععة
Chandroganoides	١٨٨ غضروفية
Ostéoganoides	١٨٩ عظمية
Dipnoi	١٩٠ شبه أسماك
Osseux	١٩١ ذات العظام
Teleostéens	١٩٢ أسماك كبيرة
Malacopteugieus	١٩٣ قرصية المسبح
Anacanthinieus	١٩٤ عديمة الاشواك
Acanthoptérigiens	١٩٥ مشوكة المسابح
Plectognathes	١٩٦ متلاصق الفكين

١٩٧ ذات الاطراف المتقطعة	Lophobranches
١٩٨ عديمة الثدايا	Saus mamelles
١٩٩ زواحف	Reptiles
٢٠٠ ذات الحجاب التام	Cloison Complète
٢٠١ تمساحية	Crocodilieus
٢ ٢ ذات الحجاب الغير تام	Cloison incomplète
٢٠٣ ضبابية	Saurieus
٢٠٤ طويلة اللسان	Crassilingues
٢٠٥ قصيرة اللسان	Brevilingues
٢٠٦ مشقوقة اللسان	Fisselingues
٢٠٧ دودية اللسان	Vermilingues
٢٠٨ حنشية	Ophidiens
٢٠٩ مملوءة الاسنان	Colubriformes
٢١٠ مشقوقة الاسنان	Proteroglyphes
٢١١ محفورة الاسنان	. . . . .
٢١٢ عديمة البصر	Typhlopides
٢١٣ سلحفية	Chelomieus
٢١٤ نهرية	Polamites
٢١٥ بحرية	Thalassites
٢١٦ بحيرية	Elodites
٢١٧ ترابية	Testredo
٢١٨ طيور	Oiseaux
٢١٩ عديمة المنقار الخنجري	Ratites
٢٢٠ نعامية	Struthioniformes
٢٢١ عديمة الاجنحة	Apterypiformes
٢٢٢ ذات المنقار الخنجري	Ayanti un brechet

Palmipedes	٢٢٣ ذات الارجل الكفية
Longipennes	٢٢٤ طويلة الريش
Totipalmes	٢٢٥ ذات الكفوف التامة
Lamellirostres	٢٢٦ صفيحية المنقار
Impennes	٢٢٧ عديمة الريش
Eechassiers	٢٢٨ شاطئية
Pattes non palmés	٢٢٩ ....
Bec droit	٢٣٠ ذات المنقار الجالس
Rapaces	٢٣١ جارحة
Grimpheurs	٢٣٢ متسلقة
Colombieus	٢٣٣ حمامية
Gallinaces	٢٣٤ دجاجية
Passereaux	٢٣٥ دورية
Diurnes	٢٣٦ نهارية
Noctiurnes	٢٣٧ ليلية
Dantirostres	٢٣٨ مسننة المنقار
Coracirostres	٢٣٩ غرابي المنقار
Conithostres	٢٤٠ مخروطي المنقار
Fissirostres	٢٤١ مشقوقة المنقار
Fermirostis	٢٤٢ رقيق المنقار
Anthropodes	٢٤٣ ذات الارجل المفصلية
Branchiates	٢٤٤ غلصمي التنفس
Crustacés	٢٤٥ قشرية
Eentomostraces	٢٤٦ قشرية سفلية
Xiphosures	٢٤٧ سيفية الذنب
Phyllopodes	٢٤٨ ذات الأرجل المورقة

٢٤٩ متدافية الارجل Copepodes
٢٥٠ قوقعى الحافة Ostraceodes
٢٥١ ذات الارجل السلوكية Ciripedes
٢٥٢ قشرية عليا Malocostraces
٢٥٣ ذات العيون الثابتة Eudriophtalmes
٢٥٤ متشابهة الارجل Isopodes
٢٥٥ الغير متشابهة الارجل Amphipodes
٢٥٦ ذات العيون المتحركة Posophtalmes
٢٥٧ ذات الارجل الفكية Stomopodes
٢٥٨ ذات الارجل المتشعبة Schizopodes
٢٥٩ ذات العشرة الارجل Decopodes
٢٦٠ طويله الذنب Niacroures
٢٦١ معوجة الذنب Anouroures
٢٦٢ قصيرة الذنب Brachyoures
٢٦٣ قصبية التنفس Tracheates
٢٦٤ عنكبوتية Arachnides
٢٦٥ ذات البطون المفصلية Arthrogastres
٢٦٦ عقربية Scorpionides
٢٦٧ ذات اللوامس الرجلية Padipodes
٢٦٨ عقربية كاذبة Pseudoscorpions
٢٦٩ طويلة الارجل Phalangides
٢٧٠ تامة البطن Nologastres
٢٧١ Arameides
٢٧٢ رباعية الرئة Tetrapneumuones
٢٧٣ ثنائية الرئة Dipneumones
٢٧٤ موحدة الجسم Acarnieus

٢٠٧ ذات التعصبات	Tracheats
٢٧٦ عديمة التعصبات	Atracheats
٢٧٧ حشرات	Insectes
٢٧٨ ماضغه	Broyeues
٢٧٩ استحالة تامة	M. C.
٢٨٠ عصبي الجناح	Nevropteres
٢٨١ مغمدة الجناح	Coleopteres
٢٨٢ استحالة غير تامة	M. I
٢٣٨ عصبية الجناح الكاذبة	Pseudonevropteres
٢٨٤ مستقيمة الجناح	Orthopteres
٢٨٥ عديمة الجناح	Thysanoures
٢٨٦ ماضغه ولاحسه استحاله تامة	Broyeurs & lecheurs M. C
٢٨٧ غشائي الجناح	Hymeeoptens
٢٨٨ ذات الابر	Porte-aiguilleurs
٢٨٩ ذات المنشار	Port-Scie
٢٩٠ صيادة	Chasseurs
٢٩١ نملية	Formicides
٢٩٢ نحلية	Apides
٢٩٣ ماصه الفك	S. Maxillais
٢٩٤ خرشفية الجناح	Lepidopteres
٢٩٥ فراشية	Papillonides
٢٩٦ فراش	Popillus
٢٩٧ اهرامية	Sphinx
٢٩٨ خرشفية الاجنحة الصغيرة	Microlepidopters
٢٩٩ ماصه الشفه	S. Labiaux
٣٠٠ نصفية الجناح	Hemipteres

٣٠١ غير متجانسة الاجنحة	Heteropteres
٣٠٢ متجانسة الاجنحه	Homoptères
٣٠٣ عديمه الجناح	Apteres
٣٠٤ ذات الاجنحه النباتيه	Phytophteres
٣٠٥ ذات الجناحين	Dipteres
٣٠٦ خيطي القرون	Nematoceres
٣٠٧ قصيرة القرون	Brachyceres
٣٠٨ مولدة الشفيرة	Papipares
٣٠٩ مخفية الجناح	Aphanipteres
٣١٠ ذات الارجل الكثيرة	Myriapodes
٣١١ ذات الكلاليب المسممه	Chiropodes
٣١٢ ذات الكلاليب الغير مسممه	Chilognathes

ابراهيم حداد

المصور — يلاحظ هنا أن الاسماء تكتب جميعها باللغة الاصطلاحية او باللسان العلمي كما يقولون . بل نقلت عن المصطلح الفرنسوي . وعلى الرغم من أننا لانوافق على الترجمة الا عند حاجة اللغة لا للاستعمال العلمي ، بل نفضل التعريب الصرف ، فسوف نأخذ في بيان ما يعن لنا من الانتقادات في عدد قادم



النهضة التركية

تنقسم كل أمة الى فئات ثلاث : فئة مفكرة ، وفئة مقلدة ، وفئة تابعة . ويتبع أفراد الفئتين الأخيرتين أفراد الفئة الاولى ، اما استحسانا لما يفعلونه . أو نسجاً على منوالهم ، أو اتباعاً للاغلبية ، أو كرها عنهم

من الخطأ أن يظن إنسان بأن كل فرد في أية أمة يزن الامور بميزانه الخاص . فهذا الامر لم يحدث ولن يحدث ما دامت الامزجة متغايرة . والاعمال متباينة ، والبيآت مختلفة

فاذن تصدر جماعة الكماليين للقيادة قد أوجد آراء جديدة سارع البعض لاعتناقها ، وكذلك أوجدوا مستحدثات رام تقليدها غيرهم . كما وان هناك من سار مع التيار ـ خصوصاً طبقة التجار من الشعب ـ وأما المحافظون على القديم فهؤلاء هم الذين يسايرون النهضة كرها عنهم وتحسراً على ماضيهم الذهبي

أما الانقسام — ولا بد أن يكون هناك انقسام — فكائن فقط بين أفراد فئة المفكرين . ولاشك في أن التباين كائن في التفاصيل دون المرمي الذي تتجه اليه جهود الكماليين .

يجب علينا أيضا أن لا نتناسى أمراً جديراً بالاهتمام هو تضارب الغايات . فان الاختلاف بين المفكرين يمكن حسمه بالمناقشة أو بترك كل انسان يفعل ما يشاء . هذا اذا لم تتدخل الغايات والمآرب ، كحب الظهور والجشع والانتقام وما اليها ، الى آخر ما يدور بخلد الانسان الاناني بطبعه ، في الامر

فاذن لا شك في أن كل تركي مفكر مقتنع تمام الاقتناع بوجوب تغيير الجهالة التي كانت تظلل أرجاء الامبراطورية العثمانية ، كما وانه يحبذ فكرة تنظيف عقول مواطنيه من السخافات والخزعبلات التي علقت بها منذ العصور المظلمة ، ولم يزدها مرور الزمن الا سواداً

وكل منهم يسلم أيضاً بوجوب تغيير الحالة السيئة التي وصلت اليها الأمة بفضل نظام الخلافة . ولا يختلفون إلا فيما اذا كان هذا الامر أو ذاك من الامور الواجب القضاء عليها أو المستحسن تعديلها أو التي لا خطر من بقائها في الآن الحاضر

ان مركز تركيا الحالى حرج ، فأى اختلال داخلي فيها ينتج نهاية محزنة . فالكماليون ولاشك غير مقتنعين بأنهم نماذج الانسانية التي لايتطرق الخطأ الى أفعالها. وهم على ما أظن يلبون بكل طيبة خاطر أية نصيحة تقدم اليهم . ولاشك في أنهم مستعدون لتحويل اتجاههم الى الطريق الاصوب لو كان هناك من يقدم لهم نصيحة خالصة . أما أن يقوم رجل لاهاجة ثائرة المسترزقة من رجال الدين بحجة أن برنامجه الحكومى سيرجع لهم عهد الكسل والاعتماد على ارزاق مواطنيهم البسطاء العاملين . فأمر لا يحتمل . ولو أغضى الكماليون ـ ولو بعض الاغضاء ـ عن اعتراضات فئة المعارضين التي وان كانت بريئة من جهة، فانها مشابة بالاغراض من جهات، فان اغضاءهم هذا يؤدى الى الثورة الداخلية. وبمعنى آخر الى اندثار الجمهورية . فهل بعد ذلك يعيبون على الكماليين صدهم لبوارد الثورات قبل أن تتعاظم ؟ واذا كان لاحد المفكرين نظرية ما . فما الداعي لاهاجة الرأى العام حولها بدلا من تقديمها بصفة اقتراح لاخوانهم المفكرين الممسكين بزمام الحكم لتتاح فرصة بحثها بتدبر؟ وهل هناك من يسلم بأن آراء مصطفى كمال وعصمت متفقة تماماً ؟ أن هذا ضرب من اللغو . فان الاتفاق مستحيل. اللهم الا اذا لم يفز أحدهما ولو بمسكة من العقل توصله الى استنتاج يخالف استنتاج الآخر . وبالطبع هناك اختلاف فرعي بين رأيي الزعيمين وبين كل منهما وبين أى من الزعماء ولكن كلهم خاضع — ولو على مضض — لما ترتأيه الاغلبية وذلك اتباعا للمثل « بعض الشر أهون من بعض »

وما الذى ينتقدونه على الاتراك الا أنهم مهتمين بالمظاهر دون الجوهر ؟ ومن الغريب أنهم ينكرون الشمس وهى فى كبد السماء . فهل من المنطق فى شيء التغاضى عن نشر المعارف وتنشيط الزراعة والصناعة والتجارة وتنظيم

القوات الحربية واصلاح مركز الدولة الدولي. وغير ذلك مما فعله الكماليون من أجل وطنهم ؟ كل هذا يغمض المعارضون اعينهم عنه جهلا منهم ان للناس حواس توصل لعقولهم الحقيقة على ما هي عليه. اما المظاهر التي ينتقدونها : فان أغلب انتقادهم لها ناتج عن جهل أكثر من انه ناتج عن سوء قصد. فهؤلاء المنتقدون يجهلون عظم اثر البيئة في تنظيم العقلية. واني اكتفي بالقول بان الاشياء المألوف النظر اليها تتداعي عند رؤيتها الاشياء التي ألفها الناس من طرق المعيشة والآراء . فاذا شئت ان تنتشل عن بربري غباء الهمجية ، لايتيسر لك النجاح اذا تركته في وسطه . لان للوسط جاذبية وعادات مألوفة . بل يجب ان تخرجه من وسطه الى وسط آخر ارقى لتتجه أفكاره الى آراء ارقى . وبما انه ليس من المعقول نقل كل تركي جامد الى وسط غير وسطه ، يجب تغيير هذا الوسط . فنقل عاصمة الجمهورية وتغيير الاحرف ، ولبس القبعات الى آخر ما هنالك من المظاهر ، كان المقصود منه أولا تغيير الوسط ، ثم التخلص البدني على اساس الاوليد . فالمسلمون المتمسكون بالقاووق يستعذبون وضع الجلوس على الارض واضاعة الوقت في شرب (النرجيلة) فاذا بدلنا هذه الملابس بالزي الافرنكي . حاول التركي ان يقلد الاوروبي في حركاته لان رأسه لايزال ممتلئة بالنجاح الاقتصادي والاخلاق والعمل الذي يزدهر به الافرنكي . وكذلك مسألة العقائد فانها تتفاوت بتفاوت الامزجة . ومن الغريب ان الناس لا يلاحظون ان الفرق بين مسلم ومسيحي المصريين لا يزيد عن الخلاف في الاصطلاحات . فالسيدة زينب هي هي نفس القديسة دميانة . وسيدنا الحسين هو هو نفس ماري جرجس ، ولكن هناك فرق بين بولس المصري البروتستانتي وبين مكاين الاسكتلندي البروتستانتي بقدر ما يوجد فرق ما بين عمر المصري المسلم وامام زاده المسلم الفارسي . فالعقلية بين الاجناس تختلف باختلاف الوسط ودرجة الثقافة والمزاج الى آخر ماهنالك . وبالطبع تختلف العقيدة بالاستتباع . فاذا اريد تغيير « اسلوب » العبادة في الوسط التركي عما كانت عليه قبل ١٣ قرنا في الوسط البدوي ، فذلك لوجود اختلاف في الوسطين والمزاجين والزمنين حقيقة لايتيسر قلب نظام الجيل الحاضر بسهولة ، ولكن الجيل المقبل

سينشأ في وسط مغاير، ويجد تربة مخالفة . فالوقت كفيل بالنجاح التام

واخيرا ، هل ما يقوله الناس من ان الترك لن يكونوا صورة طبق الاصل من اوروبا المتحضرة هو قول عبث . وانهم لا يلبثون ان يرجعوا الى ما كانوا عليــه ؟

اما ان تركيا تكون نسخة من اوروبا فكلام مموه بالجهالة . فاوروبا ليست وحدة متجانسة بل هي وحدات مستقلة تجمعها فكرة عليا ترمي الى تدعيم اسس المدنية . اما فيما خلا ذلك فهناك فرق كبير بين الالماني والفرنسي . بل هناك فرق لا يقل اهمية عن سابقه بين السكسوني والبافاري وهما المانيان . فاذا حاول التركي ان يكون كساكن باريس فهذا عين الغباء . لان لكل منهم استعداد يخالف استعداد الاخر . فاذا اخذ التركي باسباب المدنية الحديثة . فهو ينظر الى ان يكون وحدة مستقلة تعمل مع بقية الامم الراقية للوصول الى الكمال المدني . وانه اذا اخذ عن غيره من مختلف الامم الاوروبية . فانه لا يأخذ الا مادة اولية لاجل تتريكها وصبغها بصبغة مخصوصة ولن تبقى على ما كانت عليه

اما ان الترك سيرجعون الى ما كانوا عليه فهو تخبط في القول . لانه يجوز ان يرجعوا الى الخلف . اذا اطاحت الظروف بالحكم الحالي قبل ان يثمر . ولكن ليس الى النقطة التي سبق وانتشلوا منها . بل الى مركز آخر يختلف تماما عن المركز الاول . لان الجديد قد اثر ولو بعض التأثير في تربية العقل التركي

وما الذي يهم التركي اذا كان الذي يقتدى به يوسف او الفونس ؟ ولكن يهمه أن لا يكون المثال الذي ينسج على منواله بدوي جاهل عاش منذ عدة قرون سابقة . بل رجل متحضر اخذ بارقى الاسباب المفيدة الحاضرة . وما دام يكتب بحروف لم يخترعها هو . فما الذي يهمه اذا كانت هذه الحروف سامية او طورانية او لاتينية الاصل ؟ ان ما يهمه هو انتقاء ما يفيده اكثر في الحالة الحاضرة . حقيقة ان نظام الحكم التركي الحالي ليس بالنظام الكامل . وهو ليس بالنظام الديموقراطي . ولكنه ارقي بكثير من نظام الخلافة بتكاياها وحظاياها وضحايا بسفورها وخزعبلاتها

فالى الامام ياقدوة الشرقيين الى الامام . ونحن مع كافة اخوانكم من الشرقيين على الاثر

ع . ع

النقد والتأليف

قصة قلب

للدكتور علي الناصر

مجموعة مقطوعات شعرية أوحى بنظمها سن الشباب . اعتقد أن أغلب القراء قد مروا على فترة كانت للعواطف فيها كلمة الفصل . فمالوا إلى الجمال ومنهم من سبح في سمائه على أجنحة الشعر الذي وإن لم تكن له صلة بشعر البيان وشعر البديع فله رنة مستملحة ، بل جاذبية محبوبة

« قصة القلب » مثل من سبق في تبيينه وفيه شيء غير قليل من روح الخفيفة المنادة بالحب الطاهر وإليك نموذج مما تحويه هذه المقطوعات

جلست أمامها أرنو   لحسن الله في البشر

* * *

وصوني النفس من وله   وكوني منه في حذر
أخاف عليك عاصفة   تميل بغصنك النضر

* * *

فلولا مقال الناس جئت من الهوى   لقلت ، بإمرع الحسن ، جل جلالك

* * *

أسير في عالم الأحلام مبتهجاً   مجرداً عن تباريحي وأحزاني
فناظري وقلبي في تعبده   يرنو إليك بتقديس وإيمان

ولا يسعنا إلا أن نسدي الناظم نصيحة هي عدم تصنع الشعر فذ من

كان مثله جدير بان لا يكتب الا اذا كان لديه شيء يقوله . وكذلك يجب عليه أن يبعد عن الوحشي من الالفاظ فانها تذهب برونق الشعر الخفيف الروح

الرجل
الذي لا يعرفه أحد
لبروس برتن
ترجمه بتصرف انطونيوس بشير

حاول المؤلف أن يصف في كتابه هذا المسيح كرجل عظيم . فابتدأ يعترض على تصوير رجال الدين للمخلص في صورة شاب في مقتبل العمر كئيب الوجه ضعيف الجسم حزينا مغموما لأن الناس ميالون بالطبع الى حب المنتصرين في أعمالهم وكان وصف المسيح بانه كان وديعاً ضعيفاً وأعرفه للناس كرجل كآبة ومختبر للحزن لما ينفر الناس منه كذلك يحتج المؤلف من تكريس يوم الأحد لمسيح والاعتقاد بأن من الخطيئة أن يشعر الانسان بطمأنينة وراحة في يوم الأحد

ثم حاول المؤلف أن يستنير بما كتبه الرجال الذين عرفوا المسيح شخصياً وبالطبع لم يقل من هم هؤلاء الرجال فتاريخ المسيح كثير الغموض وليس هناك من يدعي في الوقت الحاضر بان هناك أثر باق لاحد الذين عرفوا المسيح شخصياً . هذا اذا سمعنا بوجود شخص اسمه المسيح — ويقول المؤلف أن علماء اللاهوت قد أساءوا الى جمال حياة المسيح بزعمهم أنه عرف جميع ما جرى له في حياته وذلك منذ ولادته . ثم يتساءل عن قيمة مثل هذه الحياة

تلخيص ترجمة المسيح بقوله انه كان صبياً فقيراً ترعرع في عائلة عامل حقير وقضى معظم وقته في دكان نجارة ثم شعر بدماء القوة تجري في عروقه فبسط نفوذه على جيرانه واختار له تلامذة من عامة الناس ومحتملا المقاومة والهزء والسخرية والموت صابراً صبر الرجال

ومع أن المؤلف يعترف بأنه ليس من رجال اللاهوت (ص ١٩) فان هذا الاعتراف لا يخليه من ارتكاب أخطاء لا ينتظر ممن يحاول أن يكتب تاريخ حياة رجل ارتكابها . فقد قال ما يستفاد منه أن « يوحنا المعمدان والمسيح كانا ولدين وأنه لا يعرف مقدار اختلاطهما معاً فى سن الصبا» مع أن المفروض لدى من يقرأ قصص المسيح المختلفة أن يوحنا كان بالأقل فى سن الرجولة حين كان المسيح ولداً مراهقاً

ويحاول تفسير المصطلحات المختلفة بتفاسير تكاد تكون مهضومة فمثلا قرر انه لايعرف اذا كان يجب علينا ان ننظر الى « الشيطان » كشخص ذى وجود حقيقى أو كمظهر من مظاهر الرغبات الشريرة الجامحة . «والتجربة» فى اعتقاده تعنى ان يوم الثقة العظيمة بالنفس قد مضى .

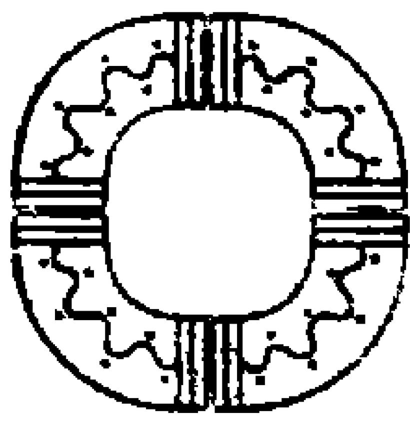
كذلك يقول ان المسيح بعد ان قضى أربعين يوما فى الصحراء آمن من صميم نفسه بأن روحه قد اتصلت بروح الله وان الله قد ارسله الى العالم ليقوم بالعمل الكبير الذي لم يكن فى العالم رجل غيره يستطيع القيام به .. وما من عمل جليل قام به كبير فى العالم من غير ان يجرأ على الايمان بان فى أعماقه قوة فائقة مستقلة عن جميع الظروف والاصول

ويرى ان سر العظمة منحصر في « المغنطيسية الشخصية » التى حاز المسيح قسطا وافرا منها وهو يقول عن حوارى المسيح « لم يكن بينهم رجل واحد معروف بالاقل ولا رجل واحد صادف نجاحا فى عمل من الاعمال . . . وانهم ظلوا ، رغم تعاليم المسيح الكثيرة ، يعتقدون انه جاء ليزعزع اساسات المملكة الرومانية ويعيد للامة اليهودية امجاد داوود وسليمان ويقيم نفسه ملكا على اورشليم . لذلك كان الجدال حاميا بينهم في من يكون منهم الأول والمتقدم في هذه المملكة . وقد حملت هذه الرغبة يعقوب ويوحنا (تلميذيه) الى توسيط امهما لترجوا المسيح ان يجلس ابنيها عن يمين ويسار مجده ولما سمعت العشيرة بما فعلته الام غضبوا وتذمروا فلم ينفد المسيح صبره على « صغارة عقولهم » ان سمعان « بطرس » كان أكثر التلاميذ مشاغبة وعدوانا »

حاول ان يثبت شجاعة المسيح بما فعله من تهجمه على الصيارفة وطرده اياهم من الهيكل ولانه صاح بالكهنة الواقفين في صدر الدار صيحة دوت لهاقباب الهيكل وهلعت لهولها قلوبهم ولانه حرر طيور الهيكل واطلق المواشى من الزرائب ولانه اعمل سوطه فى اكتاف الباعة فتفرقوا دون ان يجرؤوا على النظر الى وجهه »

وهو يعترف أن ابوه سجل اسمه فى الهيكل كابنه الشرعى (ص ٣٨)، وان له اخوة واخوات ركعوا لاستقباله عند رجوعه (ص ١٨٣)

فمن الوجهة اللاهوتية يعد هذا الكتاب خطوة جريئة للامام لان مؤلفه حاول ان يقارن بين المسيح وبين افذاذ الرجال على اساس انه « يتكلم عن رجل » وحاول ايضا ان يتخطي شيئاً كثيراً مما نسب الى المسيح وزج في تاريخه ولكن ما يؤسف له هو ان الكاتب قد اتى بفقرات ليس لها اثر في الاناجيل وحاول الادعاء بانها منها ويظهر أنه — ان لم يكن متعمداً المغالطة — لم يقف على سيرة المسيح كما هى مذكورة فى الكتب . حقيقة لانجد اية فائدة للمتعمقين العصريين من الاطلاع على هذا الكتاب ولكننا ننصح اخواننا المتدينين بالاطلاع عليه فانه يعد فتحا فى علم اللاهوت المسيحي



البهائية أيضا

كتب السيد بهنام سلمان للعصور يستفتي . وقد تبرأ حضرته في صدر مقاله من الاعتقاد بالاديان وهذا أمر يؤسفنا جداً وكم أود لو راجع نفسه في الامر لان كتاب « فولني » ليس « أكبر شاهد على أن الاديان قد جلبت للعالم الانساني ويلات وحطمت مدنيات عظيمة » فالاديان كما لا شك يعلم السيد الفاضل أدامه الله مجموعات من الشرائع ومن القوانين الادبية وكتب تاريخية تمثل المدى الذي وصلت اليه العقلية القديمة . فمنها يتيسر لنا قياس مبلغ الرقي في عصر من العصور ــ هذا من الوجهة الاجتماعية الصرفة ــ . فقول السيد الفاضل أنه لا يعتقد بالاديان أمر يحتاج الى استفهام . فهل يقصد حضرته من « عدم الاعتقاد » نفي وجود أديان في الماضي أم أنه لا يوافق على كل ما جاء في تعاليمها أو فقط يخالف بعض هذه التعاليم تبعاً للتطور وتغير الحال والزمن ؟ واني ميال للتأكد من أنه يقصد النقطة الاخيرة دون سواها ولا شك

فالاديان مزيج من الانظمة كما كانت تطبق في عهود بعيدة من القدم وكانت عقلية الناس قبلها تهضم كل ما جاء فيها من مظاهر وزينة فاذا ما تطلعنا الى الخلف يجب أن لا ننسى حقيقة العقلية البشرية في ذات الحين

هنا يجب علينا أن نبحث في ما سماه حضرته « المبدأ » البهائي ولا أتمالك نفسي من فغر فمي وابراز حدقتي رعباً مندهشاً لسماعي بذلك « المبدأ » البهائي المنعوت « بمبدأ التجاذب والتجديد » فهل للبهائية مبدأ ومن أين استقته ؟

من المسلم به أن كل الانظمة الدينية تنشأ من بعضها البعض ويمكن الاستدلال على ذلك من مجرد مشاهدة التشابه الموجود بين النظريات الدينية فهل هناك صلة بين البهائية بصفتها ديناً وبين غيرها من الاديان ؟ أجل فهي في أساسها ذات صلة

بالشيخية إحدى أفرع الامامية وهى بدورها فرقة اسلامية وقد نشأت البابية (هذا هو اسمها الصحيح) قبل ثلثى قرن فقط فى وسط جاهل بعيد عن الثقافة أو المدنية فمن السهل اذن الاغضاء عنها وهي في لباسها القديم « انك لن تهدى من أحببت ولكن الله يهدى من يشاء ومن أضله الله فماله من هاد »

ولكن قد أوغلت البهائية المحترمة فى الادعاء، فلبست جسدها البالى ثوباً عصرياً مرقعاً بقطع غير متناسقة وقد سرقت (ولا أقول استعارت) تلك الرقع المتنافرة من الغرب وذلك خلال الثلث قرن الاخير ثم ادعت أنها الموجدة لهذه الرقع من العدم وجهل السارقين بطريقة تفهم معنى تلك الرقع اكتفوا بالصياح داعين اليها دون محاولة شرحها ولو على طريقة فطرية بالاول. وهنا أشعر أن الواجب ارجاع هذه « الدروس التى الفتها البهائية على العالم » الى أصولها

(١) السلم والصلح العام ومحكمة دولية

(٦) الوحدة العالمية دون نظر الى لون وملة ووطن

(٧) الوطن العمومى للعالم أجمع

(٩) منع الحروب

هذه الفقرات نتف من فكرة يسميها الغربيون « الدولية » واسمها بالانكليزية Internationalism أو Comopolitanism ويرجعون أصل الدعوة اليها على وجه التحقيق الى الامبراطور الرومانى ماركوس أورليوس انطونينوس (حكم الامبراطورية الرومانية من عام ١٦١ ـ ١٨٠ ق. م) أى وجد قبل ١٧٠٠ سنة من وقتنا الحاضر وبالطبع يجوز أنه استقاها ممن سبقه. فهلا يجوز أنه كان معاصراً لبهاء الله ؟ أفلا يجوز لنا الاعتقاد أنه قد اقتبس آراءه من تعاليم روح البهاء التى وجدت قبل الخليقة مرفرفة على الغمر ؟ قد يمكن ويجوز أنه قد نقل عن أتى بعده بسبعة عشر قرناً تقريباً وفوق كل ذى علم عليم. قال هذا الامبراطور السارق وكانوا يعدونه فيلسوفا (خطأ بالطبع) وينسبونه الى المدرسة

الرواقية « ان العالم أب لكافة الناس فغير خليق بنا نحن أبناءه أن نتنابذ ونتحاقد بل يجب ان نتحابب ونتعاون معاً » فعلى هذه الآراء المسروقة من البهائية أسست فكرة « الدولية » كذلك أسس القانون الدولى الحالى على قانون قديم للرومان أوجد لتنظيم العلائق بين مقاطعات الامبراطورية الرومانية وقد ازداد تنظيم تلك القوانين الاولية على مرور الزمن فكانت النهاية إنشاء محكمة لاهاى (التى تنازل بهاء الله ووضع حجرها الاساسى ليوطد مبدأه السامى) . أما التطور فى التحكيم الدولى فقد لقنه شوقى أفندى زعيم البهائية الحالى للمستر كيلوج الامريكى خلال هذا العام .

أما الحرب الامريكية لتحرير العبيد فقد قامت عام ١٨٦٠ حين كان البهاء طفلا ومن يدرى فيجوز انه هو الذى أشار بها

(٧) اجبارية التحصيل الابتدائى

(٨) منع الفقر المدقع وتمكين العامل من مشاطرة صاحب المصنع فى حصته من الربح أو فى أسهم المعمل

خلق الله عام ١٨١٨ ميلادية وأظن أن هذا التاريخ ليسبق تاريخ ولادة بهاء الله وأيضاً ميرزا محمد على (ولا أقول هذا الا مكابرة منى فى الحق) رجلا اسمه كارل ماركس وضع أساساً لفكرة الاشتراكية ولا أجزم بانه لم ينقلها عمن سبقه وهى تطالب من ضمن ما تطالب به هاتين النقطتين . ولولا أنى أجهل بعض الجهل تاريخ الصناعة فى بلاد فارس وفى الشرق الادنى عند ما شرف بهاء الله العالم بوجوده لما قسمت الملاحظة الآتية « من أين يعرف بهاء الله أو من سبقه أو لحقه شيئاً عن نظام الاشتراكية بمصانعه وعمالها وقد كان الشرق ولله الحمد لا يهتم إلا بالغزل على أنوال اليد الصغيرة داخل المنازل ؟ » كذلك يقولون — والعهدة على الراوى بالطبع وليس على شخصى الضعيف — ان أساس نظام المسيحية الاقتصادى كان تقسيم الاموال بالانصاف وان « بيت مال المسلمين » كان مشيداً على نفس

الفكرة . وأسمع أن المسلمين يدعون — يدعون فقط — بأن نبيهم حث على طلب العلم ولو في الصين ومن المهد الى اللحد ومن يدرى فقد تكون روح البهاء هي التي أوحت اليه بان يقول ذلك كما أوحت لامراء المسلمين ارصاد الاوقف على تعليم الفقراء وعلى بناء المكاتب في كل زاوية او جامع ليلج الفقراء فيها مناهل العلم بلا مقابل . اما تنظيم التعليم الاجبارى فبدأ في منتصف القرن التاسع عشر او عام ١٨٤٣ بالتحقيق وبالطبع كانت الافكار قد تهيأت له قبل ان تقوم المطالبة به في البرلمان الانكليزى . وكان بهاء الله لم يفكر حتى ذلك الوقت في التجلى لارشاد الناس الى هذا « المبدأ المبتكر »

(٤) مساواة المرأة والرجل

هذه الفكرة بدأ بها بهاء الله ولما لم يجد مليبا لدعوته في بلاد فارس — اذ لا كرامة لنبي في وطنه — املاها على الغرب . وقد استجاب الغرب دعوته العالية فتقدمت فكرة تحرير المرأة عندهم . وبرغبة شاه ايران الحالى في ترضية بهاء الله على ما سلف واقترفه الايرانيون من اهمال التعاليم البهائية المقدسة قد أخذ شده ايران يحمع شمله لنشر السفور في مملكته . كذلك أخذ محمد بن عبد الله بنصيحة بهاء الله . قبل ان يخلق البهاء فشدد في وجوب معاملة النساء معاملة حسنة لدرجة انه منحهن حق التصرف في اموالهن وحق التهذيب وحق الزواج ممن يشأن . فيمعجزات البهائية كهذه من اثر قبل وبعد تشريف بهاء الله لهذا العالم

(٥) تأسيس لغة عامة لكافة هو

اظن ان واضع لغة الاسبرانتو كان احد حوارى بهاء الله المرضى عنهم لانه نجح دون غيره في اقامة هذه اللغة الدولية على اساس وطيد ، في حين ان من سبقه من المحاولين قد خابوا . ويقال . والله اعلم ، ان عبد البهاء هو الذى أوحى قبل تجليه ، للدول الاوروبية ، في العصور المظلمة ، اعتبار اللغة اللاتينية لغة دولية (وهذا كذب لانهم كانوا يستعملون اللغة الفارسية وانا شهيد بذلك) .

كذلك ممالك الامبراطورية الاسلامية كانت تتكلم رسميا بالعربية للتفاهم تابعة لنداء بهاء الله الذى تجلى على الارض فيما بعد . واخيرا — ولكن قبل ان يرى العالم وجه البهاء بكل تحقيق — اتفقت دول اوروبا الحديثة على اعتماد اللغة الافرنسية للتفاهم بها دوليا لقربها من اللاتينية اساس اللغات الاوروبية

(٣) يرث المعلم تلميذه

وما ادرانا اذا كان بهاء الله قد فكر ايضا فى ان يعطى نصيبا للسقاء وللطاهى وللقسيس من ارث المتوفى . اليس المعلم صاحب فضل على تلميذه لانه يعلمه بأجر كما يسقيه السقاء بأجر وكما يعظه القسيس بلا أجر — لننتبه الى ذلك تماما — وهنا لا اجرأ على بحث ما اذا كان هناك من قد سبق عبد البهاء فى هذه السخافة لرغبتى فى ترك ميزة تبقى له اثرا خالداً على سطح الارض . اجل سيدى . فقد فتق عقل بهاء الله ذاته عن هذه المعجزة الخالدة

ومع كل اعرض عليك بتواضع ان الناس ، حتى العلماء منهم ، ما زالوا بين معزز ومعارض لما « اوجده » البهاء من « المبادىء العالية »

اريد الآن ان ارشح نفسى لا كون « جمال الله » فانا واضع دروس المبادىء الآتية : —

(١) الحرب ضرورة تطورية فهى مظهر لتنازع البقاء من أجل بقاء الانسب فعلى الضعيف ان يلتجىء الى الحائط فالحق للقوة والويل للمغلوب

(٢) يجب ان نقصر جهودنا الادبية والمعنوية على تهذيب الصالح لذلك من الناس فقط . وان تكون درجة هذا التهذيب راقية لدرجة يستطيع معها الشخص المهذب ان يكون سيدا مهابا قدرا على ادارة غيره من الناس المستعدين لان يكونوا عبيدا بطبيعتهم

(٣) يجب شنق المعلم الذى يسبقه احد تلاميذه فى درجة المعرفة وان

يشاطر الصحفيون واصحاب المجلات ومحرروها — امثالى — الورثاء في تركة مورثهم الذى كان يقرأ ما دبجته انامله مدة حياته

(٤) المساواة امر نسبي وكل له استعداد مخصوص . فمن العبث ان نحاول مساواة الاشخاص ببعضهم لتباين استعدادهم ، وبالاولى تجب ملاحظة تخالف الاستعداد فى الجنسين . كذلك يجب ان تقتصر على بضع نساء صالحات لارضاع كافة الاطفال لان لبنهن اصلح ، وبضع نساء صالحات للتربية لانهن ميالات الى هذا الفن اكثر وهكذا

(٥) يجب ان تكون هناك ثلاث لغات . واحدة للامم المتحضرة . واخرى للامم النصف متحضرة . وثالثه للامم الهمجية . لانه من الغبن ان تعلم الاخيرين مثلا اصطلاحات فنية دقيقة لا يحتاجون اليها فى الغابات والادغال والعكس بالعكس

(٦) وجوب ذبح كل سخيف سارق لايزال يلبس « الطور » فى حين انه على على العلم فكرة سخيفة مفادها ان له الحق فى ان يقف مع كل ذكى متمدن على قدم المساواة بدلا من ان يذهب بعض القردة الذين تقرب عقليته من عقليتهم

(٧) ارسال الادعياء من الجماعات الى السجون لانهم مثل بقية السارقين اذا ارتكبوا جناية تملك ما ليس لهم من الاراء

(٨) الحكم على البيئيين بالسير دون ثياب وهم حاملين النبال والاقواس لينالوا نصيبهم من خيرات الغابات والاحراش بدلا من استحواذ الهمج خيراتها وبذلك يفيدون ويستفيدون

(٩) وضع « دعاة السلام » في صفوف الندر لنرى اذا كانوا سيحاربون ام يستسلمون للموت

هذه هى المبادىء الجمالية الراقية اطلب منك بحثها ونقدها وستجدها مثبتة كما هى بنصها وفصها فى كل طبقات هذا العدد من مجلة العصور دون تحوير . واذا وسوس لك خناس بانى سارق بعض هذه الآراء عن نيتزشه الذى مات

قبل ان الم انا بالقراءة والكتابة فقال بل إن نيتزشه هو الذى نقل عن جمال الله ولا عبرة بتقدم زمنه عن زمن جمال الأجمال . واذا قال لك انى سخيف قل « ائتوا بمثل ما أتى به فانكم لا شك تعجزون انه ما نثر الا دررا غواليا لا يزيدها مرور الزمن الا صقلا » وانى قد اعتزمت بعونه ومنه أن اذر الملابس الاوروبية وارجع الى التاووق وارسل لحيتى لتكون مرتعا لاخوانى الحشرات وذلك عملا بدرس المساواة الذى القيه على اتباعى المتقين

جمال الاجمال

العصور — أطلعنا أحد أصدقائنا المطلعين على حقيقة البهائية على استفهام السيد بهناه فكتب لنا هذا المقال الذى نتوسم أن فيه ما يكفى للرد على سؤال حضرة المستفسر .



المذهب الروحانى

بين أديب وعالم

السير ارثر كونان دويل الكاتب الانجليزى المعروف ، والسير أوليفر لودج العالم الطبيعى الذى جمع بين التفوق فى العلوم الطبيعية والنبوغ الوافر في الرياضيات ، كلاهما من اكثر الناس اعتقاداً بالمذهب الروحانى ، وبمخاطبة الارواح . ولو أنهما اقتصرا على الاعتقاد بان للذوات الفانية أرواح تخلد بعد أن تفارق الابدان الترابية، اذن لجاز لنا أن نحاول التوفيق بين استغراقهما فى المادية حينا ثم اعتناقهما للمذهب الروحانى من بعد ذلك . غير انهما كما يعتقدان بالارواح يعتقدان بجواز اتصالها بهذا العالم وبالذوات الحية من طريق المخاطبة والكتابة وغير ذلك .

كان السير ارثر كونان دويل من المغرقين فى المادية المغالين فى الالحاد ، ثم مالبث أن انقلب مؤمنا شديد الايمان، وروحانيا مفرطاً فى الثقة بما يروى عن الوسطاء الذين هم يخاطبون الارواح ويستطيعون استحضارها وبالاقاصيص التى تنقل عنهم . أما السير لودج فعلى الرغم من وقوفه على أسرار الطبيعة واستعمقه فى درس الرياضيات ، قد ألف كثيراً من الكتب التى حاول فيها أن يبث المذهب الروحانى، وأن ينشر له الدعوة الواسعة العريضة بكثير من حرارة الايمان واليقين .

على أن الاعجب من هذا أن سير لودج لم يحاول أن يبث المذهب وينشره لاغير ، بل مضى يحاول أن يطبقه تطبيقاً منطقياً عملياً على حقائق التاريخ الكبرى، وعلى الخرافات التى ذاعت في قصة الخلق كما جاءت فى اسفار موسى . على أننا لا نريد أن نتابع البحث باستفاضة فيما ذهب اليه سير لودج ، بل نضرب مثلا واحداً هو كلامه في تعليل وجود آدم والتوفيق بين قصة الخلق

وبين ماثبت من مباحث النشوء والانثربولوجيا . فانه لم يستطع أن ينكر الحقائق التى تقوم عليها مباديء العلوم الحديثة التى أثبتت اثباتاً قاطعاً بان الانسان متسلسل عن صورة أحط من صورته. وان مباينة الانسان للقرود العليا أقل من مباينة القرود العليا لمرتبة البرمات . كما دلل على ذلك الاستاذ هكسلي الكبير بكثير من مباحثه التشريحية . اذن فلا بد من طريقة يعالج بها سير لودج هبوط الروح الانسانية على الجسد الحيوانى . مدام أنه عاجز عن أن يثبت ان الانسان من طينة غيرطينة الحيوانات الاخرى أولا ، وما دام أنه لايستطيع أن يجعل للحيوانات أرواحاً تشابه الروح الانسانية ثانياً . لهذا لجأ الى أسلوب في التعليل لانعرف كيف جاز لمثله أن يتخذه دعدة عمية يصح الركون اليها . قال بان الانسان عند مابلغ حداً خاصاً من التدرج النشوئى حلت فى فرد منه . هو أرقى افراده ، الروح الانسانية . فافترق بذلك عن أفق الحيوان ، وكان هـذا الفرد آدم عليه السلام . وكذلك بالسير لودج في تعليله هـذا قد ثار على الدين وعلى العلم ، فلم يبق على أساطير الأديان . ولا على حقائق العلم .

بجانب هذا الرأى نجد رأيا آخر للعلامة وليم مكدوغل عبر عنه أحسن تعبير فى كتابه « العقل والجسم » . فبعد أن ساوي بين الرأيين الحيوى والفزيولوجى . أى الروحانى والمادى ، قضى بانه لايزال شديد الايمان بصحة المذهب الاول دون الثانى . غير أنه لم يتطرف تطرف سير لودج ولا خرج عن الاسلوب العلمى البحت . فبعد أن اتى على تاريخ المذهبين منذ أقدم العصور الى أواسط القرن التاسع عشر ، قضى بان البحث العلمى لايزال يؤيد الفكرة الروحانية . غير أن مثله في هذا كمثل الباحثين في نشوء الحياة . فان الرأى السائد اليوم على أنه الحي لابد من أن يتولد من حى مثله ، وان لاحياة بغير حياة سابقة لها فى الزمان والمكان . هذا على الرغم من أنه يعتقد بان الحياة لابد من أن تكون قد نشأت بداءة من مواد غير حية تحت تأثير ظروف طبيعية خاصة ، وفى دور خاص من أدوار النشوء الكونى . غير أن

البحث العلمي لايركن الى النظريات وان كانت كل القرائن تدل على صحتها عقلا ، مالم تثبت صحتها بالاختبار . فالاختبار يؤيد ان الحي لايتولد الا من حي مثله . لهذا وجب أن نرفض القول بالتولد الذاتي علمياً ، وإن اقتنعنا به عقلا . وعلى هذه القاعدة جرى الاستاذ مكدوغال . اذ قضى للرأي الحيوى دون الرأى الفزيولوجى . ذلك لان العلم لم يثبت حتى الآن بالاختبار امكان تركيب آلة مفكرة حساسة ذات سيالات مغنطيسية خفية من طريق فزيولوجى صرف . وهو على الرغم من اقتناعه عقلا بان ذلك جائز ، فانه علميا لايجوز الجزم به على صورة قاطعة



سير اوليفر لودج

ننتقل بعد هذا الى السير أرثر كونان دويل فقد نشر منذ مدة طويلة كثيراً من المقالات فى المجلات الانجليزية الكبرى عدد فيها كثيراً من آراء السابقين عليه فى العلماء والباحثين ، وروى فيها قصصاً عن حوادث وقعت بالفعل ، وعن أشياء لايزال ينتظر الباحثون استكشافها . ونشر بعد ذلك كتاباً تحت عنوان « الوحي الجديد » ـ The New Revelation ـ عقد فى أوله

فصلا أظهر فيه الانقلاب الذهنى الذى تولاه منذ أن حاول البحث وراء حقيقة الارواح . وهل هى موجودة أولا ؟ ثم هل يمكن مخاطبتها ثانياً ؟ مع مايتبع ذلك من حالاتها فى العالم الثانى وعلاقاتها بهذا العالم .

وفى سنة ١٨٩١ اشترك السير دويل فى جمعية المباحث الروحانية اشتراكا فعليا بعد ان ظل زماناً طويلا والشكوك تساوره . ونزعته المادية تغالبه . ومن ثم أكب على كل ما أخرجت هذه الجمعية من مطبوعات يقتلها بحثاً وتنقيباً الى أن بدأ الشك يزول من قلبه ويحل محله إيمان ثابت بصحة النظرية الروحانية و بصحة مخاطبة الارواح .

ووقع له منه بعد ذلك كتاب أخرجه العلامة « ميرز » ـ Myeres ـ وسماه « الشخصية الانسانية » ـ Human Personality ـ وهو كتاب يصفه سير دويل بانه كتاب عظيم . غير أنه يقول بأن « ميرز » فى كتابه هذا قد عجز عن تكوين نظرية عامة أو وضع فكرة مضغة تعلل كل ماظهر فى عالم المبحث الروحانيـة من المظاهر . غير أنه نجح كل نجاح فى بحث تلك الظاهرة العقلية التى نستبين آثارها فى نقل مؤثرات عقل الى عقل وتدعى اصطلاحاً انتقال الافكار ـ أو « التيلباثية » ـ Telepothy ـ فانه استطاع أن يثبت حقيقة وجودها . وأن يبرهن عليها بكثير من الحوادث الصحيحة . وان السير دويل ليعتقد اعتقاداً ثابتا بأن الحقائق التى نى عليها « ميرز » لا تمكن أن يتشكك فيها الا مجادل حباً فى الجدل أو أعمى لا يبصر الحقائق . وهو فوق ذلك مقتنع بأنه ما أتى به « ميرز » ينزل من المعارف الانسانية منزلة الحقائق العلمية الثابتة . وكان هـذا عند سير دويل تقدم كبير فى المباحث الروحانية لا يعادله شىء الا اعتقاده بان وجود الارواح حقيقـة راهنة . فقد تساءل بعد ذلك ـ « اذا كان فى مستطاع عقل أن يؤثر فى عقل آخر عن بعد . اذن فلا بد من أن تكون هناك قوى انسانية تباين مادة الجسد فى مانعرفها عنياً » . وبذلك اعتقد سير دويل أن الارض قد تصدعت من تحت قدمى « دويل المادى المتشكك » وأن المركز الذى كان يشغله فى عالم الملحدين قد تبدد ورجته الحقائق فتبدد .

ان اللهب لا يمكن أن يظل موجوداً بعد أن تنتهي الشمعة بالاحتراق . غير أن هذه الحالة تدل على أن اللهب قد يؤثر بعيداً عن الشمعة الملتهبة ، وانه يمكن أن يؤثر تأثيراً ذاتياً بعيداً عن أن يستمد من أصل يستند اليه . على أن هذا التشبيه بعيد عن الواقع . لانه اذا كان في مقدور العقل أو الروح أو الذكاء الانساني ما شئت فسمه : أن يؤثر عن بعد وعلى غير اتصال بالبدن، إذن فلا بد من أن يكون مبدأ مخالفاً للجسم منفصلا عنه ؟ وما دام الامر كذلك فأي عائق يعوقه عن البقاء مستقلا عن البدن بعد أن يتحلل هذا بعد الموت ؟

أما الذين ماتوا ورحلوا عن هذه الدنيا فان السيردويل لا يرى أي حائل يحول دون ظهورهم ثانية في الارض على الصورة الآتية :



سير ارثر كونان دويل

إن التأثير الذي يمكن أن يرسل به الذين ماتوا قريباً لا يقتصر على ارسال سيال روحي فكري ؟ بل يتعدي هذا الى ظهور الارواح ظهوراً عينياً لتثبت للرائين أن التأثير الحادث راجع الى شخصية بقيت بعد الموت وفي استطاعتها أن تلابس الصورة التي كانت لها في هذه الحياة . وهو يعتقد فوق ذلك أن

التدرج من حالة التيلباثية الى حالة التجلي الروحي تام الحلقات بحيث لا يمكن التشكك فيه بحال من الاحوال .

***

هذا آخر ماوصلت اليه الفكرة الروحانية، كما يمثلها عالم كبير وأديب عظيم في انجلترا . أما القول بصحة هذه النظرية أو صحة هذه الوقائع فرهون على متابعة البحث . ولعل العلماء حتى بعد أن يثبتوا وجود الروح ـ وهذا جائز ـ أن يثبتوا مع اثبات وجودها أنها مادة تفنى وتتحول كبقية المواد

لا أقنع الا . . .

اذا ذلت في الدنيا السماء وما بها
من الكوكب اللألاء، والشمس والبدر
وأحرزت مدفون الكنوز وفتحت
مغاليقها عما تضم من النضر
فما أنا بالراضي . ولا أنا قانع
بذاك . . . ولكن سوف أقنع بالنزر
وأرضى بشبر في البسيطة عندما
أضمك ياروح الحياة الي صدري . . .

العاشقان الصغيران

هذا يريك مثال ذاك يشف كل عن نضاره
قلبان ما شربا سوى كأس المحبة والطهاره
سقياهما حلوين لم تدخل مياههما مراره
أعلى مثال للمحبة ماتكا فيها الاماره

حسن كامل الصيرفي

بين العاصفة الفكرية

كتب ابراهيم أفندى حداد الى العصور يسفه فيها بعض أنظمتنا الاجتماعية . وكم تمنيت لو تفضل حضرته بنقد هذه الانظم نقداً هادئاً مع تبيين الواجب اتباعه فى حالة نبذنا لهذه الانظمة — لو تيسر لنا ذلك — ونحن نوافق حضرته على أن جميع أنظمنا تحتاج الى تغيير ونزيد على ذلك أننا قد أخذنا بالفعل نتحول عنها الى ما نظنه أحسن أو أرقى منها

وكما أنه نتجت عن هذه الانظمة بعض الفظائع ، فقد كانت السبب فى دفع الانسانية الى طريق المدنية الحالية . نسلم مع حضرته ان ليس هناك أساس للقداسة فى هذه الانظمة ، وانها انما نشأت بنشوء الجمعية البشرية على مقتضيات الحال ومر الزمان . كان نظام الزواج فى الاصل نتيجة تلبية الغريزتين الانسانية الشهوانية والاجتماعية الجارية وراء ابقاء النسل ، فكل التقاليد التى استجدت ما هي الا عرضية يقصد منها تنظيم الحياة الزوجية على وجه مخصوص ، يتعلق بالارث والنفقة والطلاق مثلا . ومنها بعض قد زج لكى يكون مورد رزق للطفيليات الانسانية التى تعيش على حساب غيرها مثل تتمة البركة فهذه هى الواجب ازالتها

أما اننا نقاوم فكرة الزواج فامر عبث . لأن الزواج اذا نظفناه من الشوائب العالقة به فامر طبيعي يتوقف على دوامه كيان الانسانية . فاذا كان حضرة حداد أفندي يتكلم عن وسائل تنظيم الزوجية فامامه المجال متسع كما هو أمام أي انسان آخر. فلو اتبعنا نظام التوريث الانكليزى والارستوقراطى اعترض البعض قائلا كيف تفضلون الولد البكر دون بقية الاولاد . واذا أعطينا للولد ضعف نصيب الابنة صاح البعض محتجاً على هذا الغبن . واذا سوينا بين الابنة والابن آخذنا البعض قائلا انكم تعطون المال لمن يسلمه الى شخص لم يتعب فيه وهذا الشخص هو زوج الابنة المسؤول عن ادارة حياتها

الاقتصادية. اذا فكرنا في أن نساوي بين الابناء و نعطيهم فرصا متساوية. فمن ذا الذي يضمن لنا أنهم سيصلون الى نهاية متشابهة فسيسرف البعض فيما لديه من مال بالطبع بينما ينفق البعض الآخر ما يملكه بحساب ليرفه أبناءه المسؤول عنهم أدبيا بعد موته. فهل يريد حضرة الكاتب ان يدافع عن النظام الحر للزواج ؟ وكيف يحدد هذا النظام و نظامنا الاقتصادي لا يزال يضع المرأة تحت حكم الرجل ؟ ان المرأة لا تستقل تمام الاستقلال عن الرجل الا اذا كانت قادرة على تكوين كيان اقتصادي لها يجعلها بمعزل عنه . وحتى في ذلك الوقت نواجه كما تفعل اليوم موضوع رعاية النسل . فاذا كونت المرأة من ذاتها وحدة اقتصادية وكون الرجل وحدة اقتصادية اخرى ونتج عن اختلاطهما الجنسي أطفال فمن من الابوين يتبعون ؟ ام هل نكل للدولة الاهتمام بهم ؟ طالما دافع الاشتراكيون Communists عن الفكرة الثانية ولكن الذي ثبت لدينا بالبرهان ان نسبة الوفيات في الملاجيء بين الاطفال تزيد عنها بين الاطفال المترعرعين في حمى والديهم او احد الوالدين مع فرط اعتناء الملاجيء بهم من الوجهة الصحية الامر الذي لا يتاح لهم التمتع به بين اهليهم متى كانوا من بيئة فقيرة غير صحية . ويعزون السبب الى انعدام الحنو الوالدي والاهتمام الغريزيين وكم اود لو تفضل حداد افندي وقشع الضباب الملازم لحالاته لنقف على رأيه بوضوح

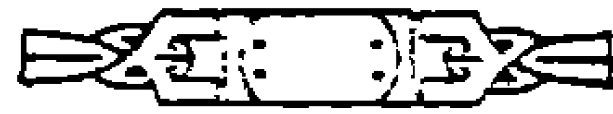
اما القرابة فهي صلة مفردة من عدة صلات، وهم يصورون الانسان كنقطة تتقاطع لديها اشكال هندسية. منها المربع والمثلث والدائرة وكل شكل من هذه الاشكال يدل على وجود صلة معينة . فهناك الصلة العائلية والوطنية والمهنية والمزاجية واللغوية والدينية الخ . فالفرد متصل تمام الاتصال بكل هذه الصلاة وهي لا اكثر من روابط تحصر منافع الانسان الشخصية في دائرة مخصوصة . وهو يجبر على الانضمام الي من تجمعهم للدفاع عن كيان هذه الصلة . لان في ذلك نفع له . فعلى فرض اننا لا نهتم بالقرابة ولا بالوطنية ولا بالدين ، فاننا لا شك تتجمع حول مراكز اخري مثل التقارب الذهني او تماثل الامزجة او

اتحاد المصالح . فالتحزب امر لا بد منه ما دام الكون يحوى شيئاً اسمه نعم وآخر اسمه لا. وشيء يعد مفيدا في حين يوجد شيء يعد مضراً . هذا في حين ان ما يفيد البعض يكون تبعه على حساب الاخرين او بمعنى اخر ينتج لهم الاضرار

هل يمكن ان توجد دنيا بلا فوارق ؟ هل المقصود من هذا ، الادعاء باننا كلنا على مستوي عقلي واحد وان امزجتنا متطابقة ورغباتنا متماثلة ؟ اهل هذا امر ممكن تصوره ؟

اذن ما الذي يريد حداد افندى ان يقول باثارته هذه العاصفة الفكرية ؟

ابو العينين



افظع جرائم القرن التاسع عشر

(وقعت في يدنا هذه المجموعة التي تشتمل على بيان وافٍ لتسع جرائم ارتكبت في اوروبا في القرن التاسع عشر واعتبرت بحق افظع جرائم ذلك القرن. فرأينا ان نلخصها للقراء في قالب قصصي يعنى بالتفاصيل دون اطالة ولا تقصير وقد نشرنا الاولى في العدد الماضي بعنوان « الولع بالجريمة » وهذه هي الثانية :)

٢ — مزيف النقود (١)

جلس رئيس البوليس السرى . أو كما يسميه الالمان « القوميسير الجنائى » كارل ويان غارقاً في لجة عميقة من التفكير والتأمل في قاعة عمله القاتمة بما يتدلى على نوافذها من ستائر . كان جالساً يحرق الأرم أو كما يسميه اخواننا الامريكيون يحس نفسه « صغيرا » من فرط عجزه عن ايجاد حل لما كان يفكر فيه . ذلك انه وقد اتخذ الكشف عن غوامض جنايات القتل والسرقة وما اليها من جرائم مهنة خاصة له. قد ادت به الحوادث الى الصراع مع جماعة أى عصبة من المزورين صانعى اوراق النقود (البنكنوت) المزيفة . وكانت كفته في ذلك الصراع حتى تلك اللحظة هي الكفة الخائبة

مضت تسعة شهور على تلك العصبة وهي تزاول عملها في مهارة وحذق وتدبير محكم دون ان يستطيع القوميسير الجنائى المحنك الاستدلال لأحد من افرادها على أثر . فكان يتخبط في ابحاثه ذات اليمين وذات الشمال وأوراقهم

---

(١) قد لا تخلو مطالعة هذه القصة من فائدة لرجال البوليس والمهتمين بمتابعة ابحاث الجنائية على العموم (المعرب)

المزيفة من ذات الخمسة ماركات تغمر اسواق برلين وضواحيها ، ففي السبعة الشهور الاولى من عام ١٨٧٩ لم يكن يمضي يوم واحد دون أن تتلقى ادارة الأمن العام (مولكنماركت) في برلين ثلاثة بلاغات او اربعة عن العثور على اوراق مزيفة ، ثم توقفت تلك البلاغات في الشهرين التاليين ، فلم يكن توقفها هذا ليحمل القوميسير ويان على ان ينخدع ويعتقد انعصابة المزيفين قد توقفت نهائيا عن العمل وتركته إما عن خوف او لأن افرادها قد امتلأت جعبتهم وبلغوا حدا من الثراء لا يبغون عليه من مزيد ، ولكن القوميسير كان يعلم أنهم انما وقفوا اعمالهم مؤقتا قصد تقوية مركزهم وتدعيم عملهم ، أو ليصلحوا بعض العيوب التي بدت في بضاعتهم وأولها وأهمها اللون الازرق الذى كان يستعمل في التظليل حيث كان في الاوراق الزائفة اكثر حلكة منه في الاوراق الاصلية ، وهذا على الرغم من أن الاوراق المزيفة كانت متقنة الى مدى بعيد لا يستطيع تمييزها الا خبيرماهر مدقق ، وهذا أيضا في ضوء شديد ، وقد استطاع مروجو هذه الاوراق ان يتفادوا خطر اكتشافها بأمرين : الأول انهم كانوا يختارون ضحاياهم من بين فئة صغار التجار ، والثاني انهم كانوا يتحينون لتوزيعها إما وقت الضحى او قبيل الغروب بقليل او بعده في المتاجر التي كان الضوء فيها ضعيفا ثم أضف الى ذلك أمرين آخرين : اولهما ان الاوراق المزيفة كانت من فئة الخمسة الماركات (حوالى خمسة وعشرين قرشا مصريا) وهي قيمة ضئيلة لا تدعو الى كبير فحص وتأمل ، وثانيهما ان فئة الضحايا من جماعة صغار التجار ومن اليهم لم تكن تتداول في عدد كبير من الاوراق الاصلية حتى تستطيع التمييز بينها وبين الزائفة

ومع ان السلطات لم تنجح في القبض على فرد واحد من هذه العصابة وهو متلبس بجريمته ، فأن القوميسير ويان لم يكن خالي الذهن بتاتا من الاشتباه في شخص رئيس العصابة أي المزيف الأصلي ، على ان اشتباهه لم يكن في الواقع قائما على أساس غير مجرد الظن والحدس ، فأنه لم يكن لديه أقل دليل مادى ضد الرجل الذى يشتبه فيه رغم ما كان يدعم هذا الاشتباه

من قرائن تنحصر فى أن المشتبه فيه قد سبق ان حكم عليه مرات متعددة في جرائم مماثلة ، ولـكنه من هذه الوجهة واحد من كثيرين من مجرمى هذا النوع المعروفين لادارة الامن العام فى برلين ، وان كان يختلف عنهم فى مهنته حيث هو حفار نحاس ماهر ، متفوق على أقرانه بمراحل عدة . وكان البوليس السرى يتتبع خطواته اينما سار ، ولـكنه استطاع اكثر من مرة تضليل مراقبيه والافلات من رقابتهم والاختفاء عن انظارهم مددا تختلف طولا وقصرا كيفما شاء وأنى ما أراد

***

كان « لومنيتز » — وهو اسم ذلك الرجل المشتبه فى أنه المزيف الاصلى — يناهز الستين من العمر . قضى خمسا وعشرين سنة منها فى سجون مختلفة فى جرائم تزييف اوراق العملة . وحدث مرة وهو يقضى المدة المحكوم عليه بها فى احد السجون أن وضع خريطة حربية محفورة بمنتهى الدقة وقدمها للسلطات الحربيه العليا مع مقياس دقيق لمدفعية تبين نوزارة الحربية البروسية تقعهما العظيم فأجازته عليهما — وهو سجين — بمكافأة تسعة جنيهات . وبالجملة فقد كان لومنيتز احد اولئك المجرمين الذين يجهد الروائيون انفسهم لاختراع شخصية مثل شخصيته فيصورون ما هو أقل منها خوف اتهامهم بالمغالاة وعدم تصديق قرائهم لهم فيما يخترعون

ظل لومنيتز ستة أشهر تحت رقابة صارمة من أعوان القوميسير ويان الذى ــ رغم اعتقاده الجازم باشتراك لومينتز في حوادث التزييف الأخيرة ــ لم يشأ أن يشعره باشتباهه فيه لاسباب كثيرة : فأولا وقبل كل شيء كان ويان يريد أن يصحب قبضه على لومينتز حصوله على جميع أدوات التزييف وآلاته ومواده . ومما لا يحتاج الى بيان أو تدليل أن الادوات والآلات والمواد لا يمكن أن تكون موجودة فى أحد المسكنين اللذين أقام فيهما لومنيتز فى المدة من يناير الى يونيو سنة ١٨٧٩ . والسبب هو أنه لا ريب فى أن العصابة تتألف من أشخاص عديدين . ولا مشاحة كذلك أن

لها نظاما محكما ينفذ بمهارة فائقة ودقة مشهودة ، ومع ذلك فانه لم يعرف عن لومنيتز أنه يجتمع مع أحد سواء في داخل منزله أو خارجه كل مدة رقابته في الستة الأشهر المشار اليها ، بل لم يعلم عنه أنه تكلم - مجرد كلام !! - مع أحد ممن يمكن أن يكون موضع شبهة لدى البوليس من أى وجه من الوجوه ، بل أن الذي كان معروفا للبوليس عن لومنيتز هو أنه كان يعيش في عزلة هادئة ، يهيء أسبابها له ولداه وهما من أصحاب المراكز الاجتماعية المعروفة ، ويتمتعان بثقة واحترام عام فيهما .

ورغما عن كل هذا فقد كان القوميسير ويان مصراً على رأيه من وجود لومنيتز على رأس تلك العصابة ! !

وبينا هو يضرب أخماساً لاسداس اذ يختفي لومنيتز ولا يعثر له على أثر

مضت ثلاثة شهور على اختفائه ولما يستدل له على أثر ، وكان أعوان القوميسير ومساعدوه قد قلبوا برلين رأساً على عقب خلال تلك المدة أكثر من مرة ، وفتشوا ضواحيها بيتاً بيتاً .

وفي نفس هذا الوقت حدث انقطاع ظهور الاوراق المزيفة ، ولكنني قد أخبرتك من قبل بما ارتآه « ويان » عن هذا الانقطاع ، فقلت لك أنه لم يخدع نفسه ويحملها على اعتقاد أن المزيفين قد عدلوا نهائياً عن عملهم رهبة من نتائجه ، أو رغبة عنه بعد امتلاء بطونهم ، وعلى ذلك كان اتفاق عدم ظهور لومنيتز في تلك المدة مع عدم ظهور الاوراق الزائفة دليلا قويا يدعم نظرية « ويان » في رأيه على الاقل

على أن الفشل الذى لازمه كل تلك المدة في تحرياته حرى بأن يدخل اليأس الى قلبه ، ولو حيناً بعد حين ، حتى أن رأيه قد استقر أخيراً على أنه ان يسعده الحظ بصدفة حسنة فان كل اتعابه لا بد ذاهبة أدراج الرياح

***

قلت لك أن القوميسير ويان كان جالساً يفكر ، فهذا كان بعد

ظهر أحد أيام شهر اكتوبر ، وكان هذا أيضاً في دار إدارة الأمن العام في برلين (وهى تقابل حكمدارية البوليس عندنا) ، وهي عبارة عن أظلم بناية شادها فنان مظلم !! تتألف من عدة طرقات طويلة ، ذات أسقف كثيفة وجدران معتمة ، وغرفها لا يكاد مصباح الغاز يطفأ فيها الا ليعبأ ، وأرضها من الأسفلت العارى عن غطاء حتى من تيل أو خشب إلا بقدر موطىء القدم من المكاتب ، وهذه الحلكة وتوابعها هى التي طالما أذهبت آمال زوار ادارة الأمن العام ، حتى اذا كانوا من الابرياء دفعتهم تلك الظواهر الى فقدان الأمل بالخروج أحياء ، بل انهم اذا خرجوا أحياء فانهم لا بد مجنونون

وأنكى هذه الأمكنة جميعاً هي غرف التحقيقات الجنائية ، التى كان جالساً فى احداها القوميسير ويان يندب فشله

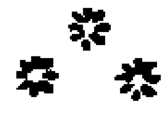
وكان فى تلك اللحظة « نوبتجيا » ، يحضر الى المكتب من الساعة الثانية بعد الظهر ويبقى فيه الى ظهر اليوم التالى ، وينظر خلال تلك المدة فى جميع الحوادث التى تتصل بالأمن العام ، مطلق الحرية فى تصريفها على الوجه الذى يراه

نستميح القارىء لحظة نشرح له فيها نظام العمل فى « حكمدارية » بوليس برلين حتى يكون على بينة من سير التحقيقات في الحوادث الجنائية ، فنقول ان رئيس فرقة البوليس السرى في برلين حاصل على سلطة اوسع نطاقا مما هى فى جميع الممالك والبلدان ، هو قاض يحكم على المتهمين بقدر ماهو محقق وضابط مباحث ، وفضلا عن أنه يحقق مع من يتقدم اليه من المتهمين دون أن يحذرهم من ان مايقولونه امامه قد يؤخذ حجة عليهم ويعتبر اعترافا قضائيا منهم فأنه ينصب من الحبائل للحصول على هذه الاعترافات مالا تبيحه كثير من قوانين تحقيق الجنايات فى البلاد الأخرى

وفى برلين ثلاثون قوميسيرا مثل ويان ، يتناوبون العمل فى ادارة الأمن العام كل واحد منهم يوما فى الشهر ، ولا يمنع أن يكون أحدهم نوبتجياً ان يكون فى الادارة اكثر من واحد منهم دائما ، بل انهم جميعهم قد لا ينقطعون عن

الحضور الا قليلا، وفى الواقع فهم لا ينقطعون الا حيث يكونون فى أثر مجرم أو خارق للقانون او خارج عليه ، وتجد الذين يترددون منهم على ادارة الأمن العام اثناء فراغهم من النوبتجية وعدم وجود من يلاحقونه من المجرمين تجدهم يعملون على دراسة المجرمين من المحكوم عليهم او المقبوض عليهم ، لاسيما اولئك الذين يتعدد ارتكابهم لجريمة واحدة ، ويحكم عليهم بسببها اكثر من مرة بعقوبات فلا يزدجرون -

وسترى فى سير البحث عن المزيفين فى هذه القضية والتحقيقات التى يقوم بها القوميسير ورجال ادارة الأمن العام طرفا من العمل المباح لهذه الفئة من حفظة الأمن في برلين



قطع على القوميسير حبل تفكيره بدخول ضابط يحمل كومة من الاوراق الخاصة بفئة من المقبوض عليهم فى ذلك اليوم من جميع احياء برلين، وقد تلقى الاوراق من الضابط وهو لما يفق بعد تماماً من لجة تفكيره في عصابة التزييف وأخذ يقلب « المحاضر » فقرأ حوالى نصفها فأذا هى من الحوادث العادية التى يختص بالتصرف فيها من هم دونه ويكفى توقيع منه « بالأطلاع » عليها لتسير سيرها العادى

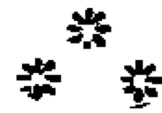
وفجأة قفز وبان من مقعده ، واعاد قراءة « المحضر » الذى استثاره . وكان هذا نصه .

« يوليوس بارت ، عمره ٢٢ سنة ، بناء ، قبض عليه واحضر الى نقطة بوليس « مجدبرج » لمحاولته صرف ورقة بنكنوت من ذات الخمسة ماركات زائفة، ومما يؤيد احتمال كونه عالما بتزييفها انه حاول الفرار تاركا النقود وراءه عندما رأى العامل فى محل التجارة الذى قدمت اليه الورقة يفحصها بدقة ، فلحقه البوليس والقى القبض عليه واحضره الى انا محققه . . . . (التوقيع ج . تيمر — ضابط بوليس مجدبرج)

ويؤخذ من التحقيق الذى قام به ضابط البوليس ان المتهم انكر علمه

بالتزييف بتاتا ، وزعم أنه تلقى الورقة الزائفة من صراف حديقة الحيوانات الذي « صرف » له « قطعة ذهبية بعشرين ماركا

يسمح لنا القارىء مرة ثانية بخروج عن موضوع القصة ، ذلك أن هذه الحادثة لو كانت وقعت عندنا نحن فى بوليس القاهرة مثلا ، فان المتهم كان يحجز فى القسم الى الصباح ، ثم تعرض على المأمور . فأما ان يحضر المتهم أمامه او يحيله على ضابط من مرؤوسيه ، وحتى اذا عرضت على النيابة فالثابت المؤكد انها ما كانت تصادف من العناية أن يسار فيها بالتحقيق إلا على سنن مواعيد العمل ، ولا تكاد تمضى بضع ساعات حتى يذاع الخبر فى الصحف ويصل الى آذان زعماء العصابة فيأخذون حيطتهم . وماذلك إلا لأنه ليس عندنا ، ولا فى كثير من الممالك الأخري ، موظفين لهم من السلطة مثلما للقوميسير ويان — لأأرمى بهذا الى النقد : وانما أنا أقرر الحقيقة الواقعة



وفى الحال أمر القوميسير باحضار يوليوس بارت أمامه . وما كاد يلقى عليه نظرة فاحصة حتى تبين له انه حديث عهد بالأجرام ، وقد كان بارت مرتديا ملابس عادية : نظيفة ولكنها تدل على انه من الطبقة الفقيرة . ، فأدرك ويان انه لن يصادف صعوبة تذكر مع هذا المجرم الحديث ، ولم تمض برهة قصيرة حتى جعله يقر له بالحقيقة . فاذا هو قد مضى عليه وقت طويل دون عمل ، واثناء بحثه عن عمل يتعيش منه . تعرف بزميل له نقاش ، فجعلا يجوبان الأرض سويا باحثين عن عمل : ومضت عليهما بضعة اسابيع رأيا شبح الموت جوعا خلالها مرات متعددة . ويوما شاهد بارت صديقه « مولر » يبتسم على غير عادته . ثم دعاه الى تناول العشاء وسقاه كأسا من خمر جيدة أنعشته قليلا : وبالجملة كان « مولر » كأنه وقع على كنز أو ميراث . فسأله صاحبه وهو يحاوره . « من أين لك هذه الفلوس أيها الصديق ؟ » فلم تكن من الصديق الا محاولة (بسيطة) لم يلبث بعدها ان اعترف لصديقه انه اضطر لاحتراف تصريف الورق النقدى الزائف . وقال لصديقه انه يحصل على البنكنوت

المزيف من شخص لا يعرف عنه حتى اسمه أو محل اقامته ، وانما هو يقابله فى ساعات معينة ، وجهات وأيام معينة كذلك .

واعترف بارت كذلك على والد صديقه مولر وعلى صاحب المنزل الذى يقيمان فيه وقال :

« ولكننا اضطررنا لايقاف العمل منذ عدة شهور لأنه ظهر ان أحد الالوان كان أشد قتامة من اللون الاصلى »

وختم بارت اعترافه بقوله « وذلك الرجل الغريب الذى كنا نتلقى منه الورق لم يكن يحصل عليه من المزيفين الأصليين رأساً . وإنما كان هناك وسيط آخر »

بفحص هذه الأقوال تبين لويان أن حدسه قد صدق فى أمرين : (الاول) أنه حسب ـ على ما عرف القارىء ـ أن توقف صدور الورق المزيف كان فقط للعمل على اتقان التزييف ، (والثانى) أن التاريخ الذي قرر بارت أنه اوقف ابتداء منه صدور الورق المزيف ينطبق تماما على التاريخ الذى ذكر فيه مراقبو « لومنيتز » انه اختفي فجأة عن الانظار ولم يعثر له على أثر ...!! إذن فهذا دليل قوى ـ يرتكز عليه ويان على الأقل فى تعزيز نظريته عن اشتباهه فى لومينتز واشتغاله في مدة اختفائه باتقان التزييف

وحينئذ عرض ويان الامر على مدير إدارة الأمن العام فى برلين كما تقضى التقاليد التى هى بمثابة القانون ، وأقره هذا على مواصلة أبحاثه واتخاذ ما يراه من الاجراءات لاكتشاف رءوس العصابة ، لا سيما المزيف الاصلى . وحثه على أن يوالى أبحاثه فى طي الكتمان . لم ير ويان بدا من القبض على مولر وأبيه لانه إن لم يفعل هذا فعله قاضى التحقيق (وهو يقابل النيابة عندنا) وفضلا عن ذلك فان القبض على هذين الشخصين لن يعرف عند رؤساء العصابة وكل ما فى الامر أن الوسيط الذى كان يمد مولر بالنقود الزائفة عند ما يتفقده فلا يجده لا يسىء الظن لاول وهلة بل قد يحسبه وجد عملا ففضل عدم الاستمرار للتعرض لاخطار تصريف النقود الزائفة . أضف الى هذا أن القبض على مولر قد يؤدى الى القبض على الوسيط ، فوسيط الوسيط ، فالمزيف الاكبر ...!!

ولكن سرعان ما خاب هذا الامل عقب القبض على المولرين . . . ! !
صحيح ان انكارهما للجريمة وزعمهما بأن اعتراف بارت عليها إنما هو محض اختراع وكذب عليهما لم يدم طويلا حتى اعترفا هما الآخران . ووصف مولر (الابن) الرجل الغريب الذي كان يمده بالنقود المزيفة . فقال انه « يناهز الاربعين من العمر ، معتدل القامة ، متناسق الاعضاء . لا هو بالطويل ولا بالقصير ، ولا بدنة ولا هزيلا . وخط الشيب شعر رأسه وشاربه » . . .
ولكن هذه الاوصاف تنطبق على بضعة آلاف من سكان العاصمة الألمانية....
فلم يكن امام ويان خيط آخر يتمسك من طرفه الا البيان الذى جاء على لسان مولر فى التحقيق عن المكان الذى كان يقابل فيه ذلك الوسيط . والطريق التى اعتاد القدوم منها اليه

* * *

أحضر القوميسير ويان جماعة من اعوانه ومساعديه وألقى اليهم بوصف الوسيط . ومكان المقابلة . ووقتها . والطريق التى يحضر منها . وأمرهم بالحذر والكتمان وعدم إزعاج الوسيط فى حالة العثور عليه . فلم تمض بضعة أيام حتى عاد أحد أعوان ويان اليه يقول له ان احدى العجائز « الراويات » اخبرته ان هذه الاوصاف تنطبق على شخص يقيم فى تلك الناحية يدعى « كومان » ولكنها لا تعرف ماذا يشتغل . . . وبالرجوع الى دفاتر الاجرام وسجلات المجرمين عرف ويان أن كومان هذا زبون من زبائن السجون وقد حكم عليه عدة مرات في جرائم نصب وأفلاس بالتدليس . وهكذا لم يكن كومان من المجرمين الحديثى العهد بالاجرام ، وعلى ذلك يجب ان تجرى الرقابة عليه بحذر شديد

ورغما من ذلك فقد كان ويان يعتقد تمام الاعتقاد أنه لم يعرف جزءاً واحداً من عشرة أجزاء عن هذه العصابة . فقرر القيام بنفسه وبمساعدة اثنين من أمهر أعوانه بمراقبة كومان . فتخفوا ثلاثتهم في هيئة أشرار من الفئة المتسكعة ، وأمعنوا فى هذا التخفي الى حد ان ضللوا البوليس الراكب . فكان

يطاردهم وهم يفرون أمامه في حذق الاشقياء المتادين الأجرام ؛ وجعلوا يلقون بأنفسهم في طريق كومان ويتابعونه ويلاحقونه أني سار وحيثما وجد ولكنهم لم يفوزوا منه بطائل إما لأن القبض على مولر قد أثار شكوكه فجعله يقف موقف الحذر ؛ وإما أن يكون وياذ قد أخطأ في أبحاثه واستنتاجاته ولم يكن كومان هو الشخص الذي وصفه له مولر كأن يكون مشابها له. وهذا محتمل جد الاحتمال ، وحينئذ بدأ وياذ يسائل نفسه عما اذا كان قد أخطأ في القائه القبض على شركاء بارت بمثل تلك السرعة الفائقة قبل أن يعرف الوسيط — أو وسيط الوسيط على الاصح — الذي كان يمدهم بالاوراق الزائفة

ولكن أمراً واحداً هو الذي كان باقياً لاستثارة الشك في كومان، ذلك أنه كان لا يعمل أي لا يشتغل في حرفة أو مهنة ظاهرة يتكسب منها . وهو لم يكن من أهل اليسار والثروة . ومع ذلك فقد كان مظهره يدل على أنه في سعة من العيش ...

وقد استغرقت أبحاث وياذ ومساعديه أسبوعاً كاملا، ولم تتقدم القضية خطوة واحدة الى الأمام ... فلم يجد القوميسير بدا من تغيير الخطة التي رسمها لأبحاثه . واستقر رأيه على أن يخطو خطوة جريئة . وهي خطوة جريئة حقاً تلك التي يتقدم فيها رجل البوليس السري — مهما كان ماهراً في التخفي — على أن يتصل بشخصه مع المجرم أو المشتبه فيه . لا يلجأ اليها إلا في الاحوال التي يبدأ اليأس يخيم على المباحث الأخرى، وقد عهد القوميسير بهذه المهمة الى رجل من أقدر رجالاته ممن يشار اليهم بالبنان في مهنة البوليس السرى تخلد اسمه في سجلات بوليس المانيا، ذلك هو الضابط «فيلدو»

***

قبيل الغروب في أحد الايام بعد ثلاثة أيام أو أربعة من الحوادث المتقدمة دخل شاب طويل القامة ممتلىء الجسم تدل هيئته على أنه سباك — دخل الى حانة من أشهر حانات اللصوص وقطاع الطرق في حي كونيجزناد ، وهذه الحانة عبارة عن قاعة فسيحة صفت في أنحائها عدة موائد على نحو ما نرى في

بعض الحانات التى تؤمها الطبقة الدنيا فى القاهرة . بل هى أقرب الى طراز خانات الريف القريبة من محطات السكة الحديد ومنازل الموظفين لأنه كان فى وسطها طاولة للعب البيلياردو أكل عليها الدهر وشرب . وفى زاوية منها موضوع بيانو لا يتميز له لون من فرط قدمه . والمقاعد جميعها خشبية وبعضها فاقد جزء أو أجزاء متعددة حتى ليحسب على السليم ما كان ذا ثلاثة أرجل منها . وهى بالجملة قد كانت حانة حقيرة . وكان فى آخرها باب تظهر منه غرفة صغيرة مهجورة غير ذات أثاث

وما كاد هذا الشاب يخطى عتبة الحانة حتى توقف الثمانية زبائن الموجودون بها عن مواصلة حديثهم كأنما بفعل السحر . . . وجعل الاربعة منهم الذين كانوا يلعبون البليارد ويستمرون فى لعبهم فيما يشبه الصمت المطبق . بينما كان الاربعة الآخرون الجالسون الى طاولة — وهم عبارة عن رجل قارب نهاية الحلقة الخامسة من عمره أو تخطاها بقليل . وفتاة مظهرها أكبر من مخبرها ورجلان متوسطا العمر . مبتذلا اللباس — كانوا قد خفضوا صوتهم الى ما دون الهمس

ولم يظهر على « السيد » أنه أعار ذلك السكوت الفجائى أية التفاتة . بل بالعكس تبين أنه لم يلاحظه ... وقد جعل ينفض الوحل من نعليه من أثر الامطار . وكذلك نفض ملابسه . ثم وضع حزمة « العدد » التى معه فوق أقرب طاولة الى الباب وجلس عليها ... وطلب كأس خمر من وطنية المانية تسمى « نوردهوزر شنابس » .. على أنه لم يطلبها بهذا الاسم الأرستوقراطى . بل طلبها باسمها البلدى الوطنى (البلدى) نورد لخت ... ولو كان فعل غير ذلك لأظهر نفسه أنه من غير أهل الطبقة التى تدل عليها ثيابه وهيئته ... وبالرغم من هذا الذى ضربه ... والدليل الذي قدمه على أنه من عامة الشعب ... الصناع البسطاء ... فان الشعور الذى أثاره دخوله على تلك الجماعة لم يفارقهم فى مثل السرعة التي لا يسهم بها ... واستمروا يتبادلون الاشارات والغمزات والاستفهامات ... بيد أن النتيجة النهائية لاختبارهم هذا الفتي الغريب

كانت فى مصلحته ، حيث حكموا له بما أراد أن يظهر به من بساطة ... يدلك على ذلك استئنافهم لحديثهم الذى قطعوه عند دخوله ... فى طمأنينة وارتياح . ذلك أنهم قد استقر رأيهم على أنه رجل « عامل » ، لا شأن له بالتعرض لشئون الناس ... ولم يدفعه إلى حانهم الا قسوة الطقس ... فلم يعودوا هم الآخرون يحذرون منه الا كما يحذرون من الرجل العادى الغريب عنهم

وقد تأيد اطمئنانهم هذا بدخول أحد رفاقهم عليهم بعد وصول الفتى الغريب بعشر دقائق ، والذى ما كاد يدخل حتى استقبلوه بالترحيب والاغتباط . ولو أن القوم ما زالوا على سوء ظنهم بالسباك لخدجوه بنظرة فاحصة فى تلك اللحظة لرأوا آثار الانشراح والسرور تضيء وجهه لوصول رفيقهم الجديد فان هذا القادم — الذى كانوا ينادونه « الفارس وليم » — لم يكن سوى « كومان » . . . . . وبعد قليل من دخوله ظهر السبب فى اغتباط رفاقه لمقدمه . . . . فقد كان محبوباً لديهم لكرمه الحاتمي ! ! ! فانه ما كاد يحتويه مقعده حتى طلب « دورا » لأخوانه . . . كل مما يشرب . . وجعل يحادثهم فى بديهة حاضرة ونكتة رائعة ، وهم يتلقون أقاصيصه المسلية فى قهقهة عالية تنم عن سرور غير مصطنع . . . كل هذا والسباك يقلب « عدده » بين يديه الفينة بعد الفينة . . . شأن من لا يعرف كيف يقتل وقته

كانت الامطار تهطل فى ذلك اليوم سيلا مدرارا . ولكنها كانت فى اللحظة التى تجرى فيها الحوادث التى ذكرنا قد أخذت تسكن . . . وكانت كأس السباك قد مضى عليها فارغة اكثر من ربع ساعة ، أليس محتملا أنه لم يكن معه ثمن كأس أخرى ؟ ؟ وكانت أنظاره لا تكاد تفارق الطاولة الاخرى حيث كان الاخوان الخمسة مستمرين فى الشراب بلا انقطاع . . . فما أن لاحظ « الفارس وليم » ذلك حتى هب من مقعده وتوجه نحو السباك وقال له فى صوت العامل الصديق :

— لقد أنستنا بك يا فتي . . . لعلك بخير ؟

فرك السباك إحدى أذنيه بيده وقال لصاحبه فيما يحاوره أن « الشغل » ليس على ما يرام . . . وانه — أى السباك — سوف « يشطب » عمله في الغد ؛ ولا يدرى ماذا يكون بعد . . . فأما لو استمر الطقس الردىء على ما هو عليه فأنه لا يأمل أن يجد عملا لزمن علمه عند علام الغيوب ؛ وختم السباك كلامه بقوله « ومعنى هذا ان أيام العطل السوداء ستعود . . . وسبحان المدبر . . . »

فكان جواب « كومان » على ذلك أن حملق في السباك بضع ثوان لم ير عليه خلالها الا آثار الألم الذي يستحوذ على المرء في ساعات اليأس القاتلة . . . وفى تؤدة أخرج السباك ثمن الكأس التى شربها وانتصب واقفا ليذهب . . . وحينئذ دعاه كومان لشرب نخب تعارفهما . . . معربا له عن أحسن تمنياته فى أن يجد شغلا حسنا . . . وحين اصبحت احدى قدمى السباك خارج الحانة وما زالت الثانية داخلها صاح به كومان ان لا ينقطع عن زيارته . . . فقد يستطيع أن يجد له عملا يساعده فى معيشته . . . فشكره السباك ومضى

انقضت خمسة عشر يوما سويا والسباك ما يزال قبيل غروب شمس كل يوم منها يعتقد مكانه من الطاولة المجاورة لباب الحانة ؛ وفى كل مرة كان يجالسه كومان . . . والظاهر أنه أحبه وأعجبه ما كان يرى عليه من علائم البساطة حيث كان الفتى لا ينفتأ يقص تاريخ حياته وماصادفه فيها من حوادث على كومان . بينما كان هذا يجيب على ذلك السرد البسيط البرىء بتلك الاقوال المحفوظة . مثل « هكذا حال الدنيا » و « الذي على الدنيا يقاسي همها » و « الحياة كفاح » الى غير ذلك من الالفاظ التى لاتسمن ولا تغنى من جوع . . . على أنه — أى كومان — كان يقبل على دراسة الفتى السباك دراسة عميقة من خلال كلامه حتى يثق من أنه امام عامل « بسيط » حقيقة وليس امام مخادع ! !

وكان السباك يبدو مثقلا بالهموم يوما عن يوم . . . ولم يخف على صديقه الجديد أن أثاث منزله أخذ يتلاشى شيئا فشيئا فى سبيل علاج زوجه

المريضة واولاده الأربعة الصغار . . . فكان « كومان » يتظاهر بالتأثر العميق ويناول السباك حينا بعد حين خمسة قروش او ما نحو ذلك مشدداً في عزيمته . . . وذات مساء بينما كان السباك علي وشك الرحيل من الحانة عرض عليه « كومان » أن يرافقه في الطريق قليلا حيث كانت طريقهما متحدة في مبدئها . . . وما كادا يخطوان خطوات خارج الحانة حتى سلط « كومان » على رفيقه بطارياته . . . فسأله في صراحة تامة عما اذا كانت له « سوابق » مطلقا ؟ فغمغم السباك بين فكيه بضع كلمات غير واضحة . . . وحينئذ أعاد عليه « كومان » القول مبتسما بأنه ليست به حاجة لأن يخفي شيئاً عليه . . . وليس في وجود السوابق لاي شخص كان ما يحط من قدره ! ! وأنه هو نفسه — أي كومان — قد قضى أكثر من « مدة » بعيدا عن الحرية . . . فشجع هذا الكلام السباك علي الاعتراف بجرائره ، فصرح لرفيقه انه قضى مدتين في السجن . الاولى خمسة عشر يوما ، والثانية ثلاثة شهور ، وكانت إحدى الجريمتين اللتين حكم عليه من أجلهما أنه تغاضى عن سرقة نفر من زملائه بعض الادوات من « عمارة » كان يشتغل فيها ، والجريمة الثانية من هذا القبيل . . . فضحك كومان للمرة الثانية وسأل السباك عما اذا كان ذلك كل ما في الامر . . . ولم يلبث ان قال له في معرض الاقتراح ان لديه عملا له يعود عليه بربح زوج ثيلر (١) في اليوم . . . « ثيلران في اليوم ! ! » صاح العامل المسكين فاغراً فاه . . . « ثيلران في اليوم !! كيف يمكنني الحصول على هذا المبلغ ؟ ؟ اني مستعد لتضحية كل شيء . . . اشتغل ليل نهار لا آكل ولا أمل كما تأمرني . . . . أجابه كومان انه ليست به حاجة للاشتغال ليل نهار ، بل أنه لن يكد مطلقا للحصول علي هذا المبلغ . . ثم أخرج كومان من جيبه ورقة نقد من ذات الخمسة الماركات وشرع يشرح له « كيفية الاستعمال » . . . ولم تمض برهة وجيزة حتي كانا قد اتفقا علي العمل » ، ثم افترقا على أن يلتقيا في مساء اليوم التالي في الحانة المعهودة

---

(١) الثيلر ، هو الريال الالماني ويساوي ١٥ قرشا مصريا (المعرب)

وبعد ثلاث ساعات من تلك اللحظة كان « فيلدو » ما زال بثياب العامل واقفاً لدى « ويان » فى منزله يقص عليه تفاصيل ما دار بينه وبين « كومان » ليس شك فى أنه لم يبق على ويان إلا أن يشدد الرقابة على كومان بينما يستمر فيلدو على القيام بدور السباك . وأن يزعم هذا بدوره أنه نجح فى تصريف « البضاعة » ويعود الى « المحسن » اليه بثمنها

وبعد ثماني وأربعين ساعة على دخول فيلدو فى عصابة كومان استطاع ذلك الضابط القدير أن يبلغ رؤساءه انه على موعد لمقابلة الزعيم الاكبر لتلك العصابة فى مساء اليوم التالى

وفى الموعد المحدد ذهب ويان يصحبه أحد ضباط المباحث ممن يصح وصفه بأنه أكثر خبرة وحنكة من فيلدو . وتعقبا « الموزع الاكبر » للاوراق الزائفة الى مقر سكنه دون أن يسعدا بمعرفة اسمه ... على أنه لم يمض وقت طويل حتى علم ويان أنه انما ينازل شقياً عاتياً . وأن ذلك الموزع الاكبر لم يكن سوى « هوبرت سبنجبرج »

ثبت لويان انه سيجد فى سبانجنبرج خصما عنيدا لا يستهان بقوته . وكانت آخر جريمة ارتكبها سبانجنبرج يرجع تاريخها الى تسع سنوات خلت . أى قبل التحاق ويان بقوة البوليس السري . وقد قضى سبع سنوات من هذه السنين التسع فى سجن سباندو رفيقا للومنيتز ولو أنهما لم يكونا محكوما عليهما فى جريمة واحدة

وكان سانجنبرج فى هذا الوقت يعيش مع زوج اخته الذي كان خبازا فيما مضى من الأيام وجعل فى آخريات ايامه التى نحن بصدد منها يدير محلا للقهوة يؤمه الخبازون من جميع انحاء العاصمة الألمانية

لبث « ويرنر » يراقب سبانجنبرج اسابيع عدة ، وكان يتعقب خطواته جميعا خطوة خطوة متخفيا فى كل خطوة منها بزى يختلف عن سابقتها . . ذلك أن ويرنر هذا كان ماهرا فى التخفى لدرجة انه مازال يضرب بتخفيه المثل حتى هذه اللحظة فى بوليس برلين ، وأخيرا استقر رأى ويرنر على أن الاوراق

التي كان سبانجنبرج يوزعها على الوسطاء كانت تصل اليه على أيدي رسل بواسطة إحدى المنازل العديدة التي كان يزورها

ولكن شهر نوفبر انقضى بأسره وتلته بضعة ايام من شهر ديسمبر وويرنر لما يصل الى سحابة تقوده الى واحد من اولئك الرسل ، على أنه تبين له من البحث والاستقصاء ان سبانجنبرج كان يميل كثيراً إلى الجنس اللطيف ، وإلى جانب هـذا كانت غالبية النساء اللاتي يزورهن من الطبقات الراقية فى الهيئة الاجتماعية . ولا يمكن أن يشك احد فى اتصالهن بأعمال تزييف النقود وما اليها من جرائم هن فى غنى عنها . . . وكانت أقربهن اليه وأحبهن عنـده — بدليل اكثاره من زيارتها — فتاة حديثة السن تقيم مع أمها فى المنزل ويدير شئونهما معا أحد كبار صيارفة برلين المعروفين

وليلة أطال ويرنر رقابته على المنزل الذى تقيم فيه هـذه الفتاة مع أمها اثناء زيارة سبانجنبرج ، وهو منزل من تلك المنازل التى جرى العرف بتسميتها « عمارات » لكثرة ماتحتويه من مساكن لعائلات متعددة ، وبالرغم من ذلك فأنه لم يدخل أحد فى « العمارة » تلك الليلة الا امرأة واحدة عادت فخرجت منها بعـد نصف ساعة من دخولها . . . وتابع ويرنر تحرياته فلم يعثر منها بدليل أو شبه دليل على اشتراك الفتاة أو أمها فى عصابة التزييف بأى وجه من الوجوه . . . بل أن الخطابات التى كانت ترد لسبانجنبرج لم تفلت من رقابة ويرنر ... ومع ذلك فقد ثبت له أن هـذه الخطابات جميعها كانت نسائية . .

***

وانتصف ديسمبر ولمـا يعثر للومنيتز على أثر . . . حتى أولاده ماكانوا يعرفون عنه شيئاً . . . فهل ابتلعته الأرض ؟ أو صعد الى السماء ! ؟ فعاودت ويان شكوكه القديمة فى خطئه فى توجيه التهمة ـ أو الاشتباه على الاصح ـ نحو لومنيتز . . . ولكن كان توافق تاريخ اختفائه مع تاريخ اختفـاء الاوراق الزائفـة مايزال قائما قرينة قوية ضـده . . . وتنفس صبح اليوم

اليوم العشرين من ديسمبر عام ١٨٧٩ عن ويان جالس في غرفته التي وصفناها في مبدأ هذه القصة يفكر ويفكر فيما نحن بصدده ... و بينما هو في لجته أرسل في طلب السجل الخاص بجرائم لومنيتز ... فعاد اليه الرسول بعد برهة قائلا ان قوميسيرا آخر قد بعث في طلب السجل قبله وأعطي له .... فانتفض ويان في مقعده وكأنما صعق لهذا الخبر

قليلا من التفكير

ان اشتغال عدة أشخاص بمسألة واحدة دون اتصال بينهم حقيق بان يفسد الغاية التي يقصدون اليها بانتهاج كل واحد منهم طريقا. لابد ان تتعارض في عطفة منها مع الطريق التي يسير فيها الآخر .. وفي كلمة « رئيسان في السفينة يغرقانها » ... وفضلا عما هو معلوم لدي القاريء من أن ويان كان يعتبر « الرجل » الذي يجب ان يتم اكتشاف أمر عصابة التزييف على يديه ، فان أية خطوة خاطئة قد يتخذها قوميسير غيره من المهتمين بهذه القضية قد تنبه الطائر فيفلت من الفخ الذي يجب أن يجرى نصبه له بأحكام.. فلم يكن بد إذن من وقف مثل تلك الخطوة بأية وسيلة ، وعلى ذلك قرر ويان الالتجاء الى عمل حاسم ... واستقر رأيه على القبض على كومان وسبانجنبرج في التو والساعة ... فاستدعى اليه ويرنر وعهد اليه بالمهمة الخاصة بالاول بينما يقوم هو باصطياد الثاني ... وتم ذلك

على ان تفتيش منزل سبانجنبرج لم يسفر عن العثور على ورقة واحدة من الاوراق الزائفة ، وكل ماوجد مما يمكن ان يؤيد الاشتباه فيه زجاجة حبر طبع ازرق ، وبالطبع قد انكر سبانجنبرج التهمة المعزوة اليه انكارا باتا، ونفى معرفته بلومنيتز نفيا قاطعاً ، ثم عاد فاعترف انه يتذكر شخصاً بهذا الأسم عند ما ووجه بسجلات سجن « سباندو »

ورأى ويان انه اذا لم يتم له القبض على لومنيتز في نفس ذلك اليوم فأنه لابد فار من وجه العدالة ويوكل أمره إلى مجرد الصدفة

ولما كانت منازل كومان وسبانجنبرج وغيرهم من المقبوض عليهم

من تلك العصابة تقع جميعها فى الحي الشمالى فى برلين ، فقد استقر رأيه على البحث عن لومنيتز في تلك المنطقة

ففى الساعة السابعة من مساء ذلك اليوم ذهب ويان فى فرقة من عشرين رجلا من رجال البوليس السرى وقسمهم إلى عشرة أزواج ، وعهد إلى كل زوج منهم بالبحث والتنقيب فى جميع المساكن فى شارع معين

ودقت الساعة العاشرة دون أن تكلل هذه الابحاث بالنجاح ، ولم يبق امام ويان وويرنر الا بضعة منازل فى شارع روجنر ، ثم انتصفت الساعة الحادية عشرة وهما صاعدان درج منزل متثاقلان من فرط الأعياء وسألا بوابة المنزل عن شخص بالاوصاف التى يعرفانها فاجابتهم بالنفى . . . ولكن ابنتها قفزت من مكانها فقاطعت أمها قائلة « لابد أنهما يسألان عن الهروندت ياأماه . . . نعم أيها السادة . . . إن الهر وندت يسكن الشقة اليمنى في الدور الرابع . . . » فلم ينتظرا حتى تتم الفتاة كلامها وكأنما قد جدد كلامها قوتهما المفقودان فجعلا يقفزان الدرج مثلثا ورباعا حتى وصلا الى الدور الرابع . فنقر ويان الباب فى لهفة وأعاد النقر ثانية قبل ان يسمع صوت وقع اقدام من الداخل ، ثم اجابه صوت ناعم سائلا : « من الطارق ؟ » فأجاب « هيا هيا . . . إفتحوا عاجلا بحق السماء !! »

وما كاد الباب يفتح حتى كانت الرواية قد تمت فصولا . ذلك ان ويان وويرنر هجما على المزيف الأصلى فطرحاه ارضاً ، على انه لم يحاول مقاومة ولم ينكر جريمته بل اعترف بها في صراحة ، وان شئت فقل وقاراً اكسبه إعجاب القابض عليه نفسه

وعند محاكمته كان كل همه ان يبرىء اصحاب البيت الذى كان يقيم فيه ويحصر التهمة ــ وقد تم له ذلك ــ فى نفسه وفى سباخبرج . وتبين ان المرأة التي رآها ويرنر ليلة رقابته على منزل الفتاة وأمها كانت واسطة ــ دون علمها ــ لنقل الاوراق الزائفة من لومنيتز الى سباخبرج فى صندوق مقفل

احمد مختار

تفسير التوراة

لمراد فرج

اصدر الاستاذ مراد بك فرج المحامي الجزء الاول من كتابه تفسير التوراة والاستاذ مشهور بكتاباته العربية الممتعة عن اليهودية فقد اصدر كتاب « القرائين والربانين » وفيه بحث عن اوجه الخلاف بين الطائفتين اليهوديتين . وهو اكثر اليهود عملا لاجل توحيد الامة اليهودية : وا كثر اليهود اجتهادا للحث على المزاوجة بين شقي اليهود . كذلك سبق له اصدار كتاب « شعار الخضر » الحاوي مختصر الشريعة اليهودية . فيد الاستاذ على المتكلمين بالعربية خصوصا اليهود منهم بيضاء يجب ان تقابل بما تستحقه من الشكر من افراد كلا الامتين الشقيقتين

ومراد بك رجل يجيد اللغتين العبرية والعربية . فلا بدع اذا اقدم اليوم بمحاولة جريئة هي ترجمة التوراة رأسا من العبرية الى العربية مع شرح المعاني شرحا وافيا مستندا في شرحه الى من سبقه من جهابذة اليهود والمسلمين . وقد راعى في تفسيره الجديد تفسير الكلمة العبرية بعد ضبطها بالاحرف العربية ولم ينس ان يبين قواعد الصرف والنحو في اللغتين وكيفية اشتقاقهما من بعضهما البعض والفوارق الكائنة بينهما . وقد اورد الآيات القرآنية المناسبة للحوادث المذكورة في الجزء المفسر في هذا الكتاب من التوراة . وزيادة في الفائدة صدر كتابه بالاصل العبري للجزء الذي فسره وهو « سورة الرأس » (الفصل الاول الى الفصل الخامس من سفر التكوين) واليك تفسير مبدأ الآية الاولى من الفصل الاول كما فسره في كتابه القيم : —

« في البدء خلق الله السموات والارض » (نقلا عن الترجمة المتداولة التي وضعها البروتستانت) (ب داش ى ة) بكسر الاولين مثلا والشين مشبعا

والباء حرف جر ظرفيه بمعنى (فى) والالف بعد الراء لافعل لها ، والكلمة من (راش) — بضم الراء — على وزن يوم بلغة العامة . هو عربيا الرأس بمعنى الرئاس اول الشيء و بدايته . ومنه رأس الحكمه مخافة الله . والبدء من بدأ يبدأ وهو ما فى الترجمه عبرى أيضا

واختلف العلماء فى الكلمة مستقلة بذاتها هى ام مضافة . فقال البعض انها مستقلةغير مضافه الى شيء بعدها . وقال البعض انها مضافة وهذا هو الاصح فان حركة الباء ليست حركة فتح بالقمص مما يدل على الاستقلال بل حركة كسر تمال بالسكون المتحرك ما يدل على الاضافة . ولا يقال ان الباء زائدة فهى ليست عبثا فى اول التوراة

وليست الاضافة الى مابعد الكلمة فهو فعل ماض (ب د ا) — بفتح الاولين — برأ بمعنى خلق ولايضاف الاسم الى الفعل

وذهب بعضهم الى ان الاضافة هى الى الزمان قبل الخليقة ورد البعض على ذلك ان الزمان من الفلك ، وكيف يوجد الزمان قبل الفلك . و رأى صاحب التاج ان موسى عليه السلام بوحى الله اليه اراد ان يفهم العباد ان الكون حادث بامر الله . فقد كانوا ينكرون حدوثه و يقولون انه قديم هكذا .ولاخالق له ، و يبقى هكذا ولا يتغير . فابتدأ موسى بقولة (ب راش ى ة)ليعلموا ان الحدوث هو بامر الله ، لا انه طبيعى كما يظنون. ولذا قال من بعد وتم خلق السموات والارض. والاضافة والحال هذه تنصرف الى ماقبيل ان بدىء الكون يتكون حتى تم تكوينه

وقد غالى بعض المفسرين فى التفسير واغرقوا اغراقا اجازوا به لانفسهم ان يعطوا لكل شيء معنى وسببا ولو كان الشيء لايحتمل التعليل . فمن ذلك قولهم أن حروف الأبجدية تمثلت بين يدى الله يطلب كل حرف منها أن يكون المبدوء به فى أول التوراة . فكان الله يرد الحرف بعد الحرف لعلة فيه كحرف الالف فان منه ارور على وزن صبور هو عربيا مأرور بمعنى الطريد

العين وكحرف الشين الشقر — بضم الشين وفتح القاف — كصرد بمعنى الكذب هو عبريا بكسر الاولين مالا ممدود الاول . وكحرف الثاء قان فيه العتبة محركة بمعنى الشيء الكريه . وهو عبريا بتقديم الثاء وهكذا الى ان بدأ بحرف الباء فمنه البركة والبروك اى المبروك المبارك هذا هو تفسيرة لكلمتى « فى البدء » ثم يتابع تفسير « خلق » (ب د ا) — بفتح الاولين — ثم « الله » (إ ل ه ى م) — بضم اللام وكسر الهاء الخ الخ

ولاشك ان المتبحرين فى علوم الدين الاسلامى يجدون فائدة كبيرة من درس هذا الكتاب خصوصا وانى اشتم ان المفسر يجد فى بعض الترجمات العربية للتوراة اخطاء اقدم على اصلاحها . ويفهم من سياق ما كتب ان من السهل فهم حقيقة معنى التوراة من الاطلاع على مايقابله من الآيات القرآنية وهذا ما يدهش ولكنه ليس بالامر الغريب

وكذلك سيلفت هذا الكتاب جماعة مهمة من المستشرقين لان المؤلف قد مس فيه ولو عرضا وبدون قصد موضوع علم مقارنة الاديان . وانا نرحب بهذا الكتاب وننتظر من حضرة المؤلف العمل على انهاء ترجمة التوراة كلها الا أننا نقترح على حضرته اتباع ما يأتى

(١) كتابة الترجمة المتداولة آية بعد آية

(٢) كتابة الاصل العبرى باحرف عربية مع ضبطها

(٣) كتابة الترجمة الصحيحة للاصل العبرى اذا وجد خطأ فى الترجمة الحالية

(٤) كتابة أصل كل كلمة عبرية مضبوطة مع ذكر مايقابلها من الترجمة العربية

(٥) يتابع شرحه على نسقه الحالى بعد ذلك

ويحوى الكتاب مايقرب من ٣٥٠ صفحة وثمنه مجلدا تجليدا حسنا ١٥٠ مليما . وقد اوقف صاحبه دخل الكتاب لاعمال البر بين ابناء طائفته

رسائل الارواح

كتاب يشتمل على احدث المباحث في مناجاة الارواح وانتقال الافكار وقرا تبا وتعليل الاحلام والانباء بالمستقبل والشفاء بالاستهواء وما الى ذلك من المباحث التي تتناول نفس الانسان قبل الولادة وبعد الموت وآراء العلماء فيها . يقع في ٢٣٦ صحيفة من القطع الكبير حسن الطبع والورق . اصدرته ادارة المقتطف وثمنه ١٥ قرش مصريا .

***

من اعجب الاشياء التي نلاحظها عن كثير من الباحثين الذين يذكر اخبارهم تاريخ العلم انهم يكونون اشد ريبة وشكا في اوساط أعمارهم . فاذا تقدموا في السن بدؤوا يراجعون ذلك الشك ويعيدون النظر في مواقع الريب التي غشت على قلوبهم في سني الشباب والفتوة . فكثيراً ما نستمع أن ملحدا أسلم وهو مشرف على نهاية العمر . وغالبا ما يروى التاريخ ان رجالا عظاما انكروا اشياء كثيرة مما يعتبره غيرهم حقائق ثم ارتدوا عن شكهم فصاروا من اكبر المؤمنين في أواخر أعمارهم .

هذه ظاهرة يروى التاريخ من امثالها الشيء الكثير . ولعل السبب في ذلك كما قال كثير من علماء النفس أن الانسان يحتاج في حياته العقلية الى كمية خاصة من الأوهام تعزو عقله وتغذى نفسه ارضاء لوراثات خرج بها الانسان في حياته الاولى .

اما المرحوم الدكتور صروف فلم يكن من هذا الصنف . فقد كون في الارواح ومناجاتها رأيا وظل عليه ثابتا حتى نهاية عمره . فقد وقف ازاء الارواح ومناجاتها موقفا يتلخص في أنه لا ينفي وجود الارواح ولا يثبتها ما دام الأمر محصوراً في يد العلماء ، وهؤلاء لم يستطيعوا ان يثبتوا وجودها ولم يتمكنوا من البرهنة على انها غير موجودة . ولا جرم أن لهذا الرأى سببا قويا عند الدكتور انحصر في وجود بعض مظاهر في الحياة الانسانية كالتلبائية والتنويم المغنطيسي لم يعلل العلم اسبابها تعليلا ماديا

كافيا . اما مناجاة الارواح والاتصال بها فكان ينكرها اشد انكار . فما ظهر اثر تلاعب الوسطاء فيه نفاه بالدليل المحسوس . ومالمكن تعليله بالظواهر النفسية رجع فيه الى العلم يطبق مبادئه على الحوادث المروية او الحوادث التي تقع تحت عينه .

ولقد اتخذ بعض الباحثين ظواهر الاحلام دليلا على وجود الروح كمبدأ يفارق البدن ثم يعود اليه . فرجع الدكتور في تعليل هذه الظواهر الى ما كتب الاستاذ « فرويد » والظاهر انه قرأ كتاب هذا الباحث فى « تعليل الاحلام » قراءة مكنته فى الوقوف على آخر الآراء فى ظواهر الاحلام فاستطاع أن يطبقها على الحوادث التي تروى له احسن تطبيق بما عهد فيه من قوة الفكر وحسن الاختيار .

على انى لم اسمع من الدكتور يوما انه يعتقد بمناجاة الارواح ولكنى سمعت منه كثيرا ما يستدل منه على أنه لاينفي وجود الروح . غير ان اعتقاده بوجود الروح كان اعتقاداً مبهما غير مفصل شأن الكثيرين ممن يعتقدون بوجود الارواح . فالرأى الروحانى على ان الارواح مبادىء مفارقة للابدان وان لها حياة غير حياتها الارضية ويضعون من دقائق تلك الحياة الموهومة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر . فى حين ان اعتقاده كان قائما على الاسلوب العلمي الذى عكف عليه كل أيام حياته . كان يفرض وجود الروح فرض ضرورة ليعلل به بعض الظواهر التي نستجليها في الحياة الانسانية . فالروح عنده من المباحث النفسية كالاثير فى المباحث الطبيعية . مع فارق ان الاثير يعلل من ظواهر الطبيعة اكثر من تعلل الارواح من الظواهر النفسية .

هذا ما وصل اليه علمى من معتقد الدكتور صروف فى الارواح وأنت ان اكببت على كتاب « رسائل الارواح » وقعت على هذه الآراء مجلوة فى أحسن ثوب مصبوبة فى اسلوب رائع فخم .

وقد صدر الكتاب بمقدمة من قلم فؤاد افندي صروف محرر المقتطف سرد فيها كثيرا من الآراء سرد من قرأ وتمعن ووقف على الحقائق . ولعله لا يبخل على العربية وأهلها بكنوز المقتطف يخرجها في مجلدات متوالية لتكون أسهل تناولا واعم فائدة .

اسرار السماء

تلكسوب جديد قطره ٢٠٠ قدم – ماذا ينتظر الفلكيون

– عجائب التصوير الفوتوغرافي الفلكي –

حدود الكون

عن مقال الاستاذ هـ . هـ . ترنر عضو المجمع الفلكي البريطاني

---

١ – بدء المشروع

لقد أعلن منذ عهد قريب أن أموالا قد جمعت لاقامة تلسكوب كبير وادارته يكون قطر عدسته ٢٠٠ قدماً ، أي مضاعف قطر أكبر تلسكوب موجود الآن فوق سطح الكرة الارضية وهو المعروف بتلسكوب هوكر الموضوع فوق قمة جبل ويلسون في امريكا الشمالية . وهذا الخبر أن تلقاه الفلكيون على اعتبار أنه امر مفروغ منه . فان التصميم الاول كما اذيع خبره بين المشتغلين بعلم الفلك كان على أن العدسة ستكون باتساع ٣٠٠ قدم . ولقد نال هذا المشروع موضوع عناية المهتمين به سنوات عديدة . فان التصميم والنفقات قد وضعت على قاعدة ان يكون التلسكوب بقطر ٣٠٠ في شهر أغسطس سنة ١٩٢٦ ، وظهر مطبوعا في اعمال « جمعية المحيط الهادي الفلكية » وقد عبر كاتبو هذا البلاغ عن ثقتهم بأن المشروع يمكن تنفيذه وانه ليس في حد الاستحالة اذا أمكن جمع المال اللازم لاخراجه من حيز الفكر الى حيز الوجود الحقيقي . غير أن تقدير الاموال اللازمة للمشروع قد بلغت عدة ملايين من الجنيهات . ولم يظهر فرد أو جماعة أقل استعداد لان يمد القائمين بالمشروع بالمال اللازم .

ومنذ عهد قريب راجت اشاعات مقتضاها ان المشروع لن يظل في حيز النظر بل لابد من ان ينفذ قريباً . ويرجع هذا الى مجهودات رجل عظيم هو

« جورج اليرى هال» بعد انه استرد صحته وكانت قد ضعفت ضعفاً ظاهراً لما بذل من مجهود علمي . فوجه نظره الي العمل على انجاح المشروع فكون « مجلساً رصدياً » تحت رئاسته. وعلى الرغم من ان قطر العدسة قد انقص من ٣٠٠ قدم الى ٢٠٠ قدم فقط لاسباب لا يصعب فهمها . فان لدينا الآن كل امل في ان المشروع سينفذ فى خلال عشر سنوات وان هذا التلسكوب العظيم سوف يفتح امام أعيننا عالما لا تحد مدهشاته .

٢ — تلسكوب لورد روس

اى تقدم فى العلوم الفلكية يجب ان ننتظر بعد اتمام هذا المشروع ؟ فاذا حكمنا على النتائج التى ننتظرها بالنتائج التى جنيناها من التلسكوب الكبير الذي بني قبله وقطره ١٠٠ قدم فقط . لم تظهر لنا الفائدة فيه كاملة كما ستكون الحقيقة . ومهما بالغنا فى تعديد الفوائد التى سوف نجنيها . فاننا قد نخطيء وقد لا نوفيها حقها من التبيان . غير انها ولا شك سوف تفوق النتائج التى حصلنا عليها من تلسكوب قطره ١٠٠ قدم اضعاف .

لنرجع بالذاكرة الى قرن مضى على التقريب . اى الى سنة ١٨٤٥ عندما اكمل اللورد روس تلسكوبه . الذي بلغ قطرعدسته ستة اقدام . وقد اثار دهشة الناس فى عهده . حتى ان كثيرا من الادباء وعلى رأسهم « دد كوينزى » قد افاضوا فى وصفه بما وسعهم الخيال . ولا نزال مقالة « دد كوينزى » معتبرة من امتع ما كتب الادباء حتى عصرنا هذا .

٣ — الشموس والسدم

على ان النتائج التى وصل اليها لورد روس على عظمها . قد انصرفت اقوى جهات النفع فيها من وجهين اثنين . الوجه الاول انه استطاع أنه يري بتلسكوبه نجوما أقل ضوء من النجوم التى كشفتها التلسكوبات الاخرى : والوجه الثانى انه استطاع ان يراها اشد جلاء وأبين صورة . فان كثيرا من السدم التى كشفت عنها التلسكوبات الاخرى ورأتها كبقع غمامية كثيفة، ظن لاول وهلة انها من طبيعة غازية . قد كشف عنها تلسكوب روس فاذا بها آلاف مؤلفة من النجوم الصغيرة القليلة اللمعان . وهنا قام فى العقول فرضان

الفرض الاول أن السدم الاخرى التى عجز تلسكوب روس عن ان يكشف حقيقتها قد تكون بدورها نجوما عديدة، اذا نظر اليها من خلال عدسة أكبر واقوى من عدسة روس . والفرض الثانى ان كل السدم عبارة عن مجاميع كبيرة من النجوم بعيدة عنا بعدا شاسعا . اما بعدها فيصعب على عقولنا أن تتصور مقداره كما يتعذر أن نحصيه بمقاسات الابعاد المعروفة حينذاك . ذلك لان الفلكيين كانوا حتى ذلك الحين لا يستطيعون أن يقيسوا إلا أبعاد بعض النجوم القريبة منا والتى لا تبعد عنا إلا مسافة بضع سنين نورية لا غير .

ومضى على هذا الحال سنوات تغير فيها وجه المسألة تغييراً تاماً ، اذ وقف الباحثون على ثلاث حقائق هامة :

الأولى — أظهر فيها الحل الطيفي (السبكتروسكوب) سنة ١٨٦٤ أن بعض السدم عبارة عن كتل من الغاز المشع ، وليست مجاميع من النجوم كما ظن أولا

والثانية — أنه على الرغم من أنه لم يتم تلسكوب أقوى من تلسكوب روس إلا فى أوائل القرن العشرين ، فان التصوير الفوتوغرافى (سنة ١٨٨٠) قد زود الباحثين بقوة استطاعوا بها أن يضاعفوا قوة التلسكوبات بالتعريض الطويل . فانك اذا عرضت لوحة تصويرية فى خلال عدسة تلسكوب بضعة دقائق ، فانك تجد أنه لا ينطبع فيها إلا أشباح النجوم التى هى أشد لمعاناً وبراقة من غيرها . فاذا عرضتها ساعة من الزمان انطبعت فيها صور النجوم التى هى أقل لمعاناً من تلك . ولكنك اذا عرضتها ١٠٠ ساعة فان نجوماً ضعيفة لاشعاع جداً تنطبع عليها . وقد يتصور البعض أن قصر الليالى قد تحول دون هذه التجربة ، ولكن العناية الفائقة التى يبذلها الباحثون قد مكنتهم من قفل عدسة التلسكوب نهاراً وفتحها ليلا ليستمر التعريض اطول زمان ممكن . وبهذا استطاع الفلكيون ان يعرضوا لوحات التصوير الى الاشباح السماوية اكثر من ١٠٠ ساعة واتضح بهذه الطريقة ان اى باحث يملك تلسكوبا صغير الحجم فى مستطاعه ان ينتفع به كما ينتفع غيره باقوى التلسكوبات ،

بأن يديم تعريض لوحاته الى الاشباح السماوية . وكلما طال زمان التعريض ازداد عدد الاشباح التى تستطيع على لوحاته مهما كانت ضعيفة الضوء ضئيلة الاشعاع . على انه لا يمكن ان يحصل بهذه الطريقة على كل النتائج المرغوب فيها وإن حصل على بعضها .

٤ — ضوء مدى سياحته مليونا من السنين النورية

الثالثة — والحقيقة الثالثة التي غيرت وجه البحوث الفلكية ان طريقة قد اكتشفت بها استطاع الفلكيون ان يقيسوا أبعاد النجوم وأبعاد السدم التى تتضمن مجموعات من الاجرام ، حتى ولو لم يصدق الوهم مقدار بعدها . فمن بين ملايين النجوم التى تضىء في السماء يوجد بضع مئات تدعى «السفيدية» (Copheids) تتغير أضواؤها على نمط خاص . فبعضها يتغير ضوؤه في بضع ساعات ، وبعضها يتغير ضوؤه في خلال أيام . وأهمية هذا الاستكشاف تنحصر فى ان النجوم السفيدية التي يكون تغيير ضوئها أبطأ هي الأشد لمعانًا . فاذا لاحظنا نجماً من هذه النجوم باستمرار لنعرف بأية سرعة تتكون التغايرات الواقعة فيه . استطعنا أن نعرف مقدار لمعانها . مهما كان ضعف اشعاعها لبعدها عنا بعداً شاسعاً . ومن طريق المقارنة بين ما هو ظاهري فقط وبين ما هو حقيقي من هذه النجوم . يمكننا أن نحدد أبعادها . وبذلك خطا الفلكيون خطوة عظيمة في سبيل استكشاف ارجاء الكون .

ولقد وجه دكتور « هوبل » تلسكوب هوكر (وقطر عدسته ١٠٠ قدم) الى كوكبة المرأة المسلسلة — Andromeda — مرات عديدة وصورها صوراً فوتوغرافية عديدة . ومن بين النجوم الضعيفة الاشعاع التى ظهرت على لوحاته الفوتوغرافية ، ستة نجوم ظهر أنها من ذلك الضرب السفيدى الذي يتغاير مقدار اشعاعه بين آن وآخر . وعرف فوق ذلك دورات تغير اشعاعها . وأمكنه أن يقدر مقدار لمعانها الحقيقي ؛ وبمقارنة دورات التغير في لمعانها عرف أنها تبعد عنا بمقدار مليون سنة نورية . وكل ما عرف عن هذه النجوم الستة يدل على أن أنوارها التي تصل الينا الآن قد ظلت تجوب المسافة الواقعة بين كنها الكونى ومركزنا الارضى مليونًا من السنين النورية

ولم يكن هذا آخر ما وصل اليه العلم الفلكي . فان سدماً أقل اشعاعاً وأضعف لمعاناً من هذه قد صورت فوتوغرافياً، ووجد أن من نجومها ما هو من الصنف السفيدي، وان بعدها عنا هو بمقدار مائة ضعف بعد نجوم كوكبة المرأة المسلسلة !!! وهنا وقفت قوة تلسكوب هوكر عن أن تمدنا من ذلك بمزيد . فانها عند هذه الحدود قد بلغت مداها الاقصى .

لم حدث هذا ؟ لماذا لم يستطيع تلسكوب هوكر أن يكشف عن نجوم أضعف اشعاعا من هذه ؟ السبب أن تعريض اللوحات الفوتوغرافية يجب أن يكون لزمان أقصر اذا كان تغاير النجوم السفيدية من المستطاع معرفته خلال بضع ساعات . فانك اذا اردت أن تصور سباق الخيل . لم تحتج الى تعريض طويل ، بل يجب أن يكون تصويرك فى أقصر وقت ممكن . لان الخيل في تلك الحال تغير أماكنها بسرعة كبيرة . أما النجوم فعلى الرغم من أنها تتغير ، فانها لا تغير مواقعها الفلكية ، بل أضواؤها . فاذا ادمنا تعريض اللوحات الفوتوغرافية زماناً أطول مما يجب . فقدنا النتائج التى نحاول الوصول اليها . إذن فلا بد من أن يكون لدينا تلسكوبا أكبر من تلسكوب هوكر لنصل الى النتائج التى نطمع فيها . لهذا فكر الباحثون فى بناء التلسكوب الجديد .

٥ — حدود الـكون

إن نجاح دكتور « هوبل » أولا ، ثم اخفاقه ثانياً . قد حفز الهمم الى تنفيذ هذا المشروع الـكبير . غير أن هنالك أمراً جديراً بالاعتبار . فان الابعاد التى أمكن للوصول اليها بالتلسكوب القديم قد تمتد الى الحدود التى يكشف عنها تلسكوب قطره ٣٠٠ قدم ، فان هذه الابعاد تصل . لا الى الحدود التى قال انشتين ان الـكون ينتهى عندها ، بل تكشف عن جزء منها . فان أبحاث انشتين قد أدت به الي القول بأن الكون لا يمتد الى لا نهاية امتداد تسطح وانبساط . بل إنه محدود كظاهر كرة ما تعود الى ذاتها كلما امتدت فى اللانهاية

وعلى الرغم من كل هذا . وعلى الرغم من أن الحدود التي سوف نصل الى كشفها بتنفيذ المشروع الجديد لا تتعدى جزء من فضاء الـكون . فان تلسكوباً يرينا ما بعد ١٠٠ مليون سنة نورية من الاجرام السابحة في جوف الـكون ، لدليل علي العظمة الانسانية لا يدانيه في نظرنا دليل

نشوء الصحافة

لما خرج الانسان من وحدته التي دامت حقبا حيث لم تزد همومه على الحصول على غذاء ومأوى يومه فعقد أواصر الالفة بينه وبين العشائر والقبائل الاخرى . بدت له حاجة جديدة هي دنيا الأخبار . فوصلته أخبار القبيلة التي تقطن ضفة البحيرة الأخري وتباشير الفيضان أو أنباء الزوابع واقتراب الجليد التي يتنبأ بها عقلاء القوم من الظواهر والعلامات المعروفة عنده . ثم آل بالانسان الامر الى تعرف الأخبار لا لاتقاء شرور واضرار أو الاستئمان على جلب المنافع . بل تعدى ذلك الى السعي لتعرف الأخبار ذاتها والاستشراف منها على مجريات العالم . وهي غذاء البشر في كل عصر وجيل

وقد كانت الحياة منذ القدم قصة ، والأخبار ما هي الا قصة الحياة كما هي . ومهما توغلنا في البحث من أقدم الازمنة لتعرف حياة الانسان الاولى ومهما قصر ذلك على الآلات والرسوم الغير المهذبة الاولية على الصخور أو أدى بنا البحث الى تفهم سر عادات الاقوام المنعزلين في ركن من اركان الارض حيث ظلوا محافظين على تقاليد الآباء والاجداد في العصر الحجرى فلا بد وأن نجد أن توفرت لديهم الوسائل في نقل الاخبار . فقد كان التسمانيين وهم بين الشعوب أقربها الى أجدادها في العصر الحجرى وسائل وطرق . الا أن تيار المدنية قد جرفهم وأبادهم في القرن الماضى كبعض الحيوانات الاولى المنقرضة كان لهؤلاء طريقة لنشر الاخبار عبر الجبال والانهار بعصى تقطعت فيها علامات ومصطلحات تفيد معنى اشاراتهم . وما زال المسنين من اقوام الاستراليين السود نفس الطريقة ، وقد كانت قبضة من الحبوب او بعض ريش النسور ذات دلالة اخبارية كبري بين هنود شمال اميركا . وما زال المسافر الذى يجوب بلاد الاشانتى وشاطيء الذهب إلى اليوم يتبع صوت الطبول المنذرة بخطر داهم أو دعوة إلى حمل السلاح او الانباء بموت عظيم

وربما كان أول نبأ إخبارى هو النار المضرمة فى رؤوس التلال . وقد نشرت كندا فى العام الماضى نبأ إحتفالها بعيدها الخمسينى وهى مستعمرة مستقلة (دومنيون) عبر القارة بنفس هذه الطريقة القديمة واضرمت سلسلة من عشرة آلاف من النيران على سفوح التلال من رأس بريتون إلى فنكوفر غربا.

واذا كانت الطبول والنيران توصل الانباء إلى العين والأذن ، فاللاسلكى والاشارات العاكسة لضوء الشمس مازالت تقوم بهذه المهمة وسيقوم بها جهاز نقل الصور عن بعد في القريب العاجل . وما زال الانسان شغوفا باستغلال أية طريقة يتمكن بها من نقل الانباء باقرب الطرق وأسرعها. الا أن الانسان لم تفته أبداً الرغبة في أن يري الانباء قيد الكتابة والتدوين ثما زال فى حاجة الى سجل مكتوب وصحيفة تنشر ؛ تحدوه الرغبة الى ذلك بعدم الوثوق بالقول الشفوى كل الوثوق . وكما قال الرومان « القول الشفوى طائر أما المدون المكتوب فباق » وكل من تتبع وهو طفل لعبة همس الأخبار فى الأذن من طفل لآخر وهكذا دواليك لابد واجد من الغرابة بمكان كيف ان النبأ يشوه تشويها عجيبا عند وصوله الى آخر طفل فى الحلقة .

وازدادت عند الخضناء الرغبة فى الحصول على الانباء الصادقة لا الأنباء تلقى على عو هنها لا غير . وما زالت هذه الحاجة ماسة قائمة متزايدة طول القرون . وما زال بعض القوم للآن ينبئك أن ليس لهم كبير ثقة بكل مايكتب فى الصحف. وذلك باعث على الاسى اذ هؤلاء القوم هم الذين لايقرءون شيئاً سوي الصحف

وقد كان الانسان طول العصور يسعى للحصول على الانباء الجديدة الصادقة وسيكون ذلك دأب الصحافة في مستقبل الايام . وسوف تقضى هذه الصحافة على هؤلاء المتشككين . وهنا نتمهل قليلا لنستعرض الخطوات التى بها توصل الانسان فى القرن العشرين الى الحصول على الصحف التى توضع على مائدة إفطاره كل يوم . ومع وجود الكثيرين الذين يدلونك

على مواضع الخطأ والضعف فى الصحف فهناك ملايين أنباء الصحف لهم بمثابة الغذاء اليومي كما كانت أنباء العصر الحجرى بالنسبة لانسان الكهوف الذى لم يحسن التلفظ الا بخمسين كلمة، وكانت تنقل له خير الانباء بصور واشارات موضوعة مصطلحة. فمن أطراف المعمورة ترسل الانباء وتنقل الى الصحف بسرعة البرق. ولا تفوت الصحف شيئاً سواء أكان ذلك فيضان فى بلاد الصين او زلزال فى البيرو او وصول طيارة ذات سطح واحد الى استراليا او لابرادور او مباراة فى (الكريكت) فى ملبورن او حركات السفن أو تقلبات سعر القطع او الانباء والتنبوء بالجو او برنامج الاذاعة اليومى باللاسلكي. فهذه الانباء تنقل وتدون بكافة الطرق وتحفر على المعدن وتطبع على الآلاف من الصحائف على آلات تزأر زأر الاسد وتكوم مئات آلاف من النسخ وتوزعها أساطيل من عربات اليد والعربات ذات المحركات والسفن التجارية والقطارات والطيارات .

وهناك قبائل واقوام من الصناع والعمال يعملون ليل ونهار فى الجمهورية التى يفخر بها رجال الصحف يبلغ عددهم تعداد امة صغيرة. قوام عملهم ومعيشتهم ايقاف العالم علي ما يجري حوله من حركات وأنباء .وقد يمكننا ان نتصور اذ بين ما خلقته مطالب المدنية ومقتضياتها اتقنها وأجداها تبعا السفينة التى تمخر عباب الاقيانوس او قد نختار القطار الحديدي .بيد ان بعضا منا مفكر حتما ان هذه الآلة الهائلة — وهى الصحيفة العظمى — هي ابدع هذه المنشئآت. فقد طرأ عليها من ضروب التطور والتحول والتحسين حسب مقتضيات الازمنة والبشر ما يحدونا الي التفكير ان بها معدن الخلود وجرثومة البقاء. فهي دائبة السير لا سبيل الى وقف حراكها . وليس هناك ما يحل محلها .ومن المحال ابطالها اذ ستكيف حتما بطابع الغد واحوالها كما تطبعت بطابع الامس . فما حيلتها وما شأنها وكيف نشأت الصحيفة عن قصة يمكن الكل قراءتها اذ كانت صورة من الصور ؟ فلا يغير تبلبل الالسنة معنى صورة من الصور إذ هي لغة العالم أجمع ، فالرموز

والصور المنحوتة على حائط كهف من الكهوف بالطلاء الاحمر تشرح قصة بأكملها وتروى رواية خبر بأكمله — خبر اقتناص غزلان برية وحيوانات هائلة من الأجناس المنقرضة رغم قوتها وبطشها تلاشت أمام دهاء الانسان وخفة حركته . والقصة المنقوشة على الكهف كان يتناقلها القوم فيما بينهم ولم تكن من الانباء التى قد يتقادم عليها العهد ويذهب البلى بجدتها اذ قلما كانت تشاهد مثل هذه القصص الا فى جلائل الظروف وجلى الحوادث وقد كان أولى المحررين لهذه الصحف الكهفية من القساوسة أو حفظة السحر والطلاسم حراس هذه النقوش والصور. وربما كانت تنزع أغطية الجلود التى تغطي هذه النقوش فى مواسم وفصول خاصة كفصل الربيع وقت البذار وفى الخريف عند جمع المحصول ووقت تخزين لحوم الصياد للشتاء — وعندئذ تتاح فرصة للقوم ليطلعوا على القصة ثانية .

ثم مضت قرون وبدء النحاتون والبناؤون ينحتون على أعمدة الكنائس والاديرة حقائق الديانات وأسرارها الخفية وقصصها وخرافاتها فصارت هذه قصص الدهاء المصورة كما كانت مشاهد الصيد والقنص مادة مطالعة العامة فى الكهوف المقدسة. وتلت ذلك مرحلة أخري اذ بدء الرسامون من قساوسة الكهوف ينحتون قصصهم على سن الهائشات المنقرضة أو قرون غزال الرنة. فكانت هذه بمثابة مذكراتهم تتناقل من يد لأخرى كألواح الأنباء . ورغم اختفائها عن الأعين وقبرها عن الانظار من ثلاثين ألف سنة الى خمسين ألف ونيف. فما زالت تعتبر من أخبار الأزمة الغابرة . ثم انتقلت هذه الصناعة من أيدى رجال السحر إلى عامة الشعب ولو الى حين . وبقى المحررون طبقة مميزة من القساوسة ثم تناثرت النقوش الصخرية والرموز فى كل صوب فكان الاسكيماويون يدونون وقائع الصيد على عظام غزال الرنة كلما توغلوا وأمعنوا شمالا في صيدهم وقنصهم . وكانت الأجناس النازحة الى أفريقية جنوبا تنقش النقوش على الصخر تمثل الانسان والحيوان ؛ تشبه بعض الشبه النقوش التى ما زال يعثر الانسان عليها فى كهوف فرنسا واسبانية وما زلنا نعثر على هذه

النقوش من الصين الى جنوب أمريكا ومن جنوب روديسيا الى الصين. وهذه النقوش تسترعى منا اهتماما خاصاً . اذ كانت فى بدايتها باللون الكامل ثم تدرج الأمر الى ان أصبحت رسوم خطية تمثل الشكل العام، تبسط القوه فيها على كر الدهور واصطلحوا على نقوش ورموز مختصرة حتى تدرجت الصور والنقوش الى علامات . ومن الصدف التى مازالت غامضة ، نجد أن الرموز المصطلح عليها لتمثيل الرجل والمرأة فى أفريقية هى بعينها مثيلاتها فى الصين. وهذه العلامات التصورية هى بداية اللفظ المكتوب أو حروف الهجاء. ثم ارتقى تدوين الانباء واذاعتها خلال القرون بسرعة هائلة . فتحولت الرموز السحرية في فرنسا ومصر والمكسيك والبرازيل الى كتابة ـ كتابات على ألواح فى القصور والمعابد فى بابل وقبل ملوك شمر وعقاد . والأول شهدوا مدنيــة أور عند الكلدانيين ـ مدنية موغلة فى القدم اذ لم يمط الكشف الدائب عنها اللثام الا قليلا ووشيكا . وكان الكتبة يكتبون بالحروف المسمارية مدونين أعمال الملوك كي يراها الجميع ويحفظونها ويتذاكرونها . ومن الالواح ارتقت الكتابة الى قوالب من الطوب واسطوانات دائرة تمكن طبع نسخ منها ويمكننا أن نعتبر بحق ان اسطوانة النقوش البابلية هى جد آلات الطباعة الدائرة التى تطبع عليها صحفنا في فليت ستريت (حيث ادارات معظم الصحف فى لندره) .

ومن ألواح الطوب أصبحت الكتابات تنقش على ألواح الخشب وذلك فى مصر . ووثبة أخرى فى النهوض أنتجت لنا ورق البردي المعروف فى مصر من قديم الزمان . وما زالت الانباء هي التى يذيعها القساوسة ولو أن أعمالهم الجليلة ومفاخرهم الباهرة كانت تدون على قبور الملوك كما فى حجر رشيد الا أنه لا بد أن لايعزب عن البال أن فرعون نفسه كان قسيساً، وما روحاته وغدواته وشاراته ورموز سلطته كانت تصدر عن القساوسة من مهده الى لحده

وعند الاغريق تحررت الانباء من صفتها وقالبها التقليدى فقد كان كتبة الاغريق ينقلون خطابات الخطباء على ورق البردى قبل المسيح بقرن . فى الوقت الذى كان

للاوائل المستعمرين منهم يخطون الحروف الاتروسكية (اللاتينية القديمة) على الواح الخزف في ايطاليا . وفي نفس الوقت كانت تنشر في بلاد الصين اول صحيفة اخبارية تنشر في اوقات منتظمة. وكانت هذه الانباء مصبوغة بالصبغة الرسمية اذ كانت تصدر القرارات الامبراطورية والاوامر بهذه الطريقة . وربما يجدر بنا في هذا المعرض ان نشير الى القصص الهندية القديمة المنقوشة على جدران المعابد او الكتابات بلغة المايا على المعابد في يوكاتان (امريكا الوسطي) اذ بحلول روما محل اليونان انتشر نوع آخر من الاذاعة في انحاء العالم . فاكتسبت الانباء الديموقراطية اهمية اذ اصبح كثير من العلماء من أقوام ليسوا بالقساوسة أو من بين الارستوقراطية بحيث كان الكتبة احيانا من الارقاء وكان تحريرهم بمثابة تحرير الصحافة . لذا نجد ان الاكتاديورنا Acta Diurna التي كانت تنشر في روما اول صحيفة انبائية تنشر أخبار الجيوش وحركاتها والانباء ذات الاهمية العامة . ثم امر يوليوس قيصر بنشر محاضر السناتو (او مجلس اشراف روما) ودون المخبرون نص خطاب كاتو (Cato) بخصوص المؤامرة الكاتيلينية ثم ما بين الانباء الهامة كانت تنشر اخبار اقل الاهمية عن هذه فقد دون نبأ كهذا مثلا :

« قصفت الرعود واصاب البرق شجرة بلوط عتيقة عصر اليوم في جهة سمنا فيليا على جبل بلاتين »

والنبأ الآتي : « اصدر الحاكم ترتينيوس القصابين لبيع لحوم لم تعرض لفحص مفتش الاسواق وسوف تخصص الغرامة لتشييد معبد »

حقاً ان المحرر الذي نشر هذه الأنباء لحديث النزعة !! ثم نشطت وسائل اذاعة الأخبار ونشرها باختراع آلة الطباعة وذيوع استخدامها بيد ان المرحلة مابين المدونات القديمة كالقصص الانجلوسكسونية وقصص فرواسار التي كانت تكتب باليد وتخط بعناء وبين الكتب التي كان يطبعها غوتنبرج في المانيا وكاكستون في انجلترا ، كانت أبعد من التي اقتضاها الامر لاصدار أول جريدة مذاعة من النوع الحديث وهي الفرانكفورتر جورنال

التى أصدرت عام ١٦١٥ ولم يخب ضوء الصحافة الباهر بعد أن ذاعت أضواؤه وانتشر سناه من يد الى يد حول نطاق العالم . فسرعان ما كان للوندرا صحيفة « الويكلى نيوز » بعد ذلك بسبع سنين ولباريس « جازيت دى فرانس » بعد عدد من السنين يقرب من ذلك . ويغلب على الظن أن أيدياً عديدة تداولت هذه الصحف الأولى . وكان مقدوراً عليها ككل وليد أن تكافح للبقاء إذ لو كان من الصعب أن تكتب صحيفة فالا شق والاصعب أن تجد من يشتريها ولم يتح للندرا أن تصدر صحيفة يومية قبل سنة ١٦٩٥ حين صدرت صحيفة بوستبوى (The Postboy) ثم أصدرت جريدة المورننج بوست بعد ذلك بثمانين سنة وهى الصحيفة الوحيدة التى قويت على أمزجة قراء الصحف المختلفة منذ ذلك الحين إلى يومنا هذا. بيد أن عدد قراء الصحيفة الواحدة في القرن التاسع عشر كان لا يزيد على الآلاف فأصبح عددهم الآن يربو على عشرات الآلاف. وان الصحف نفسها لتفسر لنا هذا الانتشار الواسع المتزايد الدائم وذلك ببذل الجهود والعناية بالأخبار التى قد تكون أخباراً صغيرة الشأن بيد أنها مما يهم كل انسان الاطلاع عليه اذ لامحالة نافذة إلى ناحية من نواحى فكره واهتمامه ونزعاته

ويمكننا أو نذكر على سبيل الاستدلال على نفوذ الصحافة الهائل وأنها ملتقى أصوات العالم المتجاوبة عن كل صغيرة وكبيرة تحدث فى العالم كل ساعة ودقيقة أن ما من اختراع ذاع وشاع لم يستعن به الصحافة فى نشر الأنباء فتجمع الأنباء لديها بالاسلاك البحرية والبرية والتلفون واللاسلكى وتوزع الانباء بكافة طرق النقل واستخدمت كل الوسائل الآلية وكل المخترعات التى تخدم مهمتها الانبائية سواءاً كان ذلك فى الطباعة كآلات المونوتيب واللينوتيب وآلة التصوير الشمسى أو فى الاذاعة .

ومن ثلاثين سنة قبل رمى الصحف واتساعها لتوزيع الملايين كان المخترعون يسعون ويكدون لنقل الصور كما ينقلون الرسائل البرقية . والآن قد أصبح هذا الاختراع حقيقة ملموسة فنتج جهاز التصوير الكهربائى الذى

سيصبح بعد قليل مألوفاً عند كل صبح كجهاز الأذاعة الصغير . وباستخدام هذا الجهاز ستنقل ملامح الانسان المتكلم فى نيويورك على لوحة مضيئة فى لندرا وما هذا الا بداية لها ما بعدها قابلة لكل احتمالات الرقي كما كانت الجملة التي يلقيها الخطيب في امريكا وتنقل باللاسلكي عبر الاطلانطيق ويتناقلها جهاز مركب على برج ايفل ويلتقطها جهاز آخر فى كوخ من أكواخ هونولولو منذ اثنتى عشر عاماً .

وقد ينقضى زمن قبل أن نتمكن من نقل الصور عبر الاطلانطيق الا اننا الآن فى وسعنا أن ننقل بالاسلاك صور الحوادث الجارية فى لندن أو مانشستر . ويمكن للقارىء ان يحكم على وضوح هذه الصور فى صحفنا اليومية الآن . وسوف تشغل هذه الصور مكاناً هاماً فى أعمدة الصحف في المستقبل بحيث يمكن اعداد مادة صحيفة بمقالاتها واعلاناتها وكل محتوياتها في إحدى بلاد إنجلترا بينما تكون الصور الشمسية لحوادث آخر ساعة ودقيقة قد نقلت إلى إدارتها من كافة الانحاء . وسوف تكون لوحة جهاز الرؤيا البعيدة إحدى متعات الحياة اليومية العادية وأهم وسائل التسلية في بيوت الكافة جنباً بجنب مع جهاز الاذاعة وبذلك تكمل الصور المنقولة على الشريط المضىء والاصوات المذاعة من كافة المحطات بحيث نسمع اصوات الفنانين والمحاضرين والخطباء ونرى صورهم وحركاتهم . وستكون مهمة محطات الاذاعة مزدوجة . أى تقوم فى آن واحد باذاعة الاصوات وعكس الصور الشمسية لمجريات العالم اليومية مما حصلت عليه إدارات الصحف اليومية .. بيد أن ذلك لن يؤثر على سلطان الصحف والحاجة التى لاغنى لنا عنها فلن يكتفى القارىء بالصور لاغير يوما ما إذ به مسيس حاجة إلى شرح الاخبار والتعليق عليها ونقد شؤون العالم إذ الصحيفة يجب أن تكون دائماً رفيق الانسان ومرشده وهاديه

فهرست

تابع الفهرست

فهرست الصور

معضلات المدنية الحديثة

ومقالات أخرى

علمية وفلسفية وانتقادية

بقلم

اسماعيل مظهر

صاحب مجلة العصور ومحررها

١٩٢٨

الثمن ١٥٠ مليما



يطلب من دار العصور للطبع والنشر

بشارع اسماعيل اباظه بالقاهرة بمصر